قضايا ونظرات

تجديد الوعي بالعالم الإسلامي والتغيير الحضاري

تقرير ربع سنوي | العدد الرابع والعشرون | يناير 2022

الأزمة الأفغانية الراهنة والذاكرة الحضارية.. دلالات الجغرافيا والتاريخ
د. نادية مصطفى

الطريق إلى تشكيل حكومة انتقالية في أفغانستان وشروط الاعتراف بها
مدحت ماهر - مروة يوسف

مواقف قوى شرقية كبرى من الانسحاب الأمريكي من أفغانستان
د. أحمد عبد الحافظ فواز

الإرث الأمريكي في أفغانستان بعد عشرين عامًا من الاحتلال: مؤشرات ودلالات
د. سماح عبد الصبور

مواطن التحدي الداخلية لاستقرار حكم طالبان
أحمد خلف

أفغانستان.. وتحولات المواقف الدولية من الشرق الإسلامي

مركز الحضارة للدراسات والبحوث
Civilization Center for Studies and Researches

قضايا ونظرات

تجديد الوعي بالعالم الإسلامي والتغيير الحضاري

تقرير ربع سنوي

يصدر عن مركز الحضارة للدراسات والبحوث

العدد الرابع والعشرون ـ يناير ٢٠٢٢

إشراف

أ. د/ نادية مصطفى

مدير التحرير

مدحت ماهر

سكرتير التحرير

مروة يوسف

الموقع الإلكتروني: www.hadaracenter.com

المراسلات: alhadara1997@gmail.com

محتويات العدد

رؤية معرفية ٤

د. نادية مصطفى، الأزمة الأفغانية الراهنة والذاكرة الحضارية.. دلالة الجغرافيا والتاريخ..... ٥

ملف العدد: أفغانستان وتحولات المواقف الدولية من الشرق الإسلامي ١٥

د. سماح عبد الصبور، الإرث الأمريكي في أفغانستان بعد عشرين عامًا من الاحتلال: مؤشرات ودلالات ١٦

عمر سمير، الطريق إلى سقوط كابول: مشهد فوضى الإجلاء وشروط الانسحاب..... ٢٨

مدحت ماهر، مروة يوسف، الطريق إلى تشكيل حكومة انتقالية في أفغانستان وشروط الاعتراف بها ٤٠

أحمد خلف، مواطن التحدي الداخلية لاستقرار حكم طالبان..... ٥٤

محمد جمال علي، الانسحاب الأمريكي من أفغانستان ودلالاته في الاستراتيجية الأمريكية ٦٩

آية محمود عنان، الموقف الأوروبي والناتو منذ الانسحاب الأمريكي ودلالاته على بينيات الغرب..... ٧٨

د. أحمد عبد الحافظ فواز، مواقف قوى شرقية كبرى من الانسحاب الأمريكي من أفغانستان ٨٨

أحمد عبد الرحمن خليفة، أفغانستان بين باكستان وإيران: المواقف والقضايا بعد الانسحاب الأمريكي ١٠٨

محمود عاشور مؤمن، الانسحاب الأمريكي من أفغانستان: مواقف وتداعيات قطر والسعودية وتركيا ١٢٢

قضايا عالمية وإقليمية ١٣٣

يارا عبد الجواد، عام على إدارة بايدن: تحليل وتقييم السياسات تجاه العالم الإسلامي..... ١٣٤

مروة يوسف، من الاختراقات إلى الحروب الإلكترونية عبر العالم: بيجاسوس الإسرائيلي نموذجًا .. ١٤٤

طارق جلال، ماذا بعد العدوان الإسرائيلي وسيف القدس؟ مسارات الداخل والخارج في فلسطين ١٥٤

رجب السيد عز الدين، تجربة ديمقراطية على الحافة: مآلات قرارات الرئيس التونسي في ٢٥ يوليو وسيناريوهات الإنقاذ..... ١٧٠

محمد علي إسماعيل، التهاوي اللبناني: مسارات حل الأزمة وتأزيمها بين الداخل والخارج ١٨٥

نبيل علي، الوضع في ليبيا.. بين الانتخابات واحتمالات تجدد الحرب..... ١٩٥

رؤية معرفية

الأزمة الأفغانية الراهنة والذاكرة الحضارية

دلالة الجغرافيا والتاريخ

أ. د. نادية محمود مصطفى(*)

لا يستقيم فهم الوضع العام للأمة في النظام الدولي -أو وضع إحدى دوائرها الإقليمية أو القطرية أو أحد الصراعات الدائرة في أي من هذه الدوائر في مرحلة ما- بانقطاع عما سبقها من مراحل. فاستدعاء التاريخ لتعميق وترشيد فهم الحاضر قضية منهجية ومعرفية محورية لا سيما من منظور حضاري إسلامي مقارن(١). ولقد تعددت إسهامات المدارس المقارنة حول هذه القضية كما سبق وأشرنا في دراسات عدة(٢). وهي قضية منهجية عامة تطرح ما يتصل بالذاكرة الحضارية للتفاعلات الدولية وللأمم بعامة، وما تثيره هذه الذاكرة من دلالات وما تقدمه من أنماط تاريخية حول شبكة أسباب الصراعات ودوافعها الأساسية، وعملياتها ونتائجها البارزة، خلال المفاصل التاريخية لتحولات أمة ما أو لتطورات قضية ما(٣). وكذلك بالنسبة لجغرافية كل أمة؛ حيث تتطور أوضاع أقطارها في طيات تطورات أقاليمها ودوائرها الفرعية، وفي إطار تحولات الجيوبوليتيكا العالمية المزامنة لها والمتقاطعة معها.

هذه حقائق علمية ثابتة، ولكن ما علاقتها وعلاقة هذا التقديم النظري بالأزمة الأفغانية الراهنة؟ هذا ما تكشف عنه الأسطر التالية، وذلك ضمن المنظور الحضاري المقارن للنظر في الشئون الدولية الذي أتبناه منذ نحو خمسة وثلاثين عاما.

(١)

تتجلى أهمية هذا التقديم النظري في ضوء خبرة معايشة بحثية للأشهر الأربعة الحاسمة السابقة (منذ أغسطس حتى كتابة هذه السطور في نهاية ديسمبر ٢٠٢١).

(*) أستاذ العلاقات الدولية المتفرغ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة، مدير مركز الحضارة للدراسات والبحوث

(١) عن أهمية الذاكرة التاريخية ومنهاجية استدعائها: انظر "المقدمة" في: نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي: منظور حضاري مقارن، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٥، ص ص ١٧-٣٤. وانظر:نادية محمود مصطفي، مسار علم العلاقات الدولية بين جدال المنظورات الكبرى واختلاف النماذج المعرفية، في: نادية محمود مصطفى (محرر)، العلاقات الدولية في عالم متغير: منظورات ومداخل مقارنة، الجزء الأول، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠١٦، ص ص ٣٢-٥٦.

(٢) وحول مدارس تفسير وفلسفة التاريخ المختلفة انظر:

- نادية محمود مصطفى، مدخل منهاجي لدراسة التطور في وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي، (في): نادية محمود مصطفى (إشراف)، مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، الجزء السابع من المشروع، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦، ص ص ٩٣-١٠٤.

- John Lewis Gaddis, Expanding the Data Base: Historians, Political Scientists, and the Enrichment of Security Studies, International Security, Vol. 12, No. 1, Summer 1987.

-John Lewis Gaddis, International Relations Theory and the End of the Cold War, International Security, Vol. 17, No. 3, Winter, 1992-1993.

(٣) حول هذين المفهومين (الذاكرة الحضارية، المفاصل التاريخية) انظر: نادية محمود مصطفى، الهجمات الحضارية على الأمة وأنماط المقاومة: بين الذاكرة التاريخية والجديد منذ الثورات العربية، العدد الثالث عشر من أمتي في العالم "المشروع الحضاري الإسلامي: الأزمة والمخرج"، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠١٧، ص ص ٢٧-٣١.

ففي شهر أغسطس تسارع وتداعى الإعلان عن أمرين متضافرين: تقدم طالبان في السيطرة على أرجاء أفغانستان من ناحية، وتصميم الولايات المتحدة على إتمام انسحاب قواتها من أفغانستان في ٣١ أغسطس من ناحية أخرى، وفق خطة بايدن المعلن عنها عقب فوزه بالرئاسة، واستعراض الولايات المتحدة استعداداتها لهذا الانسحاب. وفي حين بدا الأمران متناقضين لدى البعض، فلقد بديا أمرًا طبيعيًا في ظل ما يسمى خطة أمريكية جديدة للمنطقة من وسط إلى شرق آسيا. ومع تسارع الأحداث على الأرض وتوالي دلالاتها السياسية والاستراتيجية والحضارية، تواترت الأسئلة وتشعبت، وتعددت الإجابات المتقابلة والمتضاربة من منظورات مختلفة (كما سنرى في تقارير هذا العدد). وصار المعوَّل عليه أو الواجب هو البحث عن منظور أو مدخل يبدو أجدر باستيعاب أبعاد المنطقة وسياسات الدول تجاهها.

وبعد أن تعددت أمامي مداخل كتابة هذه الورقة المفاهيمية، وجدت السؤال عن دلالة الجغرافيا والتاريخ يجذبني. **هل هناك في الجغرافيا والتاريخ ما يساعد على إذكاء البصيرة حول ما يحدث الآن؟ هل تقدم لنا الذاكرة التاريخية عن هذه المنطقة في قلب آسيا -بعيدًا عن البحر وبقومياتها وقبائلها المتعددة والممتدة فوق تضاريس جغرافية متنوعة بدورها ما بين جبال وأودية-** ما يسهم في فهم مجريات الأمور الحالية؟

وزادت جاذبية هذا المدخل لدي في ضوء خبرة القضية الأفغانية المعاصرة؛ أي خلال العقود الأربعة السابقة، التي –من ناحية أخرى- تمثل مفصلًا تاريخيًّا لمرحلة انتقالية بين نظامين دوليين. فقد تطورت القضية الأفغانية وسمات النظام الدولي كلتاهما معا؛ وكانت تطورات الأولى علامات مميزة لتحولات الثانية. ومن ثم من مدخل الذاكرة لتاريخية والحضارية نحاول تأمل الأربعة أشهر الأخيرة في إطار الأربعة عقود الأخيرة، ونتفحص تطورات الحالة الأفغانية في ظلال تحولات حالة الأمة والنظام الدولي!

فقد شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين ثلاثة تطورات عالمية أساسية: أولها- تجدد فعاليات الحرب الباردة، وكانت علامتها البارزة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩؛ ثم ثانيا تصفية الحرب الباردة ذاتها ونهاية القطبية الثنائية، وكانت أبرز علاماتها أيضًا المقاومة الأفغانية للاحتلال السوفيتي والانسحاب الروسي الذي أعقبه إعلان تفكيك الاتحاد السوفيتي نفسه ١٩٩١، وأخيرًا اندلاع الحرب الأهلية الأفغانية (١٩٨٩-١٩٩٤) التي استمرت إلى أن تمكنت طالبان من السيطرة على معظم الساحة السياسية الأفغانية منذ ١٩٩٦ وظلت تحكم حتى ٢٠٠١. إذًا فلقد كانت الساحة الأفغانية ساحة هامة لاختبار التغيرات في توازنات القوى العالمية والإقليمية عبر هذين العقدين[٤]. ولكن في ظل طبيعة النسيج المجتمعي والبناء السياسي للأمة الأفغانية، على نحو كشف الغطاء عن إشكاليات التفاعلات بين الأبعاد الدينية الثقافية وبين الأبعاد العسكرية والسياسية؛ كما كشف الغطاء في العقدين نفسيهما عن إشكاليات مقاربة عبر دوائر إسلامية أخرى (آسيا الوسطى، القوقاز، البلقان...)؛ سواء في أوضاعها الراهنة أو الجذور التاريخية لهذه الدوائر.

أما العقدان الأولان من القرن الحادي والعشرين، فلقد شهدا -منذ العدوان الأمريكي على أفغانستان ٢٠٠١ ثم احتلالها تحت غطاء الناتو والأمم المتحدة- عمليات عسكرية وسياسية ومجتمعية ودينية لإعادة تشكيل الدولة الأفغانية والمجتمع الأفغاني وفق رؤية المحتل ليصبح المجتمع "مجتمعًا مدنيًا ديمقراطيًا" لا يمثل مصدرًا من مصادر التطرف والإرهاب المعادي للحضارة الغربية. أي شهد هذان العقدان الأخيران عملية شاملة لما يسمى نقل قيم الحداثة الغربية لهذا المجتمع التقليدي، في ظل عملية إعادة بناء سياسي واقتصادي. ولقد ثبت أخيرًا في أغسطس ٢٠٢١ فشل هذه العملية التي استغرقت عقدين من الزمان ولم تحقق أهدافها رغم ما ضخّته فيها الولايات المتحدة من مئات مليارات من الدولارات وما فرطت فيه من آلاف الأرواح؛ سواء من الأفغان أو القوات المحتلة الأمريكية أو الدولية

(٤) انظر على سبيل المثال: مدحت ماهر، محمد صلاح عبد العال، الإسلاميون وبناء الدولة في أفغانستان: أين الخلل؟، العدد الرابع عشر من أمتي في العالم: "السياسات العامة في نظم ومجتمعات العالم الإسلامي: نماذج وخبرات"، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٩)، ص ص ٤١٧-٤٣٩.

المتعددة. ومن ثم فلقد كان هذان العقدان أيضًا ساحة لاختبار موضع القضية الأفغانية من التوازنات الدولية والإقليمية في نظام ما بعد القطبية الثنائية المتردّد بين اليوم الأحادية الأمريكية والصعود الصيني وتجدد القوة الروسية من جديد عالمياً، وصعود الدوريْن الجديديْن: الإيراني والتركي إقليميًّا.

وبقدر ما كان لخبرة هذه العقود الأربعة دلالات مهمة بوصفها ذاكرة تاريخية قريبة للخبرة الأفغانية الراهنة عبر ٢٠٢١، بقدر ما كان لابد من أن تستدعي التساؤل عن **الذاكرة التاريخية الأعمق للعلاقة بين طبيعة الموقع الجغرافي والجغرافيا السكانية لأفغانستان من ناحية، وبين طبيعة السياق الإقليمي المحيط بأفغانستان وقواه -سواء القوى الإسلامية المتنوعة: الفارسية والتركية، أو القوى غير المسلمة: الهند، الصين، روسيا- من ناحية ثانية، وبين طبيعة توازنات القوى العالمية وموضع التنافس على قلب آسيا ضمن هذه التوازنات من ناحية ثالثة.**

فهل يساعد استدعاء ملامح وخصائص هذه الذاكرة التاريخية على التدبر الرشيد فيما يحدث الآن ومآلاته على ضوء أنماط سابقة؟

إن هذه الذاكرة وتلك الجغرافيا تمكنان من الإجابة عن **أسئلة الوقت الأجدر بالتناول**: فلماذا تستمر هذه الممانعة المجتمعية والسياسية الأفغانية ضد التدخل العسكري الخارجي وما يصاحبه من فرض قسري علوي لتغيرات مجتمعية؟ ولماذا تتواصل هذه المقاومة العسكرية الممتدة دون توقف ضد الوجود الأجنبي؛ سواء تصاعدت أو تهابطت بين حين وآخر؛ وسواء اجتمعت عليها القبائل والقوميات أو تفرقت؟ ولماذا هذا الفشل السوفيتي ثم الأمريكي في هذه البقعة على وجه الخصوص؟ لقد تكررت هذه الأنماط عبر التاريخ الأفغاني والإسلامي، فماذا تقول الذاكرة التاريخية عن مآلات التسابق أو التنافس الاستعماري الأوربي الحديث، على هذه المنطقة (منذ القرن السادس عشر)؟ وقبل ذلك: ماذا تقول لنا هذه الذاكرة عن كيفية دخول وانتشار الإسلام في المنطقة وتطور وضعها في التوازنات والتفاعلات الدولية قبل الهجمة الأوروبية الحديثة؟ وفي ضوء ما سبق، وعقب ثبوت فشل المشروع الأمريكي في أفغانستان أغسطس٢٠٢١: لماذا يجري الانسحاب الأمريكي بهذه الطريقة؟ هل هناك مقاصة أمريكية راهنة حول أفغانستان؟ وكيف؟

على ضوء القراءة في بعض الأدبيات التي بحثت في الذاكرة التاريخية لوضع الأمة في العالم وفي قلبها أفغانستان[٥]، أو لتطور تاريخ النظام الدولي أو العلاقات الدولية بما فيه وضع دوائر الأمة من هذا النظام[٦]، يمكن أن نقدم الملامح والخصائص التالية على نحو يساعد -في خاتمة هذه الدراسة- على الإجابة عن منظومة الأسئلة السابقة ومناقشة منظومة الإشكاليات الثلاثية المشار إليها عاليًا (الداخل الأفغاني، تطورات الإقليم والأمة، تحولات النظام العالمي).

(٥) انظر:

- محمود شاكر الحرستاني، التاريخ الإسلامي، (١٦ مجلدا)، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٨، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، خاصة المحور التاسع: العصر الحديث.
- إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الرياض: دار المريخ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- محمود قمر، تاريخ انتشار الإسلام في آسيا، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٦.
- صلاح عبود العامري، تاريخ أفغانستان وتطورها السياسي، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.

(٦) انظر: نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي..، مرجع سابق.

(٢)

دخول الإسلام أفغانستان و انتشاره[٧]

لم يكن دخول الإسلام إلى أراضي الأفغان (بوصفها جزءًا مما كان يعرف بخراسان) وانتشاره فيها -بداية من سنة ٢١هـ=٦٤٢م (القرن السابع الميلادي)، بعد معركة نهاوند الشهيرة- عملية سهلة، بل بدت رحلة صعبة وممتدة حتى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي حين بدأ يستقر الإسلام في هذه البلاد. فلقد لقيت الفتوح الإسلامية شرقًا -بعد سقوط فارس- صعوبات عدة؛ مرجعها عدة عوامل من قبيل: المقاومة الشديدة من شعوب هذه المناطق ذات التضاريس الصعبة أمام جيوش الفتح؛ وصعوبات الفتوح بعيدًا عن مركز الخلافة في الجزيرة أو الشام بعد ذلك.

وعلى عكس فتوح الإسكندر الأكبر لهذه المناطق في قلب آسيا والتي مرت دون أن تترك أثرًا ممتدًا، فإن الفتوح الإسلامية استمرت واستقرت. ولقد كان لنمط الفتح من ناحية ونمط إدارة ما بعد المعارك العسكرية من ناحية أخرى تأثير معروف على اعتناق شعوب المنطقة للإسلام رغم تنويعاتها القومية والقبلية، بل إنهم أسهموا بعد ذلك في نشر الإسلام شرقًا فيما وراء النهر (إشارة إلى النهرين العظيمين اللذين يحدّان المنطقة شرقا وغربا: سيحون وجيحون). وكما تشير عدةٌ من المصادر عن العلاقة بين الأفغان والإسلام، فلقد أصبحت هذه الأمة من أخلص الدعاة للإسلام والمدافعين عنه، وكان تأثيره قويًا فيها؛ فأصبح الأفغان من المتمسكين به بقوة: عقيدةً وسلوكًا.

لقد وصفهم العديد من المؤرخين والرحالة بالشعب ذي القوة والبأس الشديد، وجعل الموقع الجيوستراتيجي من بلاد الأفغان إحدى نقاط الاتصال القديمة لطريق الحرير وللهجرات البشرية. كما أن أفغانستان منذ القدم تربط بين شرق آسيا وغربها وجنوبها ووسطها. ولذا تأثرت جغرافيتها البشرية بكونها معبرًا أو موطنًا لقوميات عديدة خلال العصور المتتالية؛ وكذا باستهدافها بغزوات ما بعد الفتوح؛ ومن أهمها -كما هو معلوم- غزوة المغول الكبرى. بيد أن هذا البلاد ظلت مستعصية على الاستعمار الأوروبي العسكري المباشر، وكان الإسلام والطبيعة البشرية الأفغانية أهم عناصر هذه المقاومة. كما تأثر الوضع السياسي لأرض الأفغان وشعوبها -قبل الهجمة الأوروبية الحديثة- بالصراعات والتنافسات بين القوى الإقليمية المجاورة وبين القوى الاستعمارية الأوروبية على قلب آسيا منذ القرن الثامن عشر، بعد أن تصارعت منذ القرن السادس عشر على سواحلها الجنوبية والغربية والشرقية. ومن ثم فإن ذاكرة تطور الدولة في أفغانستان، هي حصيلة جميع هذه المحددات الداخلية والإقليمية والدولية.

(٣)

أفغانستان-الدولة بين الداخل والإقليم والاستعمار: خبرة القرنين التاسع عشر والعشرين

تعرضت شعوب أركان الأمة الإسلامية –العربية والتركية والفارسية والهندية- طوال القرن التاسع عشر، وحتى منتصف العشرين لضغوط خارجية قسرية على دولها المستضعفة تحت الاحتلال العسكري في تلك المرحلة، والتي رضخت لكثير من الضغوط لإجراء ما يسمى "إصلاحات مجتمعية وقانونية وإدارية"، ما كانت في واقع الأمر إلا للتغيير نحو النموذج الحضاري الحداثي العلماني الغربي. وكانت

(٧) حول دخول الإسلام إلى أفغانستان، انظر: فاروق حامد بدر، تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر، القاهرة: المطبعة النموذجية، ١٩٨٠. و: محمود شيت خطاب، قادة فتح السند وأفغانستان، (القاهرة: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠)، ص ص ٢٢٩-٢٦٣: أفغانستان قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه.

خبرة الدولة العثمانية في مرحلة تصفيتها، وخبرة الجمهورية التركية بعد سقوط الدولة العثمانية وهزيمتها في الحرب العالمية الأولى وإلغاء الخلافة، من أبرز الأمثلة على هذا التحاضن بين الاستضعاف والتدخل الخارجي وبين فرض النماذج الحضارية المغايرة[٨].

ولم تكن شعوب قلب آسيا -وفي قلبها الأفغان- بعيدة عن هذه المحاولات القهرية. ولكن هل كانت لها خبرة خاصة؟ وما دلالات تلك الخبرة في المجريات الراهنة؟

تحت عنوان: أفغانستان الدولة: قرن من التشكيل عبر النفوذ الخارجي: يقدم مدحت ماهر ومحمد صلاح استعراضًا موجزًا ولكن محكمًا لوضعية الدولة في أفغانستان في ظل السياق الإقليمي والعالمي للقرنين الـ١٩ والـ٢٠[٩]:

(يمكن نسبة تأسيس الدولة-القومية الأفغانية إلى الأمير عبد الرحمن خان (حكم ١٨٨٠-١٩٠١م) حفيد دوست محمد مؤسس حكم الدولة البركزاية لإمارة أفغانستان منذ العام ١٨٤٧م، والتي لم تشهد من قبل وحتى عهد عبد الرحمن خان استقرارًا كافيًا ولا قوةً حاكمة مجمِّعة لتكوينها الداخلي تمكّن من رسم حدود الدولة وفرض المنطق التوحيدي والمركزي عليها؛ حيث تميزت سنواتُ حكمه -والمقدر عددها بإحدى وعشرين سنة- بجهودٍ رمت إلى تحديث الإمارة التي كانت حدودها مرسومة ومضغوطة لأكثر من قرن بواسطة اثنتين من الإمبراطوريات الكبرى الطامعة والمتدخلة: البريطانية والروسية. وجّه الأمير عبد الرحمن جهودَه إلى إنشاء الدولة الحديثة لأفغانستان بتوحيد أجزائها المتعددة؛ قندهار وكابول وبيشاور وهيرات ومناطق الشمال، وتجميع إثنياتها الكبرى؛ البشتون والأوزبك والطاجيك. تحقق توحدُ أفغانستان هذا عن طريق قمع الثورات والعقوبات القاسية، وكسر معقل القبائل المتمردة عليه خاصة قبائل البشتون، وبزرع سكان بينهم من غير عرقهم بل من أقوى أعدائهم مثل: الغيلزاي. وقام عبد الرحمن خان بإنشاء نظام المحافظات بدلًا عن نظام قبائل الحدود الذي كان سائدًا، ومنح حكام المقاطعات قدرًا كبيرًا من السلطة في الشئون المحلية، كما وضع قوة عسكرية تحت تصرف كل واحد منهم لجمع الضرائب وقمع المعارضة، مع مراقبته لهؤلاء الحكام من خلال نظام استخبارات بدا فعالًا. وخلال فترة حكمه، بدأت تنظيمات القبائل تتخلل السلطة الجديدة؛ حيث إن مسئولي الحكومة المحلية سمحوا بتبديل الأراضي خارج حدود القبائل والعشائر التقليدية. ولكن لم يكن ذلك بالطبع نهائيًا فظلَّ في الدولة قديمٌ وجديد.

---

(٨) حول العلاقة بين الاستعمار السياسي والعسكري للأمة وبين الفرض القسري لنموذجه الحضاري وعواقبها على الأمة ومقاومتها له انظر: طارق البشري، ماهية المعاصرة، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ص٧-٨. و:طارق البشري، التجدد الحضاري: دراسات في تداخل المفاهيم المعاصرة مع المرجعيات الموروثة، تقديم: نادية محمود مصطفى، بيروت: الشبكة العربية للنشر والأبحاث، ٢٠١٥.

- انظر أيضا سلسلة في المسألة الإسلامية المعاصرة لطارق البشري، وتتضمن الآتي:
- بين الإسلام والعروبة، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨).
- منهج النظر في النظم السياسية المعاصرة لبلدان العالم الإسلامي، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٠).
- بين الجامعة الدينية و الجامعة الوطنية في الفكر السياسي، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨).
- الحوار الإسلامي-العلماني، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥).
- الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥).
- الوضع القانوني بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥).
- ماهية المعاصرة، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥).
- اجتهادات فقهية، (القاهرة: دار البشير، ٢٠١٧).
- نحو إسلامية المعرفة في الفكر السياسي المعاصر، (القاهرة: مفكرون للنشر، ٢٠١٩).

(٩) مدحت ماهر، محمد صلاح عبد العال: الإسلاميون وبناء الدولة في أفغانستان: أين الخلل؟، مرجع سابق، ص٤١٨- ٤١٩.

وفي القرن التاسع عشر كانت أفغانستان مسرحًا للعمليات الحربية في الصراع بين الإمبراطورية البريطانية وروسيا القيصرية من أجل السيطرة على آسيا الوسطى، وقاد دوست محمد -ومن بعده ابنه ثم حفيده- حربين ضد بريطانيا في النصف الأول والنصف الأخير من القرن التاسع عشر، لكن استردت أفغانستان الحكمَ الذاتي بمقتضى الاتفاقية الإنجليزية الروسية عام ١٩٠٧، ثم حصلت على استقلالها التام بمقتضى معاهدة روالبندي عام ١٩١٩، وفي عام ١٩٢٦ قام الأمير أمان الله بتأسيس المملكة الأفغانية وعَملَ على تحديثها.

كانت هذه الأسرة البركزاية تخطو ببطء نحو تأسيس دولة بهذا المعنى لكن في ظل نفوذ بريطاني بالأساس، يناوشه نفوذ روسي في فترات كثيرة، وتدخلات إيرانية وهندية بدرجة تالية. ومن ثم فإن الخبرة الأفغانية تنضم إلى الحالة العامة التي شاعت في العالم الإسلامي في التحديث السياسي والإداري العام على النمط الأوروبي، وإن كان ذلك بمحدودية جغرافية وديمغرافية واضحة، مما أدى إلى بقاء أفغانستان حتى اليوم في عداد الدول الأكثر تخلفًا من الناحية الإدارية وفي سياسات التنمية بمستوياتها المختلفة، بل دخلت في نهاية القرن العشرين في عداد "الدول الفاشلة" على نحو ما أشار رئيسها الحالي أشرف غني في كتاب خصصه لهذا المعنى(١٠).

استمر هذا النمط من التحديث من مطلع القرن العشرين بطيئًا ومركزيًّا غير منتشر حتى وصل الملك ظاهر شاه إلى الحكم ١٩٣٣ بعد وفاة والده الملك نادر شاه (١٩١٩-١٩٣٣). حكم ظاهر شاه أفغانستان أربعين سنة (١٩٣٣-١٩٧٣م)؛ فدعم التعليم الحديث (على النمط الغربي) وأمر ببناء المدارس في جميع أنحاء البلاد، وبنى عددًا من المطارات مثل: مطاري كابول وقندهار الدوليين، ولكن الأمور اضطربت في أواخر عهده مع تسلل الفكر الشيوعي وخلاياه وتصاعد النفوذ السوفيتي في دولته، ثم تعرض البلاد لمجاعة قاسية ١٩٧١-١٩٧٢ مكنت ابن عمه (ورئيس وزرائه السابق) داوود خان من استغلال سفره بالخارج لينقلب عليه ١٩٧٣ ويعلن قيام الجمهورية الأفغانية ويرأسها. ولم يمكث داوود في الحكم طويلًا حيث انقلب عليه المقرَّبون منه من الشيوعيين في السابع والعشرين من أبريل ١٩٧٨، ليؤسسوا جمهورية أفغانستان الديمقراطية(!!) برئاسة نور محمد تراقي (أو تراكي) رئيس حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني (الشيوعي) الموالي للسوفييت موالاة معلنة(١١).

وعلى الرغم من محاولات التحديث هذه التي يشار إليها، فإن الدولة الأفغانية ظلت بدائية بصفة عامة؛ وبالأخص من الناحية المؤسسية. ففي كتابه **"الكراسة الأفغانية"** عن ذكرياته بين أوائل أغسطس ١٩٧٨ ومنتصف أبريل ١٩٨٠م، يشرح ليونيد بيجدانوف، الضابط السوفييتي الذي أسس ورأس ممثلية أمن الدولة السوفيتية (KGB) بأفغانستان في الفترة ذاتها، كيف كان حال المؤسسات الأمنية والعسكرية وسائر مؤسسات الدولة الأفغانية عشية الحرب العشرية الكبيرة، والتي ملخصها أنه لم يكن هناك من الدولة إلا اسمها الكاذب في كل أحرفه (جمهورية أفغانستان الديمقراطية)؛ فلا مؤسسات ولا كوادر ولا نظم عمل ولا نظم قوانين مسنونة أو متبعة، ولا أعراف إدارية، ولا خدمات ولا إنتاج، ولا سياسات، إنما حالة طُغمتية (أوليجاركية أشبه بالعصابات الإجرامية) ضحلة لا تعرف سوى القمع والقتل بلا قانون ولا تستهدف سوى الحفاظ على السلطة والدفاع عن الاستبداد بها.

كانت هذه البدائية المؤسسية في مجال الأمن ماثلةً في سائر قطاعات الحكم والإدارة؛ التعليم والصحة والزراعة والصناعة والتجارة. واتسم وجود المؤسسات بالانحصار في العاصمة وبعض مدن وأقاليم رئيسية محدودة، والانحسار والتراجع كل حين مع الاضطرابات والحروب التي لم تنقطع عن أفغانستان لمدة أربعة عقود كاملة وإلى اليوم. تعمقت هذه البدائية أكثر وأكثر بمقاومة شعبية ضد احتلال عسكري شديد القسوة لعشر سنوات تامة منذ بدء التدخل العسكري السوفييتي مارس ١٩٧٩، ثم استكملت بحرب المجاهدين بعضهم مع بعض بين عامي ١٩٩٢ و١٩٩٦ حتى حسم مقاتلو طالبان ذلك الصراع لصالحهم، وأعلنوا قيام إمارة أفغانستان الإسلامية، ليأخذ

(10) Ashraf Ghani, Clare Lockhart, Fixing Failed State: A framework for Rebuilding A Fractured World, (Oxford: Oxford Uni. Press, 2008).

(١١) انظر: ليونيد بيجدانوف، الكراسة الأفغانية، ترجمة وتقديم: علي فهمي عبد السلام، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٩)، ص ١١.

السؤال منحىً جديدًا: **ماذا لدى الإسلاميين من فكروعمل يتعلق ببناء الدولة الأفغانية وتوحيد أقاليمها تحت سلطة مركزية، وتجديد مؤسساتها، ورسم السياسات الكفيلة بالوفاء بالاحتياجات الحقيقية والأساسية للشعب الأفغاني؟** هذا ما أبرزته التجربة الطالبانية لخمس سنوات متتالية لم تخل من مصاعبٍ داخلية وخارجية)[١٢].

إذًا، مثلت مرحلة حكم طالبان الأولى ١٩٩٦- ٢٠٠١، نموذجًا من الحكم "الإسلامي التقليدي" الذي تعرض لانتقادات أو هجوم على أدائه وأحيانًا تقريظه. وأيا كانت دوافع وحجج وأهداف كل اتجاه من هذه الاتجاهات المتقابلة حول تقييم هذه المرحلة الآن، فإنها تمثل تغلب تيار حركي إسلامي أفغاني على تيارات أخرى حركية إسلامية أو قبلية أفغانية طحنت البلاد في حرب دموية لمدة ست سنوات بعد الانسحاب السوفيتي. ومن ثم مثلت هذه المرحلة مشهدا من سلسلة مشاهد متتالية مرت بها أفغانستان، منذ تأسيس الملكية الأفغانية الحديثة في الربع الأول من القرن العشرين.

ويردنا هذا إلى خلاصة القول عن أفغانستان -الدولة والمجتمع- بين الداخل والخارج، في الذاكرة التاريخية؛ وصولًا إلى دلالات هذه الذاكرة والجعرافية عن اللحظة الراهنة؛ أي فشل الاحتلال الأمريكي؛ ما بين نماذج الحكم في أفغانستان عبر القرن العشرين، وتفاعل مشكلة الداخل الأفغاني مع الممانعة الممتدة حتى الانسحاب الأمريكي.

(٤)

نماذج الحكم في أفغانستان عبر القرن العشرين

على ضوء التفصيل التاريخي السابق عرضه، شهدت خبرة الدولة الأفغانية الحديثة في هذا القرن، توالي أربعة نماذج فكرية–حركية سياسية ومجتمعية قبل الاحتلال الأمريكي: خبرة الملكية الليبرالية الطامحة للتحديث وفق النموذج الغربي الحداثي، ثم نموذج الحكم اليساري العسكري المدعوم من الخارج السوفيتي، ثم نموذج تصارع الفصائل الأفغانية التي قاومت الاحتلال الروسي ليتغلب أحدهم على حكم أفغانستان، فيما كان يبدو أنه مرحلة اختبار أخرى لماهية النموذج السياسي والمجتمعي الذين يمكن أن تقبله الأمة الأفغانية، وأخيرًا نموذج حكم طالبان، باعتبارها الحركة التي تغلبت على غيرها في الحرب الأهلية.

هذه النماذج الأربعة، كانت ذات صبغات أيديولوجية متقابلة، لم تكن تتنازع على روح وعقل الأمة الأفغانية فقط طيلة هذا القرن، ولكن كانت أيضًا تتجول وتتدافع في كافة أرجاء شعوب الأمة الإسلامية وأوطانها، وتحقق كل منها درجة أو أخرى من النجاح أو الفشل، ولكن أغلب نجاحاتهت كانت من النوع المؤقت الذي لا يضمن بناء نموذج توافقي جمعي تتراضى حوله قوى كل وطن من الأوطان.

بعبارة أخرى، قدمت أفغانستان نموذجًا آخر من نماذج محاولات بناء الدولة الحديثة في العالم الإسلامي منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى الانسحاب الأمريكي من أفغانستان أغسطس ٢٠٢١. وجميع هذه النماذج، عربية أو غير عربية، تشهد الآن ذكرى مئوية هذه البداية لتأسيس دول حديثة (بين العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين)، وهي المئوية التي تمر على العديد من هذه الدول وهي في أزمات طاحنة، ما بين دول في حروب أهلية أو تصارع التخلف والتبعية. والقليل منها الذي دعم ركائز قوته بل قدم نموذجًا مثل الحالة التركية والإيرانية.

---

(١٢) راجع ملخص خبرة السنوات الخمس الطالبانية في: مدحت ماهر، أفغانستان والجوار: السياسات والدلالات (١١ سبتمبر – ٢٢ ديسمبر ٢٠٠١)، حولية أمتي في العالم، العدد الخامس، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠٠٢)، ص ص ١٧٢-١٧٩. وانظر أيضا:

- محمد سرافراز، حركة طالبان من النشوء إلى السقوط، (بيروت: دار الميزان، ٢٠٠٨).
- عبد السلام ضعيف، حياتي مع طالبان، تحرير: أليكس ستريك فان لينشوتن وفيلكس كوهن، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠١٤).

وكانت النماذج الأربعة المتوالية في الحالة الأفغانية -ومثل غيرها من نماذج الحالات الأخرى- نتاج تفاعل عوامل داخلية وإقليمية وعالمية، صبغت كل مرحلة بنموذجها "المؤقت" "المستورد" المفروض من نخبة مستعلية بدعم خارجي.

فعلى سبيل المثال عن تأثير المتغير الإقليمي والعالمي، تمكن "اليسار" في بداية السبعينيات من السلطة في أفغانستان، وقد دخلت العلاقات الصينية–السوفيتية والعلاقات السوفيتية-الأمريكية، حالة الوفاق أو الانفراج على عكس العقود السابقة التي لم تكن الأوضاع الصينية أو السوفيتية تسمح بتوجيه الاهتمام إلى قلب آسيا؛ وأفغانستان.

ويقول لنا التاريخ إن روسيا القيصرية، بعد أن كان البلقان وشرق أوروبا (ممتلكات الدولة العثمانية) يجذبان توسعها نحو الغرب في القرنين الـ١٨ و١٩، فإن هزيمتها في حرب القرم ١٨٥٦ أولًا ثم انهيار حلفها المقدس مع النمسا (ضد بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية) دفعاها نحو التوسع في الشرق؛ حيث أحكمت قبضتها على القوقاز وجمهوريات آسيا الوسطى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ وهي الفترة التي شهدت التنسيق البريطاني الروسي لوضع مقاصات لمناطق النفوذ (قلب آسيا، الهند) منعًا للتصادم عند مواجهة أعداء مشتركين مثل ألمانيا في الحربين العالمية الأولى والثانية مثلًا.

(٥)

أفغانستان: بين مشكلة الداخل والممانعة الممتدة حتى الانسحاب الأمريكي

إن الإمساك بهذه الخيوط للذاكرة التاريخية المعاصرة، ولو على نحو سريع وموجز ولكن كلي، ليس الهدف منه إلا الوصول إلى دلالات خبرة عقدي الاحتلال الأمريكي وانسحابه من ناحية، وذكرى مئوية بداية تأسيس دولة حديثة في أرجاء العالم الإسلامي من ناحية أخرى.

لقد نشطت المقاومة الأفغانية الفصائلية القبلية -ولو تحت رايات إسلامية أيضًا- ضد الاحتلال الروسي في ظل إطار إقليمي وعالمي ساند هذه المقاومة، وهو إطار تجدُّد الحرب الباردة بين القوتين العظميين، وتنامي النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط بعد اتفاق السلام المصري-الإسرائيلي والحرب الإيرانية–العراقية، مما حفز من التنسيق المصري–السعودي–الأمريكي لدعم المقاومة الأفغانية، ولو تحت رايات إسلامية قبلية؛ مما ساهم في قلب المعادلة في قلب آسيا بعد أن تمت هزيمة النموذج الحداثي اليساري المدعوم سوفيتيًا، وليدخل النموذج الحداثي الغربي في مرحلة سكون. ولكن ليظل التساؤل قائمًا: ما مآل أفغانستان حينئذٍ بين التيارات الإسلامية المتصارعة على الأرض وبين التيار الحداثي المراقب عن بعد؛ سواء من الغرب البعيد جغرافيا أو من الجوار الروسي بعد عملية إعادة بناء الدولة الروسية وتحالفاتها الإقليمية عقب تفكك الاتحاد السوفيتي، وبعد عملية التغيير الاقتصادي والسياسي التي دخلتها الصين أيضًا منذ بداية الألفية الثالثة...؟

وزاد من أهمية هذا التساؤل أن المكون الأفغاني، المجتمعي الأصيل بتياراته المختلفة، ولو تحت ألوية قبلية متنوعة، كان عاملًا مشتركًا في مقاومة النموذجين الليبرالي واليساري الوافديْن. وكانت المقاومة شاملة حضارية؛ سواء بالقوة العسكرية أو بالمعارضة، والرفض للاستيعاب في نموذج آخر مفروض من أعلى قسرًا.

ولقد كان هذا النموذج المجتمعي التقليدي -دون دخول في تقييم سلبي أو إيجابي له ولصفة التقليدي الآن- الذي حرسته خبرة حكم طالبان وأرادت تجديد دعائمه وفرضه عبر البلاد، يمثل أحد أهم موضوعات تعبئة الولايات المتحدة للرأي العام العالمي ضد مساوئ حكم طالبان (أيقونات المرأة وغير المسلم وحقوق الإنسان المعروفة)، تمهيدًا لإسقاطه؛ وهو الأمر الذي قدمت أحداث ٩/ ١١/ ٢٠٠١ طبقًا من ذهب لبداية تنفيذه، في إطار ما عرف بـ"الاستراتيجية الأمريكية العالمية لمحاربة الإرهاب" بقيادة المحافظين الجدد الأمريكيين لمدة عقد من

الزمان، ثم بقيادة الديمقراطيين الأمريكيين أيضًا لمدة عقد آخر من الزمان تقريبًا، مع بعض التغييرات في أساليب وأدوات -وليس في جوهر- هذه الاستراتيجية.

ولهذا اقترن الاحتلال الأمريكي لأفغانستان بهذه الاستراتيجية العالمية من ناحية، كما اقترن بخبرة ما يسمى إعادة بناء الدولة والمجتمع في أفغانستان.

وأيا كانت تفاصيل هذه الخبرة بمنحنياتها ومنخفضاتها، فلقد تعددت مداخل تقييمها، ولكن حين أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية تاريخ انسحابها -وفي ظل حالة الدولة والمجتمع أفغانستان حين تم هذا الانسحاب وبعده (كما سنرى في أوراق الملف)- تبلور إجماع واحد -وإن تعددت تفسيرات أسبابه- مفاده هو: فشل الاحتلال الأمريكي والجهود الخارجية في مجموعها، في فرض نموذج جديد للدولة والمجتمع في أفغانستان، وفق القيم العلمانية الغربية وتجلياتها السياسية والاقتصادية. فلقد عادت طالبان للسلطة، أيًّا كانت الأسباب الجزئية والمباشرة لهذه العودة ولذلك الوصول السريع إلى كابول، ولكن طالبان تعود فيما يبدو في ثوب جديد لابد أن تكون فرضته خبرة عقدين من المقاومة للاحتلال الأمريكي وللنخب الأفغانية المتعاونة معه على أصعدة مختلفة.

(٦)

خاتمة القول: من الذاكرة التاريخية إلى المقاومة الحضارية: دلالات الفشل الأمريكي

بناء على ما سبق، وعن دلالات خبرة الاحتلال الأمريكي وفشله وانسحابه، وعلى ضوء الذاكرة التاريخية للدولة والمجتمع والحركات الإسلامية الأفغانية، يمكن الإشارة إلى ما يلي:

- إن الاستراتيجية الأمريكية الدولية، مثلها مثل الاستراتيجية السوفيتية السابقة، أو استراتيجية الإمبراطورية البريطانية العظمى الأسبق، ليست ذات قدرة مطلقة ولانهائية في فرض الأوضاع قسرًا على شعوب بعينها. فهناك شعوب ودول قد تبدو، بمعايير الواقعية الوضعية، صغيرة وضعيفة، ولكن لديها مقومات قادرة على إفشال تلك الاستراتيجيات؛ ذلك لأنها تتبنى استراتيجية المقاومة الحضارية الممتدة التي يصعب على الكبار في عالم القوة المادية إدراك أبعادها إلا بعد أن تنالهم الهزيمة فيها.

- إن هدف وغاية هذه المقاومة الحضارية هو عدم الذوبان أو الخضوع للآخر، وذلك اعتزازًا بالذات والأصل؛ شريطة أن تمارس التعارف والحوار للاستفادة الحضارية من هذا الآخر.

- وعن الدلالات في ذكرى مئوية إنشاء الدول الحديثة فهي تتصل مباشرة بالتحديات الذي يجب أن تعيها طالبان في تجربتها الراهنة والتي تستوجب ضرورة إدارتها وفق رؤية استراتيجية لدفع مصالح الأمة الأفغانية: الداخلية (محاربة الفقر والجهل والمرض)، والإقليمية (حسن الجوار والتعاون الإقليمي)، والعالمية (نقض صورة الإرهاب ومعاداة العالم وتهديده).

- وعلى رأس العبر التي ينبغي أن يعيها الأفغان اليوم:

- أن التغلب العسكري ليس النهاية ولكنه بداية صعبة لإدارة التوازنات السياسية والمجتمعية،

- وأن التمسك بالأصول والعقيدة ورفض الاستيعاب في الغير لا يعني الانغلاق والجمود ولكن يفرض الاجتهاد والتجديد في مواجهة التهديدات المختلفة،

- وأن إدارة التعددية والاختلافات ضرورة لتحقيق العدالة وليس لتغلب مذهب أو حركة أو تيار على آخر منافس أو معارض أو مهمش.

- **بعبارة أخرى**، فإن مشكلة استقلال أفغانستان هذه المرة أيضًا ترتد مرة أخرة إلى الداخل، ويظل التحدي أن تمكن أفغانستان لنفسها وليس للخارج.

إنها قيم: التدافع، التداول، ومبادئ العدالة والحرية التي تغلف كل ما سبق؛ لأنها في قلب الصمود الحضاري والثقافي الذي يجب أن تتمسك به كل شعوب الأمة، والذي يمثل منبعا تنبثق منه وعنه حلول لكل مشكل، وخروج من كل فشل، سياسي أو اقتصادي أو عسكري.

الحمد لله

٢٨ ديسمبر ٢٠٢١

*****

ملف العدد

أفغانستان وتحولات المواقف الدولية من الشرق الإسلامي

الإرث الأمريكي في أفغانستان بعد عشرين عامًا من الاحتلال: مؤشرات ودلالات

د. سماح عبد الصبور(*)

مقدمة:

تتبنى الدول الكبرى على رأس النظام العالمي وفي مقدمتها الولايات المتحدة، منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، استراتيجية الحرب الدولية على الإرهاب، وذلك انطلاقًا من أن التدخلات العسكرية في إطار تلك الحرب قائمة على أن ما يحدث داخل حدود الدولة لم يعد أمرًا داخليًا بل له امتدادات خارجية تؤثر في السلم والأمن الدوليين، نتيجة لظهور مشاكل أمنية دولية مترتبة على الصراعات الداخلية، مثل: مشاكل اللاجئين، والإرهاب المسلح، والصراعات الحدودية. وفي هذا السياق، تدخلت الولايات المتحدة في الشئون الداخلية للدول تحت غطاء الشرعية الدولية أحيانًا، كما تدخلت بشكلٍ منفرد في أحيانٍ أخرى. وكان الهدف الأساسي من الاحتلال الأمريكي لأفغانستان على وجه الخصوص محاربة تنظيم القاعدة في ضوء استراتيجية مكافحة الإرهاب دوليًا.

وانطلاقًا من تطورات الواقع الدولي نحو دعم القوة الذكية في السياسات الخارجية للدول الكبرى، لم يقف التدخل الأمريكي عند حدود التدخل العسكري المباشر، ولكن تبنت الولايات المتحدة استراتيجيًا القوة الناعمة بجانب القوة الصلبة لدعم تواجدها في أفغانستان تحت دعاوى بناء الدولة الأفغانية. فتبنت الولايات المتحدة برامج دعم بناء الدولة والاندماج الداخلي، ودعم حقوق المرأة، وبرامج دعم التعليم والحوار وغيرها من المبادرات المدنية جنبًا إلى جنب مع استراتيجية التدخل العسكري (تلك المسارات التي لم تدعمها الولايات المتحدة بفهم عميق للسياق الأفغاني، فزادت الأمور تعقيدًا، كما سنرى).

وفيما يخص قرار الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، فإنه تتشابك العديد من العوامل الداخلية والخارجية في تفسير قرار الانسحاب الأمريكي بعد ٢٠ عامًا من الاحتلال، فقد تكبدت الولايات المتحدة خسائر بشرية ومادية متصاعدة بسبب حروبها الخارجية في المنطقة وخاصةً في العراق وأفغانستان، إذ لم تخدم هذه الحروب دعم القوة الأمريكية دوليًا وهو الهدف الأساسي من هذه الحروب في النهاية. وفي مقابل الخسائر التي مُنيت بها الولايات المتحدة اقتصاديًا وبشريًا على المستوى الداخلي، فقد نمت وبشكلٍ متسارع القوة الاقتصادية والدولية للصين على المستوى الدولي، إذ تركز الصين على دعم البنية التحتية في الداخل بجانب توسيع الشراكات الاستراتيجية في الخارج دون اللجوء إلى حروب خارجية كما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة. فقد نما الاقتصاد الصيني من ٢% من إجمالي الناتج القومي العالمي إلى إن وصل ١٨% عام ٢٠١٧، وهذا الأمر يشكل تهديدًا جديًا للهيمنة الأمريكية على النظام الدولي(١).

ولم تكن الولايات المتحدة هي الخاسر الوحيد من هذه الحروب ومساراتها؛ فقد خلف الانسحاب الأمريكي من أفغانستان وسيطرة حركة طالبان إرثًا يحمل العديد من التحديات الداخلية والخارجية لأفغانستان، خاصةً أن توقيت الخروج الأمريكي جاء وفقًا لمراعاة مصالح الولايات المتحدة، ولم يتم الأخذ في الاعتبار وضع أفغانستان في حسابات قرار الانسحاب، **ومن هنا يتساءل هذا التقرير حول:**

ماذا تركت الولايات المتحدة الأمريكية وراءها في أفغانستان حين غادرتها، وذلك على مستويات عدة منها: الاندماج السياسي وبناء الدولة الأفغانية، سياسات التنمية

(*) مدرس العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية –جامعة القاهرة.

(١) منصور أبو كريم، الانسحاب الأمريكي من أفغانستان... الأسباب والتداعيات، المركز الديمقراطي العربي، بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٢٠ متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/IVJ4i

الداخلية الأفغانية، بناء الجيش والشرطة لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية لأفغانستان، وبالتالي يسعى هذا التقرير بشكل أساسي للإجابة عن التساؤل التالي: ما طبيعة التحديات الداخلية بالأساس فضلا عن الخارجية في أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي: مؤشراتها ودلالاتها؟

أولًا- التحديات السياسية: بناء الدولة والاندماج السياسي:

عقب أحداث ١١ سبتمبر، طالبت الولايات المتحدة حكومة أفغانستان تحت ظل طالبان بتسليم أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة وهو ما رفضته طالبان، فتدخلت الولايات المتحدة عسكريًا في أفغانستان في أكتوبر ٢٠٠١ من أجل حصار تنظيم القاعدة وأتباعه واستهداف قياداته بشكلٍ أساسي. كما انطلقت الولايات المتحدة نحو وعود بناء الدولة الأفغانية ودعم الاستقرار السياسي كبيئة داعمة لمحاربة الفكر المتطرف في أفغانستان. وقد واجهت الولايات المتحدة إشكاليات كبرى فيما يخص بناء الدولة في أفغانستان يعود بعضها إلى عوامل تتعلق بطبيعة سوء الفهم والإدراك الغربي لمكونات الشعب الأفغاني وقيمه وثقافته الداخلية، ويرجع البعض الآخر لعوامل تتعلق بالأوضاع الداخلية الأفغانية.

إذ يمكن القول إن هناك فجوة بين مطالب الدول المتدخلة في أفغانستان وبين الواقع السياسي والاجتماعي الأفغاني، وهي معضلة واجهت التدخلات الغربية في دول المنطقة بشكلٍ عام في العراق وأفغانستان وليبيا، إذ إنه من الصعوبة بمكان تغيير الثقافة السياسية السائدة لدى الشعوب بفرض نظم وديمقراطيات من أعلى إلى أسفل، فهو طريق غير منطقي للإصلاح السياسي في النظم التي تختلف جذورها الفكرية والثقافية والحضارية عن الدول المتدخلة، كما هو الحال في إقرار الدستور الأفغاني الليبرالي في عام ٢٠٠٤، وكذلك في وعود بناء عراق ديمقراطي أو خلق استقرار سياسي واسع في ليبيا، فلم تنجح الدول المتدخلة في تحقيق تلك الأهداف النظرية على أرض الواقع، انطلاقًا من عدم فهم الخصوصيات الداخلية، والرفض المجتمعي لفرض نماذج مختلفة دون مراعاة للتوازنات العرقية الداخلية كما كان الحال في أفغانستان[٢].

ويشير دارون أسيموغلو أستاذ الاقتصاد في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا -والمؤلف المشارك مع جيمس أ.روبنسون لكتاب "لماذا تفشل الأمم: أصول القوة والازدهار والفقر"– أن الهدف من إعادة بناء الدولة الأفغانية هو تمكين حكومة أفغانستان من فرض سيطرتها بالقدر الكافي على أراضيها لدعم الاستقرار الإقليمي ومنع استخدامها لنشر الإرهاب الدولي. إذ هدفت الولايات المتحدة الأمريكية لبناء دولة ذات مؤسسات قوية في أفغانستان من أجل ضمان الاستقرار السياسي الداخلي، إذ تم تشخيص الحالة الأفغانية كونها تفتقر إلى مؤسسات الدولة، ولقوة أمنية عاملة، ومحاكم، وجهاز بيروقراطي قوي، وبالتالي لزم نقل التجربة الغربية لأفغانستان من أجل دعم بناء الدولة. وكان هذا المسار جنبًا إلى جنب مع المسار العسكري ونشر الجنود على الأرض من أجل فرض النموذج. وذلك في إطار تبني نموذج بناء الدولة من أعلى إلى أسفل. ويشير أسيموغلو أنه على الرغم من حاجة أفغانستان بالفعل إلى مؤسسات ودولة قوية، ولكن كان الخطأ من البداية هو فرض نموذج الإصلاح السياسي الغربي دون مراعات خصوصية الداخل الأفغاني، وعلى الرغم من نجاح نموذج بناء الدولة من أعلى إلى أسفل في بعض الحالات، لكن في الأغلب يتأكد أن الدول لم تُبن بالقوة بل عن طريق التسوية والتعاون والرضا من جانب رعايا الدولة المعنية، وعدم فرض نموذج مغاير ثقافيًا وحضاريًا ضد رغبة المجتمع المحلي، بل إنه لزامًا على مؤسسات الدولة الناجحة أن تُبنى على الشرعية وعلى الحد الأدنى من الدعم الشعبي[٣].

(٢) بعد العراق وليبيا.. هل فشل التدخل الغربي في أفغانستان؟، موقع دولشيه فيليه، بتاريخ ٥ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Wf5Be

(٣) دارون أسيموغلو، لماذا فشل بناء الدولة في أفغانستان، ترجمة إبراهيم محمد على، موقع بروجيكت سنديكيت، بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/jD5Ru

ولذا يرى أسيموغلو أنه كان على الولايات المتحدة العمل بشكلٍ مختلف مع الجماعات المحلية والمجتمع الأفغاني بدلًا من تركيز الدعم على القنوات الرسمية الحكومية غير التمثيلية للمجتمع الداخلي؛ لأن ذلك جعل المجتمع الأفغاني ينظر إلى التدخل الأمريكي في أفغانستان كونه احتلال أجنبي يُضعف الدولة ويعمل ضد رغبات المجتمع، خاصةً في ضوء استهداف العمليات العسكرية الأمريكية للسكان المدنيين وإحداث أضرار بالغة(٤).

كما أشار جيمس دوبنز الذي شغل منصب المبعوث الخاص للولايات المتحدة في أفغانستان وباكستان وكوسوفو والبوسنة وهايتي والصومال في عهود الرؤساء بيل كلينتون وجورج بوش الابن وباراك أوباما، إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ارتكبت أخطاء فادحة منذ البداية مما ساهم في تقويض عملية بناء الدولة الأفغانية وتمكين الاستقرار السياسي. **وأشار دوبنز إلى أخطاء جغرافية وسياسية و اقتصادية ارتكبتها الإدارة الأمريكية منذ البداية**، فعلى الجانب الاقتصادي يشير دوبنز أنه قد غضت إدارة بوش الطرف عن الموارد المالية اللازمة من أجل تحقيق جهود الاستقرار في أفغانستان. ففي حين أمنت الولايات المتحدة وسواها من الجهات المانحة مساعدات اقتصادية لسكان البوسنة بمعدل سنوي قدره ١٦٠٠ دولارًا أمريكيًا للشخص في السنوات الأولى بعد الحرب، اقتصرت مساعداتها في أفغانستان على ٥٠ دولارًا أمريكيًا للشخص. وعلى الجانب الجغرافي الاستراتيجي اختارت الولايات المتحدة بناء نظام جديد في أفغانستان خلفًا لطالبان ومنع انتشار الجماعات المتطرفة وخلق مؤسسات قوية، لكن تمثلت أبرز أخطاء القرار الأمريكي في عدم تقدير القيود الجغرافية، إذ تقع أفغانستان في الجانب الآخر من العالم بالنسبة إلى الولايات المتحدة، وليس لها منفذ على البحر ولا يُمكن الوصول إليها بصورة مباشرة، وبالتالي، فإن السبيل الوحيد أمام الولايات المتحدة لإدخال وإخراج ما تريد من قوات وإمدادات إلى أفغانستان يمر عبر دول الجوار التي امتلكت أهدافًا مغايرة للأهداف الأمريكية في المنطقة، وهو ما لم يساعد على تحقيق الأهداف الأمريكية في بناء الدولة. يُضاف لذلك وفقًا لدوبنز أنه شكل عدد سكان أفغانستان وقت التدخل العسكري الأمريكي مقدارًا أكبر بكثير من أي دولة أخرى نفذت فيها الولايات المتحدة عمليات عسكرية. ففي عام ٢٠٠١، وصل عدد سكان أفغانستان إلى ٢١,٦ مليون نسمة، لكن مع حلول أواخر ٢٠٠٢، لم يكن عدد الجنود الأمريكيين يتخطى الثمانية آلاف جندي، فلم يكن لدى الولايات المتحدة حينما تدخلت في أفغانستان، ما يكفي من القوات لإحكام قبضتها على البلاد(٥).

وكانت النتيجة في المحصلة النهائية أنه لم تتمكن الولايات المتحدة من التوصل لعملية سياسية مقبولة في الداخل الأفغاني تُجمع عليها القوى السياسية المتناحرة في الداخل. مما أدى لواقع سياسي هش وفساد سياسي داخل مؤسسات الحكم وذلك من أجل الحصول على الدعم المالي والعسكري الأمريكي لمواجهة الاضطرابات الداخلية في أفغانستان. وكانت النتيجة هي إجراء انتخابات داخلية مشكوك في نزاهتها، وكثرة مراكز القوى السياسية المؤثرة في الواقع الأفغاني وهي بالأساس قوى مختلفة ومتنازعة فيما بينها، مما حال دون تقدم يذكر في عملية الإصلاح السياسي والمسار الديمقراطي. وهو ما ترتب عليه فشل اقتصادي واجتماعي وأمني وحالة من عدم الاستقرار السياسي أدت إلى تزايد السخط الشعبي ضد الولايات المتحدة وحلفائها في الداخل الأفغاني، الأمر الذي اتضح في حالة أحداث الشغب في كابول مايو ٢٠٠٦(٦).

ومن المفارقات العجيبة في وقت الانسحاب الأمريكي من أفغانستان إعلان الرئيس الأمريكي جو بايدن أن هدف

(٤) المرجع السابق.

(٥) جيمس دوبنز، الولايات المتحدة خسرت أفغانستان منذ زمن بعيد، إندبندنت عربية، بتاريخ ١٨ سبتمبر٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/2fgxf

(٦) محمد عادل، أفغانستان وصعود طالبان، مجلة البيان، المجلد ٢٠٠٧، العدد ٤، بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠٠٧، ص ص ٩٠-٩٣، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/kUsUo

الولايات المتحدة لم يكن من البداية هو بناء الدولة في أفغانستان؛ وذلك في ضوء الانتقادات الحادة التي تعرضت لها الولايات المتحدة نتيجة الانسحاب وسيطرة حركة طالبان على البلاد. إذ صرح بايدن: "لقد حققت الولايات المتحدة ما ذهبنا إلى أفغانستان للقيام به، أي التخلص من الإرهابيين الذين هاجمونا في ١١ سبتمبر وتحقيق العدالة في مسألة أسامة بن لادن وتقليل التهديد الإرهابي للحؤول دون أن تصبح أفغانستان قاعدة لمواصلة الهجمات ضد الولايات المتحدة من خلالها. لقد حققنا تلك الأهداف وهذا سبب ذهابنا إلى هناك....لم نذهب إلى أفغانستان لبناء الدولة. يعود إلى الشعب الأفغاني وحده حق ومسؤولية تقرير مستقبله وكيف يريد أن يدير بلاده"[٧].

ويتعارض تصريح الرئيس الأمريكي بشكلٍ مباشر مع الترتيبات السياسية لسابقيه فبعد التدخل العسكري المباشر على الأرض وهزيمة طالبان تم توقيع "اتفاق بون" أو "إطار عمل بون" من أجل إعادة إنشاء مؤسسات حكومية قوية تهدف لدعم الشروع في بناء الدولة في أفغانستان ثم تلتها خطوات أخرى شملت إنشاء إدارة انتقالية وانتخابات برلمانية ثم رئاسية، وتشكيل لجنة لصياغة الدستور. وقد تمت هذه الخطوات بناءً على تجربة بناء الدول الأوربية والغربية بشكلٍ عام، وهو ما لم يُلاق صدى كافٍ بالنسبة لدول العالم النامي في ضوء اختلاف القاعدة الثقافية للتجربة الغربية مقارنةً بها، ولذا لزم على هذه الدول تجاوز الخطاب السياسي الضيق حول تجربة الدولة في النموذج الغربي والنظر على نحوٍ أوسع لفهم "الشرعية" وتبعاتها في بناء الدول والمجتمعات القبلية والمتفرقة بالأساس إذ تكمن المصادر العرفية للشرعية في معايير الثقة والمعاملة بالمثل. كما تعتمد الشرعية التقليدية على أنماط معقدة من القوة والمسؤولية والالتزام، والتي تمكن الفئات الاجتماعية من الوجود والتعايش، وهو ما يختلف عن تجربة الدولة بالمفهوم الغربي وقيمة الولاء[٨]. وفي ضوء تلك الإشكاليات اتضحت مؤشرات تدهور عملية بناء الدولة واضحة في الحالة الأفغانية وتشمل:

- الاستقطاب فيما يتعلق بمدى أهمية بناء الدولة بين المؤسسات السياسية والجهات الفاعلة العرفية والتقليدية الداخلية من جهة، والمؤسسات الخارجية المفروضة من جهة أخرى.

- اعتماد القادة السياسيين على مصادر خارجية للشرعية مثل المساعدات الخارجية بدلًا من مصادر الشرعية المحلية.

- الخلاف حول القواعد المقبولة لاتخاذ القرار.

- قيام الجهات الفاعلة المجتمعية بتقديم خدمات الرفاه والتعليم بشكل أكثر فعالية من الدولة.

- قدرة الجهات الخارجية على سحب أو إضفاء الشرعية على الدولة أو الأنظمة الحاكمة.

- الافتقار إلى الشرعية الداخلية، وعدم القدرة على الحكم استنادًا للوسائل السلمية[٩].

ولذا واجه قرار الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، في ظل ما وصلت إليه الحالة الأفغانية، انتقادات دولية حادة من الدول الكبرى ودول الإقليم بشأن الوضع المتردي سياسيًا في أفغانستان وتوقيت الانسحاب الأمريكي، إذ حمل وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف حلف الناتو المسؤولية عن الأزمة العميقة التي تمر بها أفغانستان حاليًا، وصرح قائلًا: "أصبحت أفغانستان اليوم بلدًا يضطر بالفعل إلى البدء من نقطة الصفر، وإعادة الإعمار انطلاقًا من الخراب حرفيًا ومجازيًا، ويمثل ذلك نتيجة منطقية مؤسفة لفرض الولايات

(7) Remarks by President Biden on Afghanistan, Speeches and Remarks, The White House, 16 August2021, available at: https://cutt.us/oChld

(8) Lucy Morgan Edwards, state-building in Afghanistan: a case showing the limits?, International Review of the Red Cross, Vol. 92, No.880, December 2010, Pp 15-25, available at: https://cutt.us/KR0kF

(9). Ibid.

المتحدة والناتو على مدى عقدين نموذجهما لبناء الدولة (على أفغانستان)". وقد لفت وزير الخارجية الروسي إلى أن إصرار الغرب على إعادة تكوين أفغانستان وفقًا لمعاييره أسفر عن نتائج مؤسفة، بما فيها "اندلاع صراعات داخلية وإراقة الدماء وتفاقم الاستقطاب داخل المجتمع والانهيار الاقتصادي والاجتماعي وكارثة إنسانية"، بالإضافة إلى زيادة وتيرة أنشطة الإرهاب الدولي وتفشي الفساد وإنتاج المخدرات على نطاق غير مسبوق في البلاد(١٠).

أنفقت الولايات المتحدة أكثر من ١٢٠ مليار دولار على إعادة الإعمار السياسي لأفغانستان منذ عام ٢٠٠١، وعلى الرغم من أن التمويل قد انخفض خلال السنوات الأخيرة للتواجد الأمريكي، فقد وُجدت مبادرات تعطي الأولوية للمشاركة السياسية المحلية. ورغم هذه الجهود فقد تعرقلت عملية بناء الدولة في المجال السياسي بسبب عدم قدرة قوات التحالف والمنظمات الدولية على إنشاء مؤسسات سياسية قوية ومرنة، وقد فشل المجتمع الدولي في تزويد الحكومة الأفغانية بالإطار الذي يمكن من خلاله تحقيق الاستقرار الداخلي ومنع التدخلات الخارجية. إذ أشارت بعض المصادر إلى أنه يعتقد ٣٨٪ من الأشخاص الذين شملهم استطلاع للرأي في أفغانستان أن نتائج الانتخابات الرئاسية الأولية كانت غير عادلة. ولم يتحسن هذا الوضع مع استمرار مشروع بناء الدولة، حيث تم الكشف عن عمليات تزوير جماعية في الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٩، وتبين أن أكثر من مليون صوت "مشبوه"، وقد أدى ذلك إلى تقويض عملية بناء الدولة(١١).

يُضاف لتلك التحديات السياسية انتشار الفساد الداخلي، إذ أدى الفساد الممنهج في الانتخابات الأفغانية إلى توسيع الفجوة بين المواطنين والنخب، وبالتالي المجتمع الدولي، حيث كان أكثر من ثلثي السكان الأفغان غير راضين عن صحة وصلاحية انتخابات عام ٢٠٠٩. جعل هذا الحكم على مستوى الدولة شبه مستحيل لأن المواطنين لم يمنحوا شرعية للحكومة الوطنية، خاصةً وأن أفغانستان تراجعت إلى كونها نظامًا يعتمد بشكل أكبر على القرابة والمحسوبية، وليس على الديمقراطية والحرية، وهو ما لا يدعم مساعي بناء الدولة التي تقوم بها قوات التحالف(١٢). **وفي ضوء هذه التحديات السياسية سواء من الداخل الأفغاني أو بسبب التدخلات الخارجية تواجه أفغانستان معضلة وجود دولة هشة وضعيفة وغير مستقرة سياسيًا.**

ثانيًا- التحديات الاقتصادية: التنمية وإعادة الإعمار:

اتجهت الولايات المتحدة منذ دخول أفغانستان لدعم الاقتصاد الأفغاني عبر المساعدات الخارجية، وذلك من أجل دعم الاستقرار السياسي ودعم العملية العسكرية في أفغانستان، إذ لا ينفصل العسكري عن السياسي عن الاقتصادي في الواقع الدولي، وعلى الرغم من الأهمية الاقتصادية لأفغانستان دوليًا وامتلاكها مقومات طبيعية إلا أنها من الدول الأشد فقرًا، وفي هذا السياق دعمت **الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية** الاقتصاد الأفغاني. وقد أعلنت على موقعها الرسمي خطوات هذا الدعم كالتالي:

- صياغة الاستدامة المالية: فبين عامي ٢٠٠٤ و٢٠١٨، عملت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية مع حكومة أفغانستان لتعزيز السياسات الاقتصادية والتنظيمية للحكومة، وتحسين الإدارة المالية، ودفع النمو الاقتصادي الذي يقوده القطاع الخاص. وقد أدى ذلك إلى خلق فرص عمل، وزيادة الإيرادات الحكومية، وتعزيز الاستثمار، كما دربت الوكالة الموظفين لضمان المهارات المالية لنحو ١٦٠٠ موظف مدني وتم ضم ٤١ مستشارًا في الوزارات التنفيذية لتوجيه الموظفين وتدريبهم.

(١٠) لافروف: أفغانستان عادت لنقطة الصفر بسبب الناتو وعلى جيرانها منع تواجد قواته في أراضيهم، موقع روسيا اليوم، ٢٧ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/UGrKw

(11) Nicholas Madsen, State-Building in Afghanistan: A Critical Assessment, Foreign Policy Press, 10 Feb. 2020, available at: https://cutt.us/jpupg

(12) Ibid.

- تعزيز الأعمال التجارية: ساعدت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في تنمية المشروعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة وتحفيز نمو الوظائف. ودعمت حسب موقعها الرسمي أكثر من ١١٠٠٠ شركة، وقدمت لها المساعدة الفنية والتدريب والمنح. وقامت الوكالة بإنشاء ما يقرب من ١٣٠٠ شركة جديدة -مما أوجد ما يقدر بـ ٣٨٠,٠٠٠ وظيفة.

- تعزيز التجارة والتكامل الإقليمي: منذ عام ٢٠٠٤، ساعدت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في بناء السياسة التجارية الأفغانية وإصلاحات الجمارك. كما عززت تكاملًا اقتصاديًا إقليميًا أكبر من خلال الاتفاقيات التجارية والمعارض التجارية الدولية، كما قامت الوكالة بتوسيع نطاق التعرف على العلامة التجارية الأفغانية في الأسواق الدولية. وبعد سنوات من التعاون مع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، انضمت أفغانستان إلى منظمة التجارة العالمية في ٢٩ يوليو ٢٠١٦، في إشارة للمستثمرين أن أفغانستان قد أنشأت بيئة أعمال أكثر استقرارًا. كما زادت أفغانستان من مكانتها في مؤشر سهولة ممارسة الأعمال التجارية لعام ٢٠٢٠ الصادر عن البنك الدولي، وارتفعت الصادرات الأفغانية إلى ٧٧٧ مليون دولار في عام ٢٠٢٠، وهو ما يمثل زيادة بنسبة ١٠٠ % مقارنة بعام ٢٠١٠[١٣].

ساهمت التحركات الاقتصادية الأمريكية والدولية في وجود لحظات من النجاح في التنمية الاقتصادية في أفغانستان، فقد ساعدت مشاريع مثل المنظمة الوطنية والاجتماعية للشباب الأفغاني (AYNSO) بنجاح الفرص الاقتصادية للعديد من الشباب الأفغان من خلال المساعدة في البحث عن عمل، وتطوير مهارات التوظيف ووضع برامج التربية المدنية التي تعلم الأفغان حول إمكاناتهم ومسؤولياتهم السياسية والاقتصادية. كما يلتزم صندوق البحث عن إعادة إعمار أفغانستان التابع للبنك الدولي (ARTF) بأكثر من ١,٣ مليار دولار للدولة الأفغانية من أجل المساعدة في دفع أجور موظفي الخدمة المدنية ودعم مشاريع البنية التحتية. وقد ساعدت مبادرات أخرى مثل استراتيجيات التوظيف من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية على تعزيز الاستقرار الاقتصادي في أفغانستان من خلال تدريب أكثر من ٣٥٠٠٠ شخص على مهارات العمل عالية الطلب، ٣٦٪ منهم من النساء.[١٤]

ومن الجدير بالذكر أنه قد صرحت السفيرة ليندا توماس غرينفيلد، ممثلة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة: "أن إجمالي المساعدات الإنسانية الأمريكية لأفغانستان وصلت إلى حوالي ٣,٩ مليار دولار منذ العام ٢٠٠٢. بالإضافة إلى ٣٦ مليار دولار من المساعدات الإنمائية المدنية، إذ أن هناك ما يقرب من ١٨ مليون شخص محتاج في أفغانستان وأكثر من ٤,٨ مليون نازح داخلي. وبالنظر إلى زيادة انعدام الأمن الغذائي والارتفاع المفاجئ في حالات كوفيد-١٩، تحتاج أفغانستان إلى دعم إنساني، في ضوء الاحتياجات الإنسانية العاجلة"[١٥].

وقد أعلنت الولايات المتحدة مؤخرًا عن ٣٠٠ مليون دولار إضافية كمساعدات مدنية لأفغانستان في العام ٢٠٢١، وذلك من خلال كل من وزارة الخارجية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية. كما طلب الرئيس الأمريكي مبلغ ٣٦٤ مليون دولار إضافي كمساعدة إنمائية لوزارة الخارجية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية للعام ٢٠٢٢. بالإضافة إلى ذلك، قدمت وزارة الخارجية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في عام ٢٠٢٠ حوالي ٤٠ مليون دولار لمساعدة أفغانستان بشكلٍ مباشر على الاستجابة لتفشي وباء كوفيد-١٩، وتم تسريع تقديم ٩٠ مليون دولار من المساعدات الإنمائية الأخرى ذات الصلة بالوباء من خلال البنك الدولي وإعادة توجيه مساعدات التنمية الأمريكية الأخرى لدعم الجهود الأفغانية للتعامل مع عواقب الوباء. كما خصصت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية مؤخرًا ٣٨ مليون دولار

(13) Economic Growth in Afghanistan, USAID, 19Nov. 2021, available at: https://cutt.us/oTseg

(14) Nicholas Madsen, Op.Cit.

(15) Remarks by Ambassador Linda Thomas-Greenfield at a UN Security Council Open Debate on Afghanistan, United States Mission to the United Nations, 22 June 2021, available at: https://cutt.us/DnSn0

كتمويل تكميلي طارئ لوباء كوفيد-١٩ من خلال برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة لتلبية الاحتياجات الغذائية لحوالي ١,٢ مليون شخص من الفئات الضعيفة المتأثرة بالوباء في أفغانستان[١٦].

وعلى الرغم من وعود التغيير ومؤتمرات إعادة الإعمار التي منحت أفغانستان عدة مليارات، وعلى الرغم من الجهود الأمريكية والدولية إلا أن أفغانستان لم تشهد تأسيس بنية اقتصادية وإعادة إعمار بشكل واضح، إذ أضحى الاقتصاد الأفغاني يعتمد بشكل كبير على المعونات الخارجية، ولم يكن هناك فرص حقيقية لاقتصاد ناشئ في الداخل. ويرجع ذلك بجانب الاعتماد على المعونات الخارجية إلى الفساد الداخلي في أفغانستان والذي انتشر بشكلٍ واسع في ضوء المعونات الخارجية. إذ إنه تغلغل الفساد في جميع مؤسسات الدولة الأفغانية، وذلك على الرغم من تخصيص المساعدات الخارجية دعمًا ماليًا للقضاء على الفساد نفسه. وقد استشرى الفساد والمحسوبية والرشوة في ضوء ارتفاع معدلات الفقر والبطالة في أفغانستان، إذ تنتشر المحسوبية بشكل كبير في المؤسسات الحكومية مع التعيينات في الحكومة التي تتم غالبًا على أساس العلاقات السياسية أو الانتماءات العائلية، لذا تفتقر أفغانستان لجهاز بيروقراطي قوي. كما كان يتم الاستيلاء على أجزاء كبيرة من المعونات الخارجية في ضوء الفساد المنتشر على نحوٍ واسع. ولذا في عام ٢٠١٥، صنف البنك الدولي أفغانستان على أنها خامس دولة فقيرة على مستوى العالم[١٧].

أفغانستان هي واحدة من أفقر البلدان في العالم، حيث يبلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي حوالي ٥٠٠ دولار أمريكي، ويواجه السكان البطالة وسوء الظروف الصحية وضعف البنية التحتية الأساسية المتمثلة في الصحة والمياه والكهرباء، وذلك بجانب انعدام الأمن. ووفقًا لقاعدة بيانات "ILOSTAT"، كان معدل البطالة لعام ٢٠١٩ يساوي ١,٥٪ من إجمالي القوى العاملة، كما أن معدل التوظيف غير المعلن لا يزال مرتفعًا، وينتشر الإحباط بين الشباب الأفغاني بسبب الوضع الاقتصادي والسياسي في البلاد. ولذا فقد زادت الهجرة إلى الدول الغربية بمعدلات مرتفعة في السنوات الأخيرة، وهو ما يمثل خطرًا على رأس المال البشري الأفغاني من ناحية وعلى التنمية طويلة الأجل في البلاد من ناحية أخرى[١٨].

كما تواجه أفغانستان معضلة صحية وإنسانية واقتصادية كبيرة، إذ يشير تقرير صادر عن المفتش العام الأمريكي لإعادة إعمار أفغانستان (SIGAR) أنه ارتفع مستوى الفقر الإجمالي في أفغانستان من ٥٥٪ إلى ٧٢٪ في عام ٢٠٢٠ بسبب الانكماش الاقتصادي والوباء العالمي، وهو ما يسبب أضرارًا بالغة على الأمن الصحي الأفغاني بجانب أضراره على الاقتصاد الأفغاني، إذ إنه بحلول نهاية عام ٢٠٢٠، كان من المتوقع أن يرتفع معدل البطالة في أفغانستان إلى ٣٧,٩٪، مقارنةً بـ ٢٣,٩٪ في عام ٢٠١٩، ولكن ما حدث أن مستوى الفقر الإجمالي ارتفع من ٥٥٪ إلى ٧٢٪ من السكان في عام ٢٠٢٠ -كما أُشير- مما يعني تضاعف عدد الأشخاص الذين يحتاجون إلى المساعدة. واعتبارًا من أوائل نوفمبر ٢٠٢٠، واجه ١١,٢ مليون شخص، أو ما يقرب من ٣٦ ٪ من السكان، إما أزمة أو حالة طارئة من انعدام الأمن الغذائي، وفقًا لتصنيف مرحلة الأمن الغذائي المتكامل، وهو مقياس عالمي مشترك لتصنيف شدة وحجم انعدام الأمن الغذائي وسوء التغذية[١٩].

(16) Fact Sheet: Continued U.S. Support for a Peaceful, Stable Afghanistan, Statements and Releases, The White House, 25 June 2021, available at: https://cutt.us/Ig0zm

(17) Osman Mohammed Afzal, The US State-Building Failure in Afghanistan, European Scientific Journal, ESJ, Vol. 17, no. 33, Sept. 2021, P34, available at: https://cutt.us/1Bz0t

(18) The economic context of Afghanistan, The Lloyds Bank International Trade Portal, October 2021, available at: https://cutt.us/WCHue

(19) SIGAR: 17% Poverty Rise in Afghanistan Amid COVID-19, TOLO news, 2 February 2021, available at: https://cutt.us/6rljn

وعلى الرغم من تخصيص مبالغ للمساعدات الإنمائية في أفغانستان، إلا أن أفغانستان تواجه تحديات اقتصادية حقيقية، ولم تنعكس تلك المساعدات على الاقتصاد أو الشعب الأفغاني لأنها لم تستهدف تحقيق إصلاحات جذرية في البلاد، ولم تستهدف تنويع مصادر الدخل القومي، أو تحقيق تنمية حقيقية وهو ما له انعكاس واضح على الأوضاع الأمنية والسياسية في أفغانستان.

ثالثًا- التحديات الأمنية وعدم الاستقرار الداخلي: معضلة بناء الجيش والشرطة الأفغانية:

يُعزى دخول الولايات المتحدة إلى أفغانستان عسكريًا لاستهداف تنظيم القاعدة من منبعه وإقرار السلم والأمن الدوليين كما هو معلن رسميًا. وكان الجيش الأفغاني هو أحد أهم أهداف الولايات المتحدة من المعونات المالية والعسكرية التي توجهها إلى أفغانستان. وهو ما كان محط أنظار المجتمع الدولي وقت سيطرة طالبان على كابول بعد الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، إذ لم تجد طالبان أي مقاومة تُذكر من قبل قوات الجيش الأفغاني.

تعد أحد أهم استراتيجيات الولايات المتحدة في سياستها الخارجية استراتيجية "مساعدة قوات الأمن" أو "بناء قدرة الشريك" أو "عمليات التدريب والتجهيز"، وهي استراتيجية دفاعية أمريكية تهدف إلى إمداد الجيوش خارج حدود الولايات المتحدة بالمساعدات المالية والتدريبات اللازمة بهدف زيادة قدرة الجيوش على تحمل الأعباء الأمنية المحلية حتى تتمكن الولايات المتحدة من تحويل مواردها إلى أولويات أخرى. ولكن مراقبة هذه الحالات في الواقع الدولي أثبتت عدم اهتمام هذه الجيوش نفسها بالأهداف الأمريكية والجاهزية للقتال، إذ غالبًا ما ترتبط تلك الجيوش في البلدان الضعيفة بارتباطات سياسية، وهو ما يجعلها ضمن هذه الحسابات السياسية الداخلية وليس ضمن أهداف التطوير الخارجية، الأمر الذي انطبق على الحالة الأفغانية بشكلٍ كبير. وهو ما حدا بالخبراء الأمريكيين إلى الإشارة إلى أن استثمار المزيد من الأموال والموارد في المهمات الاستشارية لن يجدي نفعًا طالما أن القادة المحليين يفتقرون إلى الاهتمام ببناء جيوش فعالة. فالعزم والإرادة المحليين هما الأساس، وهو ما اتضح في سيطرة طالبان على كابول دون مقاومة[٢٠].

كلفت الحرب على أفغانستان الولايات المتحدة حوالي أكثر من ٢ تريليون دولار، وقد كانت معظم النفقات على العمليات العسكرية الأمريكية، كما خصصت الولايات المتحدة أيضًا موارد مالية كبيرة لأنشطة إعادة الإعمار.. فبين عامي ٢٠٠١ و٢٠٢٠، بلغ إجمالي المدفوعات لأفغانستان من صناديق الدعم الأمريكية حوالي ٧٢,٧ مليار دولار. علمًا أن ما يقرب من ٩٩,٢ % من هذه المساعدة العسكرية جاءت من وزارة الدفاع الأمريكية، من خلال صندوق قوات الأمن الأفغانية الذي أنشأه الكونجرس الأمريكي، وصندوق تدريب وتجهيز منفصل. وزود الصندوقان الجيش الأفغاني بالمعدات؛ والخدمات؛ والتمرين؛ وتمويل الرواتب وإصلاح المرافق والبنية التحتية وتجديدها وتشييدها[٢١].

كانت المساعدات العسكرية الأمريكية لأفغانستان منخفضة للغاية في البداية. وبحلول عام ٢٠٠٨، ارتفعت نفقات المساعدات السنوية لتصل إلى ٧,٤ مليار دولار. تزامن هذا الارتفاع في المساعدات مع أن تصبح الولايات المتحدة مساهمًا أساسيًا بقوات في عمليات السلام متعددة الأطراف، مما يشير إلى زيادة مشاركة الولايات المتحدة في أفغانستان. ومع ذلك أدت الأزمة المالية والاقتصادية العالمية إلى انخفاض مؤقت في المعونة، فبحلول عام ٢٠١٠، انخفضت المعونة المقدمة إلى أفغانستان إلى ٥,٢ مليار دولار. إلا أنه قد بلغت المساعدة العسكرية الأمريكية لأفغانستان ذروتها بعد ذلك، حيث وصلت إلى ما يقرب من ٩ مليارات دولار سنويًا في عام ٢٠١١ ومرة أخرى في عام ٢٠١٣. تتوافق هذه الزيادة في المساعدة العسكرية مع

(20) Rachel Tecott, Why America Can't Build Allied Armies: Afghanistan Is Just the Latest Failure, Foreign affairs, 26August 2021, Available at: https://cutt.us/Pz5ZH

(21) Nan Tian, 20 years of US military aid to Afghanistan, Stockholm International Peace Research Institute, 22 September 2021, available at: https://cutt.us/LU0T4

التزام متجدد من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في الناتو لتعزيز قوات الدفاع والأمن الوطنية لتكون مسؤولة بالكامل عن الأمن في جميع أنحاء البلاد. ولذا كانت القدرة على تحمل تكاليف الجيش الأفغاني على مدى العقدين الماضيين تعتمد على الدعم الأمريكي[٢٢].

وعن الجهود الدولية في أفغانستان، كانت "الدعم الحازم" مهمة غير قتالية بقيادة الناتو. أُنشئت البعثة بدعوة من الحكومة الأفغانية ووفقًا لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢١٨٩ لعام ٢٠١٤. وكان الغرض منها مساعدة قوات ومؤسسات الأمن الأفغانية على تطوير القدرة على الدفاع عن أفغانستان وحماية مواطنيها في الأمد الطويل. وركزت المهام بشكل أساسي على أنشطة التدريب والمشورة والمساعدة في الوزارات ذات الصلة بالأمن، وفي المؤسسات الأمنية في البلاد وبين الرتب العليا في الجيش والشرطة. وعملت لأجل ذلك بشكل وثيق مع عناصر مختلفة من الجيش والشرطة والقوات الجوية الأفغانية، وشملت الوظائف الرئيسية: دعم التخطيط والبرمجة والميزانية؛ وضمان الشفافية والمساءلة والرقابة؛ ودعم الالتزام بمبادئ سيادة القانون والحكم الرشيد؛ ودعم إنشاء واستدامة عمليات مثل تكوين القوات وتوظيف وتدريب وإدارة وتطوير الموظفين. لنأتي إلى المرحلة الأهم في فبراير ٢٠٢٠، حيث وقعت الولايات المتحدة وطالبان اتفاقية بشأن انسحاب القوات الدولية من أفغانستان بحلول مايو ٢٠٢١، إدراكًا لعدم وجود حل عسكري للتحديات التي تواجه أفغانستان، وتم إنهاء المهمة في أوائل سبتمبر ٢٠٢١[٢٣].

جاءت هذه الجهود الدولية والأمريكية بشكل مختلف في التطبيق على أرض الواقع، فعلى الرغم من توجيه الأموال والدعم للجيش الأفغاني، فقد أثيرت العديد من التساؤلات بشأن عدم صموده في مواجهة طالبان بعد هذه التدريبات والأموال التي تم ضخها لبنائه.

فقد أدى عدم الوعي الكامل بمعطيات السياسة الداخلية الأفغانية والسياق الثقافي والجغرافي إلى فشل الأهداف الأمريكية في بناء جيش أفغاني قوي، إذ يذكر جيمس ستافريديس، أميرال بحري متقاعد بالبحرية الأميركية وقائد عسكري سابق لحلف الناتو، أنه كان في منصب القائد الأعلى لقوات التحالف في منظمة حلف شمال الأطلسي. وكانت إحدى المهام الرئيسية على مدى أربع سنوات، من ٢٠٠٩ إلى ٢٠١٣، هي بناء جيش وطني أفغاني يمكنه تولي مسؤولية القتال. وعلى الرغم من وفرة الموارد والموهبة، وعلى مدى عقد من الجهد الجاد، فشلت مهمة التدريب بشكل واضح. ويرجع ستافريديس هذا الفشل لأسباب منها: انعدام الإرادة والقيادة من الجانب الأفغاني، والفشل في إلزام حركة «طالبان» بالاتفاق الذي تفاوضت عليه مع إدارة الرئيس دونالد ترامب، بجانب دور الدول الإقليمية والفساد المستشري في الداخل الأفغاني. ويذكر ستافريديس أنه أخطأت الولايات المتحدة حينما استخدمت الجيش الأميركي "كنموذج" لبناء الجيوش، إذ تتوافر لدى الجيش الأمريكي موارد مثل الاستخبارات المتقدمة والتكنولوجيا المتطورة، والأنظمة اللوجستية، وهو ما لا يتوافر للجيش الأفغاني، وفي النهاية يشير ستافريديس: "**إننا لم نحترم بالقدر الكافي هذه الأمة الصعبة، وثقافتها، وتاريخها، وتقاليدها، وأعرافها**"، **و** أنه تم التعامل بغطرسة، لذا يتعين على وزارة الدفاع والقيادة المدنية الاعتراف بدورهم في هذا الفشل، وأن يتعلموا الدروس من تلك الأخطاء التي سوف يتكبد الشعب الأفغاني ثمنًا باهظًا لأجلها[٢٤].

وفي السياق ذاته أشار تقرير مكتب المفتش العام لإعادة إعمار أفغانستان SIGAR أنه يجب على الولايات المتحدة الوعي بدروس الماضي والتعلم من أخطاء الحالة الأفغانية، وقدم التقرير توصيات للمكاتب الحكومية الأمريكية الحالية لدعم بعثات إعادة الإعمار في الدول وذلك عبر إنشاء قاعدة بيانات

(22) Ibid.

(23) Resolute Support Mission in Afghanistan (2015-2021), NATO, 13 Sep. 2021, available at: https://cutt.us/RrpZH

(٢٤)جيمس ستافريديس، الجيش الأفغاني كان محكومًا عليه بالفشل، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٥٦١٠، بتاريخ ٢٤ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/oernJ

للموظفين المؤهلين للاستدعاء عند الضرورة، وبناء عقيدة مشتركة بين الوكالات لمساعدة قطاع الأمن، وإنشاء مكاتب لمكافحة الفساد داخل الوكالات الرئيسية، وامتلاك قدرات التخطيط الاستراتيجي وعقيدة إعادة الإعمار، وتبني أفضل الممارسات والمعرفة المؤسسية[٢٥].

وفي ضوء هذه التطورات الأمنية ووضع الجيش الأفغاني وتخبطات الإدارة الأمريكية مُنيت أفغانستان بحالة من عدم الاستقرار الداخلي، والتي تزايدت وتيرتها بعد قرار الانسحاب الأمريكي الأمر الذي وفر بيئة خصبة للتنظيمات المسلحة لتجد لها مقرًا في أفغانستان. إذ من المحتمل أن تنشط هذه الجماعات أو تنضم إلى فرع "تنظيم الدولة الإسلامية" في أفغانستان، كما توفر أفغانستان بيئة ملائمة للتنظيمات المسلحة للاستيلاء على مخزون الجيش الأفغاني والقوات الجوية والذي يحتوي على أسلحة متقدمة. ومن أهم التنظيمات الإرهابية في أفغانستان: - **تنظيم القاعدة**: يتمتع تنظيم القاعدة بوجود محدود داخل أفغانستان في الوقت الراهن، إذ تمركز حوالي ٥٠٠ من مقاتليه في ولاية كونار شرق أفغانستان. كما يُلاحظ تراجع التهديد الذي يمثله تنظيم القاعدة انطلاقًا من أفغانستان، وذلك بسبب الضربات الأمنية التي تلقاها التنظيم بعد مقتل زعيمه أسامة بن لادن.

-**تنظيم داعش-ولاية خراسان**: هو فرع تنظيم "داعش" في أفغانستان تأسس عام ٢٠١٥. ويتنشر بالأساس في بعض ولايات شرق أفغانستان ذات الطابع المحافظ، وانخرط التنظيم في تنفيذ العديد من الهجمات الإرهابية التي استهدفت جنودًا أمريكيين، وقوات من الشرطة الأفغانية والجيش الأفغاني، فضلًا عن أهداف مدنية وعسكرية أخرى. كما حدثت مواجهات مسلحة بين التنظيم وحركة طالبان.

- **شبكة حقاني**: والتي تعد فرعًا من حركة طالبان. وتتمتع بقدرات قتالية عالية، وصنفتها الولايات المتحدة الأمريكية كمنظمة إرهابية منذ عام ٢٠١٢[٢٦].

يضاف لهذه التحديات الأمنية احتمالية نشوب حرب أهلية في الداخل الأفغاني بشكل عنيف بعد سيطرة طالبان والميليشيات الأخرى في الداخل الأفغاني بعد انسحاب القوات الأمريكية في ضوء التنافس على السلطة والسيطرة على كابول. وفي حال سحب المجتمع الدولي الدعم المالي للحكومة الأفغانية فمن المرجح انهيارها، أو حتى عدم وصول المساعدات بشكل سليم[٢٧].

وقد أدت هذه التطورات لزيادة مؤشرات العنف وعدم الاستقرار الداخلي؛ إذ زادت أرقام الخسائر البشرية الناجمة عن تصاعد الأعمال العدائية، وحذرت بعثات المساعدة التابعة للأمم المتحدة من أنه ما لم يتراجع تصعيد العنف بشكل كبير، فإن أفغانستان في طريقها لتشهد أكبر عدد من الضحايا المدنيين الموثقين في عام واحد منذ أن بدأت سجلات الأمم المتحدة. كما أن حوالي ١٢٠ ألف أفغاني هربوا من المناطق الريفية والمدن الإقليمية إلى مقاطعة كابول. ومنذ بداية عام ٢٠٢٠ أجبر ما يقرب من ٤٠٠ ألف شخص على ترك ديارهم، لينضموا إلى ٢,٩ مليون أفغاني نزحوا داخليًا في جميع أنحاء البلاد في أواخر عام ٢٠٢٠.[٢٨] ولذا تواجه أفغانستان حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني داخليًا، مما وفر بيئة ملائمة

(25) What we need to Learn: Lessons from Twenty Years of Afghanistan Reconstruction, Special Inspector General for Afghanistan Reconstruction" SIGAR", August 2021, Available at: https://cutt.us/pxT3B

(٢٦) حسنين توفيق إبراهيم، هل ستتحول أفغانستان في ظل سيطرة طالبان إلى قاعدة للإرهاب مرة أخرى، بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/6w5Ug

(٢٧) توماس باركر، التداعيات الإقليمية لانسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، بتاريخ١٥ يونيو ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ROfEx

(٢٨) بالأرقام.. ماذا يحدث على الأرض بأفغانستان؟، موقع سي إن إن عربي، بتاريخ ١٦ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/UgFp4

للتدخلات الخارجية في الشأن الأفغاني وهو التحدي التالي الذي يواجه أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي.

رابعًا- تحديات التدخل الخارجي الإقليمي والدولي في الشأن الأفغاني:

تسبب الانسحاب الأمريكي من أفغانستان في تنامي الأدوار الإقليمية والدولية على الساحة الأفغانية، مما يساهم في تأجيج حالة عدم الاستقرار الداخلي، فبعد الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، تسعى **الصين** إلى التدخل لضمان مصالحها الاقتصادية في بلد غني بالنفط في محاولة للاستحواذ على عمليات استخراج النفط الأفغاني، كما تأمل الصين أن تشارك في عملية إعادة إعمار أفغانستان وإحداث تنمية اقتصادية فيها، وهو ما سيسهل تنفيذ مشروع "طريق الحرير" الاستراتيجي لبكين، كما لجأت **تركيا** لتعزيز دورها في الداخل عبر الاتفاق مع الولايات المتحدة لتأمين مطار كابول رغم رفض حركة طالبان لهذا التدخل العسكري التركي، لذا فقد بدأ صراع النفوذ وازدادت التدخلات في الشأن الأفغاني.[٢٩]

كما أن **روسيا** مرشحة يقوة للقيام بدور سياسي واضح في الأزمة الأفغانية، إذ جهزت روسيا لنقل شحنة كبيرة من المساعدات الإنسانية إلى أفغانستان. كما استضافت روسيا في أكتوبر ٢٠٢١ محادثات دولية حول أفغانستان بحضور حركة طالبان، لتعزيز جهود المجموعة الدولية لمنع أزمة إنسانية[٣٠]، إذ تنتقد روسيا الحرب الأمريكية على أفغانستان، وتحمل الولايات المتحدة العواقب السياسية والاقتصادية في أفغانستان، إذ يشير نائب وزير الخارجية الروسي، إيجور مارجولوف: "إن انهيار الحكومة الأفغانية وتسليمها الحكم بشكل شبه طوعي لحركة طالبان هو "نتيجة طبيعية لـ ٢٠ عاما من جهود "الدمقرطة" الأمريكية لأفغانستان". في إشارة للفشل الأمريكي في إعادة إعمار أفغانستان وبناء الدولة[٣١].

كما تستعد **إيران** للعب دور واسع في الداخل الأفغاني، فهي من الجهات الفاعلة على الساحة الأفغانية، وقد استضافت طهران اجتماعًا بين حركة طالبان وحكومة كابول، في ٧ يوليو ٢٠٢١، من أجل ممارسة دور أكبر في الداخل الأفغاني، ففي تقرير نشرته مؤسسة راند عن النفوذ الأيراني في أفغانستان، جاءت الإشارة إلى مخاوف إيران من أي ضربة عسكرية أمريكية ضد منشآتها النووية أو تواجد خطط أمريكية واضحة لإسقاط النظام الإيراني، لذا قامت إيران بتقديم الدعم العسكري للمتمردين الأفغان ضد القوات الأمريكية. وتواصل إيران تمديد نفوذها في الداخل الأفغاني في مجالات التعليم والإعلام عبر بناء المدارس والمساجد والمراكز الإعلامية الموالية لإيران. ويتركز الكثير من هذا النشاط في شمال وغرب أفغانستان، بالإضافة إلى كابول.

كما تقوم إيران بتمويل الكثير من رجال السياسة والمنظمات غير الحكومية في أفغانستان، كما تهدف إلى تعزيز الطائفة الشيعية في أفغانستان. إذ ترغب طهران بشكل خاص في ضمان أن تكون أيديولوجيتها الثورية هي المهيمنة على فكر الشيعة الأفغان. ولذا كان هناك دوافع سياسية وراء قيام إيران ببناء واحدة من أكبر الكيانات التعليمية في أفغانستان؛ إذ تعتبر جامعة خاتم النبيين واحدة من أبرز المعالم في العاصمة الأفغانية[٣٢].

كما أن **باكستان** مرشحة بشكل أكبر للقيام بدور واسع في الشأن الأفغاني، إذ أضحت أفغانستان ساحة للنفوذ **الهندي-الباكستاني**. حيث تدير باكستان صراعها مع الهند عبر الوكالة

(٢٩) أحمد كامل البحيري، إدلب جديدة: الدور التركي في أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١١ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/UHdRB

(٣٠) روسيا تستضيف محادثات حول أفغانستان بحضور «طالبان»، جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/j0A7C

(٣١) من الصين إلى إيران: تحركات سريعة لاستغلال "فوضى" أفغانستان، سكاي نيوز عربية، بتاريخ ٢ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/JwqKc

(٣٢) أحمد إدريس رحماني وآخرون، النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المترتبة علي انسحاب الولايات المتحدة، مؤسسة راند البحثية، ٢٠١٤، ص ص ٥-١٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/2EozG

في الأراضي الأفغانية، ومن ثم فإن سقوط كابول في يد طالبان يعد أمرًا إيجابيًا بالنسبة لباكستان لأن هذا يمهد الطريق أمام إنهاء النفوذ الهندي في أفغانستان. لذا احتفت باكستان على المستويات الرسمية والشعبية بوصول حركة طالبان للحكم وخروج القوات الأمريكية من أفغانستان، ويُعتبر نفوذ باكستان في أفغانستان وفي أوساط طالبان كبير جدًا، كما يتمتع الجيش الباكستاني بنفوذ كبير على حركة طالبان[٣٣]. أما **الهند** فهي تعارض عودة طالبان إلى الحكم، ومن المرجح أن تستمر نيودلهي في دعم اتحاد الشمال المعادي لطالبان، بينما ستقوم باكستان بدعم حلفائها في الداخل الأفغاني بكل ما تملك من إمكانيات، وسيصبح الصراع الهندي الباكستاني عبر الوكالة بشكل غير مباشر في الداخل الأفغاني[٣٤]. يضاف لتلك الأدوار المتنامية، الدور الخليجي في أفغانستان، وبخاصة **الدور القطري**، إذ تمتلك قطر بالفعل علاقات مع حركة طالبان، وقد استضافت قطر المحادثات الأمريكية مع الحركة، ولذا ستتمكن قطر من أن يكون لها القدرة على التأثير في مجريات الأمور في أفغانستان[٣٥].

خاتمة:

يمكن القول إنه بعد مرور ٢٠ عامًا من الاحتلال الأمريكي لأفغانستان، فإنه تشهد الأوضاع الداخلية حالة واسعة من عدم الاستقرار السياسي تتمثل أهم مؤشراتها في تدهور الأحول الأمنية والصراعات الداخلية السياسية والمسلحة في الداخل الأفغاني، بجانب تردي الأوضاع الاقتصادية وزيادة مؤشر الفقر والعوز الغذائي والعلاجي في ظل أزمة وباء كورونا المستجد.

ومن الجدير القول بأنه يمكن أن يعزى حالة الفشل السياسي والأمني للولايات المتحدة في أفغانستان إلى عدم فهم البيئة الداخلية السياسية والاجتماعية في البلاد، وعدم إدراك أهمية العامل الثقافي والإرادة الداخلية لإحداث عملية تغيير شاملة، وذلك بجانب المعوقات الجغرافية والسياسية الأفغانية.

كما تلعب العوامل الداخلية المرتبطة بالمجتمع الأفغاني ذاته دورًا كبيرًا في عدم حدوث التغيير المنشود من التدخلات الخارجية، فقد كان هناك رفض مجتمعي واضح للأجندة المفروضة من الخارج، كما استغل السياسيون المعونات الخارجية لصالح انتماءاتهم السياسية والقبلية لدعم مناصبهم، بجانب أنه فتحت المساعدات المالية الخارجية بابًا واسعًا للفساد في أفغانستان في ظل مجتمع يعاني من الفقر ومن تدهور الأحوال الأمنية. **ولذا تواجه أفغانستان مستقبل غير واضح المعالم في ضوء هذه التحديات الداخلية والخارجية.**

*****

(٣٣) محمد سلامي، الصراع على النفوذ في أفغانستان: حالتا قطر وباكستان، معهد سياسات الشرق الأدنى، بتاريخ ٢٦ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/duffk

(٣٤) هدى الحسيني، الصراع الهندي الباكستاني ينتقل إلى أفغانستان، جريدة الشرق الأوسط، رقم العدد ١٥٦٤٠، بتاريخ ٢٣ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/t1jbU

(٣٥) أول محادثات مباشرة بين واشنطن وطالبان لـ"الضغط" على الحركة، DW، بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Bmj8r

الطريق إلى سقوط كابول: مشهد فوضى الإجلاء وشروط الانسحاب

عمر سمير(*)

مقدمة:

لم يكن الخروج الأمريكي من أفغانستان فكرة جديدة طرأت لدى إدارة بايدن بل إن الحديث عن الخروج بأقل خسائر ممكنة بدأ منذ الأعوام الأولى للحرب؛ حيث سيطرت على مراكز صنع القرار والأجندة البحثية والإعلامية الأمريكية خطابات التكلفة والعائد، بدئًا بمناقشات المقولات التأسيسية للحرب كونها حرب ضرورة أو حرب اختيار، أو حتى مناقشات كلفة هذه الحرب عقب كل أزمة اقتصادية داخلية أو عالمية واستخدامها في المعارك السياسية المحلية أكانت انتخابات الكونجرس أو الرئاسة الأمريكية. بل كانت الفوضى عنوانا كبيرا متكررا لأكثر من موضوع حول ما تفعله الولايات المتحدة في أفغانستان منذ السنوات الأولى للغزو[1]، وربما كان هذا هو الوصف الأفضل لما تقوم به هناك ولتطورات هذه السياسة ولمشهد الخروج أيضا.

كانت الولايات المتحدة قد قرّرت منذ سنوات أن تنسحب من أفغانستان، وقامت بالفعل بتخفيض قواتها هناك أكثر من مرّة، إلا أنها ظلت تأمل أن يتمكّن النظام البديل الذي أقامته من البقاء والاستمرار وتحجيم نفوذ طالبان، لكن العكس هو ما حدث وهذا هو العنصر المفاجئ الذي قاد لجزء هام من الفوضى، حيث تم إبرام الاتفاق بين طالبان والولايات المتحدة في ٢٩ فبراير ٢٠٢٠؛ أي بعد قدوم بايدن بشهرين فقط. وكان هذا استكمالا لمسار طويل من المفاوضات بين الولايات المتحدة في عهد ترامب وطالبان، التي لم تعترف بها الأولى حتى في متن الاتفاق وإن كانت معترفة بها عمليا بالجلوس معها على طاولة المفاوضات، برعاية قطرية مثابرة.

وبرغم هذه الترتيبات لسنوات فإن مشهد الانسحاب تم إخراجه بفوضوية ربما أكبر من تلك التي صاحبت الخروج الأمريكي من فيتنام؛ حيث تُرِكَت العديد من القضايا العالقة ومنها قضايا المتعاونين مع السلطات الأمريكية، ومحاولة عشرات الآلاف من الأفغان الهرب على الطائرات الأمريكية الخاصة بالإجلاء غير المنسق للجنود، سواء باعتبارها فرصة للجوء والهرب من هذه البلد المدمرة التي تركها الأمريكيون أو تخوفا من المستقبل تحت حكم طالبان، وحرب شكلية بين قوات الأمن التابعة للنظام الأفغاني الموالي للولايات المتحدة ومناوشات بين طالبان وتنظيم القاعدة وبعض الفاعلين المحليين في بعض الأقاليم بقيادة أحمد شاه مسعود، في مشهد دعا العديد من الباحثين والمحللين لطرح التساؤلات حول تفسير هذا الطريق إلى السقوط وتلك المشاهد العبثية للإجلاء والانسحاب والعوامل المحلية والإقليمية والدولية التي قادت لحدوثه بهذا الشكل، وتبعاته وأفق المستقبل فيما بعده.

ترى العديد من نظريات الحروب، باعتبارها الوسيلة الصلبة لاستخلاص القوة والنفوذ في العلاقات الدولية، أن الخروج من الحروب قد يكون أصعب من الدخول فيها، وأن هناك العديد من القوى الإقليمية والدولية تستطيع البدء بشن الحرب لكنها لا تستطيع إنهاءها بمفردها ومن دون وسيط بأقل خسائر. ينطبق هذا بدرجة كبيرة على إسرائيل، كما ينطبق على الولايات المتحدة وعلى عملياتها في أفغانستان، وهي العملية الأطول في التاريخ العسكري الأمريكي للتدخلات خارج البلاد، والتي كان مقررا أن يتم إنهاؤها بحلول ١١ سبتمبر ٢٠٢١ وليس ١٥ أغسطس كما حدث في الواقع تحت وطأة التطورات والفوضى

(*) باحث في العلوم السياسية.

(1) Mike Boyer, Handing over chaos in Afghanistan, Foreign Policy, 5 June 2006, accessed: 10 October 2021, available at: https://bit.ly/3rmLjeP

غير المتوقعة التي صاحبت عملية الانسحاب، رغم الاتفاق عليها مسبقا مع الأطراف المحلية هناك.

أولًا- شروط الانسحاب بين مقتضيات اتفاق السلام الشامل والتنفيذ على الأرض:

بحسب نص اتفاق السلام الشامل، أو الإعلان مشترك بين جمهورية أفغانستان الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية لإحلال السلام في أفغانستان، الذي جرى التوقيع عليه في ٢٩ فبراير ٢٠٢٠ في الدوحة بعد أكثر من ١١ شهرا من المفاوضات المضنية بين الولايات المتحدة والحكومة الأفغانية أو بينها وبين حركة طالبان، تتضمن اتفاقية السلام الشاملة والمستدامة أربعة أجزاء مترابطة: الجزء الأول يشمل ضمانات لمنع استخدام الأراضي الأفغانية من قِبل أي مجموعات إرهابية دولية أو أفراد ضد أمن الولايات المتحدة وحلفائها، وبالجزء الثاني جدول زمني لانسحاب جميع قوات الولايات المتحدة والدول الأعضاء في قوات التحالف من أفغانستان، أما الجزء الثالث فيتضمن تسوية سياسية ناتجة عن الحوار والمفاوضات الداخلية بين طالبان وفريق تفاوضي شامل لجمهورية أفغانستان الإسلامية، والجزء الرابع من الاتفاقية يتضمن وقف إطلاق نار دائم وشامل[٢]. ولتنفيذ هذا الاتفاق فإن الولايات المتحدة وجدت نفسها بحاجة لاتفاق منفصل مع حركة طالبان في نفس اليوم، رغم عدم اعترافها بها، لتنظيم عملية الخروج بشكل أفضل، ولتحقيق هذه الأجزاء من بنود الاتفاقية الأولى، يتضمن الاتفاق مع طالبان: [٣]

١. انسحاب جميع القوات الأجنبية من أفغانستان في غضون ١٤ شهرا من تاريخ التوقيع عليه.

٢. تخفض الولايات المتحدة قواتها في أفغانستان إلى ٨٦٠٠ جندي في غضون ١٣٥ يوما بدءا من تاريخ توقيع الاتفاق.

٣. تسحب الولايات المتحدة وحلفاؤها والتحالف جميع قواتهم من خمس قواعد عسكرية في غضون ١٣٥ يوما.

٤. إزالة العقوبات الأمريكية عن أفراد طالبان بحلول ٢٧ أغسطس ٢٠٢٠.

٥. إطلاق سراح ما يصل إلى خمسة آلاف سجين من طالبان، وما يصل إلى ألف من سجناء الطرف الآخر (القوات الأمريكية ونظام أشرف غني) بحلول ١٠ مارس ٢٠٢٠.

وبموجب هذا الاتفاق أيضا، فإنه مقابل سحب واشنطن جنودها تدريجيا من أفغانستان، تقدم طالبان ضمانات أمنية وتعهّدا بعقد محادثات سلام مع حكومة كابل من أجل إدارة الأمور بعد الانسحاب. وقد تعثرت هذه المحادثات كثيرا في الفترة اللاحقة على توقيع الاتفاقين، واندلعت مواجهات أكثر من مرة بين نظام أشرف غني وأعضاء الحركة الذين تدخلوا في كثير من الأحيان لإخراج زملائهم المعتقلين بالقوة بما أن النظام لم يلتزم بمقتضى الاتفاق.

راوغ النظام الأفغاني كثيرا في تنفيذ ما عليه في هذه الاتفاقية، بتأجيل خروج العديد من معتقلي طالبان المقرر الإفراج عنهم وفقا للاتفاقية، في محاولة لخلق حالة فوضى تجبر الأمريكيين على البقاء لحمايته لأطول فترة ممكنة. لكن هذا كان له تبعات عكسية؛ فالطرف الأمريكي كان قد قرر الانسحاب مسبقا، وكان يشكل هو الآخر ضغطا على النظام للالتزام بالاتفاق من أجل تحقيق خروج آمن وسلس، ومن أجل الوصول لمرحلة الانتخابات والدستور. ويحمّل العديد من المحللين -بما فيهم أعضاء بوفد التفاوض في الدوحة- بايدن ونظام الرئيس

(٢) للاطلاع على نص وثيقة اتفاق السلام الشامل في أفغانستان يمكن زيارة موقع وزارة الخارجية الأمريكية، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3GditSh

(٣) يمكن الاطلاع على نص اتفاقية إحلال السلام في أفغانستان بين طالبان والولايات المتحدة، على موقع وزارة الخارجية الأمريكية، بتاريخ ٢٠٢٠/٢/٢٩، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/31vROkK

المعزول (الذي هرب فور خروج القوات الأمريكية وقبل إتمام عملية الانسحاب حتى) مسؤولية الفوضى في البلاد[٤].

كما خالفت الولايات المتحدة وحلفاؤها الاتفاق، فلم يتم الانسحاب الكامل في الجدول الزمني المحدد ضمن ١٤ شهرا (أي قبل بداية مايو ٢٠٢١) وتأخرت أكثر من ثلاثة أشهر إضافية، وكانت عمليات الإجلاء للقوات والتصرف في مخازن الأسلحة وأماكن التدريب تبدو عشوائية بشكل كبير، ما يعني أن هناك أخطاء جسيمة في تقدير الموقف حتى من الناحية اللوجستية البحتة، مما زاد من مخاوف الحركة والأطراف الدولية من مشهد الفوضى.

بحلول ١٢ أغسطس٢٠٢١، كانت حركة طالبان قد أعلنت سيطرتها على عشر ولايات من إجمالي ٣٤ ولاية في أفغانستان، وكانت عملية سقوط بقية الولايات مسألة وقت ليس أكثر باستثناء بعض الولايات التي دخلت بعض الأطراف المحلية فيها في مواجهة مع طالبان وبالذات قوات أحمد شاه مسعود الذي تحمس للخطاب الغربي الفرنسي الداعم له في مواجهة طالبان دون خطة، وهو ما أدى لحدوث مناوشات مسلحة قصيرة في وادي بنجشير، المركز الوحيد للمعارضة المسلحة لنظام طالبان، وفي السادس من سبتمبر أعلنت حركة طالبان أنها سيطرت على ولاية بنجشير بأكملها بعد معارك استمرت ستة أيام، وهي آخر منطقة في أفغانستان كانت في أيدي قوات مناوئة، بينما تضع الحركة اللمسات الأخيرة قبل إعلان الحكومة[٥].

نتيجة للتطورات المتسارعة وسوء تعامل الإدارة الأمريكية ونظام أشرف غني معها فإن فوضى عارمة حلت في أفغانستان مصاحبة للانسحاب في مراحله الأخيرة وصولا لأحد أكثر الأيام دموية في أفغانستان، يوم وقوع انفجار مطار كابل في ٢٦ أغسطس ٢٠٢١، والذي راح ضحيته ١٧٥ شخصا، بينهم ٢٨ على الأقل من مسلحي حركة طالبان، و١٣ عسكريا من مشاة البحرية الأميركية، وهو التفجير الذي تبنته داعش. ورغم وجود معلومات استخباراتية أمريكية وتحذيرات من انفجارات وشيكة فإنها لم تتخذ إجراء ولم تنسق عملية إدارة مطار كابل لا مع طالبان ولا النظام الذي لم يعد موجودا، ما أدى لمشهد غاية في الفوضى؛ إذ بينما تقوم الولايات المتحدة والقوات الدولية بإجلاء رعاياها كان عليها التدخل بنفسها لإحباط عمليات انتحارية بعد السقوط[٦].

إذن نحن أمام مشهد فوضوي بالكامل، فربما لأول مرة في تاريخ العلاقات الدولية وفي تاريخ الدولة الأمريكية وعلاقتها بالحركات الإسلامية، التي توقع فيها الولايات المتحدة اتفاقا مع حركة لا تعترف بها وتصر على إدراج هذا الموقف في نص الاتفاقية أينما ذكر اسم إمارة أفغانستان الإسلامية، وسواء أكانت لا تعترف بالحركة كإمارة إسلامية أو تقصد عدم الاعتراف بالحركة ذاتها وسلطتها ونفوذها في أفغانستان، فإن الجلوس مع قياداتها للتفاوض لمدة أحد عشر شهرا يمثل اعترافا واقعيا، كما أن مشهد الخروج المخزي للقوات الأمريكية مثل نصرا للحركة بكل معاني النصر سواء كان هذا مؤسِّسا لشرعية سياسية واقعية للحركة محليا ودوليا أم لا؛ إذ تلى ذلك اتصالات دولية واسعة لقيادات الحركة بكل من الصين وروسيا وإيران وباكستان وتركيا، ربما أكثر مما جرى بين تلك البلدان والسلطات الأفغانية التي نصبها الأمريكيون.

ثانيًا- العوامل الدولية التي ضخمت فوضى السقوط:

برغم أن تقارير سابقة سُرِبَت من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA تشير إلى أن طالبان ستُحكِم سيطرتها في عموم

(٤) فاطمة جيلاني لـDW: أشرف غني وبايدن وراء فوضى أفغانستان، موقع دوليشيه فيلية، بتاريخ ٢٠٢١/٨/٢٩، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٠/٢٧، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3lBP7oR

(٥) أفغانستان.. طالبان تعلن انتهاء الحرب بسيطرتها على بنجشير وتستعد لإعلان الحكومة والعالم يترقب، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٠٢١/٩/٦، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٠/٢٧، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Ik5YpF

(٦) وسط تسارع عمليات الإجلاء.. واشنطن تنفذ غارة جديدة في كابل وأنباء عن سقوط قتلى مدنيين، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٠٢١/٨/٢٩، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/١٠، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/330ptUf

أفغانستان، في ما عدا بعض الجيوب في الشمال على نحو ما فعلت في أواخر تسعينيات القرن الماضي، وأن حكومة الرئيس الأفغاني أشرف غني قد تنهار في غضون هذا العام، فإنه وحتى ما قبل الانسحاب بأيام قليلة كان العديد من الخبراء والباحثين يوصون الإدارة الأمريكية بضرورة مراجعة قرارها؛ حيث إن بايدن ربما ينتهي به الأمر بأن ينفق من الوقت والموارد على تلك البلاد بعد مغادرتها أكثر مما كان عليه الحال في السابق[٧]، ويقدم رؤية لما يسميه التقسيم الفعال للبلاد بحيث لا تترك البلد لطالبان وتستحوذ المليشيات الصديقة للغرب والناتو على جزء آخر كبير من أفغانستان، ويسهل التفاوض على تقاسم السلطة، وربما على الأقل قد يساعد في الحفاظ على حلفاء الولايات المتحدة وتوفير مناطق آمنة نسبيا في أفغانستان. وهو ما يعبر عن فوضى في الرؤية الأمريكية والغربية حول الأزمة، كما يعبر عن تخبط في مراكز البحث ومراكز صنع القرار واتخاذه.

لقد كان خروج الأمريكيين من أفغانستان أمرا مُرحَّبا به من معظم القوى الدولية المنافسة حتى ولو لم تكن على توافق مع طالبان أو كانت تعتبرها عدوا، ينطبق هذا على روسيا التي لطالما اعتبرت أفغانستان تاريخيا نقطة الضعف الرئيسية بالنسبة لها، وعلى مر السنين التالية للغزو الأمريكي لأفغانستان عملَتْ موسكو على بناء نفوذها هناك ليس لاعتبارات أمنية فحسب، بل بهدف إضعاف الغرب وحلف شمال الأطلسي أيضا، وقد لوحظ الاحتفاء الكبير بمشاهد السقوط ومعايرة السياسة الأمريكية بالفشل على الشاشات الرسمية الروسية. وبحسب بعض المحللين الروس، يشكّل الانسحاب الأمريكي من أفغانستان تحديات لروسيا، ولكنه يمنح فرصا لبوتين أيضا. وسواء اعتقد القادة الروس حقا أن "طالبان" ستتحول إلى حركة براجماتية ومسؤولة أم لا، فمن المرجح أن يتم التعامل معها بطريقة براجماتية من قِبل جيران أفغانستان على حساب عدم الخضوع لتهديدات واشنطن[٨]؛ فقد وصف وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف عناصر "طالبان" بأنهم أشخاص عقلانيون قالوا إنهم لا يخططون لافتعال مشاكل في آسيا الوسطى وسيحاربون تنظيم "الدولة الإسلامية" "بلا هوادة". ورأى كونستانتين كوساتشيف، نائب رئيس المجلس الفيدرالي الروسي، خبرًا واحدًا سارًا من أفغانستان، وهو أن الولايات المتحدة "ليس لديها أي أساس لادعاء القيادة" فيما يتعلق بالتسوية في أفغانستان[٩].

من خصائص هذا المشهد التعقيد وعدم قدرة الأمريكيين ولا الأطراف الدولية على استيعاب سرعة انهيار القوات الأفغانية التي جرى إنفاق عشرات المليارات من الدولارات عليها، فلم تستطع الصمود لأيام بينما الحكومة الموالية للسوفييت بقيت طيلة ثلاثة أعوام تقاتل ضد طالبان في التسعينيات. كما أن الاكتشافات المعدنية الهائلة التي لم تستفِد منها أفغانستان حتى الآن، تضيف عنصرا جديدا للتنافس وربما الصراع الدولي على الملعب الأفغاني، فالخروج الأمريكي الفوضوي يشكل فرصة للصين وفقا للبعض؛ ففي يوليو ٢٠٢١ تحدثت مجلة "ناشونال إنترست" الأميركية عمَّا وصفته بخطط الصين الكبرى لملء الفراغ الذي بدأ يتسبب فيه انسحاب الولايات المتحدة وحلفاؤها في حلف شمال الأطلسي من أفغانستان؛ حيث تستعد بكين لتدشين "دخول حصري" إلى أفغانستان مستغلة "مبادرة الحزام والطريق" الخاصة بها، إذ سبق الانسحاب زيارات سرية وعلنية مكثفة لقيادات طالبان للصين التي ربما تتعلم من مصير سياسات الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في أفغانستان، وتسعى للعب دور اقتصادي والاستثمار في المناجم الأفغانية،

(7) Michael O'Hanlon, How to Avert A Disaster in Afghanistan, The National Interest, 10 August 2021, accessed 25 Nov. 2021, available at: https://bit.ly/3DfDqdl

(٨) آنا بورشيفسكايا، كيف ستستفيد روسيا بفضل كارثة بايدن في أفغانستان، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، بتاريخ ٢٠٢١/٨/١٨، تاريخ الاطلاع ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3HZMQxg

(9) US has no grounds to claim leadership in Afghan settlement — Russian lawmaker, Russian News Agency, August 17 2021, available at: https://bit.ly/3xSMPq5

وتريد من حركة طالبان ضبط الحركات المسلحة قرب حدودها في ممر واخان[١٠].

كما اعتقد البعض أن انسحاب الولايات المتحدة يأتي ضمن خطة تستهدف توظيف طالبان في صراعها المتصاعد ضد روسيا والصين وإيران، لكن لا توجد شواهد على صحة هذا الرأي، فالحقيقة أنها خرجت من أفغانستان مضطرة ومهزومة هزيمة كاملة، وبدون أي خطة أو رؤية. بل ولم تستطِع حتى أن تحمي عملاءها من الأفغان.[١١] ومع هذا الخروج هُزِمَت -إلى حد ما- أفكار الحرب الكونية ضد الإرهاب ومقولات بوش الابن "من ليس معنا فهو ضدنا"، والتقسيم التقليدي للقوى الدولية فيما بعد ١١ سبتمبر باعتبارها قوى مؤيدة للديمقراطية الليبرالية الغربية أو قوى معادية لها ويجب التصارع معها. حيث أصبح المشهد هنا أننا إزاء القوى العظمى في النظام الدولي تتفاوض مع حركة جاءت من آلاف الأميال لاستئصالها والقضاء عليها، ولا تزال تصنفها "إرهابية" لكنها تتفاوض معها كأي فاعل دولي آخر من أجل ضمان خروج آمن لقواتها ومحاولة ضمان عدم استخدام الأراضي الأفغانية من قبل أعدائها ضدها.

لتعود السياسة الأمريكية إلى مواجهة جديدة مع القوتين المنافستين المباشرتين: الصين وروسيا؛ حيث كان الانسحاب من أفغانستان يأتي ضمن الخطط الاستراتيجية للولايات المتحدة منذ نهاية حكم أوباما في إطار إعادة التمركز في جنوب شرقي آسيا ومنطقة الباسيفيك والمحيط الهادئ، وفي هذا التمركز الجديد تلعب العوامل الاقتصادية والسياسية دورا لا يقل خطورة عن الأدوات العسكرية المباشرة. ويعتقد أنصار هذا الرأي أن ترك الأزمة الأفغانية للأطراف الدولية والإقليمية لتسويتها هو توريط لهذه الأطراف، بحيث تتحوّل طالبان من مشكلة لأميركا إلى كابوس لروسيا وإيران.[١٢] وما يهم دول الجوار الأفغاني أكثر هو قدرة الحركة على منع وصول تنظيمات مثل القاعدة أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" إلى أراضيها.

من ناحية أخرى، يضفي المشهد الإقليمي المضطرب والقضايا العالقة فيه تعقيدا على تعقيد لتلك الفوضي؛ فبسبب الحرب أصبحت باكستان تستضيف العدد الأكبر من اللاجئين الأفغان فيما تستضيف إيران ثاني أكبر عدد من اللاجئين الأفغان. ولأن الأوضاع الاقتصادية في إيران قد تدهورت، أصبح الكثير ينظرون للاجئين الأفغان على أنهم عبء وباتوا يتعرضون للتمييز وسوء المعاملة على أيدي الحكومة الإيرانية، ونتيجة لذلك اندلعت احتجاجات عديدة في أفغانستان بسبب معاملة إيران للاجئين. وعلاوة على ذلك، حاولت إيران استخدام التهديد بالترحيل الجماعي للأفغان كوسيلة للضغط على حكومة كابول لتبني سياسات مواتية لإيران. كذلك تبقى أزمة المياه وتجارة المخدرات عبر الحدود أمرا عالقا لم تستطع الولايات المتحدة أو النظام الأفغاني السابق تسويته، وهذه المسائل العالقة تبقي العلاقات مع دول الجوار رهينة للتطور في رؤية طالبان لهذه المسائل. أيضا فإن باكستان تتخوف من أن تفقد دورها المحوري في أفغانستان التي تربطها بها حدود طويلة وتشابكات عرقية وإثنية ودينية، وما كانت تقوم به من أدوار في إطار مساومة الولايات المتحدة لدفعها لتحقيق التوازن في علاقاتها مع كل من باكستان والهند.

نحن إذن إزاء دول جوار تحاول استغلال المشهد الأفغاني لتحقيق أهدافها السياسية التي لم تستطع تحقيقها بالأساليب الأخرى.

(١٠) حميد الله محمد شاه، محاولة ملء الفراغ: مستقبل الدور الصيني في أفغانستان، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ ٢٠٢١/١٠/٦، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٥، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3EqkJoz

(١١) حسن نافعة، دروس الهزيمة الأميركية في أفغانستان، العربي الجديد، بتاريخ ٢٠٢١/٨/٢١، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٠/٢٥، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3p31mLO

(١٢) عماد بوظو، هل ستتحوّل طالبان من مشكلة لأميركا إلى كابوس لروسيا وإيران؟، موقع قناة الحرة، بتاريخ ٢٠٢١/٨/١٨، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٠/٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://arbne.ws/3dfUCoq

ووفقا لمحللين أمريكيين مقربين من دوائر صنع القرار، قد يؤدي الانسحاب الأمريكي من أفغانستان إلى المزيد من عدم الاستقرار والفراغ في ذلك البلد؛ حيث تستعد إيران، التي تعتبر إحدى الجهات الفاعلة الإقليمية الأقوى في أفغانستان، لممارسة نفوذ كبير هناك بعد انسحاب الولايات المتحدة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يُعطي هذا الانسحاب إيران فرصة لتعزيز علاقاتها مع القوى الأخرى التي تشارك في أفغانستان، مثل الهند وروسيا. ويمكن أن تُساعد زيادة نفوذ إيران في أفغانستان على التخفيف من الضغوط الاقتصادية والسياسية الناجمة عن النزاع النووي الخاص بها[١٣]؛ حيث تشكل أفغانستان -بعد الانسحاب الأمريكي- منفذا جديدا غير متحكَم فيه لتصريف بعض السلع الإيرانية وتوسيع الأسواق الإقليمية التي ضاقت بفعل العقوبات، ومن ناحية ثانية يشكل الدور الذي يمكن أن يلعبه النظام الإيراني في منع تمكين طالبان من الحكم منفردة، فرصة لإيران لتسويق نفسها للولايات المتحدة والغرب كشريك يمكن الاعتماد عليه مقابل العودة للاتفاق النووي وتخفيف العقوبات وخفض حالة التوتر في علاقتها مع الغرب.

وبشكل عام فإن الهلع الذي يسيطر على الدول كافة من حكم طالبان رغم تطميناتها لكافة الدول، أدى إلى سحب معظم دول العالم لممثليها من أفغانستان وإجلاء رعاياها من هناك، وهذا يجعل الوضع أكثر صعوبة بالنسبة لطالبان ولعملية إدارة العلاقات مع العالم في هذه الفترة حيث تسير العلاقات غالبا عبر وسطاء، إذ تولت الإمارات على سبيل المثال عمليات إجلاء العديد من البعثات الدبلوماسية في كابول مستفيدة من موجة الهلع تلك.[١٤] وتولت تركيا مؤقتا عملية تدريب لكوادر طالبان على إدارة المطارات، والسفارات التي لا تزال تعمل في أفغانستان بعد وصول حركة طالبان إلى السلطة هي ست سفارات فقط لكل من (الصين وروسيا وباكستان وتركيا وقطر وإيران)، وهو ما يجعل لهذه الدول أفضلية في فهم الوضع وتسيير علاقاتها على الأرض في إحدى الدول الهامة ضمن نطاق مشروع الحزام والطريق، الذي يجعلها على استعداد لتوسيع علاقاتها مع طالبان. تدور الاستراتيجية الصينية في هذا الإطار وتخطط لزيادة نفوذها في أفغانستان من خلال تعزيز الممر الاقتصادي بتكلفة ٦٢ مليار دولار والذي يربط بيشاور وكابل[١٥]، وهو بقدر ما يشكل فرصة إلا أنه يشكل قيدا على أفغانستان بإحلال الاعتماد الكبير على الغرب باعتماد أكبر على الصين التي لا تزال تحتفظ بمخاوف جمة من حكم الحركة ومن احتمالية مناصرتها لقضايا الأويجور وإقليم تركستان الشرقية للحركات المسلحة في منطقة ووخان.

ثالثًا- العوامل المحلية المؤدية للفوضى:

ربما قدم الأداء السيء للأمريكيين والأنظمة الموالية لهم، أثناء العشرين عاما المنصرمة منذ غزو أفغانستان ثم الاتفاق على الخروج، لطالبان ما لم تقدمه سنوات الجهاد ضد المحتل سواء في العهد السوفياتي أو الأمريكي؛ تلك الصورة المنطبعة لدى قطاع عريض من الأفغان عن الحركة، فممارسات الولايات المتحدة والحكومات الموالية لها وانتهاكاتها المتزايدة بحق الأفغان بددت الصورة التي حاول الطرفان ترويجها عن الحركة باعتبارها حركة إرهابية وباعتبار تصرفاتها هي التي قادت للغزو الأمريكي لأفغانستان، إذا تجاوزنا الخلط المتعمد لدى الغرب - وبالذات فئة الساسة- بين طالبان والقاعدة، بل ومؤخرا تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام المعروف إعلاميا بـ"داعش".

---

(١٣) أحمد إدريس رحماني وآخرون، النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المُترتبة على انسحاب الولايات المتحدة، مؤسسة راند، ١٩ يونيو ٢٠١٤، تاريخ الاطلاع ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، ص III، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/32vtFej

(١٤) منها دولة عربية.. خارجية الإمارات لـCNN: نساعد في إجلاء بعثات سفارات عدة دول في أفغانستان، سي إن إن عربية، بتاريخ ٢٠٢١/٨/١٥، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/١، متاح عبر الرابط التالي: https://cnn.it/3xTKEm7

(١٥) حميد الله محمد شاه، محاولة ملء الفراغ: مستقبل الدور الصيني في أفغانستان، مرجع سابق.

فلم يكن المشهد السياسي الداخلي عشية الانسحاب أقل فوضوية من مشهد الانسحاب نفسه، فعقب الانتخابات الرئاسية ٢٠١٩ شهدت البلاد حالة من الفوضى بين أنصار كل المرشحين؛ حيث شهدت الانتخابات انتهاكات شديدة وتزويرا فجا، وألغت السلطات نحو مليون من ٢,٧ مليون صوت جراء وقوع مخالفات، ما يعني أن الانتخابات شهدت حتى الآن أقل نسبة مشاركة في أي اقتراع جرى في البلاد، وفي النهاية، لم يتم احتساب سوى ١,٨ مليون صوت، وهو عدد ضئيل للغاية مقارنة بعدد سكان أفغانستان البالغ ٣٥ مليونا، ومجموع الناخبين المسجلين (٩,٦ ملايين). وبعد أكثر من خمسة أشهر من انتهاء عملية الاقتراع أعلنت لجنة الانتخابات في أفغانستان في ١٨ فبراير فوز الرئيس أشرف غني بولاية ثانية، حسب ما أظهرته النتائج النهائية للاقتراع الذي جرى في ٢٨ سبتمبر ٢٠١٩، لكن منافسُه عبدالله عبدالله شكَّك في النتائج معلنا فوزه في الانتخابات، وتشكيل "حكومة شاملة" موازية، كما هدد نائب الرئيس الأفغاني عبد الرشيد دوستم، حليف عبد الله مسبقا، بتشكيل حكومة موازية في حال أعلن عن نتائج مزورة للانتخابات.[١٦] أي أننا إزاء مشهد سياسي فوضوي تماما لا يعترف فيه الشعب إلى حد كبير بشرعية الانتخابات وبالتالي لا يشارك فيها، ولا تعتبر النخبة السياسية نتائج الانتخابات نتائج نهائية ما لم تكن في صالحها.

كان التعويل الأمريكي على النظام الأفغاني الموالي وغير المستقر، وقواته الأمنية وشبكات مصالحه المحلية التي أنفق عليها مئات المليارات ويغلب عليها الفساد المالي والسياسي، خطأ كبيرا تسبب في هذه المشاهد الفوضوية للانسحاب؛ حيث سبق الانسحاب مجموعة من الانهيارات غير المتوقعة لسيطرة قوى الأمن الأفغانية في مقابل التقدم الكبير لحركة طالبان حد سيطرتها سلميا على العديد من المدن بعد تسليمها لهم من قبل من يحكمونها، وهو ما يمكن رده لوجود درجة استثنائية من الفساد، حتى أن تقارير صحفية قالت إن أعداد جنود الجيش الأفغاني كانت على الورق ٣٠٠ ألف بينما كانت الأعداد الحقيقية أكثر قليلا من ٥٠ ألف، بحيث كانت رواتب ومخصصات الجنود الوهميين تنتهي في جيوب الطبقة السياسية الفاسدة التي حكمت أفغانستان طوال العقدين الماضيين[١٧].

قبيل مشهد الانسحاب رأى العديد من الأفغان أن العودة إلى أيام طالبان خير لهم من البقاء في ظل هذا الاحتلال، ولذا كان تسليم غالبية المدن سهلا وبدون إراقة الدماء باستثناء بعض المناوشات في بعض الأقاليم، وهو ما يعني وجود حاضنة شعبية للحركة ربما ساهم الأمريكيون بدون قصد في توسيعها. بل حتى بالنسبة للعديد من الباحثين والمفكرين والساسة الأمريكيين كان تنظيم أية انتخابات حرة ونزيهة تشارك فيه طالبان يعني أنها ستفوز بالأغلبية وأن أي انسحاب للقوات الأمريكية يعني بالضرورة سيطرة الحركة على المشهدين السياسي والأمني، ورغم أن الحركة أصدرت عفوا عاما عن موظفي الدولة والمتعاونين مع القوات الدولية بعد سيطرتها بيومين[١٨] إلا أن الهلع جعل من مشهد الانسحاب مشهدا غاية في الفوضوية، ولا تزال المخاوف لدى هؤلاء كبيرة من محاولات انتقام فردية أو قبلية ضدهم.

تركت الولايات المتحدة اقتصادا أفغانيا شديد الاعتماد على الخارج، فالاقتصاد الأفغاني هش ويعتمد بشكل كبير على المساعدات الخارجية للمانحين الغربيين، ومع موجة الهلع التي أصابت المؤسسات الدولية والعاملين فيها وعمليات الإجلاء الكبيرة، ومراجعة العديد من الدول لسياستها في منح

(١٦) أفغانستان: عبدالله عبدالله يعلن فوزه في الانتخابات الرئاسية وتشكيل "حكومة موازية"، فرانس ٢٤، بتاريخ ٢٠٢٠/٢/١٨، تاريخ الاطلاع ٢٢ /٢٠٢١/١١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/31kVR3g

(١٧) عماد بوظو، هل ستتحوّل طالبان من مشكلة لأميركا إلى كابوس لروسيا وإيران؟، مرجع سابق.

(١٨) حركة طالبان تعلن "عفوا عاما" عن كل موظفي الدولة وتدعو النساء للانضمام إلى الحكومة، يورو نيوز، بتاريخ ٢٠٢١/٨/١٧، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Imllse

المساعدات لأفغانستان أو إيقافها، فإن حكومتها ستواجه سلسلة تحديات أبرزها إعادة إحياء اقتصاد البلاد المنهار بعد توقف المساعدات الدولية التي كانت تشكل ٧٥٪ من ميزانية البلاد في ظل الحكومات السابقة[١٩].

تعاني أفغانستان اثنوغرافيا من انقسام محلي عرقي وديني مذهبي، ما بين أغلبية نسبية من البشتون، حوالي ٤٠٪ من السكان، في جنوب وشرق أفغانستان والمناطق الفيدرالية المدارة قبليًا في الشمال الغربي من باكستان وإقليم بلوشستان في غرب باكستان حيث يشكل البشتون ثاني أكبر مجموعة عرقية في باكستان بعد البنجابيين، ما يجعل من تقاطع الأعراق عبر الحدود بين الدولتين وإدارتها من قبل دولة مركزية أمرا صعبا. ثم يأتي الطاجيك كأغلبية سياسية في أوساط النخب كانت رافضة لحكم طالبان ومساهما رئيسيا في تمكين الأمريكيين من السيطرة على البلاد، ويتركزون في الأقاليم الشمالية المحاذية لطاجيكستان وإلى الغرب على الحدود مع إيران، يشكلون ما بين ٢٠ إلى ٢٧ بالمائة من سكان أفغانستان. وقد كان لموقف الطاجيك من رفض الاتفاق بين واشنطن وطالبان وسيطرة الحركة بعد الانسحاب على البلاد تأثير كبير في تلك الفوضى التي حدثت في البلاد عقب الانسحاب؛ حيث خاضوا بقيادة أحمد شاه مسعود مواجهات مسلحة مع الحركة انتهت بسيطرة طالبان على كامل المدن التي ينشط بها مسعود وتنظيمه رغم الدعم الفرنسي الكبير له سياسيا وعسكريا.

ثم يأتي الهزارة، وهم مجموعة عرقية ودينية من الشيعة الإثناعشرية والإسماعيلية تعيش في المنطقة الجبلية في وسط أفغانستان والمعروفة باسم هزاره جات (هزارستان) مترامية الأطراف، وقد أدى الفقر في المنطقة والصراع المستمر إلى تشتت العديد من الهزارة في جميع أنحاء أفغانستان. والهزارة لديهم نزوع تاريخي نحو الحكم الذاتي والتملص من الدولة الأفغانية الحديثة ويحملون قدرا من الكراهية لفكرة الدولة المركزية والاندماج القسري الذي تقتضيه. ويدعم النظام الإيراني بعض التنظيمات المنتمية لهذه الأقلية المذهبية والعرقية، ورغم ما لإيران من علاقات وثيقة مع أفغانستان وإن لم تكن حصرية مع الطاجيك والشيعة الأفغان، إلا أن دعمها العسكري والثقافي لهؤلاء كبير؛ حيث تواجه مقاومة شعبية لنفوذها من قبل الفئات الأخرى كما تواجه تحديات كبيرة في علاقاتها بسبب النزاع حول المياه وعمليات تهريب المخدرات واللاجئين[٢٠]

ثم يحتل الأوزبك، وهم يشكلون فقط ٩٪ من السكان، القسم الأكبر من الأراضي الصالحة للزراعة في شمال أفغانستان، ومعظمهم مزارعون، يزرعون الحبوب والخضروات. بالإضافة إلى ذلك، ينتجون المصنوعات والمنتجات الحيوانية التي تُدِّر دخلا كبيرًا على مجتمعاتهم، وقد تضررت تجارتهم بسبب الحكم السابق لطالبان وقيام أوزبكستان بإغلاق الحدود مع أفغانستان، وبدعم سوفييتي ثم روسي إيراني تم منح الأوزبك درجة من الحكم الذاتي وتدريبهم على القتال ضد "المجاهدين". بحيث مارس الأوزبك والطاجيك والهزارة استقلالا إداريا وسياسيًا كاملا. وهناك أقلية من الأيماق حوالي ٤٪، وكذلك التركمان حوالي ٣٪[٢١]، ولدى هؤلاء علاقات قوية مع الأتراك.

تم رسم الحدود الحالية لأفغانستان في أواخر القرن التاسع عشر في سياق التنافس بين الإمبراطوريتين البريطانية والروسية، وأصبحت أفغانستان الحديثة إثر ذلك ملعبا للصراعات الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية بين القوى الدولية وحلفائها الإقليميين، وأصبحت مقاومتها لاعبا في تحديد

(١٩) رئيس حكومة "طالبان" يلقي أول خطاب منذ سيطرة الحركة على السلطة في أفغانستان، روسيا اليوم بالعربية، بتاريخ ٢٠٢١/١١/٢٧، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3dj6PZx

(٢٠) أحمد إدريس رحماني وآخرون، النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المُترتبة على انسحاب الولايات المتحدة، مرجع سابق، ص ص ١٤-١٦.

(٢١) أفغانستان: ما التركيبة القومية والدينية لهذا البلد الذي لم يعرف الاستقرار منذ نصف قرن؟، بي بي سي عربي، بتاريخ ٢٠٢١/٨/٢٧، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٠/١٥، متاح عبر الرابط التالي: https://bbc.in/3CZ7N7J

الفائزين في تلك الصراعات، لكنها حاليا تقبع في حالة تشبه الوضع اللبناني أو العراقي إلى حد ما؛ حيث لكل مكون عرقي ومذهبي محلي رعاة إقليميون على حساب فكرة الدولة الأفغانية وهو ما يهدد أية سلطة مركزية ما لم تستطع تقديم فكرة الدولة بشكل أفضل وبشرعية إنجاز كمرجعية وطنية للجميع.

تحتاج دواليب الدولة أيضا رؤية لتسيير شؤونها؛ حيث إن التأخير في دفع رواتب الموظفين وتسيير مصالح الناس وعجلة الاقتصاد سوف يضاعف من مشاعر الكراهية والسخط تجاه من في السلطة ويعطي فرصة لمعارضيهم لتجييش بقية السكان وتنظيم أنفسهم، ما قد ينذر بحرب أهلية طويلة المدى. كما أن هناك مخاوف ترسخت لدى بعض الفئات من حكم طالبان، ومنها ما يتعلق بوضع المرأة الأفغانية حتى لا يتم استغلالها من قبل بعض الأقليات لتعظيم مظلومياتهم كما حدث في بعض المناطق الشيعية بالعاصمة كابول التي خرجت فيها تظاهرات نسائية ضد طالبان في الأيام الأولى لسيطرتهم وتناقلتها وسائل الإعلام الدولية بحفاوة شديدة[٢٢]. ومن ثم، تحتاج الحركة لتقديم رؤية مطمئنة أكثر لبعض الفئات التي استفادت من بعض الإصلاحات التي أجراها النظام السابق، وبالذات الفتيات اللائي حصلن على تعليم جيد ويردن الالتحاق بالعمل واستمرار التطور في التعليم.

يتعقد المشهد المحلي عندما نكون إزاء الجيش الأفغاني السابق التابع للرئيس أشرف غني وقوامه ٣٠٠ ألف ما بين قوى الجيش والأمن، والذي من المفترض أن لديه ترسانة من الأسلحة المتطورة. فاختفاء هذا الجيش وهزيمته بهذه السهولة تثير العديد من المخاوف إزاء مستقبل منتسبيه وقياداته، ومدى إمكانية ضلوعهم في حرب أهلية أخرى أو حتى تهديدهم باستخدام السلاح لصالح أي من الأطراف المحلية أو ضدها، وهو ما يمكن أن يعتمد على ردة فعل حركة طالبان إزاء هذا الجيش وقدرتها على إدماجه وإعادة استعمال وتأهيل منتسبيه أو تسريحه، ما يعني تخوفات مماثلة لما حدث في العراق إبان تسريح قوات الجيش العراقي، الذي اندمجت قياداته لاحقا في تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام أو حتى كونت ميليشيات محلية مؤثرة في موازين القوى ومزعزعة للاستقرار بين الحين والآخر، أو حتى خلق حالة من الفوضى شبيهة بما حدث في ليبيا جراء انهيار نظام القذافي ثم قدرة بعض قادته لاحقا على شن حرب ضروس ضد العاصمة وبعض المناطق بدعم من القوى الإقليمية والدولية.

تقتضي الطبيعة الجغرافية والجغرافيا السياسية لأفغانستان أيضا أن تحتفظ بعلاقات طيبة مع دول جوارها، وإلا فإنها ستواجه أزمات طاحنة سواء لتصريف صادراتها أو استقبال وارداتها؛ حيث إنها دولة حبيسة مكونة من عرقيات مختلفة -كما أسلفنا- وعلى حدودها دول تتشابك مصالحها وجغرافيتها معها.

رابعًا- ما بعد مشهد الفوضى.. هل من أفق للمستقبل؟

رغم التفاؤل الواسع لدى بعض الباحثين ونسبة معتبرة من الأفغان بالانسحاب الأمريكي حد توصيف البعض له بتوصيفات من قبيل التحرر الوطني الأفغاني والهزيمة الكبرى للأمريكيين بعد حرب فيتنام، فإن تحديات الحكم قد تبدو أكبر من الخيال السياسي لقادة طالبان ولمؤيديهم في المنطقة العربية والعالم الإسلامي، فهناك عملية إعادة بناء للدولة ومؤسسات الحكم فيها في انتظار من يقدر على التصدي لها، وهناك مصالحة وطنية مؤجلة أو حرب أهلية مؤجلة أيضا، والخيار لا يعتمد فقط على من بالسلطة بل على استجابات الأطراف الأخرى أيضا. والحركة كبقية الحركات الإسلامية والحركات المعارضة، وحتى بعض حركات المقاومة والتحرر تبقى مفتقدة لكيفية الانتقال من إدارة الجماعة والتنظيم السياسي والعسكري لها إلى إدارة الدولة بتنوعاتها العرقية والمذهبية وتعقيدات وتشابكات مصالحها، وهو اختبار صعب أفشلت فيه

(٢٢) احتجاجات نسائية ضد طالبان بمنطقة ذات أغلبية شيعية في كابول، سي إن إن عربية، بتاريخ ٢٠٢١/٩/٨، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cnn.it/3rzssNB

العديد من تجارب الحركات السياسية الإسلامية عبر المنطقة والعالم.

كما أن هناك أيضا التحدي الكبير في بناء وإعادة بناء علاقات اقتصادية وسياسية مع القوى الإقليمية والدولية، خصوصا في دولة حبيسة ولا تتمتع بأي علاقات متميزة مع أي من جيرانها الذين تقيدهم السياسات والتحالفات الدولية في عملية بناء علاقاتهم الخارجية، كما قد يخوض بعضهم معارك أيديولوجية وسياسية وعسكرية مع الحركة ونظام حكمها الوليد.

ورغم تصريحات قياداتها بأن الحركة ستقيم علاقات متوازنة مع الجميع وما بثته الحركة من خطابات طمأنة للداخل والخارج[٢٣]، لا تزال لدى الكثيرين تخوفات تتعلق بطبيعة إدارة الحركة للدولة الأفغانية ولا تزال حركة الطيران والحدود مغلقة مع معظم البلاد مما يجعل من تطبيع علاقات الدول مع الحركة، ومن ثم استئناف المؤسسات الدولية لعمليات تقديم المساعدات لتيسير حياة الأفغان أمرا غاية في الصعوبة.

فبعيد أكثر من ٤ أشهر على الانسحاب لا تزال حدود البلاد مغلقة مع العديد من دول جوارها، ولا يزال الآلاف من الأفغان عالقون بالداخل والخارج والمطارات شبه مغلقة مع معظم دول العالم، والبنك المركزي يواجه أزمات، وتواجه مؤسسات الدولة الهشة بطبيعة الحال أزمة ثقة كبيرة، ولا تزال الجامعات والمدارس معلقة وتقبع البلاد تحت وطأة الجائحة، وينتظر الجميع بترقب وحذر شديدين ردود الأفعال الدولية تجاه طالبان ووزارتها الجديدة بقيادة محمد حسن أخوند زاده، وما ستسفر عنه سياساتها من اتفاقات مع كل من الصين وروسيا والولايات المتحدة ودول الجوار المباشر بما يمكن أن ينعكس سلبا أو إيجابا على علاقات البلد التجارية والسياسية بكل هذه الأطراف.

إذا كان التقدم العسكري السريع لطالبان ليس مفاجئا كما تدعي الإدارة الأمريكية، حيث إن عددا من قيادات الجيش والعديد من مراكز البحث الأمريكية ومراكز استطلاع الرأي كانت تقول بأنه إذا أجريت انتخابات حرة نزيهة تماما فستفوز الحركة بأغلبيتها بسهولة[٢٤]، لا يمكن لحركة من بضعة آلاف أن تنتصر من دون حواضن شعبية، هذا الأمر مرتبط أكثر بمرارة التجربة الأمريكية في أفغانستان بالنسبة للأفغان؛ فلا هم أقاموا ديمقراطية ولا حققوا تنمية ولا تركوا البلد لتطور تجربتها الذاتية وتروض هذه الحركات ذاتيا. ليس في تجربة طالبان السابقة ما يدعو للاحتفاء تقريبا سوى مقاومتها الشرسة للمحتلين والغزاة من كل الاتجاهات، لكن الشعوب عندما ترى الأسوأ تترحم على السيء، ولذلك فإنها وحدها الشعوب قادرة على تطوير تجارب وأنظمة حكم بالتعلم السياسي وحده. الاختبار الحالي لطالبان كحركة سياسية هو قدرتها على الحكم وإدارة الدولة بتلافي أخطاء الحكم السابق و بمواءمة حقيقية قابلة للاستقرار بين القوى الغربية الآفلة من جهة والقوى الشرقية الصاعدة بقيادة الصين ومن خلفها الروس والإيرانيين من جهة أخرى، بالتأكيد تعلمت الحركة عبر عشرين عاما من التفاوض والقتال وها هي تغازل الصين، لكن لا مأمن لأي من الأطراف الخارجية كما الداخلية في بيئة شديدة الاضطراب وفي صراع مؤجل على موارد البلد وحصص استخراجها.

خاتمة:

بقدر ما شكلت عملية الانسحاب مشهدا فوضويا تاما للأفغان والأمريكيين فإنها شكلت مكلمة فوضوية ذات دلالة في منطقتنا العربية تتعدى حالة الاحتفاء والاحتفال بخروج الأمريكيين من هناك وتتعلق بنموذج الإعجاب القح بالعنف في ذاته وبنموذج طالبان ومحاولة تسويغه باعتبارها حركة تحرر وطني ناجحة أو أن نهجها هو الحل ضد الأنظمة الديكتاتورية، وهي خطابات شعبوية كارثية على مطلقيها أكثر من تلك الأنظمة

(٢٣) وزير خارجية طالبان: نريد علاقات جيدة مع جميع الدول دون ضغوط، وكالة الأناضول للأنباء، بتاريخ ٢٠٢١/٩/١٤، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٨، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3xRC9lx

(٢٤) محمد المنشاوي، في سؤال وجواب.. قراءة أميركية للتقدم العسكري السريع لطالبان، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٠٢١/٨/٩، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/٢، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3EsjwgO

ولا يجب الذهاب بعيدا في هذه الاتجاهات، فحركات التحرر تقتضى معركة سياسية واقتصادية أكبر وأهم من العمل العسكري بعمليات ناجحة للخروج من عباءة القيود الاقتصادية والسياسية التي يتركها المحتل والمستعمر وإلا سوف تنتهي لنظم عسكرية أكثر ديكتاتورية وفشلا كتلك الأنظمة التي يتركها المستعمر وكيلا عنه، أو تتحول طواعية نحو التبعية له أو للطرف المناوئ له من دون إنتاج نموذج تنموي واضح وأقل تبعية، كما أن التكلفة المادية والبشرية والحضارية لتلك الحرب للطرفين لا يمكن التغاضي عنها أو وضعها جانبا.

يمكن للحركة ولأفغانستان أن تستفيد من الصراع التجاري والسياسي بين الصين والولايات المتحدة وإصرار الصين على مواصلة خططها الاقتصادية المتعلقة بطريق الحرير وما يقتضيه من تطوير البنى التحتية في البلدان التي سيمر فيها ومنها أفغانستان، لكن ذلك يقتضي سياسة خارجية متوازنة وحذرة ومتيقظة لأية تغيرات في موازين القوى في النظام الدولي، كما يقتضي تقديرا دقيقا للمصالح والمفاسد في إدارة تلك العلاقات بما يسمح بإدارتها بطريقة أكثر براجماتية وأقل تعارضا مع ما تطلقه الحركة من مقولات تتعلق بالإسلام والشريعة والأيديولوجيا.

يمكن لأفغانستان أن تستفيد من محاولة الولايات المتحدة ضبط علاقتها بإيران للتركيز على الصراع الأكبر مع الصين وروسيا في المحيط الهادىء والباسيفيك؛ حيث تحاول الولايات المتحدة التنسيق مع إيران في مكافحة تهريب المخدرات ومعالجة قضايا استخدام المياه باعتبارها قضايا غير سياسية بحتة هامة في العلاقات بين أفغانستان وإيران وبين الولايات المتحدة وطالبان، وإن كان المنطق الذي يجب أن تحذر الحركة منه هنا هو أن هدف مثل هذه التفاهمات المشتركة بين الولايات المتحدة وإيران هو محاولة حرمان الحركة من مصدر مهم لتمويل أنشطتها وتحقيق هدف أمريكي إيراني مشترك للوصول لأفغانستان مستقرة بقيادة حكومة خالية من سيطرة طالبان تماما[٢٥]، لكن التوصل لاتفاق لتقاسم المياه مع إيران سوف يعزز من أنشطة التجارة والزراعة ويخلق حياة مستقرة للعديد من المنتمين لأقليات قد تسبب قلقا بسبب الجفاف أو الأزمات البيئية والاقتصادية الأخرى.

بقدر ما تنبئنا عملية الخروج الأمريكي من أفغانستان أن الولايات المتحدة أُجبِرت على الخروج من هناك لوقف نزيف الخسائر المادية والبشرية والسياسية تحت وطأة مراجعات حادة للسياسات التي قادت إلى هذه الورطة في ظل صعود سابق لليمين المتطرف، فإن المفارقة أن عملية الخروج كانت تحت حكم يمين متطرف هو صاحب الخطاب الأكثر شعبوية في التاريخ الأمريكي حيث لا إيمان بالمؤسسات ولا القوانين لدى ترامب وأنصاره الذين اقتحموا الكونجرس احتجاجا على نتائج الانتخابات ووقفوا ضد اللقاحات الخاصة بكورونا. وبهذا القدر أيضا تنبئنا أن حركات الإسلام السياسي قادرة على أن تتصرف بمرونة وتجيد استعمال السياسة والقوة الخشنة معا حتى مع القوى العظمى في النظام الدولي، وإدراك التطورات الحاصلة فيه بالتعلم من الواقع السياسي ربما أكثر مما تتعلم من بعض التنظيرات المتطرفة القائلة بالعنف فقط أو تلك المتهاونة المتحدثة بخطاب السياسة فقط، لكن هذا يظل مرتبطا بعدو خارجي واضح ويسهل تجييش الجميع ضد سياساته وأخطائه، بل إنها قد تطور تنظيرات من هذا الواقع أكثر اعتدالا وواقعية في وقت قصير.

في التحليل الأخير، نحن إزاء عملية تحول محلية ونظام جديد للحكم والاقتصاد والاجتماع الأفغاني يعاد تشكيله، وهذا النظام ذاته واقع في قلب عملية تحول إقليمي ودولي مركب للقوى وفي منطقة هي بؤرة للصراع بين روسيا والصين وإيران من جهة والولايات المتحدة والهند وباكستان في تحالف موازٍ من جهة أخرى، وهذه التحالفات ذاتها غير مستقرة، هذا الأمر يجعل من عملية بناء العلاقات والتحالفات لدولة ما بعد الانسحاب الأمريكي أمرا صعبا للغاية بغض النظر عمن في

(٢٥) أحمد إدريس رحماني وآخرون، النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المُترتبة على انسحاب الولايات المتحدة، مرجع سابق.

السلطة، فإذا ما كان من في السلطة إسلاميون فإن الأمر يصبح أكثر صعوبة؛ حيث لا ظهير إقليمي أو دولي يمكن الاعتماد عليه في تشكيل التحالفات وصناعة بدائل السياسات.

وصحيح أن هناك حديث متواتر حول الموارد والثروات المعدنية الكامنة في الأرض الأفغانية والتنافس الدولي حولها، إلا أنها ما لم تتمتع بمحاولة جادة لبناء دولة حديثة فإنها قد تتحول لعراق أو ليبيا جديدة؛ حيث الثروات الهائلة التي لا تستفيد منها سوى نخب الفساد والشركات الدولية المتنافسة بينما يستمر الصراع السياسي المحلي الحاد ويتأرجح بين الحرب الأهلية والحروب والمكلمات السياسية من دون تقدم في بنية الدولة والمجتمع والنظام السياسي ومؤشرات الحوكمة والعدالة؛ أي أننا إزاء موارد هائلة تنتظر من يديرها بكفاءة لتحقيق رفاهية الشعب الأفغاني الذي عانى لعقود، واكتساب شرعية إنجاز سياسية وتنموية تجعل ولاء المواطن للدولة والأمة أقوى من الولاءات الفرعية الأخرى.

*****

الطريق إلى تشكيل حكومة انتقالية في أفغانستان وشروط الاعتراف بها

مدحت ماهر(*)

مروة يوسف(**)

مقدمة:

بمجرد اقتراب قوات طالبان من العاصمة كابول أول أغسطس ٢٠٢١، عقب اجتياحها معظم الأراضي والولايات الأفغانية، بدأت عملية رحيل حكومة أشرف غني التي تكلَّلت بهروب أشرف غني نفسه واختفاء قيادات نظامه. وبناء على هذا الفراغ، شرعت طالبان في تشكيل حكومة جديدة في ظلال كثيفة من الاشتراطات الدولية والتهديدات بعدم الاعتراف بهذه الحكومة. وفي هذا الإطار برزت مقولة حكومة "ائتلافية" تعبر عن كل الأطياف الأفغانية. وبالفعل عقب سيطرتها على كابول بثلاثة أسابيع أعلنت طالبان في ٢٠٢١/٩/٧ عن تشكيل حكومة وصفتها بالمؤقتة، وزعمت أنها تمثل قوى المجتمع الأفغاني، فيما اعترضت عليها قوى دولية عديدة لأسباب مختلفة. لكن في النهاية بدتْ حكومة طالبان، مثل حكم طالبان الحالي نفسه، مسألة أمر واقع، تحكمه موازين القوى واتجاهات المصالح. فإلى أين تتَّجه أول حكومة أفغانية تحت حكم طالبان؟ وما سماتها الراهنة، وتحدياتها القائمة؟ وكيف تقف منها قوى الداخل والخارج ما يؤشر على مستقبلها القريب؟ حول هذه التجربة وما تطرحه من تساؤلات تدور هذه السطور.

أولًا- حكومات ما قبل الانسحاب الأمريكي:

في دراسة سابقة في حولية (أمتي في العالم) التي يصدرها مركز الحضارة للدراسات والبحوث، -قام بها الباحث مدحت ماهر بالاشتراك مع الباحث محمد صلاح- حول حكومات أفغانستان وسياساتها العامة منذ وصلت طالبان للحكم في تجربتها الأول، توصلت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن أفغانستان منذ بداية حكم طالبان مرَّت بنموذجين في الحكم على طرفي النقيض؛ "نموذجٍ متفق مع مرجعية المجتمع لكن دون مهارات ودعم خارجي، وآخر مختلف مع مرجعية المجتمع لكن بمهارات ودعم خارجي"[(١)]. ضف إلى ذلك أن حكومة طالبان عانت العزلة وعدم الاعتراف طوال مدتها (١٩٩٦-٢٠٠١)، فيما وقعت الحكومات التالية في أحضان احتلال خارجي عسكري طيلة مدتها.

فلمدة سبعة عشر عامًا (٢٠٠٤- ٢٠٢١) توالت على أفغانستان عدَّة حكومات تحت حكم رئيسين فقط: حامد كرزاي (٢٠٠٤- ٢٠١٤)، وأشرف غني (٢٠١٤- ٢٠٢١). ففي مؤتمر بون في ديسمبر ٢٠٠١ تم اختيار حامد كرازي لرئاسة ما عرف بـ"الإدارة الأفغانية المؤقتة"، وعقب اجتماع لمجلس قبائل أفغانستان (اللوياجركا) في كابل ٢٠٠٢ أضحت تسمى "إدارة انتقالية" لحين عقدت أول انتخابات رئاسية ٢٠٠٤ حين انتخب كرزاي رئيسًا لجمهورية أفغانستان الإسلامية وشكل أول حكومة أفغانية تحت الاحتلال الأمريكي-الغربي، في الوقت الذي أعلن محمد عمر قائد طالبان قيادة مقاومة مسلَّحة ضد "أمريكا وعملائها" من أجل "**استعادة سيادة أفغانستان**"؛ الصراع الذي استغرق السنوات العشر لرئاسة كرزاي.

في العام ٢٠١٤ تزامن رحيل كرزاي ومجيء حكومة أشرف غني (بعد الاتفاق مع عبد الله عبد الله على أن يشغل منصب

(*) المدير التنفيذي لمركز الحضارة للدراسات والبحوث.

(**) باحثة بمركز الحضارة للدراسات والبحوث.

(١) مدحت ماهر، محمد صلاح عبد العال، الإسلاميون وبناء الدولة في أفغانستان: أين الخلل؟، في: حولية أمتي في العالم: السياسات العامة في نظم ومجتمعات العالم الإسلامي: نماذج وخبرات، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠)، ص ٤٢٨.

الرئيس التنفيذي للبلاد بصلاحيات واسعة خروجًا من أزمة نتائج الانتخابات)، مع انتقال صراع طالبان ضد قوات التحالف الدولي (الناتو والولايات المتحدة ودول أخرى) إلى طريق مزدوج؛ حيث جرت محاولات لفتح طريق إلى محادثات سلام بين طالبان والحكومة الأمريكية، أو حكومة كرزاي ومن ورائها الولايات المتحدة. ساعتها كانت طالبان تطلق على الحكومة الأفغانية وصف "الدمية الأمريكية"؛ وفشلت محاولات بدء مفاوضات أو محادثات سلام في الفترة (٢٠١٠-٢٠١٣)؛ لأسباب مختلفة تقف وراءها الولايات المتحدة، والحكومة الأفغانية، وحكومة باكستان، وقوى سياسية داخلية، وطالبان بالطبع.

لم تبدُ طالبان مقتنعة بجدية هذه المحادثات حتى أعلنت الولايات المتحدة أنها ستشرع في تقليل قواتها ثم الانسحاب من أفغانستان، تلك الاستراتيجية التي صادق عليها الناتو في قمة ٢٠١٢. وثمة تطوران أعاقا طالبان عن الانخراط المبكر في محادثات سلام حقيقية: استمرار الحكومة الأفغانية في تقوية موقفها العسكري مستعينة بالقوات الأجنبية، ثم ما عرف بـ"الاتفاقية الأمنية" التي عقدتها إدارة أوباما مع كرزاي "اتفاقية شراكة أمنية" بين البلدين في ٢ مايو ٢٠١٢. ومن ثم شهدت فترة حكومة أشرف غني تطورين مزدوجين: زيادة هجمات طالبان، واستمرار الانسحاب الأمريكي والغربي.

ولكن العام ٢٠١٣ شهد افتتاح طالبان مكتبًا سياسيًّا لها في الدوحة-قطر لتيسير إجراء مفاوضات السلام[٢]؛ الأمر الذي زكاه كرزاي. وفي يوليو ٢٠١٥ استضافت باكستان أول محادثات سلام رسمية بين ممثلي طالبان والحكومة الأفغانية، حضرها ممثلون للولايات المتحدة والصين مراقبين، تلتْها محادثات غير رسمية. وبناء عليه تطوَّرت هذه العملية عبر ولايتي غني ودونالد ترامب حتى وصلت إلى إعلان الولايات المتحدة عن موعد انسحابها النهائي أول مايو ٢٠٢١ وسط اعتراضات من حكومة غني، لكن إدارة جو بايدن أعلنت التزامها بتنفيذ هذا القرار ثم أجَّلته إلى أول سبتمبر؛ وهو ما حدث بالفعل.

خلاصة أداء حكومات أفغانستان خلال ربع القرن الماضي يمكن استخلاصها من الدراسة المشار إليها والتي انتهت في أواخر العام ٢٠١٩؛ ومفادها أنه:

"(١) **ليس من السهل الحكم على تجربة طالبان بالفشل الكامل أو بالنجاح الكامل. إذ تضاربت الآراء في ذلك، و أبرز الو اقعُ حقائقَ تشير إلى الجانبين، لكن الثابت الذي لا يمكن المراء بشأنه أن طالبان في الإطار العام لصنع السياسات العامة وتنفيذها كانت قاصرة عن امتلاك الكفاءات أو الخبرات فضلًا عن الإمكانيات المالية والأجواء المناسبة داخليًّا وخارجيًّا، وأن النجاحات التي حقَّقتها إنما تُعزى بالأساس إلى تجانُسها مع النسيج الأفغاني مما سهَّل عليها النجاح فيما فشلت فيه الإدارة التالية الغريبة عن الأفغان.**

(أ) لعل أبرز ما فشلت فيه طالبان -وجر وراءه مواطن فشلٍ أخرى- الجانبَ المؤسسي؛ إذ لم تضع طالبان بذورًا لبناء مؤسسي في أيٍّ من قطاعات الإدارة الحكومية، ناهيك عن أن تحقق تطورًا يُذكر في هذا الجانب. وأبرز صور هذا الفشل المؤسسي يكمن في آلية التعيين التي أشرنا إليها؛ فما الآلية إلا رؤية الأمير وأمره.

(ب) كذلك لم يكن لدى طالبان تصورٌ واضح عن الكيفية التي يكون بها تطبيق الشريعة، أو بالأحرى كان تصورًا قاصرًا يفتقد استيعاب مفهوم تأسيس دولة أو حكم، على النحو الذي تصرح به الخبرة الإسلامية التأسيسية مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك خبرة العصر؛ من بناء المؤسسات الجامعة، ووضع نويات السياسات المحققة لأولويات الناس. نعم حقق الطالبانيون قدرا أساسيا من الأمن والأمان ومحاربة الفساد والمنكرات والمخدرات، ولكن ظل مفهوم تطبيق الشريعة قاصرًا على المنحى القانوني والقضائي كما هو عند كثير من الجماعات

(٢) حركة طالبان تفتح مكتبا سياسيا في قطر، فرانس ٢٤، ١٨ يونيو ٢٠١٣، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/sJguj

الإسلامية، والأولى أن يتحوَّل إلى أولوية المنحى السياسي والتدبيري أولا.

(ج) كذلك افتقدت التجربة الطالبانية لإدراك أن تحقيق التماسك الاجتماعي واستيعاب الشعب ضمن إطار جامع هو من أولى أولويات الرؤية الإسلامية لتأسيس الدولة على النحو الذي تشير إليه وثيقة المدينة المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عن فعله مع المختلفين داخل المدينة حين أقام أول دولة في الإسلام. فلم تحاول طالبان استيعاب جميع فصائل المجتمع في بناء سياسةٍ قومية جامعة، بل بدا أنها لم تُدخل في الحكم والمناصب إلا من كان طالبانيًا أو مواليًا لهم. وهو ما أفقدها العديد من الفرص والإمكانيات التي كانت لتُحدِث فرقًا في مشروع الإحياء والتنمية، وجر عليها صدامات كانت معوقًا للنجاح في المجمل.

(د) لكن –مع ذلك- لا يصح عزو كل الفشل الطالباني إلى مجرد افتقاد المهارات والخبرات، أو التقصير في بعض المهمات، فقد كانت هناك عوامل خارجة عن قدرتهم على التحكم فيها، كحالة التدمير الكامل التي استلمت طالبان الدولةَ الأفغانية عليها،؛ مما أدى بالمشروع الطالباني إلى أن تقتصر أهدافه وطموحاته على إعادة الإعمار والتنشيط، أو الحفاظ على الوضع القائم. فلا يمكن فصل فشل طالبان عن التدخلات الخارجية الضارة من دولٍ غربية وشرقية (الولايات المتحدة وفرنسا وتحالف موسكو-دلهي-شنغهاي، وغيرها..) ودول أخرى -للأسف- إسلامية، تبحث عن تحقيق مصالحها، وتترجمها في إبقاء أفغانستان دولةً ضعيفة تسهلُ السيطرة عليها لاستغلال مواردها. وكما أسلفنا، يجب ألا نُغفِل هذا العامل أبدًا في تحليل أي من التجارب الإسلامية الحديثة؛ عاملَ الأثر السلبي للفرقة والنزاعات البينية، وكذا عاملَ التدخل الخارجي.

(هـ) ويجب الانتباه أيضًا إلى أن النجاحات التي حققتها طالبان في بعض القطاعات كان يُعزى جزءٌ مهمٌّ منها إلى أمانة من نصَّبتهم على إدارة هذه القطاعات. وهو ما افتقدتْه التجربة التالية –والتجارب السابقة عليها- التي استشرى الفساد فيها من رأسها إلى أخمص قدمها.

(٢) وفي المقابل، يجب إدراك أن الفشل في صنع السياسات العامة وتنفيذها ليس سمةً إسلامية فحسب، بل وقعت فيه أيضًا الإدارة التالية التي تقوم على الدعم المباشر بل الهيمنة من الاحتلال الأمريكي بما يحمله هذا من ادعاء بالقدرة على "تحويل" أفغانستان من دولةٍ فاشلةٍ إلى دولة على طريق النمو.

(أ) قام مشروع ما بعد سقوط طالبان على رؤيةٍ غربية بالأساس، تنظر إلى التعاون الدولي باعتباره أول طريق الخروج من "هاوية" الدول الفاشلة إلى "جنة" الدول النامية والمتقدمة. انعكست هذه الرؤية على كل سياسات الإدارة الأفغانية طوال الفترة التي تلت سقوط طالبان؛ مما أدى إلى أن يُعزى جزءٌ كبير من فشل هذه السياسات إلى اصطدام الدولة في كل قطاع بالمجتمع المختلف عنها في الرؤية والقيم.

(ب) وفي مقابل فشل طالبان في المأسسة ووضع بذور مؤسسات حكومية، قام الاحتلال وتابعوه بتلك المهمة، لكنها كانت مأسسة خاوية من مضمونها؛ إذ لم تستطع أيٌّ من الوزارات تحقيق ما فشلت فيه طالبان، فظل كل شيء على ما هو عليه، بل زاد فشل بعض القطاعات.

(ج) وإذا كانت طالبان قد فشلت في إقامة النظام السياسي الجامع وحقَّقت أمنًا عسكريًّا وشرطيًّا وأخلاقيًّا نسبيًّا لاسيما ما يظهر في تراجع نسب الفساد الإداري، فقد استعاد الاحتلال الأمريكي دولة العصابات الأشبه بالمافيات الإجرامية لاستشراء الفساد في جهاز الدولة، الأمر الذي أسهم في انتهاء حكم كرازاي بعد ١٢ عامًا، ولا تزال حكومة أشرف غني تغصُّ به. وبعد مدة تمثل ثلاثة أضعاف فترة طالبان يبدو أن طالبان –على

تقليديتها- كانت أقرب إلى النجاعة وإحراز نتائج من المسار الحداثي الراهن"[٣].

والخلاصة أن حكومات ما قبل اللحظة الراهنة لم تتمكن من إحداث أي تنمية سواء سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية، ويظل الشعب الأفغاني ضحية صراعات الداخل وعدوان الخارج. فهل من جديد ينتظره الأفغان من التطورات الأخيرة وخاصة إعلان طالبان عن حكومتها؟

ثانيًا- استباق الاشتراط الدولي على الحكومة

ما إن دخلت قوات وقيادات طالبان إلى كابول وسيطرت على البلاد، حتى بدأت تحذيرات دولية من الاعتراف الفردي بالحركة، حيث دعت بريطانيا على لسان رئيس وزرائها، بوريس جونسون، إلى ضرورة التشاور قبل الإعلان عن القبول بطالبان على رأس السلطة في أفغانستان، وذلك بقوله: "سنتعاون مع الأطراف كافة لضمان عدم الاعتراف بطالبان أُحاديًّا". وأعلنت العديد من القوى أنها لن تعترف بحكومة لطالبان حتى تضمن التزامها بالشروط الدولية؛ وعلى رأسها الامتناع عن مساندة الحركات الموصومة بالإرهاب وعلى رأسها القاعدة، ومراعاة حقوق الإنسان لا سيما النساء والأقليات الدينية. وبالفعل أعلنت طالبان أن أرض أفغانستان لن تكون منطلقًا لأية عمليات أو اعتداءات ضد أي دولة أخرى، وأنها ستعمل على تشكيل حكومة تجمع أطياف الشعب الأفغاني وقواه المختلفة ولن تقصرها على تشكيلاتها، وأنها تفكر في عمل انتخابات، ودعت قيادات حكومة غني الهاربة أو المختفية إلى العودة والعمل مع طالبان للاستفادة من خبراتها، وأنها لن تطارد أو تضطهد من سبق له التعاون مع قوات الاحتلال الأمريكي، وأنها ستسعى لإقامة علاقات جيدة مع العالم الخارجي وعلى رأسه الولايات المتحدة[٤].

إلا أن تصريحات وتعهُّدات وتأكيدات حركة طالبان ووجهت بموجة مقابلة من التشكيك من القوى الغربية، وأعلنت العديد من القوى منفردة ومجتمعة عددًا من الشروط للاعتراف والتعاون مع حكومة طالبان ومنها:

أ- التكتلات والمنظمات:

يمكن من متابعة موقف كل من مجلس الأمن، والاتحاد الأوروبي ودول السبع تبيُّن مدى الاهتمام الدولي بالقضية الأفغانية والعودة الطالبانية، وموقف الحذر والقلق المسيطر على القوى الكبرى.

١- مجلس الأمن

في ٣٠ أغسطس اعتمد مجلس الأمن القرار رقم ٢٥٩٣ (٢٠٢١) الذي يتعلق بصعود طالبان على سدة الحكم في أفغانستان، وقد اقترحت هذا القرار كل من فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة، وقد رفضت التصويت عليه كلٌّ من الصين وروسيا؛ وهو يحدد ما الذي يتوقعه المجتمع الدولي من طالبان (الشروط الدولية) كالتالي: ألا تصبح أفغانستان ملاذا آمنا للإرهابيين، توفير ممر آمن لمن يرغب في مغادرة أفغانستان، ضمان حق الوصول للأمم المتحدة والوكالات الإنسانية[٥]. يبرز من هذا القرار أن الولايات المتحدة الأمريكية حاولت جمع الجهود الدولية في مواجهة الصعود الطالباني الذي حدث بسرعة في منتصف أغسطس، ليكون القبول بطالبان في الساحة الدولية مشروطًا دوليًّا وليس أمريكيًّا فقط.

٢- الاتحاد الأوروبي

حذَّر الاتحاد الأوروبي طالبان من مواجهة عزلة دولية؛ حيث أشار بيان الاتحاد، الصادر في ١٢ أغسطس ٢٠٢١؛ أي قبل سيطرة طالبان على كابول بثلاثة أيام، إلى أن "طالبان ستواجه

(٣) مدحت ماهر، محمد صلاح عبد العال، الإسلاميون وبناء الدولة في أفغانستان، مرجع سابق، ص ص ٤٣٥-٤٣٦.

(٤) أفغانستان: متى يعترف المجتمع الدولي بحركة طالبان؟، بي بي سي العربية، ٣١ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Vljam

(٥) مجلس الأمن يؤكد أهمية ألا تصبح أفغانستان مجددًا ملاذًا آمنًا للإرهاب، وتوفير ممر آمن لمن يرغب بالمغادرة، موقع الأمم المتحدة، ٣٠ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/nTOqW

عدم الاعتراف والعزلة ونقص الدعم الدولي، وأن دعم الاتحاد لأفغانستان سيكون مشروطًا بتسوية سلمية وشاملة، واحترام الحقوق الأساسية لجميع الأفغان؛ بمن فيهم النساء والشباب والأقليات"[٦].

ولاحقًا على وصول طالبان إلى كابول، اتفق وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي، يوم ٣ سبتمبر، على أنه يجب على الاتحاد الأوروبي أن يلتزم بخمسة شروط أساسية في إطار التعامل مع حركة طالبان من أجل توصيل المساعدات إلى أفغانستان، وتتمثل هذه الشروط في: "١- عدم استخدام الأراضي الأفغانية لتصدير الإرهاب، ٢- احترام حقوق الإنسان وخاصة المرأة وسيادة القانون وحرية الصحافة، ٣- تشكيل حكومة انتقالية في أفغانستان، على أن تكون شاملة ومبنية على مفاوضات مع كافة الأطراف السياسية، ٤- تأكيد وصول المساعدات الإنسانية إلى المحتاجين استنادا إلى المبادئ الدولية، ٥- التزام طالبان بتعهدها بالسماح بخروج الأجانب والمواطنين الأفغان المعرضين للخطر وفي ضوء القرار الدولي ٢٥٩٣"[٧]. وسوف تُعرف هذه الشروط بعد ذلك باسم الشروط الخمسة للاعتراف بحكومة طالبان دوليًا ضمن الخطاب الأوروبي على وجه الخصوص.

٣- مجموعة السبع

عقدت مجموعة الدول الصناعية السبع (الولايات المتحدة - المملكة المتحدة - فرنسا - ألمانيا - إيطاليا - اليابان - كندا) اجتماعا خاصًّا بالوضع في أفغانستان؛ حيث وضعت المجموعة شروطًا مسبقة للاعتراف بنظام حركة طالبان في أفغانستان، وأوضحت في بيان للمجموعة أن ما تُدلي به الحركة من تصريحات معتدلة لا قيمة له إذا لم يقترن قولها بأفعال، ودعت المجموعة إلى وجوب عدم اعتراف أي دولة أُحاديًّا بنظام طالبان؛ مؤكِّدين أنه لا بد من التنسيق بشأن تلك المسألة عبر قرار من مجلس الأمن، وأنه إذا كان الجيل الجديد من طالبان يريد اعترافًا دوليًّا فيتعيَّن عليهم تنفيذ شروط المجتمع الدولي في هذا السياق. وتمثلت شروط مجموعة الدول السبع في: السماح بخروج الأفغان الراغبين في مغادرة البلاد، وألا تصبح أفغانستان ملاذًا للإرهاب، والسماح بوصول المساعدات الإنسانية إلى مستحقيها، واحترام الحقوق والحريات لاسيما حقوق المرأة، والعمل على تشكيل حكومة انتقالية[٨]. وهي ذاتها الشروط التي وضعها وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي.

ب- الدول الكبرى والإقليمية

وبناء على الشروط التي وضعتها المنظمات والمجموعات طرحت العديد من الدول شروطها للاعتراف بحكومة طالبان

(٦) للمزيد حول بيان الاتحاد الأوروبي عن الوضع في أفغانستان، انظر:
- الاتحاد الأوروبي يهدد طالبان بـ"عزلها دوليا" إذا استولت على السلطة في أفغانستان، القدس العربي، ١٢ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/pUy3r
- الاتحاد الأوروبي يهدد طالبان بـ"عزلة دولية"، وكالة الأناضول، ١٣ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/v2QSD

(٧) للمزيد حول شروط الاتحاد الأوروبي للاعتراف بحكومة طالبان، انظر:
- بـ٥ شروط.. أوروبا تفتح الباب أمام الاعتراف بحكم طالبان، سكاي نيوز عربية، ٥ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/DKQBI
- الاتحاد الأوروبي يضع خمسة شروط أساسية للتعامل مع طالبان، موقع DW، ٣ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/RdkRE

(٨) للمزيد حول شروط مجموعة السبع للاعتراف بطالبان، انظر:
- مجموعة السبع: أولويتنا ضمان الإجلاء الآمن من أفغانستان، وكالة الأناضول، ٢٤ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/GUMJJ
- "مجموعة السبع" تحث طالبان على احترام حقوق الإنسان، العين الإخبارية، ٢٤ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/R0pVS
- مجموعة السبع: لا يجب الاعتراف أحاديا بنظام طالبان، العربية، ٢٤ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/QNzet

وحكمها بشكل كبير ضمن قائمة الشروط الدولية المشار إليها، وأكدت على عدم الاعتراف الفردي، بوصفه أحد أهم الوسائل أمام تلك القوى في الضغط على طالبان، ومن هذه القوى:

١- الولايات المتحدة الأمريكية

عقب الانسحاب الأمريكي من أفغانستان أعلنت الولايات المتحدة أنها لن تتسرَّع بالاعتراف بطالبان ونظام حكمها، وسيكون ذلك بالتشاور مع حلفائها[٩]. وقد عبَّر العديد من المسئولين في الإدارة الأمريكية عن نفس الأمر، فصرَّح الرئيس الأمريكي جو بايدن في كلمة له بالبيت الأبيض أن طالبان تسعى للحصول على الشرعية الدولية، وأن الشروط للحصول على ذلك ستكون قاسية وصعبة، وأن ذلك سيعتمد على كيفية تعامل الحركة مع المواطنين الأفغان والنساء والفتيات[١٠].

وقال نيد برايس المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية إن هناك ما وصفه بـ"إجماع حاسم" في المجتمع الدولي على نوع الحكومة الجديدة التي ينبغي تشكيلها في أفغانستان: "حكومة أفغانية مستقبلية تتمسَّك بالحقوق الأساسية لشعبها، ولا تأوي الإرهابيين، وتحمي الحقوق الأساسية لشعبها؛ بما في ذلك الحقوق الأساسية لنصف سكانها- أي نسائها وفتياتها"[١١].

كما أكدت المتحدثة الإقليمية باسم وزارة الخارجية الأميركية "جيرالدين غريفيث" أن الولايات المتحدة تدعم فكرة تشكيل حكومة جديدة، تضم كافة أطياف المجتمع الأفغاني، وإذا أرادت طالبان الحصول على الاعتراف والمساعدات الإنسانية فيجب أن تعمل للحصول على ذلك، وأشارت إلى أن الولايات المتحدة ستتخذ خطوات على أساس تصرفات حركة طالبان[١٢].

٢- فرنسا

وعلى نفس المنوال، أعلنت فرنسا على لسان وزير خارجيتها جان إيف لودريان، عن الشروط المسبقة للمجتمع الدولي للاعتراف بنظام حركة طالبان عقب سيطرتها على أفغانستان بعد عقدين على طردها منها. وهذه الشروط تتعلق أساسًا باحترام حقوق المرأة، وعدم إعاقة خروج اللاجئين الأفغان، ومنع عودة الإرهاب، وتسهيل وصول المساعدات، وأيضا تشكيل حكومة انتقالية. وفي المقابل، حذر لودريان طالبان من أنهم إذا لم يلبوا هذه المطالب "فسيكونون منبوذين من المجتمع الدولي"[١٣].

٣- روسيا

أعلن وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف عن استعداد موسكو للمشاركة في مراسم تنصيب حكومة جديدة في أفغانستان بشرط أن تمثل جميع مكونات المجتمع الأفغاني، وأكد على أن "دعم عملية تشكيل حكومة تمثل المجتمع الأفغاني بكامل أطيافها، ومنها طالبان والمجموعات العرقية غير البشتونية؛ وهم الأوزبك والخزارة والهزارة والطاجيك"[١٤].

(٩) واشنطن: من السابق لأوانه الاعتراف بنظام "طالبان"، روسيا اليوم، ٢٧ أغسطس٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/gzZv9

(١٠) أفغانستان.. طالبان تجري مشاورات لتشكيل حكومة وبايدن يضع شروطا "صعبة" لمنحها الشرعية ومباحثات بين بوتين وأردوغان، الجزيرة نت، ٢١ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/uDLWr

(11) US lays out conditions for recognising a new Afghan gov't, Al Jazeera English, 16 August 2021, accessed: 20 December 2021, available at: https://cutt.us/3mB24

(١٢) "انتهت مهمتنا".. واشنطن تحدد شروط الاعتراف والتعامل مع حكومة طالبان، مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الإعلامي، ٣ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ko5P0

(١٣) فرنسا تعلن خمسة شروط مسبقة للمجتمع الدولي للاعتراف بنظام طالبان في أفغانستان، فرانس ٢٤، ١٩ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/0T2Al

(١٤) لافروف يكشف عن شرط مشاركة روسيا في تنصيب حكومة أفغانستان الجديدة في ظل "طالبان"، روسيا اليوم، ٦ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/k7tbt

وواضح التركيز الروسي ضمن كافة الأطياف على وجود تمثيل للأوزبك -حلفائها- في الحكومة الجديدة.

٤- كندا

حدَّدت الحكومة الكندية خمسة شروط لوجود التزام رسمي مع نظام حركة طالبان؛ فهي لن تعترف بالحركة –نظرًا لتصنيفها كحركة إرهابية- إلا بناء على هذه الشروط. والشروط هي: توفير ممرٍ آمن للمواطنين الكنديين والأفغان الذين يغادرون أفغانستان، ووصول المساعدات الإنسانية دون قيود، واحترام حقوق الإنسان بما في ذلك حقوق النساء والفتيات، وتشكيل حكومة "شاملة" في أفغانستان تتمثَّل فيها النساء والأقليات العرقية والدينية، ورفض السماح للجماعات الإرهابية بالاحتماء في أفغانستان لتنظيم وشنِّ هجمات خارج الأراضي الأفغانية. وأعلنت المتحدثة باسم وزارة الشئون الخارجية الكندية أن "الالتزام الرسمي" يعني "علاقة دبلوماسية رسمية"[١٥].

٥- إيران

ومن جانبها، أعلنت إيران -على لسان رئيس المجلس الاستراتيجي للعلاقات الخارجية الإيرانية كمال خرازي- أنه إذا أثبتت حركة طالبان جديتها من خلال تشكيلها "حكومة شاملة"، وأنها تلتزم بضمان حقوق القوميات والأقليات المختلفة، وعدم السماح للقوى الأجنبية بالتدخل في أفغانستان، فإن الجمهورية الإيرانية الإسلامية سترحب بها[١٦]. ومثل الروس بدا واضحا أن الإيرانيين يقصدون من وراء ذلك ضرورة الحضور الشيعي في الحكومة الطالبانية؛ تمشيًا مع السياسة الخارجية الإيرانية ذات الأساس الطائفي الواضح؛ والتي تُعنى بتعزيز موقع الشيعة في الإقليم المحيط بإيران؛ سواء في العالم العربي أو في الشرق الإسلامي.

٦- باكستان

نظرًا للعلاقة الخاصة بين باكستان وأفغانستان وبالأخصِّ طالبان، لم تضع باكستان شروطًا للاعتراف بطالبان، إلا أنها -عقب صعود الحركة إلى سدة الحكم في أفغانستان- أعلنت أنها لا تستعجل في مسألة الاعتراف بإدارة طالبان في كابول، بل تتخذ القرار بعد التشاور اللازم مع الدول الإقليمية الصديقة؛ وهي كل من: الصين وإيران وروسيا؛ لأنها تشعر بأهمية التنسيق الإقليمي في هذا الشأن[١٧].

٧- الدول العربية

أما على صعيد الدول العربية فلم تعلن عن الشروط التي فرضتْها الدول الغربية من أجل الاعتراف بطالبان، وفي الوقت ذاته لم تقم أي دولة بتجاوزها. فقد تراوحت ردود الأفعال العربية على الوصول الطالباني إلى الحكم بين الترقب والحذر؛ حيث بدت أكثر الدول العربية في موقع المنتظِر للخطوات التالية سواء من طالبان أو ما بين طالبان والغرب، وذلك باستثناء دولة قطر التي احتفظت بعلاقات خاصة مع الحركة كونها الوسيط المباشر بينها وبين الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث صرح مُطلق القحطاني، المبعوث الخاص لوزير الخارجية القطري لمكافحة الإرهاب والوساطة في تسوية المنازعات، بأن الدوحة لا تنظر إلى الاعتراف بحكومة حركة طالبان، كـ"أولوية"، لكن التواصل معها يظل مهمًّا[١٨].

ويبدو من التركيز الدولي على الاعتراف بحكومة طالبان والشروط الموضوعة لذلك، أنها ترى أن كلًّا من الاعتراف الدولي

(١٥) كندا تبلغ طالبان "شروطها" الخمسة، راديو كندا، ٤ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/O8ss9

(١٦) مجلس العلاقات الخارجية الإيرانية: تشكيل حكومة أفغانية شاملة شرط للترحيب بطالبان، قناة إيران انترناشيونال، ٢٦ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/rWjG6

(١٧) باكستان: لن نعترف بحكومة طالبان قبل التنسيق مع الدول الصديقة، سبوتينك عربي، ١٨ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/FHsaO

(١٨) مسؤول قطري: الاعتراف بحكومة طالبان "ليس أولوية" بالنسبة لنا، سي إن إن العربية، ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/oAY4V

والمساعدات المالية هما الوسيلتان المناسبتان للضغط على طالبان من أجل عدم خروجها على ما يمكن تسميته بالشرعية الدولية، خاصة دعم طالبان للحركات التي تراها تلك القوى إرهابية.

وعلى الجانب الآخر، فقد أكدت حركة طالبان منذ استيلائها على السلطة في كابول ١٥ أغسطس، وقبل أن تتوالى عليها قائمة الاشتراطات الدولية، أنها ستعمل على تشكيل "حكومة وطنية" تضم فئات المجتمع، وستحترم حقوق الأقليات وحرية الإعلام، وستضمن استمرار عمل المرأة وبقائها في التعليم، وأنها لن تمنع من يريد مغادرة البلاد، وأنه لا مكان على أرض أفغانستان لحركات إرهابية. وبالفعل قامت بتنفيذ بعض من هذه التعهدات منذ أول يوم؛ فقد سمحت -بل ساعدت- في رحيل من شاء من الأفغان المتعاونين سابقًا مع قوات التحالف الدولي عبر الرحلات التي استمرَّت لأكثر من أسبوعين، كما سمحت للأقلية الشيعية بممارسة شعائرها الدينية في ذكرى عاشوراء، وسمحت بعقد مؤتمرات في وجود صحفيات، وسمحت للنساء بالعودة للعمل في بعض المهن[١٩].

وتسعى طالبان للاعتراف الدولي بها لأسباب تتعلق بالاندماج في النظام المالي العالمي والقدرة على الوصول لاحتياطات البنك المركزي الأفغاني المجمَّدة في الولايات المتحدة، وموارد صندوق النقد الدولي (بما في ذلك حوالي ٤٤٠ مليون دولار في شكل احتياطي نقدي)؛ إذ تعتمد ٧٠% من ميزانية البلاد على المساعدات الخارجية، وتواجه الدولة حاليًا فقدان قيمة العُملة وانهيار نظامها المالي وتراجع الواردات، والعجز عن دفع رواتب معظم الأطباء والمعلمين وحوالي نصف مليون موظف حكومي، وارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية، وانتشار الجوع، وصعوبة استيراد الأدوية، ويتوقَّع صندوق النقد أن يتقلَّص الناتج المحلي الإجمالي للدولة بنسبة ٣٠% هذا العام، وحذَّرت الأمم المتحدة من شبح مجاعة يهدد البلاد. هذا فضلًا عن رغبتها في اكتساب شرعية اختيار ممثلي الدولة في الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية الأخرى، وإيفاد السفراء، والدخول في مفاوضات دولية واتفاقات قانونية، وتمتع قادتها الحكوميين بالحصانة الدبلوماسية خارجيًّا دون التعرض لخطر الاعتقال[٢٠].

ورغم ملاحظة تغيرات في الخطاب الطالباني ما بعد العودة؛ سواء خطاب التعهدات تجاه المجتمع الدولي أو تجاه المجتمع الأفغاني وقواه بما فيهم أعضاء الحكومة السابقة والمتعاونين مع قوى الاحتلال المنسحبة، فقد صرحت قيادات الحركة بأنها لن تتنازل عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وأنها على استعداد لتغيير ممارساتها في إطار ما لا يخالف الشريعة الإسلامية؛ ومن ذلك ما يتعلق بحقوق المرأة على وجه الخصوص؛ نظرًا لإلحاح الخطاب الغربي على هذا الأمر. لكن خطاب التعهُّدات التسامحي هذا وُوجِهَ بمقولة دولية حظيت بشبه إجماع وهي أن العالم لن ينظر في أقوال طالبان إنما سينتظر وينظر فقط في ممارساتها! في إشارة واضحة إلى عمق حالة الترقب وعدم الثقة الدولية في سلطة الحركة ومستقبلها.

ثالثًا- تشكيل حكومة تصريف أعمال طالبانية

دخلت طالبان في مناقشات حول تشكيل الحكومة عقب الانسحاب الأمريكي في أغسطس الماضي، وبعد تأجيل إعلانها لأكثر من مرة، أعلنت طالبان في ٧ سبتمبر قيام أو عودة "إمارة أفغانستان الإسلامية"؛ بدلا من "جمهورية أفغانستان الإسلامية" التي قامت على دستور ٢٠٠٤، ثم أعلنت تشكيل ما وصفته بحكومة "تصريف الأعمال"، لحين إعلان تشكيل حكومة جديدة دائمة، ولم تُعلن الحركة موعدًا لتشكيل هذه الحكومة الدائمة[٢١]. وفي تشكيل الحكومة المؤقتة جاء اسم الملا

(١٩) رانيا مكرم، الاعتراف المشروط: هل ينجح المجتمع الدولي في إعادة تأهيل "طالبان"؟، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ٩ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/H3Qys

(٢٠) ماري ماهر، شروط مُؤهِّلة.. مستقبل الاعتراف الدولي بحكومة طالبان، المرصد المصري، ٣ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/OXh06

(٢١) للمزيد حول تشكيل حكومة طالبان المؤقتة، انظر:

محمد حسن آخند، أحد مؤسسي الحركة، رئيسا للحكومة، وكان قد شغل منصب نائب وزير الخارجية بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١، عندما كانت الحركة في السلطة. ويستمد آخند وضعه الاعتباري داخل الحركة من كونه من الرعيل الأول لطالبان، وعمله إلى جانب مؤسسها الراحل الملا محمد عمر، وهو مقرَّب للغاية من هبة الله آخند زاده الزعيم الروحي الحالي لطالبان. ولكن اللافت في إطار الموقف الدولي من طالبان أن اسم محمد حسن آخند مدرج على لائحة سوداء للأمم المتحدة[٢٢].

وجرى تسمية كلٍّ من الملا عبد الغني برادر، والملا عبد السلام حنفي، نائبين لرئيس الحكومة. وكان برادر القائد العسكري لطالبان عندما أُلقي القبض عليه عام ٢٠١٠ في كراتشي بباكستان، حيث كان يخطط لهجمات على القوات الأمريكية في أفغانستان، وقد أطلق سراحه في ٢٠١٨ بضغط من واشنطن، ثم قاد من الدوحة المفاوضات مع الأمريكيين التي انتهت بتوقيع اتفاق الانسحاب في ٢٠٢٠، وأشرف على توقيعه[٢٣].

وتم تعيين الملا يعقوب محمد عمر؛ نجل مؤسس حركة طالبان والزعيم الأعلى الراحل الملا عمر، وزيرًا للدفاع. وقد برز لأول مرة عام ٢٠١٥ عندما دعا، في رسالة صوتية نُشرت بعد وفاة والده، إلى الوحدة داخل الحركة المسلحة، وكان يترأس اللجنة العسكرية التي حددت لسنوات التوجهات الاستراتيجية في الحرب الطالبانية ضد الحكومة الأفغانية[٢٤]. بينما يشغل منصب وزير الداخلية في الحكومة سراج الدين حقاني، زعيم جماعة حقاني المسلحة، المرتبطة بحركة طالبان والتي كانت وراء بعض أكثر الهجمات عنفًا طيلة العقدين الماضيين؛ وهي مصنَّفة بوصفها جماعة إرهابية، وزعيمها مطلوب من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي.

وسُمِّيَ أمير خان متقي، وزيرا للخارجية؛ وهو زعيم بارز شارك في المفاوضات مع الولايات المتحدة بشأن انسحابهم، وعيَّنت الحركة كلًا من هداية الله بدري لوزارة المالية بالوكالة، وعبد الحكيم شتي وزيرًا للعدل بالوكالة، وعبد الحق واثق لرئاسة جهاز الاستخبارات[٢٥].

وأعلن المتحدث الرسمي باسم الحركة ذبيح الله مجاهد في تصريح له أنه جارٍ استكمال باقي الحقائب الوزارية، وأن الوزارات المعلنة هي الأكثر أهمية لتسيير الأعمال. وفي ٢١ سبتمبر أعلن ذبيح الله -الذي أصبح نائب وزير الثقافة والإعلام في حكومة طالبان- عن ضم وزراء جدد في الحكومة المؤقتة بما في ذلك شخصيات تنتمي إلى "الأقليات"؛ مشيرا إلى أن التعيينات الجديدة تمت بتوجيهات من زعيم الحركة هبة الله آخند زاده. وشملت التعيينات تعيين خمسة عشر مسئولا؛ بينهم وزيران بالإنابة هما نور الدين عزيزي للتجارة، وكالندار عباد وزيرًا للصحة، وعشرة نواب لوزارات مختلفة، إضافة إلى ثلاثة مسئولين آخرين[٢٦].

وقال مجاهد إن حفل التنصيب المخطط للحكومة قد تمَّ إلغاؤه؛ لأن حركة طالبان تريد إعادة الوزارات والمديريات إلى

- طالبان تعلن تشكيل حكومتها «المؤقتة» في أفغانستان، الإمارات اليوم، ٧ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/nYeXL

- عبد الجبار أبو رأس، أفغانستان.. "طالبان" تعلن تشكيل حكومة تصريف أعمال، وكالة الأناضول، ٧ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/7ZsTn

(٢٢) أفغانستان: من هم الوزراء الذين سيشكلون نواة حكومة طالبان الجديدة؟، فرانس ٢٤، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/KTYwO

(٢٣) أفغانستان تحت حكم طالبان: الحركة تعلن تشكيل حكومة تصريف أعمال في أفغانستان، بي بي سي العربية، ٧ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/A4PFK

(٢٤) المرجع السابق.

(٢٥) بالأسماء.. طالبان تعلن تشكيل حكومة تصريف أعمال أفغانية، موقع الحرة، ٧ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/tmNW0

(٢٦) خالد الشامي، المتحدث باسم «طالبان» يعلن ضم وزراء جدد في الحكومة المؤقتة من «الأقليات»، المصري اليوم، ٢١ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/YKu4m

العمل في أقرب وقت ممكن، وأكد على أن التعيينات الجديدة شملت ممثلين من الأقليات خاصة أقلية الهزارة الشيعية؛ واستشهد بتعيين محمد حسن غياسي، نائبا لوزير الصحة العامة بالإنابة، من الهزارة التي تشكل ما بين ١٠ إلى ٢٠% من إجمالي نحو ٤٠ مليون نسمة هم سكان أفغانستان[٢٧].

وثمة دلالات جديرة بالإشارة إليها في ضوء هذا التشكيل الحكومي:

– فيتضح من تشكيل الحكومة -بصورته الحالية- هيمنة قيادات الحركة على المواقع الوزارية المهمة؛ بدءًا من تولي زعيم الحركة، الملا هبة الله آخند زاده، موقع "الزعيم الديني" لأفغانستان، وتولي النواب الثلاثة لزعيم الحركة؛ الملا عبد الغني برادر، والملا سراج الدين حقاني، والملا يعقوب محمد عمر، مناصب مهمة داخل الحكومة، كما أُسند منصب القائم بأعمال رئيس الحكومة ذاته إلى رئيس مجلس قيادة الحركة الملا محمد حسن آخوند.

– ومن جانب آخر، يمكن ملاحظة أن هناك شكلا من أشكال الامتداد التاريخي للحكومة المعلنة مع آخر حكومة لطالبان الأولى قبل انهيار نظامها عام ٢٠٠١؛ حيث تولى عدد من أعضاء الحكومة الحالية مواقع وزارية داخل حكومة ما قبل ٢٠٠١.

– ومن جانب ثالث، يشير تعيين سراج الدين حقاني في منصب وزير الداخلية إلى مركزية موقع جناح جماعة حقاني في الحركة؛ بينما يُتَّهم هذا الجناح بأنه شبكة قائمة على التنظيمات الإرهابية، فضلًا عن علاقات تاريخية له بتنظيم القاعدة؛ خاصة في ظل الثقل الذي تتمتَّع به الشبكة داخل الحركة؛ سواء على خلفية عدد مقاتليها (حوالي ١٠ آلاف مقاتل)، أو الدور المهم الذي لعبته خلال مرحلة مقاومة الاحتلال الأمريكي؛ ما أعطى لها وزنًا كبيرًا في عملية صنع القرار داخل الحركة، كما أن طالبان لا تزال بحاجة لمثل هذه القوة خلال المرحلة القادمة على خلفية استمرار عمليات التمرد الداخلي المحتملة من قبل بعض القوى المعارضة –على نحو ما حاول أحمد مسعود ابن الزعيم الشمالي الراحل أحمد شاه مسعود في وادي بانجشير- أو المواجهة المؤكدة مع تنظيم داعش التي اشتعلت مبكرا وقبيل إتمام الانسحاب الأمريكي[٢٨].

– ومن جانب رابع، يتضح من التشكيل أنه تم تجاوز الحكومات السابقة التي صعدت بعد الاحتلال الأمريكي؛ وذلك بالرغم من الاجتماعات التي عقدتها طالبان مع شخصيات مثل الرئيس السابق حامد كرزاي أو رئيس جهود المصالحة عبد الله عبد الله، والتي حظيت بالإشادة العلنية من بعض الجهات[٢٩].

– ومن جانب خامس، استبعدت حركة طالبان الأفغانية النساءَ من أي مناصب وزارية في هذه الحكومة[٣٠]، وتمَّ إلغاء وزارة شئون المرأة، وعودة وزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحلَّ محلَّها[٣١]؛ حيث أُزيلت اللافتة التي كانت تحمل اسم وزارة المرأة

(٢٧) طالبان تعلن توسيع حكومتها بوزراء ومسؤولين جدد، سبونتيك عربي، ٢١ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/6TLf4

(٢٨) د. محمد فايز فرحات، قراءة في تشكيل حكومة طالبان لتصريف أعمال، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/FUixn

(٢٩) د. علي دريج، قراءة في حكومة "طالبان" المؤقتة: عودة الحرس القديم وحصَّة لقطر، العهد الإخباري، ١٧ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Nm7dG

(٣٠) أفغانستان: طالبان تعلن باقي تركيبة حكومتها وتستبعد منها النساء، فرانس ٢٤، ٢١ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/riDiU

(٣١) تشكيل حكومة طالبان يحيي الشك في التزام الحركة بتعهداتها، موقع ٢٤، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/jFM28

من مبنى الوزارة، ووضعت مكانها لافتة مكتوب عليها وزارة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٣٢].

قد تشير الجوانب السابقة إلى نهج أكثر تشدُّدًا مما كان ينتظره المجتمع الدولي من الحركة بعد خطاب التعهدات التسامحي، وتصريحات قادة الحركة لطمأنة المجتمع الدولي بأن الحركة تنتهج نهجًا أكثر اعتدالًا عمَّا كانت عليه في التسعينيات. ولكن الشيء المؤكد فيما تشير إليه هذه الجوانب هو رغبة الحركة في السيطرة التامة على البلاد؛ حيث تمَّ إيكال الوزارات الرئيسية إلى أهل الثقة القوية من قادة الحركة نفسها.

رابعًا- المواقف من الحكومة الطالبانية

بناء على ما تقدَّم، واجه تشكيل حكومة "تصريف الأعمال" المؤقَّتة ردود أفعال شديدة خاصة مع سيطرة قادة الحركة على معظم الوزارت الأساسية في الحكومة، ويمكن الإشارة إلى أبرز المواقف من الحكومة الطالبانية:

١- <u>الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي:</u>

علقت المتحدثة باسم البيت الأبيض جين ساكي، على تشكيل طالبان لحكومتها بأن الولايات المتحدة لم تعترف بالحكومة التي أعلنت عنها حركة طالبان في أفغانستان[٣٣]، ومن جانبها صرَّحت وزارة الخارجية الأمريكية على لسان المتحدث الرسمي نيد برايس في بيان صدر يوم ٧ سبتمبر: "نلاحظ أن قائمة الأسماء المعلنة تتكوَّن حصريا من أفراد من حركة طالبان، أو المقربين منهم، ولا وجود للنساء فيها"[٣٤]، وأضاف برايس أن بلاده تشعر بقلق من "الانتماءات" لبعض الأشخاص الذين عينتهم "طالبان" لتولي مناصب محورية في حكومتها[٣٥].

وانتقد الاتحاد الأوروبي الحكومة التي شكَّلتها طالبان؛ معتبرًا أنها ليست "شاملة" ولا "ممثلة" للتنوع الإثني والديني في البلاد. وقال ناطق باسم الاتحاد الأوروبي في بيان: "لا يبدو أن التشكيلة الحكومية شاملة وممثلة للتنوع الإثني والديني الغني في أفغانستان الذي كنا نأمل بأن نراه ووعدت به طالبان خلال الأسابيع الأخيرة"، وأشار المتحدث إلى أن ذلك كان "أحد الشروط الخمسة الموضوعة" لإقامة علاقات بين التكتل الأوروبي والسلطة الأفغانية الجديدة[٣٦].

ومن جانبها أعربت وزارة الخارجية الفرنسية عن أسفها من أن "الأفعال غير متطابقة مع الأقوال"؛ تعليقًا على تشكيل الحكومة الأفغانية المؤقتة التي تضم حرس طالبان القديم وتغيب عنها النساء خلافًا لتعهُّد النظام بالانفتاح. ورأت فرنسا أنه "لم يتم تلبية متطلبات المجتمع الدولي"[٣٧].

وعلى الرغم من عدم الاعتراف بحكومة طالبان وسلطتها الجديدة، فقد جرت لقاءات بين ممثلي الولايات المتحدة وعشر دول أوروبية والاتحاد الأوروبي من جهة وقادة الحركة من جهة أخرى، في العاصمة القطرية: الدوحة، خلال التاسع والعاشر من أكتوبر الماضي. وقد ركز الوفد الأمريكي خلال اللقاء على بعض الملفات البارزة؛ منها: الأمن والإرهاب وحقوق الإنسان، وشدَّد على ضرورة التزام مسئولي طالبان بالأولوية التي أكَّد عليها

---

(٣٢) أفغانستان: حركة طالبان تلغي وزارة شؤون المرأة وتستبدلها بوزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرانس ٢٤، ١٧ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/uQTbY

(٣٣) روسيا تتوقع تشكيل "حكومة شاملة" في أفغانستان: مفتاح السلام، العين الإخبارية، ١٠ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ztS5b

(٣٤) واشنطن قلقة من الحكومة الجديدة التي تضم "مطلوبين" للعدالة، موقع إيلاف، ٩ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Msbxt

(٣٥) الولايات المتحدة تعلق على تشكيل "طالبان" حكومة جديدة في أفغانستان، روسيا اليوم، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/nXcqC

(٣٦) الاتحاد الأوروبي يستنكر تشكيل طالبان حكومة لا تمثل التنوع في البلاد، موقع يورونيوز، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/az374

(٣٧) الغربيون يشككون بحكومة طالبان الجديدة في أفغانستان، موقع ٢٤، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/17HW4

الرئيس الأمريكي جو بايدن بضرورة السماح للمواطنين الأمريكيين وحلفائهم الأفغان بمغادرة أفغانستان[٣٨].

ولم يكن هذا اللقاء هو الوحيد بين الطرفين؛ حيث عقد اللقاء الثاني في نهاية نوفمبر الماضي في الدوحة بين وفد أفغاني يرأسه وزير الخارجية أمير خان متقي ووفد أمريكي يرأسه الممثل الخاص لأفغانستان توماس ويست؛ ومن جانبه أعرب متقي في تصريح له عن أن مناقشات الدوحة مع الجانب الأمريكي شملت طبيعة علاقة الحكومة المؤقتة مع المجتمع الدولي، والأزمة الاقتصادية في أفغانستان والإفراج عن أموالها المجمدة، وتجديد التزامات الجانبين، ومناقشة المخاوف التي تعوق تقدم العلاقات[٣٩]، وركزت الأجندة الأمريكية في تلك المناقشات على وفاء حركة طالبان بالتزامها العلني بعدم السماح لأي شخص بتشكيل تهديد ضد أي دولة من الأراضي الأفغانية، وتوفير ممر آمن للمواطنين الأمريكيين والأفغان الذين يريدون الخروج من أفغانستان، وحماية حقوق كافة المواطنين الأفغان، بمن فيهم النساء والفتيات والأقليات[٤٠].

وقد شملت اللقاءات والمفاوضات بين الحكومة الطالبانية وبين دول أوروبية عدة لقاءات في كابول وليس الدوحة فقط؛ حيث أجرى دبلوماسيون ألمان وهولنديون رفيعو المستوى أول محادثات مع طالبان منذ سيطرة الحركة على البلاد في العاصمة الأفغانية كابول في ١٨ نوفمبر الماضي، وتركزت المحادثات على الوضع الإنساني، كما تعهدت طالبان بضمان "الوصول الآمن" للعاملين في المجال الإنساني[٤١].

٢- <u>موقف دول الإقليم والجوار</u>

لم تعترف أي من الدول الإقليمية أو دول الجوار الافغانستاني بالحكومة الجديدة التي شكَّلتها حركة طالبان، لكن صدرت تصريحات مختلفة أغلبها يصب في ذات الموقف المستريب والمعترض. لكن بعض القوى حرصت على تشجيع الحركة وحكومتها؛ ومن هذه الدول: الصين، التي صرح المتحدث باسم وزارة خارجيتها وانغ ون بين بأن بكين تعتبر أن تشكيل الحكومة يُنهي أكثر من ثلاثة أسابيع من الفوضى في أفغانستان، وتعد خطوة ضرورية لاستعادة النظام وإعادة البناء[٤٢].

وعلى الصعيد الروسي، أعلن المتحدث باسم الكرملين دميتري بيسكوف "أن الكرملين لا يخطِّط على الفور لإجراء محادثات مباشرة مع حكومة تصريف الأعمال الجديدة في أفغانستان"، حيث إن ثمة اعتراضا روسيا فيما يتعلق بتمثيل الأقليات في الحكومة؛ حيث صرح بوتين أن حكومة طالبان الانتقالية غير شاملة، ولا تمثل كل الأطراف وفي البلاد إلا أنه أكد على الحاجة للعمل معها[٤٣]، وهو في ذلك يشير إلى ضرورة مشاركة أقلية الأوزبك -حلفاء روسيا- في الحكم.

أما بالنسبة لباكستان، التي غالبًا ما تواجه اتهامات بدعم طالبان، فقد أكَّدت -كما تقدَّم في موقفها من رجوع الحركة للحكم والاعتراف الدولي بها- أنها لن تتَّخذ قرارا من جانب واحد

---

(٣٨) أول محادثات وجها لوجه بين واشنطن وطالبان منذ الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، فرانس ٢٤، ١١ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/lrmsP

(٣٩) طالبان: سنناقش مع واشنطن في الدوحة فتح صفحة جديدة، الخليج أونلاين، ٢٥ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/OKUJQ

(٤٠) اجتماع وفد أمريكي مع ممثلين عن حركة طالبان، وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب المتحدث باسم وزارة الخارجية، ٣٠ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/lC9Xr

(٤١) أول محادثات ألمانية مع طالبان في كابول بشأن الوضع الإنساني، موقع DW، ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/N9ARk

(٤٢) وزارة الخارجية الصينية: تشكيل الحكومة المؤقتة في أفغانستان خطوة ضرورية لاستعادة النظام داخل البلاد، موقع CGTN، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/lXTTn

(٤٣) صيغة موسكو: قرار بالعمل مع طالبان من أجل الاستقرار الإقليمي، العربية، ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/xOaah

بشأن الاعتراف بحكم طالبان، وأنها تفضل نهجًا جماعيًا مع الدول الإقليمية[٤٤].

وعلى الصعيد الإيراني، أعلن المتحدث باسم الخارجية الإيرانية أن السلام في البلد الجار مشروط بتشكيل حكومة شاملة تعكس التكوين العرقي والديمغرافي[٤٥]، وتركز إيران بشكل كبير على إشراك الأقليات في الحكومة نظرًا لوجود الأقلية الشيعية التي تدعمها. فتاريخيًا توجد صراعات بين طالبان والهزارة الشيعية في أفغانستان، وبناء على ذلك عقدت إيران في أكتوبر الماضي مؤتمر "جيران أفغانستان" والذي حضرته الصين وباكستان وطاجيكستان وتركمانستان وأوزبكستان ولكن لم يتم دعوة طالبان لحضور الاجتماع، وركَّز هذا المؤتمر على تأليف حكومة شاملة في أفغانستان تجمع كل الطوائف، وأكَّد هذا المؤتمر على مسئولية طالبان عن أمن المواطنين الأفغان وضمان الأمن في حدودها مع الجيران، وتحقيق السلام والاستقرار من خلال اعتماد مبدأ الحوار بين الأطراف كافة[٤٦]. ومن جانبها رفضت طالبان حضور هذا اللقاء واعتبرت أن الدعوة الإيرانية لتشكيل حكومة شاملة تدخلا في شأن أفغانستان الداخلي[٤٧].

ومن ثم يمكن ملاحظة التفاوت بين مواقف تلك المجموعة الإقليمية وبين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي؛ فلم يكن رفضهم للحكومة الأفغانية قاطعًا أو مصادمًا. فثمة انفتاح أكبر للتفاوض وربما الاعتراف بالحكومة، ويتضح ذلك بشكل أكثر صراحة مع اجتماع "صيغة موسكو"[٤٨] الذي عقد حول الوضع في أفغانستان وشاركت فيه طالبان بممثلين عنها. عقد هذا الاجتماع في ٢٠ أكتوبر بمشاركة عشر دول هي: روسيا وباكستان وإيران وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان وكازاخستان وقرغيزستان والصين والهند، بالإضافة إلى وفد من الحكومة الأفغانية، وكان الهدف المعلن لاجتماع صيغة موسكو التباحث بشأن الأوضاع السياسية والعسكرية في أفغانستان، وقد كانت فرصة لوفد حكومة أفغانستان لتوضيح موقف الحكومة الجديدة من القضايا المثيرة للقلق لدى دول المنطقة والمجتمع الدولي[٤٩].

---

(٤٤) "علها الوفاء بوعودها".. تشكيك غربي بحكومة طالبان الجديدة، موقع DW، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Z70Z5

(٤٥) هل تقيم إيران علاقات دبلوماسية مع طالبان؟، فرانس ٢٤، ١ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/DUkpG

(٤٦) للمزيد حول مؤتمر "جيران أفغانستان"، انظر:

- البيان الختامي لمؤتمر طهران: حكومة أفغانية شاملة.. والبدء بحوار وطني، موقع المدينة، ٢٧ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/L2LdA

- يقام في طهران.. طالبان لن تحضر اجتماع "جيران أفغانستان"، العربية، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/A2Meh

(٤٧) للمزيد حول رفض طالبان حضور مؤتمر جيران أفغانستان، انظر:

- قيادي في طالبان يهاجم إيران: دولة ديكتاتورية تقمع الأقليات، موقع الوطن، ٣ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٤ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/yH2rz

- طالبان ترفض المشاركة في مؤتمر طهران، مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٤ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/TY7lN

(٤٨) صيغة موسكو عبارة عن إطار لاجتماعات تناقش الشأن الأفغاني، يشارك فيها ممثلون لبعض الدول المهتمة بهذا الشأن، إضافة إلى فصائل وشخصيات أفغانية بما فيها طالبان، وقد انطلقت صيغة موسكو في عام ٢٠١٧ برعاية روسيا، ومنذ ذلك الوقت وفَّرت صيغة موسكو فرصة لعقد ٣ دورات من هذه الاجتماعات.

(٤٩) للمزيد حول الاجتماع الثالث من صيغة موسكو، انظر:

- محادثات موسكو بشأن أفغانستان.. رسائل متقاطعة وفوائد لطالبان وغياب قوى فاعلة، الجزيرة نت، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/PCoa4

- روسيا: سنبحث تشكيل حكومة شاملة في أفغانستان، العربية، ١٩ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/VlEpM

وخرج عن هذا اللقاء عدَّة مطالب كانت موجَّهة إلى كلٍّ من الحكومة الطالبانية الجديدة والأمم المتحدة: فأولًا جرت مطالبة الحكومة الأفغانية بتبني سياسات داخلية وخارجية معتدلة ونهج ودي تجاه دول الجوار، وأن تفي بتعهداتها في مجال احترام حقوق الإنسان والتعددية السياسية لكي تتمكن من نيل اعتراف المجموعة الدولية. وثانيا اقترح الاجتماع على الأمم المتحدة إطلاق مبادرة جماعية لعقد مؤتمر دولي واسع النطاق للمانحين تحت رعاية أممية في أقرب وقت ممكن للحد من الأزمة الإنسانية والاقتصادية بافغانستان(٥٠).

خاتمة:

استطاعت طالبان السيطرة على كامل الأراضي الأفغانية عكس ما هو متوقع من قبل القوى الدولية خاصة الولايات المتحدة؛ مما جعل تلك القوى في مأزق التعامل مع حكم طالبان -وهي القوى التي قامت بمحاربة الحركة طوال عقدين كاملين باعتبارها حركة إرهابية وتدعم التنظيمات الإرهابية الدولية مثل تنظيم القاعدة- وأصبح السؤال المطروح هو: كيف يمكن لتلك الدول قبول انخراط طالبان في الساحة الدولية، لذلك وقبل تشكيل الحكومة الأفغانية ظهرت اشتراطات من قبل المنظمات الدولية والدول الكبرى لتحدِّدَ لطالبان المتوقَّع والمطلوب منها إذا أرادت الحصول على الشرعية الدولية والاعتراف بأن الحركة لها السيطرة على كامل الأراضي الأفغانية، تمثلت تلك الشروط في خمس عناصر أساسية تدور في مجموعها حول تغيير نهج الحركة المتشدِّد حسب رؤى تلك القوى.

أما على الصعيد الإقليمي، فهناك العديد من القوى الإقليمية التي ترى في صعود طالبان تهديدًا لمصالحها الإقليمية وتضغط من أجل "حكومة ائتلافية" تمثل فيها الأقلية التي تدعمها تلك القوة الإقليمية؛ فروسيا ترغب في وجود الأوزبك في الحكومة، وطاجيكستان ترغب في الطاجيك، وإيران ترغب في وجود الهزارة في الحكم، ويجمعهم الخوف من الحركات العنيفة واستغلالها لحكم طالبان، خاصة بقايا تنظيم داعش التي قد تنطلق من الأراضي الأفغانية، بالإضافة إلى الطموحات الصينية والمخاوف الهندية، مما يضع حركة الحركة ضمن معادلات إقليمية شائكة تفرض عليها العديد من التحديات والتهديدات التي تتطلَّب مرونة سياسية عالية من الحركة.

وعلى الجانب الآخر تواجه طالبان العديد من التحديات السياسية والأمنية في الداخل الأفغاني أدَّت إلى تشكيل حكومتها من القادة الذين تثق بهم الحركة، وهو ما عُدَّ إغفالًا مبكرًا للاشتراطات الدولية، ويعبِّر عن وطأة التحديات الداخلية. فهناك قوى متعدِّدة على الأرض لا تزال تمثل تحديًا للهيمنة الطالبانية، وثمة تهديدات من تنظيم داعش تحاول الحركة السيطرة عليها خاصة أن منع الهجمات الإرهابية من الأراضي الأفغانية هو أبرز شروط المجتمع الدولي وهو ما تؤكِّد طالبان كل يوم تعهُّدها به. هذا بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية والإنسانية التي تواجهها أفغانستان حاليًّا؛ حيث إن أرصدتها مجمدة في البنوك الأوروبية والأمريكية لعدم تحقُّق الاعتراف بالحكومة الطالبانية حتى الآن؛ مما يهدِّد البلاد بأزمة غذائية وإنسانية وشيكة ومن ثم يضع الحركة أمام وضعية داخلية بالغة الخطورة تؤثر على استقرار البلاد وسلامتها.

*****

(٥٠) للمزيد حول نتائج اجتماع صيغة موسكو، انظر:

- البيان الختامي لـ"صيغة موسكو" حول أفغانستان، سكاي نيوز عربية، ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/QlIwT

- «صيغة موسكو» تدعو طالبان لتبني سياسات معتدلة، البيان، ٢١ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/BBH8Z

- اجتماع موسكو يدعو الأمم المتحدة لتنظيم مؤتمر مانحين لأفغانستان، وكالة الأناضول، ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/svcXd

مواطن التحدي الداخلية لاستقرار حكم طالبان

أحمد خلف(*)

مقدمة:

أفغانستان واحدة من أفقر دول العالم، في عام ٢٠٢٠ كان ما يقرب من نصف السكان يعيشون تحت خط الفقر، و١٩,١ مليون شخص يعانون من الجوع، مع ارتفاع في أسعار المواد الأساسية؛ حيث تشير تقارير إلى ارتفاع أسعار المحروقات والدقيق والفول والزيت بنسب تصل إلى ٦٣%، وواحد من كل ثلاثة أطفال تحت سن الخامسة ناقص النمو، كما أن تسعة من كل عشرة أفغان يعانون من نقص الغذاء، ويشكل الركود في القطاع المالي مشكلة لمنظمات الإغاثة. فضلًا عن توقُّف تلقِّي رواتب العاملين في العديد من القطاعات الأساسية بسبب التغير المفاجئ وانهيار السلطة وتجميد الأموال، تعاني أفغانستان أصلًا في قطاع العمل من عدم استقرار العمال في مهنهم ووظائفهم، تصل هذه النسبة إلى ٩ من ١٠ في الذكور وتقريبًا كل الإناث، اللاتي يعانين أصلًا في دخولهن سوق العمل، وهو ما يؤثر بصورة سلبية على الأسر التي تعولها النساء. ويقدَّر عدد الأشخاص المحتاجين لمساعدات إنسانية بحوالي ١٨,٤ مليون شخص، بما في ذلك ٩,٧ مليون من الأطفال، هناك حاجة لحوالي ٦,٦ مليون دولار حتى نهاية العام، لم يتوفر منهم في نوفمبر ٢٠٢١ أكثر من ٢٠%.

كما أن القطاع المالي برمَّته يعاني من الركود، حتى إن البنك المركزي لا يستطيع الوصول إلى احتياطياته في الخارج، وتشير التقديرات إلى أن طالبان لا يمكنها الوصول سوى إلى ٠,١ - ٠,٢ من تسعة مليارات دولار أمريكي من التمويل الدولي. أفغانستان دولة شابة؛ حيث يبلغ عدد من هم في سن العمل ٥٥,٥%، ويبلغ عدد من هم دون ١٥ عامًا ٤١,٨%، أما من تجاوز سنُّهم ٦٤ عامًا فتبلغ نسبتهم ٢,٦% فقط، الشباب هم من يشكِّلون عبئًا كبيرًا على السكان العاملين في البلاد. إذ إن نسبة الإعالة بلغت ٨٠,١% في عام ٢٠٢٠، وهي من بين أعلى المعدلات في العالم، هذا يعني أن كل شخص في سن العمل يجب أن يدعم ٠,٨ شخصًا أقل من ١٥ عامًا أو أكثر من ٦٤ عامًا. تحتل الدولة المرتبة الأخيرة على مؤشر السلام العالمي في عام ٢٠٢١. دفعت العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية وراء الهروب والهجرة داخل وخارج أفغانستان. وقد أدَّى انسحاب القوات الدولية وعودة طالبان والتراجع في مساعدات التنمية إلى تفاقم الوضع بصورة أكبر من ذي قبل، ويؤدِّي هذا الوضع إلى هجرة العديد من الأفغان؛ سواء داخل أفغانستان أو خارجها إن تمكَّنوا من المغادرة، ينتقل معظمهم إلى باكستان وإيران المجاورتين: والبلدان يستضيفان حاليًّا حوالي ٨٠% من المهاجرين الأفغان، في حين يتَّجه عدد قليل فقط إلى الدول الغربية. وصلت أفغانستان إلى المرتبة الثالثة عالميًّا في عدد اللاجئين بعد سوريا وفنزويلا، وفي مايو ٢٠٢١ كان عدد النازحين حوالي ٣٩٠ ألف شخص حوالي ٨٠% منهم من النساء والأطفال، ومنذ بداية العام يُقدَّر عدد النازحين بحوالي نصف مليون(١).

ويركز هذا التقرير على صورة الداخل الأفغاني من منظور (التحدي/ الاستجابة)، بعد أن سيطرت طالبان على السلطة في أفغانستان، وسقوط العاصمة الأفغانية كابل بيد مقاتليها في ١٥ أغسطس ٢٠٢١، من حيث أهم التحديات التي واجهت حكم طالبان في الفترة من ١٥ أغسطس إلى آخر نوفمبر ٢٠٢١؛

(*) باحث بمركز الحضارة للدراسات والبحوث.

(1) Clara Albrecht, Britta Rude and Tanja Stitteneder, Afghanistan's Free Fall - Return of the Taliban and Flight as a Last Resort, CESifo Forum, ifo Institute - Leibniz Institute for Economic Research at the University of Munich, November 2021, Vol. 22, Issue 6, pp. 47-56, available at: https://bit.ly/3mxAwuO

سواء سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أمنية؟ وذلك عبر استعراض لمحة تاريخية عن أثر التدخل الخارجي بواسطة الاحتلال الأمريكي في إفساد البيئة الداخلية الأفغانية والفشل في إدارة الدولة وموضع طالبان في هذا المشهد وكيفية صعودها، ثم استعراض طريقة طالبان في التعامل مع التحديات والصورة التي ترسمها عن نفسها، ثم تعقيب يتناول تقديرًا لهذه التحديات وتعامل طالبان معها.

أولًا- لمحة تاريخية عن التدخل الخارجي والفراغ الناشئ عن الانسحاب الأمريكي

يعد التدخل الخارجي في أفغانستان بالغزو والاحتلال ثم بالنفوذ بعد رحيل القوات الأمريكية وحلف شمال الأطلنطي من خلال الوكلاء والعملاء وإفساد الأوضاع، سببًا رئيسيًا في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المزْرية التي ترْزح تحتها أفغانستان الآن. أزال الاحتلال قبل عشرين عامًا الدولة الأفغانية البسيطة، ولم يتسرَّع في إنشاء غيرها كما حدث في بقاعٍ أخرى مثل كوسوفا والبوسنة والعراق، وحين قرَّر إنشاء دولة في أفغانستان يصنعها على عينه فإنه فشل فشلًا ذريعًا، بعد أن اعتمد على تصورات ساذجة عبر استيراد نماذج ظن أنها صالحة لإقامة الدولة الأفغانية ومجتمعها على النحو الذي يريد.

يقول الوزير البريطاني روري ستيوارت وزير الدولة البريطاني السابق للتنمية الدولية، والذي عمل مسئولًا في التحالف في العراق، وأدار منظمة تنموية في أفغانستان أثناء بداية الاحتلال: "اقترح مسئول الأمم المتحدة الكبير، الأخضر الإبراهيمي، ووزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد، وجود بصمة خفيفة. خشي كلاهما من أن وجود بصمة ثقيلة في أفغانستان سيجعل الحكومة تعتمد بشكل كبير على الأموال الأجنبية والقوات الأجنبية ويؤدِّي إلى تمرد. في البداية سمح رامسفيلد بألفي جندي أميركي فقط وحظر بناء أي دولة. لم تُبذل أي محاولة لإنشاء أي شيء يمكن مقارنته بالمهمة في كوسوفو أو، فيما بعد، في العراق. ولضمان عدم إغراء موظفيه المثاليين في الأمم المتحدة بإدارة أفغانستان، منع الإبراهيمي فتح مكاتب ميدانية للأمم المتحدة في العديد من المقاطعات. وبدلًا من ذلك، أعطيت القيادة للحكومة الانتقالية الأفغانية برئاسة حامد كرزاي.

بحلول عام ٢٠٠٤، بعد ثلاث سنوات من التدخل، كان الفساد أسوأ بكثير مما كان عليه خلال الاحتلال السوفيتي أو حكم طالبان، وكانت الشرطة وحشية، والنظام القضائي يعمل فقط مع أولئك الذين يستطيعون دفع الرشاوى. ارتفع إنتاج الخشخاش -الذي قضت عليه حركة طالبان تقريبًا بحلول عام ٢٠٠٠- مع تدفُّق الأرباح إلى كبار المسئولين الحكوميين.

ثم قام الناتو بإطلاق ما كان في الواقع تدخُّلًا ثانيًا أثقل: عملية لتغيير النظام لم تستهدف هذه المرة طالبان ولكن إلى هياكل السلطة التي أقامها حليف التحالف كرزاي. بحلول عام ٢٠٠٥، انتشرت "فرق إعادة الإعمار الإقليمية" التابعة للناتو في جميع أنحاء البلاد، وبدأت الأمم المتحدة في نزع سلاح أمراء الحرب وميليشياتهم وتسريحهم، وبدأ عدد قوات الناتو في الارتفاع، واستمرَّت الخطط المتَّبعة في أفغانستان تستخدم المزيد من الجنود حتى بلغت الذروة في ٢٠١١ بقوات بلغ عددها ١١٠ آلاف جندي أمريكي بخلاف قوات الحلفاء.

بينما واصلت الولايات المتحدة تحسين خططها، نفذت طالبان رؤيتها الخاصة لكيفية إرساء الأمن والحكم وسيادة القانون (الشريعة)، وكلَّما زادت القوة العسكرية التي نشرها المتدخلون ضدهم، زاد قدرتهم على تقديم أنفسهم على أنهم يقودون الجهاد من أجل أفغانستان والإسلام ضد احتلال عسكري أجنبي.

حاولت الولايات المتحدة بالفعل العودة إلى بصمة أخف في عام ٢٠١٤، ولكن بحلول ذلك الوقت، كان قد حدث ضرر هائل. لقد شكلت الطفرة جيشًا أفغانيًا كان يعتمد كليًا على الطائرات والتكنولوجيا الأمريكية باهظة الثمن، وأنشأت مجموعة جديدة من عصابات الرأسماليين الذين تغذوا من العقود العسكرية الأجنبية، وتفاقم الفساد. وتسبَّبت العمليات العسكرية في مقتل آلاف الأشخاص، بمن فيهم العديد من المدنيين، ممَّا أدَّى إلى تعميق الكراهية. وقد سمح وجود أكثر من ١٠٠٠٠٠ جندي دولي في القرى الريفية لطالبان بتقديم نفسها على أنها تقاتل من أجل

أفغانستان والإسلام ضدَّ احتلال أجنبي. في عام ٢٠٠٥، وتحت الأثر الخفيف، قال محلل استخباراتي بريطاني إن هناك ما بين ٢٠٠٠ و٣٠٠٠ مقاتل من طالبان في أفغانستان. بعد ست سنوات، بعد مقتل عشرات الآلاف من الأفغان وإنفاق نصف تريليون دولار، قدَّر الجنرال ريتشارد بارونز من الجيش البريطاني أن هناك ٣٦ ألف مقاتل من طالبان في البلاد[٢].

كيف تعاملت طالبان خلال فترة تمدُّدها؟

لا يُمكن عدُّ سيطرة طالبان على أفغانستان مجرد انعكاس لتردِّي الأوضاع أو سأم الأفغان من حكومة يمكن وصفها بالعميلة وفي ظلِّ احتلال عسكري، فهذا اختزال لحقيقة المشهد الذي قامت فيه طالبان ببذل الكثير من الجهد القتالي والسياسي طيلة عشرين عامًا فقدوا خلالها العديد من عناصرهم وقياداتهم، لكنهم قاموا بهذا الانتصار عبر تخطيط واستغلال للأوضاع المتردية لصالحهم وبسط نفوذهم رويدًا رويدًا في مختلف أنحاء أفغانستان.

وتشرح صحيفة وول ستريت جورنال في تقرير لها جانبًا من جوانب تخطيط طالبان للاستيلاء على السلطة، ويقدِّم التقرير وصفًا لكيفية زرع طالبان لعملاء سرِّيين في مختلف قطاعات مؤسَّسات الحكم في أفغانستان، حيث أمضى هؤلاء العملاء السريون -الذين كانوا غالبًا حليقي الذقن ويرتدون الجينز والنظارات الشمسية- سنوات في التسلُّل إلى وزارات الحكومة الأفغانية والجامعات والشركات ومنظمات الإغاثة. وبينما كانت القوات الأمريكية تستكمل انسحابها في أغسطس، خرج هؤلاء العملاء عن الظل في كابل والمدن الكبرى الأخرى في جميع أنحاء أفغانستان، وفاجأوا جيرانهم وزملاءهم. وسحبوا أسلحتهم من مخابئها، وساعدوا طالبان على الاستيلاء بسرعة على السيطرة من الداخل.

كانت هذه الشبكة من العملاء تابعة لشبكة حقاني، التي تولَّى زعيمها وزارة الداخلية في حكومة تصريف الأعمال التي عيَّنتها طالبان لإدارة شئون البلاد عقب استيلائها على مقاليد الحكم، وتعمل خلايا مماثلة تابعة لطالبان في مدن أفغانية رئيسية أخرى. في قندهار، ثاني أكبر مدينة في أفغانستان، قال المحاضر الجامعي أحمد والي حقمال إنه طلب مرارًا من قادة طالبان الإذن بالانضمام إلى الكفاح المسلح ضد الحكومة المدعومة من الولايات المتحدة بعد أن أكمل درجة البكالوريوس في الشريعة. يتذكر قائلًا: "كنت مستعدًا لأخذ AK-47 (كلاشنكوف) والذهاب؛ لأنه لا يوجد أفغاني يمكنه تحمُّل غزو بلدهم". "ولكن بعد ذلك قال لنا شيوخنا: لا، لا تأتوا إلى هنا، ابقوا هناك، اعملوا في الجامعات لأن هؤلاء هم أيضًا شعبنا ووسائل الإعلام والعالم يخدعهم بشأننا".

قالت فيريشتا عباسي، المحامية الأفغانية، إنها كانت تشك منذ فترة طويلة في رجل عمل معها في مجمع محصن، كامب بارون بالقرب من مطار كابل، والذي استضاف مكاتب لمشاريع التنمية التي تمولها الولايات المتحدة ودول غربية أخرى. ولكن لم تكتشف سوى بعد يوم من سقوط كابل - عندما ظهر الرجل على شاشة التلفزيون وهو يحمل بندقية كلاشينكوف - أنه كان في الحقيقة قائدًا لطالبان. قالت السيدة عباسي التي تقيم الآن في لندن: "لقد صدمت". لقد كانت السيدة عباسي وزميلاتها حاسرات رؤوسهن أمام هذا الرجل، الذي هو أسد مسعود كوهيستاني الذي قال في مقابلة مع CNN إن على النساء تغطية وجوههن[٣].

وإذا كانت مواقع مهمة مثل فيسبوك ويوتيوب اعتبارًا من عام ٢٠١٤ -كجزء من الهجوم على الدولة الإسلامية- قامت بحظر حسابات طالبان، فإنهم تعلَّموا كيفية إنشاء حسابات جديدة بسرعة وظلُّوا نشيطين للغاية على موقع تويتر. واعتبارًا

(2) Rory Stewart, The Last Days of Intervention.. Afghanistan and the Delusions of Maximalism, Foreign Affairs, November/December 2021, available at: https://fam.ag/3prfYWT

(3) Yaroslav Trofimov and Margherita Stancati, Taliban Covert Operatives Seized Kabul, Other Afghan Cities From Within, Wall Street Journal, 28 November 2021, available at: https://on.wsj.com/3FxQT28

من عام ٢٠١٧، كانت الحرب الإعلامية لطالبان تتفوَّق على الحكومة الأفغانية، لقد نجحت رسائل طالبان لأنها كانت أسرع وأكثر دقَّة في كثير من الأحيان من الرسائل الحكومية الرسمية، وتمَّ إنتاج المجلات على الإنترنت باللغات الإنجليزية والباشتو والدارية والعربية، على سبيل المثال، مع محتوى مخصَّص لجمهور مختلف(٤).

حرصت الحركة على ألَّا تلتفت لمن زاحمها على المقاومة، وتركتهم يقاتلون بعيدًا عنها، مع السماح لكل القوى المطلوبة دوليًّا والمغضوب عليها، من القاعدة والحركة الإسلامية التركمانية والجماعات الشيشانية، والبلوش المتمردين على الحكومة الإيرانية، وحتى حركة طالبان باكستان المطلوبة من حليفتها باكستان بالعمل من داخل أفغانستان، وربما لاستخدامهم في صراعها الإقليمي والدولي، ولم تَسْعَ إلى طردهم أو التضييق عليهم، وإنما اكتفت في اتفاق الدوحة بالتعهُّد بعدم استخدام أراضيها ضد الدول، وهو ما تعهَّدت به للروس والإيرانيين والصينيين خلال زيارات وفودها لعواصم هذه الدول.

كما نجحت طبقة المشايخ والعلماء في أفغانستان وباكستان في دعم طالبان، أو الصمت عليهم، وبالمقابل فإن طالبان اعتمدت عليهم بشكل كبير، مقابل حرص العلماء والمشايخ في كلا البلدين على عدم التدخل في شئون طالبان وتحرُّكاتها على مدى عشرين عامًا، مع أن لدى بعضهم تحفظًا على بعض مواقف الحركة وأعمالها، ولكن ظلَّ العلماء في البلدين يلتزمون الصمت، فلم يدخلوا في صراعات حزبية ولا فصائلية، ولا في فتاوى آنية يندمون عليها، وإنما ظلُّوا فوق السلطة، وفوق أي تجمع سياسي أو حزبي أو فصائلي.

وقد حرصت طالبان أيضًا على الرفق بحاضنتها، فلم تفرض عليهم إتاوات ولا ضرائب ترهقهم، ولم تضيِّقْ على عيشهم، مما جعلهم يستقبلونها بالأحضان في كل المدن والبلدات التي دخلتها.

أما ما يتعلق بتعاملها مع المعارضين والمخالفين فقد قرَّرت عفوها الكامل عن كل أعضاء الحكومة ومن تعاون معها، ودخلت في حوارات جدية مع المعارضين لتشكيل حكومة لم تشأ الإعلان عنها بمفردها، وهو ما دفع المعارض منهم مثل قلب الدين حكمتيار وغيره للإشادة بها، بل والتعهد بالدفاع عن النظام الإسلامي الجديد ضد البغاة والخارجين عليه(٥).

ثانيًا- ماذا فعلت طالبان؟

طالبان الجديدة اليوم تواجه أيضًا أفغانستان الجديدة التي تغيَّرت كثيرًا، وعلى رأس هذا التغيُّر عدد الطلبة في الجامعات المتعددة الذين بلغوا حوالي ١٧٠ ألف طالب وطالبة مسجلين هذا العام، بالإضافة إلى انتشار الإنترنت، واستخدام أكثر من ٢٢ مليون أفغاني لأجهزة الموبايل، فضلًا عن ميزانية دولة تعتمد أكثر من ٧٥ في المئة منها على المنح والمساعدات الأجنبية، كل ذلك لم يكن موجودًا يوم سقطت الحركة عام ٢٠٠١(٦).

ويعتمد التقرير بشكلٍ أساسي في هذا القسم على ما بثته حركة طالبان من خلال حسابها باللغة العربية على موقع التغريد القصير على الإنترنت (تويتر) المعروف باسم (الإمارة الإسلامية @alemara_ar)(٧) بهدف بيان ما يقوله التنظيم عن نفسه أو بمعنى أدق عن إدارته لشؤون الدولة الأفغانية أو الإمارة كما بات اسمها الجديد، وكذلك تحليل الصورة التي يقدِّم بها نفسه للعالم وللمواطنين الأفغان، خاصة في ظل تعتيم وسائل الإعلام العالمية على أخبار الداخل الأفغاني وعدم اكتراثها بمتابعة جهود سلطاته الجديدة في بيان مدى قدرتها على

(4) Andrew Hoskins and William Merrin, Remember Afghanistan?, Digital War, Vol. 2, Issue 1-3, December 2021, Published online: 18 November 2021, pp. 1-8, available at: https://cutt.us/8ShrM

(٥) أحمد موفق زيدان، دروس أفغانية للثورة السورية، عربي ٢١، ٢٣ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3EtqhxK

(٦) أحمد موفق زيدان، طالبان.. تحديات وفرص ما بعد الانتصار، عربي ٢١، ١٣ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3mx3Ce7

(٧) حساب الإمارة الإسلامية على موقع تويتر: https://twitter.com/alemara_ar

تحسين ظروف المواطنين الأفغان من عدمها، وتركيز هذه الوسائل على أخبار الصراعات والنزاعات والقتال والتخويف بشكلٍ عام من السلطة الجديدة.

يمكننا أن نضع تصنيفًا للاهتمامات التي حرصت طالبان على الاهتمام بها وإبرازها في سبعة محاور:

١- المصالحة وطمأنة الداخل والخارج

منذ اللحظات الأولى لسيطرتها على المناطق التي باتت تسقط بين يدي مقاتليها تباعًا كان الإفراج عن المعتقلين والسجناء تقليدًا أساسيًا اتبعته الحركة في أنحاء أفغانستان، واستمرَّ بعد سيطرتها، كما حرصت منذ اليوم الأول قبل سقوط العاصمة الأفغانية كابل وفور سيطرتها عليها في ١٥ أغسطس ٢٠٢١ على طمأنة البنوك، وغرف التجارة، ومحلات الصيرفة، وبقية الأسواق في كابل وباقي البلد، وأن على المستثمرين المحليين والأجانب ألا يقلقوا أبدًا حيال أموالهم وثرواتهم، فكل شيء سيسير بشكل طبيعي، ولن تلحق البنى التحتية أي ضرر أو نقص من جهتهم. وأعلنت طالبان أن الإمارة الإسلامية لا تفكر في الانتقام من أي أحد، وتعلن العفو والأمان لجميع موظفي إدارة كابل سواء كانوا في القطاع العسكري أو المدني، وعلى الجميع أن يبقوا في البلد، وفي أماكنهم ومنازلهم، وألا يحاولوا مغادرة البلاد.

وكذلك حرصت طالبان على طمأنة جميع السفارات في كابل، والبعثات الدبلوماسية، والهيئات الدولية، ومساكن أتباع الدول الأجنبية، والعاملين في مجال الأعمال الخيرية والإغاثية؛ سواء كانوا أجانب أو محليين، أنه لن يواجههم أي مشكلة من قبل الإمارة الإسلامية، بل سيتم توفير بيئة آمنة لهم، وأنه لن يواجههم أي خطر أو تهديد، وأن على الجميع أن يبقوا في كابل في ثقة واطمئنان، فقد تم توظيف قوات الإمارة الإسلامية لاستتباب الأمن في مدينة كابل وجميع مدن البلد.

وقال المتحدث باسم طالبان: إنهم لن يسمحوا لأي أحد أو جهة باستخدام الأراضي الأفغانية ضد الآخرين. نحن على تواصل مع رئيس لجنة المصالحة عبد الله عبد الله، وسنتواصل مع غيره من الساسة، ولا نريد أن نتجاهل أي طرف.

بل إنه وفق مرسوم صادر من بلدية كابل في ٢٨ سبتمبر ٢٠٢١: فإن بيوت كابل التي فَرَّ مالكوها إلى الغرب ستؤجَّر، وتودع الأجرة في البنك المركزي إلى حين عودة المالكين؛ لتعود البيوت والأجرة لأصحابها بعد عودتهم إلى أفغانستان.

٢- ضبط الأمن ومكافحة الجريمة

حرصت طالبان بعد سيطرتها على إظهار قدرتها على بسط الأمن ومقاومة الجريمة في ربوع أفغانستان، ولذا أخذت تعلن باستمرار عن أخبار تظهر قدرتها على ضبط المجرمين وتوفير الأمن للمجتمع الأفغاني، ومواجهة تنظيم الدولة، كما أعلنت طالبان عن تخصيص أرقام يمكن التواصل معها عن طريق تطبيق الواتساب للتواصل مع لجنة استماع الشكاوى في كابل، وذلك لكلِّ من يتعرَّض لأي خطر أو تهديد، وبثت أخبار إلقاء القبض على اللصوص، خاصة المتنكرين في زي المجاهدين، وتم تفعيل الخطوط الساخنة لقيادة الشرطة بمدينة كابل، بالإضافة إلى تعيين الطاقم الدوري. وتخصيص رقم موحَّد لسكان العاصمة ليتصلوا به عند حدوث أي فوضى أو شغب.

وبحسب تصريحات المسئولين الأمنيين، فقد بلغ عدد المجرمين في مراكز التوقيف الذين تم القبض عليهم بعد أسبوعين من دخول طالبان كابل (٢٠٠٠) شخص، معظمهم من اللصوص المسلحين والناهبين.

وأحبطت القوات الأمنية عملية تهريب (٢٥) طنا من حجر اللازورد (لابيس لازولي) في ولاية بدخشان شمالي أفغانستان، وألقت القبض على المتهين. كما ضبطت ١,٦ مليون دولار و٧٩ مليون أفغانية في ولايات (لوجر، وخوست، وبنجشير)، وتم تسليمها لبنك أفغانستان المركزي.

وتم القبض على أشهر مهربي الخشب، وكميات من الأخشاب التي يتم تهريبها في ولاية كونر، وصرَّح حاكم الولاية، بأن عمليات مكافحة التهريب مستمرة بكل جدية، ولا توجد

مسامحة في هذا الشأن. واتُّخذت إجراءات مشدَّدة في جميع الأنحاء لمنع التهريب بجميع أشكاله.

وضبطت رئاسة الجمارك والزراعة بولاية ننجرهار شحنة من الدجاج الفاسد المستورد، وتمَّ إتلاف جميعها في حضور مسئولي عدد من الإدارات الحكومية. وطلب المسئولون من التجار ألَّا يستوردوا البضائع منتهية الصلاحية أو رديئة الجودة، وسيتم اتخاذ إجراءات صارمة في حق كل من يخالف هذا القرار.

وقرَّر المجلس الوزاري برئاسة رئيس الوزراء الملا محمد حسن آخند في ٩ نوفمبر ٢٠٢١ إنشاء وحدة خاصة لاستعادة الأراضي المغصوبة.

وفي مقابل قيام القوات الأمنية بجهود ضبط الأمن فإن طالبان قرَّرت فتح باب الشكوى في هذه القوات عند تجاوزها أو مخالفتها لما هو منوط بها من سلوك يحترم المواطنين الأفغان، فأعلنت وزارة «الأمر بالمعروف والجلب والتجنيد واستماع الشكاوى» لجميع المواطنين، بأن كل من لديه شكوى عن رجال الأمن أو منسوبي الحكومة فبإمكانه الإبلاغ عنهم بالشواهد والأدلة، عن طريق الواتساب أو عنوان البريد.

وقال المتحدث باسم طالبان: أطمئن العالم بأن أفغانستان لن تكون مركزا لإنتاج أي نوع من المخدرات، وخلال حكمنا السابق استطعنا تخفيض نسبة زراعة الخشخاش إلى (صفر).

٣- الإدارة المحلية وإصلاح البنية التحتية

لم يكن خافيًا أن فترة حكم طالبان السابقة نهاية القرن الماضي شهدت مشكلات كبيرة في إدراك طالبان لطبيعة الإدارة السياسية عمومًا وفي القلب منها الإدارة المحلية، وهذه التجربة الجديدة محك جديد لاختبار مدى الاختلاف الذي يمكن أن تظهره طالبان بين تجربتها الجديدة وتجربتها السابقة[٨].

كما أن برامج الإدارة المحلية التي قامت بها الجهات المانحة لم تستطع إصلاح دوائر هذه الإدارة، وقامت على أُسُسٍ من افتراضات خاطئة، لم تغيِّر من مساوئ هذه الإدارة ومقاومة ما بها من فساد، وخلصت دراسة نشرها مركز كارنيجي حول الإدارة المحلية في أفغانستان خلال السنوات الماضية إلى أنه لا يمكن لمساعدات الحكم المحلي أن تفعل شيئًا يُذكر لتغيير الديناميكيات الأساسية للعلاقات بين المركز والأطراف ما لم تؤثِّر على السلطات الأوسع نطاقًا والحوافز التي تدفع المركزية أو اللامركزية[٩].

في هذا البيئة أعلنت طالبان العديد من الأخبار عن جهودها في إصلاح البنية التحتية وتعبيد الطرق وإعادة بناء الجسور، وإصلاح وإنشاء مشاريع الطاقة الكهربائية، وتوفير المياه، وإصلاح الأوضاع الاجتماعية ومحاربة الإدمان والتسول.

فقامت رئاسة المنفعة العامة بالبدء في أعمال إعادة بناء أحد أكبر الجسور المنهدمة على طريق (قندهار - هرات) السريع، وتم توقيع عقد مع شركة (جلو جالاكسي للبناء) لتعبيد وتسوية الطريق السريع بين مدينة قلات عاصمة ولاية زابل ومدينة ميدان شهر عاصمة ولاية ميدان وردك، بحيث يتم إتمام المشروع خلال ثلاثة أشهر. وتم البدء في أعمال مشروع تعبيد وترميم طريق (كابل-قندهار) السريع، وكذلك تعبيد طريق (٥١٧) في منطقة بوابة "دهيك" التابعة لمدينة فراه وهو الذي يربط الولاية بطريق (قندهار- هرات) الدائري، وكذلك تعبيد طريق "مملي" في مديرية خوجياني، وبدء أعمال إعادة بناء جسر (براو) الواقع في مديرية سروضه شرقي أفغانستان، كما تم البدء في أعمال رصف الأسفلت للطريق بين (كابل - ميدان شهر) بطول ٨ كيلو مترات، حيث كان هذا الطريق وعرًا ومتضرِّرًا للغاية، وتم

---

(٨) لمزيد من إلقاء الضوء على تجربة طالبان السابقة في الحكم، انظر:
- مدحت ماهر الليثي ومحمد صلاح عبد العال، الإسلاميون وبناء الدولة في أفغانستان: أين الخلل؟، حولية أمتي في العالم (السياسات العامة في نظم ومجتمعات العالم الإسلامي: نماذج وخبرات)، كتاب غير دوري يهتم بقضايا العالم الإسلامي، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، دار المفكرون الدولية للنشر، ٢٠٢٠)، ص ص ٤١٧-٤٣٩.

(9) Frances Z. Brown, Aiding Afghan Local Governance: What Went Wrong?, Carnegie, 8 November 2021, available at: https://bit.ly/3qo0vGu

افتتاح أعمال بناء جسر على نهر أرغنداب بقيمة ٣,٦ مليون أفغانية، في منطقة "سرخ سنك" بمديرية أرغنداب بولاية زابل.

وتمَّ البدء في أعمال إصلاح أجهزة تهوية وإنارة نفق "سالنك"، بالإضافة إلى تعبيد طريق سالنك الجبلي بالإسفلت. وتركيب أعمدة الإنارة في شوارع مدينة لشكرجاه بولاية هلمند جنوبي أفغانستان. وتم تركيب اللوحات واللافتات في الشوارع، والدوارات، والتقاطعات بمدينة كابل.

وتم الانتهاء من مشروع الطاقة الكهربائية في مديرية جريشك بولاية هلمند، وتم افتتاحه وتسليمه للاستفادة العامة، ويبلغ قدرة هذا المشروع الاستيعابية إلى ٢٢ ميجاوات.

وقالت إدارة تنظيم شئون المياه إنه سيتم استئناف الأعمال المتبقية لمشاريع سدود مياه (شاه عروس، وباشدان، وبخش أباد).

وتمَّ تخصيص أرض حكومية بسعة (٤٠٠) كيلو متر مربع لإنشاء مركز للأبحاث الزراعية التابع لكلية الزراعة، في قرية "كركري" بمديرية حضرت سلطان بولاية سمنجان شمالي أفغانستان.

وفوَّض مجلس وزراء إمارة أفغانستان الإسلامية إلى جمعية الهلال الأحمر الأفغاني مسئولية تشخيص وتسجيل جميع المتسولين في مدينة كابل، وإعداد خطة شاملة لكفالتهم ورعايتهم، وتقديمها إلى مجلس الوزراء لتقييمها. وتمَّ جمع ونقل عشرات من مدمني المخدرات من شوارع مدينة كابل لمعالجتهم وإعادة تأهيلهم.

وتم توزيع سلال غذائية على ٩٥٠ أسرة متضررة من فيروس كورونا في مدينة بارون عاصمة ولاية نورستان شرقي أفغانستان.

وقرَّرت إدار ة مرور ولاية غزني إعادة المركبات التي تمَّ إيقافها في النظام السابق إلى أصحابها، وذلك بعد إتمام المراحل القانونية.

وفي مجال الدعوة الدينية قرَّرت طالبان توحيد خطبة الجمعة، وتكليف الخطباء أن يخطبوا في مواضيع محدَّدة، صحيح أن هذا التكليف جاء في صورة رجاء للخطباء بأن يخطبوا في هذه المواضيع، ولم يكن بصيغة الأمر والتكليف وتهديد بعقوبة للمخالف، ولكن وجوده كان لافتًا ومستحقًّا للرصد، وقد طلبت لجنة الدعوة والإرشاد، والتجنيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الخطباء في أول جمعة بعد سيطرتها على السلطة منتصف أغسطس أن يلقوا خطب الجمعة في المواضيع التالية:

١. بيان مصالح (النظام الإسلامي) للمواطنين، ودعوة الناس إلى الوحدة والاتفاق.

٢. حث المواطنين على التعاون من أجل بناء الوطن والنهوض به، وعدم محاولة الهروب منه، وإعادة الكوادر والثروات إلى البلد.

٣. الرد بالدليل على الدعايات السلبية للعدو واستفزازاته، من أجل قناعة الشعب واطمئنانه.

وفي الجمعة التالية طلبت من الخطباء بأن يبينوا في خطب الجمعة (المكانة الشرعية لطاعة ولي الأمر وأهميتها)، وأن ينبهوا المواطنين ويحثوهم على طاعة الأمير العام، ومن يولون عليهم من المسئولين والقادة.

ولم يتم رصد طلبات أخرى بمضمون خطب الجمعة معلنة بعد ذلك.

٤- جهود التنمية الاقتصادية

يُعتبر التحدِّي الاقتصادي أحد أهم التحديات التي تواجه أفغانستان بعد استنزاف مواردها وتدمير الصراعات لبنيتها التحتية فضلًا عما تفرضه هذه الحالة من عزوف عن الاستثمار، وبعد عودة طالبان للسلطة لا بد أن يكون هذا التحدِّي هو المحك الحقيقي لبيان مدى قدرتها على إدارة شئون الدولة، فالتجارب في أكثر من دولة أثبتت أن الفشل في الجانب الاقتصادي أقسى على الحكومات من الفشل في الجانب الأمني، ويمكن للحكومات أن تستمر في السلطة رغم فشلها الأمني، ولكن يصعب عليها أن تبقى في ظل فشل اقتصادي.

إدراكًا لهذا المعنى حرصت طالبان على تصدير صورة عن الأوضاع الاقتصادية تشير إلى تحسُّن الأحوال الاقتصادية تحت إدارتها، وأنها تبذل جهودًا متنوِّعة وصادقة من أجل تحسين الأوضاع الاقتصادية ومناخ الاستثمار والتصدير والاستيراد.

فبعد توقُّف لبضعة أيام، تم استئناف **العلاقات التجارية** مع دولة أوزبكستان من جديد، حيث وصلت أول شاحنة تحمل الملبوسات إلى أراضي أفغانستان. ثم تمَّ استئناف الحركة التجارية مع إيران عن طريق معبر (إسلام قلعة) الحدودي، ووقَّعت أفغانستان على عقد استيراد ١٠٠ ميجاوات كهرباء من إيران لخمس سنوات، خلال زيارة وفد برئاسة وزير الطاقة والمياه إلى إيران.

وقامت رئاسة **الزراعة والري** في ولاية ننجرهار شرقي أفغانستان في إطار برنامج (SNAPP2) بتوزيع مستلزمات زراعية متنوعة على ٢٥٠ مزارعا في مختلف مديريات الولاية. تشتمل هذه المستلزمات على مضخة دواء، ومقص الأشجار، ومنشار، وسلم، وآلة قطف الثمار، وأطلق مسئولو رئاسة الزراعة والري في ولاية بكتيا مشروع توزيع بذور القمح المحسنة والأسمدة الكمياوية على ٦٠٠٠ مزارع في جميع مديريات الولاية المذكورة. وبدعم مالي من مؤسستي FAO و PAC تمَّ توزيع بذور القمح المحسَّنة على أكثر من ٧٠٠٠ مزراع في ولايات جوزجان، ولغمان، وكابل، وكونر. وبدأت المؤسسات المساعدة مع مسئولي الزراعة بتنفيذ مشروع إنشاء مزارع وحقول في ٢٦٠ هكتارًا من الأرض الزراعية، بحيث سيتم غرس ١٠٤ آلاف شتلة من (الليمون، والبرتقال، والخوخ، والرمان، والبرقوق...) في مختلف مديريات ولاية ننجرهار. ويتم جمع آلاف الكيلوجرامات من الزيتون كل يوم من أربع مزارع في ولاية ننجرهار، ثم يتم إرسالها إلى مصانع الزيتون للمعالجة، وبعد مرورها على عدَّة مراحل يتم إنتاج الزيت والمخللات المشهورة عالميًّا.

وأعلنت طالبان زيادة بنسبة ١٣٢ ٪ في الصادرات من أفغانستان وفق بيانات وزارة المالية؛ حيث بلغت قيمة الصادرات خلال الأشهر الثلاث (من منتصف أغسطس حتى منتصف نوفمبر تقريبًا) ٢٦,٨٣ مليار أفغانية بينما كانت قيمة الصادرات في الأشهر الثلاثة قبلها ١١,٥٨ مليار أفغانية. وخلال أسبوعين من نوفمبر، تمَّ تصدير ٦٩٨ طنًّا من الفواكه المجفَّفة منها ٥٨٥ طنًّا من الزبيب، إلى مختلف الدول في أوروبا، وأمريكا، وآسيا، وأستراليا.

كما أن **الشركات الأفغانية** قامت بتصدير ٧٦ طنًّا من علف الدواجن إلى دولة طاجيكستان، وسيتم تصديره إلى دول أخرى أيضا. ونوَّهت إلى أنه يتم إنتاج علف الدواجن في أفغانستان وفق المعايير الدولية، وتسعى الحكومة الأفغانية إلى إيجاد سوق له على مستوى العالم.

وخلال الأسابيع الثلاثة الأولى من نوفمبر، تمَّ تصدير ٥٥٠ طنا من الصنوبر الأفغاني (الذهب الأسود) إلى الصين. ونوَّهت طالبان بعد ثلاثة أشهر فقط من سيطرتها على أفغانستان إلى أن صادرات أفغانستان تشهد توسُّعًا لم يسبق له مثيل، وهو مؤشِّر إيجابي في ازدهار اقتصاد أفغانستان.

وبدأت تمارس طالبان سلوكًا شفَّافًا في الإعلان عن **مداخيل وعوائد السلطة** بعد حوالي شهرين ونصف فقط، حيث أعلنت وزارة المالية بإمارة أفغانستان الإسلامية بأن عوائد الأيام الـ ٧٨ الماضية بلغت ٢٦ مليارًا و٩١٥ مليون أفغانية. وأكدت الوزارة أن العوائد في ازدياد مستمر، حيث بلغت العوائد يوم ١٧ نوفمبر فقط ٥٥٧ مليون أفغانية.

وقال مسئولو **الجمارك** في ولاية بكتيا: إن الإيرادات الجمركية شهدت تزايدًا بنسبة ٨%، وذلك بعد منع الفساد والقضاء عليه. ونفوا وجود رسوم على التصدير لغير الفحم.

وأصدرت طالبان بيانًا باسم إمارة أفغانستان الإسلامية بشأن حظر استخدام **العملات الأجنبية** في البلد في ٢ نوفمبر ٢٠٢١، وقد قرَّر البيان أنه طبقًا لما تقتضيه الأوضاع الاقتصادية والمصالح الوطنية فعلى جميع الأفغان استخدام العملة الأفغانية في جميع صفقاتهم وجميع المعاملات، وتجنُّب استخدام أي عملة أجنبية أخرى؛ لأن استخدام العملات الأجنبية يؤثِّر سلبًا على اقتصاد البلد ويضرُّ جميع المواطنين. ومن يخالف هذا القرار فسيكون عرضة للمساءلة القانونية.

وتوصَّلت طالبان إلى إعلان شركة الاتحاد الغربي (ويسترن يونيون) استئناف خدماتها المصرفية في أفغانستان. بالإضافة إلى عدم أخذ رسوم على التحويلات المالية من تاريخ (٣ إلى ١٧ سبتمبر).

وأعلنت طالبان منتصف سبتمبر أن مسئولي أفغانستان وتركمانستان سيجتمعون قريبًا لمناقشة وتنفيذ مشروع "TAPI" ومشروع الكهرباء داخل أفغانستان، وإنشاء سكة حديدية بين معبر تورغندي وهرات، ووعد وزير خارجية تركمانستان بإسقاط الغرامات عن التجار الأفغان الذين تم تغريمهم بسبب إغلاق الحدود.

كما توصَّلت طالبان مع باكستان إلى **فتح أبواب المعابر الحدودية** (٢٤ ساعة) للحركة التجارية، و(١٢ ساعة) للمسافرين، كما سيسمح للشاحنات الأفغانية الذهاب إلى بشاور و كراتشي، وإعفاء صادرات (الفواكه الطازجة والمجفَّفة) من أفغانستان إلى باكستان من الضرائب، وإصدار تأشيرات لمدة شهر واحد، للتجار الأفغان في معبر "طورخم" الحدودي.

وفي مجال المعادن والتنقيب عنها قالت طالبان إن علينا أن نقوم بالتنقيب عن معادننا، حتى ننهض بأنفسنا، ونعزِّز قدراتنا، ونرفع من طاقتنا، وأعلنت وزارة المعادن بالإمارة الإسلامية بدء عمليات التنقيب في معدن (الطلق) في ولاية ننجرهار شرق أفغانستان، والذي يتمُّ تصديره إلى العديد من الدول من بينها: تركمانستان، وطاجيكستان، وباكستان، والأردن وتركيا وإيران، بما يوفِّر فرص عمل لأكثر من ٦٠٠٠ شخص. وقامت للمرة الأولى بتصدير حديد التسليح (حديد البناء) الأفغاني إلى باكستان.

وقالت طالبان إنها تسعى إلى توفير مزيد من التسهيلات **لصانعي السجاد**، والذي تفيد الإحصائيات، بأن حوالي مليون ونصف مليون من المواطنين الأفغان يعملون في نسيج السجاد اليدوي المشهور عالميًّا ويعتبر من أقدم وأهم الصناعات الأفغانية.

وأعلنت كذلك عن استئناف **شركة إنتاج القطن** المتوقفة عن العمل، فعالياتها من جديد في ولاية قندوز شمالي أفغانستان. وقام والي قندهار بزيارة مصانع القطن والصوف في الولاية، وتفقَّد حالة مباني وآلات المصانع، وأكد على إعادة تفعيل هذه المصانع من جديد.

وافتتح حاكم ولاية هرات مطبعة "المشارق" لطباعة الكتب الشرعية، والتي تم تأسيسها بقيمة ٢,٥ مليون دولار، في الحي الصناعي بمدينة هرات غرب أفغانستان.

ولعله بناءً على التحسُّن الوارد في المؤشِّرات السابقة أعلنت وزارة المالية بإمارة أفغانستان الإسلامية عن صرف رواتب الأشهر الثلاثة الماضية لجميع موظفي الحكومة في٢٠ نوفمبر ٢٠٢١.

٥- إعادة حركة الطيران

كما بادرت طالبان إلى سرعة إعادة تشغيل المطارات وعودة حركة الطيران لطبيعتها، فبدأت المطارات تعود للعمل تدريجيًّا بعد تسعة أيام فقط من تسلُّم طالبان للسلطة. فقد تمَّ تشغيل مطار مزار شريف، وأصبح جاهزًا للرحلات المحلية والدولية في ٢٤ أغسطس. وبدأت رئاسة المنفعة العامة بإمارة أفغانستان الإسلامية بإصلاح الأجزاء المتضرِّرة من مطار قندهار، وأصبح جاهزًا تمامًا للملاحة الجوية في ٢٩ أغسطس.

وتم فتح المجال الجوي الأفغاني للملاحة الجوية في ٩ سبتمبر، بعد افتتاح غرفة التحكُّم في مطار كابل الدولي، بعد خروج القوات الأمريكية بنهاية أغسطس، وتسلُّم طالبان للمطار وإصلاحه بمساعدة قطرية، وأصبح بإمكان الطائرات الأجنبية عبور المجال الجوي الأفغاني. ثمَّ تمَّ افتتاح مطار كابل الدولي رسميًّا أمام الرحلات التجارية المحلية والدولية وفقًا لهيئة الطيران المدني الأفغانية، وأصبح جاهزًا للإقلاع والهبوط من الساعة ٦ صباحًا حتى ٦ مساءً بدايةً من ٢٠ سبتمبر.

واستؤنفت الرحلات الجوية الدولية من مطار قندهار (مطار أحمد شاه بابا) في ٧ أكتوبر، وتمَّ فتح مطار ننجرهار

شرقي أفغانستان في وجه الطيران المدني بعد توقف استمرَّ عشرين عاما في ٢١ نوفمبر.

وبدأت شركة الطيران الأفغانية "أريانا أفغان" رحلاتها الجوية من مطار كابل إلى ولايات (هرات، ومزار شريف، وقندهار) في ٥ سبتمبر. واستأنفت رحلاتها اليومية بين كابل ودبي، ومن قندهار إلى دبي، وبين كابل وإسلام أباد في ٦ و٧ و١١ نوفمبر على التوالي.

وأعلنت رئاسة الجوازات استئناف إصدار جوازات السفر للمواطنين في ٥ أكتوبر. وقال الرئيس العام للجوازات إنهم يستوردون مكائن جديدة لطباعة الجوازات، ورفع إمكانيات إدارة الجوازات.

٦- تحسين القدرات القتالية التنظيمية

تسعى طالبان من خلال إعادة تأهيل قواتها إلى مزيد من الانضباط والنظامية بعد سنوات من القتال كحركة مقاومة، وما يقتضيه ذلك من لامركزية، وقلة القدرات الاحترافية، لذلك بادرت إلى افتتاح أكثر من مركز عسكري للتدريب والتأهيل وتلقين الجنود محاضرات عسكرية نظامية. في هذا السياق قال المتحدث باسم وزارة الداخلية الأفغانية إنه يتم العمل على إنشاء وإعداد جيش قوي ومنظم في أفغانستان.

فتم افتتاح مركز للتدريب العسكري في ولاية زابل؛ حيث شارك في الدفعة الأولى ٤٠٠ من جنود إمارة أفغانستان الإسلامية في ٣٠ سبتمبر. وتخرج ١٠٠ عسكري من معسكر علي بن أبي طالب في ولاية بروان، في ١٣ أكتوبر. وتخرَّج ٤٤ مجاهدًا من اللواء العسكري الرابع في مدينة جريشك عاصمة ولاية هلمند جنوبي أفغانستان، في ١٩ أكتوبر. وتخرَّجت دفعة مكونة من ٣٠٠ مجاهد من اللواء البري الثاني بفيلق (البدر ٢٠٥) في ولاية زابل، في ١٣ نوفمبر. وتمَّ تخريج ١٠٠ جندي من القوات الخاصة بعد تلقيهم تدريبات في المعسكرات التابعة لفيلق هلمند، وتخرجت دفعة أخرى من المجاهدين في ولاية بكتيكا، شرقي أفغانستان في ٦ نوفمبر. وتخرَّج ١٨٠ مجاهدًا من معسكر "محمد بن قاسم" في مديرية تجاب بولاية كابيسا، وذلك بعد تلقِّيهم دروسا عسكرية (نظرية وعملية) خلال دورة استمرت لشهرين في ٧ نوفمبر.

وبدأ جنود الإمارة في تقديم استعراض عسكري قدمه ٧٠٠ مجاهد من القوات الخاصة الذين تخرَّجوا من فيلق "البدر ٢٠٥" بولاية قندهار جنوب أفغانستان في ٨ نوفمبر. وتمَّ تخريج ٢٥٠ مجاهدًا من الفيلق (المركزي ٣١٣) في ١٥ نوفمبر.

وتمَّ التنويه لجنود طالبان والتابعين لهم في العاصمة وكافة الولايات: بأن عليهم أن يتجنَّبوا إطلاق النيران في الهواء، بل عليهم أن يسجدوا لله شكرًا، وليعلموا أن الأسلحة والرصاصات التي بأيديهم من ممتلكات بيت المال، ولا يحق لأحد إضاعتها. كما أن الرصاصات البادرة [الطائشة] قد تضرُّ المواطنين.

وتمَّ إنشاء محكمة عسكرية في هيكلة الإمارة الإسلامية.

٧- إعادة بناء الصورة من خلال حقوق الإنسان والثقافة والرياضة والترفيه

حرصت طالبان عبر خطابها الإعلامي على تقديم صورة تعبِّر عن انفتاحها وعن استتْباب الأمن بالعاصمة ومختلف الولايات ورضا الأفغان عن سيطرتها على مقاليد السلطة في البلاد، فنشرت أنه في صباح اليوم الأول من سيطرة الإمارة الإسلامية على العاصمة كابل، ذهبت الفتيات إلى المدارس، والعملية التعليمية مستمرة دون أي انقطاع.

وبعكس الممارسات التي قامت بها طالبان عندما سيطرت على أفغانستان نهاية القرن الماضي في التعامل مع الآثار التاريخية، قام وفد من اللجنة الثقافية بزيارة رئاسة حفظ وتسجيل الآثار التاريخية بوزارة الثقافة والإعلام بالعاصمة كابول. وطمأن الوفدُ الموظفين بأن يحضروا جميعًا إلى أعمالهم. وبالنسبة لـ"قلعة جريشك" وهي من المعالم التاريخية القديمة، والتي كانت تستخدمها الإدارة السابقة كمعتقل خلال السنوات العشرين الماضية. وتمَّ محاولة إنشاء بناء جديد مكان المعتقل داخل القلعة، لكن بعد التوعية توقَّف عمل إنشاء البناء

الجديد بشكل فوري، وتعتزم وزارة الثقافة والإعلام ترميم هذا المعلم التاريخي، وستتخذ خطوات جادة في هذا الصدد[١٠].

وكذلك "كنز باختر"، قالت طالبان إنه محفوظ ومصون في الخزانة المركزية الأفغانية، وتلك الشائعات التي تداولتها بعض الوسائل الإعلامية عن هذا الكنز الثمين وأنه قد تم نقله من مكانه، فلا صحة لها بتاتًا. وتتعهَّد إمارة أفغانستان الإسلامية بحفظ هذا الكنز وحراسته بكل جدية.

وفيما يتعلَّق بالتعامل مع المرأة حاولت طالبان منذ اللحظات الأولى لسيطرتها أن تُظهر أنها تتعامل مع المرأة بشكل طبيعي في حدود الالتزام بالضوابط الشرعية، فأعلنت أنه مسموح للفتيات والنساء بالتعليم والعمل وفق ضوابط الشرع، كما أن من حق كلِّ مواطن أن يُطالب بحقوقه بكلِّ جُرأة، والإمارة الإسلامية مستعدَّة لتلبية جميع الطلبات الإيجابية.

وتمَّ بث لقاءات مصوَّرة مع النساء بعد سيطرة طالبان للحديث عن انطباعاتهنَّ عن الأوضاع في ظل سيطرة قوات إمارة أفغانستان الإسلامية، وشعورهنَّ بالأمان وقدرتهن على الخروج إلى الأسواق.

وحين انهالت مجموعة من النساء بالسب والشتم والتهديد على مجاهدي الإمارة الإسلامية في العاصمة كابل في ٢٠ أغسطس ٢٠٢١، بغرض استفزازهم حتى يوثِّقن ذلك ويستخدمنه في تشويه سمعة الإمارة الإسلامية. قالت طالبان إن المجاهدين استقبلوا هذا الكمَّ الهائل من الشتائم والتهديد بالابتسامة والتغاضي.

وفي المقابل سُمح بمسيرات نسائية في مختلف ولايات أفغانستان، تعلن عن تأييدها للنظام الإسلامي والحجاب، وترفض التبرج والسفور تحت غطاء الديمقراطية، وتطالب بحقوق المرأة في ضوء الضوابط والأحكام الشرعية والقيم والمبادئ الدينية.

وصرَّح وكيل وزارة الثقافة والإعلام "ذبيح الله مجاهد"، بأن هناك ضرورة للنساء في عدد من الدوائر الحكومية مثل: (الصحة، والتعليم العالي، والمدارس، والشرطة، والادعاء العام، والمحاكم)، وقد باشرت النساء أعمالهن في بعض الدوائر بالفعل، وقريبًا سيبدأن فعالياتهن في بقية المجالات أيضًا. وقال إن موظفات وزارة (شئون المرأة) سيتم توظيفهن في بقية الدوائر الحكومية، كما سيصرف لهن رواتب الفترة الماضية أيضًا.

وتم تتويج هذه الصورة الجديدة المتعلِّقة بالمرأة بصدور مرسوم خاص من قبل سماحة أمير المؤمنين بشأن حقوق المرأة في ٣ ديسمبر ٢٠٢١، الذي قَرَّر أنه يتوجَّب على جميع المسئولين، والعلماء الكرام، ووجهاء القبائل اتخاذ خطوات جادة بشأن ضرورة مراعاة الحقوق التالية للمرأة، وأخذ المرسوم يعدِّد عددًا من هذه الحقوق التي شملت اشتراط رضى المرأة البالغة في النكاح وعدم إكراهها عليه. ولا يحق لأحد أن يزوجها مقابل حل النزاع فهي ليست مالًا. كما أن المرأة المتوفى عنها زوجها، حرة في تحديد مصيرها بعد انقضاء عدتها (أربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل)، ولا يحق للحمو (أخ الزوج) ولا لغيره أن يتزوجها رغمًا عنها، بشرط أن يُراعى في ذلك الكفاءة وعدم وقوع الفتنة أو الفساد. وليس لأحد أن يمنع المرأة من أخذ نصيبها في الإرث.

وتضمَّن المرسوم توجيه جميع المحاكم لتسجيل الدعاوى المتعلِّقة بحقوق النساء وخاصة الثكالى منهن بشكل أصولي، حتى لا يشعرن باليأس في سبيل الحصول على حقوقهن ودفع الظلم عنهن. وعلى حكَّام الولايات والمديريات أن يتعاونوا مع الوزارات المذكورة والمحاكم في تطبيق جميع بنود هذا المرسوم[١١].

(١٠) قارن مع الموقف من آثار باميان إبان الإمارة الطالبانية الأولى، في: مدحت ماهر، أفغانستان والجوار: السياسات والانعكاسات والدلالات، حولية أمتي في العالم، العدد الخامس، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠٠٢)، ص ص ١٧٥-١٧٦.

(١١) مرسوم سماحة أمير المؤمنين بشأن حقوق المرأة، موقع justpaste.it، ٣ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:
https://justpaste.it/82lq4

وبالنسبة للطوائف الأخرى حرصت طالبان على ترك انطباعات جيِّدة لدى أتباعها، وأبرزت تعليقات قادتهم، مثل: رئيس معابد السيخ والهنود في كابول الذي قال: نحن في أمن وأمان، لا نشعر بأي خوف أو قلق. قبل ذلك كان هناك خوف وقلق عند الناس على أرواحهم وأموالهم، والآن ليست هناك مشاكل، نحن مطمئنون.

وأبدت طالبان أيضًا اهتمامًا بالمجال الرياضي، فالتقى عضو المكتب السياسي للإمارة الإسلامية (أنس حقاني) في ٢٢ أغسطس ٢٠٢١ بكابتن المنتخب الوطني للكريكت، في العاصمة كابل، وتحدَّثا حول البرامج المستقبلية، وسبل تحسين المستوى والأداء الرياضي لدى الفريق. وفي ٢١ سبتمبر ٢٠٢١ تمَّ تعيين رئيس للجنة الأولمبية، وتم تنظيم العديد من المنافسات الرياضية المختلفة.

افتتحت طالبان كذلك عددًا من المتنزهات والملاهي بعد إصلاحها وإعادة بنائها.. مثل منتزه ومدينة للملاهي في ولاية قندوز شمال أفغانستان.، بالإضافة لتدشين بناء مركز ترفيهي لذوي الاحتياجات الخاصة في حي "المهدي" بمنطقة "جبرييل" بمدينة هرات، ويعتبر هذا المشروع الأول من نوعه في الولاية. وطلب رئيس دائرة الثقافة والإعلام بولاية هرات من المؤسسات الخيرية والأثرياء أن يساهموا في بناء هذا المشروع قدر استطاعتهم.

خاتمة- طالبان والتحديات: تقدير وتقييم

استعرض التقرير بعض جوانب صعوبة الأوضاع في أفغانستان مع لمحة تاريخية لها، من أجل إدراك طبيعة التركة التي ترثها طالبان، كما استعرض كيفية تعامل طالبان وتفاعلها مع هذه التحديات والصورة التي تقدِّم بها نفسها وما تراه من أولويات، وفي ظل هذه المعطيات السابق ذكرها يمكننا أن نوجز نظرة عامة للتحديات والتعامل معها من جانب طالبان في الفقرات التالية:

١- التحدي الاقتصادي

يعتبر تحدِّي تحسين الأوضاع الاقتصادية من أهم التحديات التي تواجه طالبان وسلطتها الجديدة على أفغانستان، في ظل أهمية إحداث طالبان لتوازن في علاقاتها الخارجية مع الصين وروسيا من جهة وأوروبا والولايات المتحدة من جهة أخرى، فضلًا عن توازنات الإقليم في التعامل مع باكستان وإيران والهند، فكيف ستتعامل طالبان في ظل حالة العزلة الرسمية المفروضة عليها من جميع هذه الأطراف، التي تتعامل بها من باب التعامل مع أمر واقع دون أن تعترف بها، فيترتَّب على هذا الاعتراف التزامات بتقديم مساعدات أو إبرام اتفاقيات طويلة المدى في القطاعات الاقتصادية والتنموية وتمويل المشروعات المختلفة بشكل جدِّيٍ يؤدِّي إلى تحسين حقيقي في الأوضاع المعيشية للمواطنين الأفغان، والأهم ما هي الأثمان التي ستضطر طالبان لدفعها لهذه الأطراف سواء كانت تنازلات سياسية أو وطنية أو ميلًا لطرف على حساب طرف، وهو ما سيجعلها تدخل في سياسة محاور يدرك قادة طالبان مدى خطورة الانزلاق في الانتساب لأيٍّ منها، ولكن في الوقت نفسه ستحرص كل الأطراف على ربط مساعداتها ومشاركتها في التنمية على مقابل باهظ تدرك أن طالبان قد تضطر لدفعه في مقابل توطيد أركان حكمها، وهذه هي المعركة الحقيقة التي سيتعيَّن على طالبان خوضها بين أشواك المجتمع الدولي الذي ستتعامل معه.

يتبنَّى خطاب طالبان لوم الغرب وإلقاء التبعة عليه فيما يتعلَّق بالأزمة الإنسانية والاقتصادية بأفغانستان، فطالما أنه هو الذي تسبَّب باحتلاله للبلد في سوء أوضاعها، فإن توقُّفه عن منح المساعدات هو سبب هذه الأزمة. المتحدِّث باسم طالبان، سهيل شاهين، يوجه أصابع الاتهام إلى المجتمع الدولي، ويخبر مراسلة بي بي سي أن معاناة الشعب الأفغاني نتجت عن تصرُّفات الغرب. ويضيف "إذا كانوا يقولون إن هذا البلد يتجه نحو كارثة ومجاعة وأزمة إنسانية، فمن مسئوليتهم اتخاذ إجراءات مناسبة لمنع كل هذه المآسي". ويرى أن "على المجتمع الدولي والدول الأخرى التي تتحدَّث عن حقوق الإنسان... أن تعيد النظر في الخطوات التي اتَّخذتها وأدَّت إلى أزمة إنسانية في أفغانستان". ويتَّفق معظم المراقبين على أن حلَّ هذه المشكلة سيأتي من التمويل الدولي، ولا شأن يتَّضح فيه هذا أكثر من

الاقتصاد، فعندما انقطعت صنابير المساعدات الدولية، انهار الاقتصاد[١٢]. على سبيل المثال قطعت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية USAID تمويلها منذ ٢٢ نوفمبر ٢٠٢١ بالرغم من استئناف أفغانستان علاقاتها التجارية وحركة الطيران بها، مما أثار قلق المقاولين وسيزيد من معاناة الشعب الأفغاني[١٣].

وتُعد أفغانستان من الدول الحبيسة القليلة في العالم، حيث لا منفذ لها على البحر، وهو ما يجعلها أسيرة الدول التي توفِّر لها هذه الإطلالة، ولكن بقدر ما تحتاج أفغانستانُ باكستانَ في المنفذ البحري، تحتاج باكستانُ أفغانستانَ في توفير عمق عسكري بمواجهة الهند، بالإضافة إلى تهدئة عرقية البشتون في باكستان، والذين يشكِّلون حوالي ٤٠ مليون نسمة، بالإضافة إلى قدرة موقع أفغانستان على تقديم خطوط ترانزيت لها ولحلفائها، للوصول لأسواق آسيا الوسطى وما بعدها من أسواق.

على سبيل المثال هناك مشروع مارشال الصيني الاقتصادي العالمي للوصول إلى الأسواق العالمية لتسويق بضائعها ومنتوجاتها، المعتمد على استئناف خط الحرير القديم، أو ما بات يعرف اليوم بـ"طريق واحد.. حزام واحد". وقد كلّفها مئات المليارات من الدولارات للاستثمار في بنى تحتية في باكستان وأفغانستان وإيران؛ أملًا في الوصول إلى أسواق آسيا الوسطى، ومن ثم إلى المنطقة العربية فإيران وتركيا وأوروبا[١٤].

٢- تحدي التماسك التنظيمي والاجتماعي

من التحديات المهمَّة أيضًا الحفاظ على الوحدة والتماسك التنظيمي داخل الحركة والمجتمعي داخل الدولة والمجتمع، فهذا الوجه الموحَّد الذي بدتْ عليه طالبان والتماسك الذي ظهرت به طوال السنوات الماضية وحتى أثناء مفاوضاتها مع الأمريكيين المحتلين لأفغانستان وما كان يمكن أن يثيره هذا المسلك من انشقاقات واعتراضات، فإن ذلك لم يحدث إلا بشكل محدود.

لكن بعد سيطرة طالبان على أفغانستان وانتصارها، تُبرز أصوات غربية وجود تنافس حادٍّ على القيادة بين التنظيم التقليدي لحركة طالبان وحليفتها شبكة حقاني التي يتزعَّمها سراج الدين حقاني الذي تولَّى حقيبة الداخلية في حكومة تصريف الأعمال التي أعلنت عنها طالبان.

الصحفية الأسترالية لين أودونيل مديرة مكتب وكالة الأنباء الفرنسية ووكالة الأسوشيتد برس في أفغانستان بين عامي ٢٠٠٩ و ٢٠١٧ كتبت مقالا في مجلة السياسة الخارجية Foreign Policy تحدَّثت فيه عن هذا الصراع، بين اثنين من كبار الشخصيات في طالبان: الزعيم السياسي عبد الغني برادر، الذي شارك في تأسيس طالبان مع الملا محمد عمر، وسراج الدين حقاني الذي يرأس شبكة حقاني، تقول إن الانقسام يتَّسع بين برادر، الذي أبرم ما يسمى باتفاق السلام في عام ٢٠٢٠ مع الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، وحقاني، الذي شن هجمات انتحارية في ساحة المعركة الأفغانية. قال رحمة الله نبيل، الرئيس السابق للمخابرات للحزب السابق، إن برادر، نائب رئيس الوزراء المؤقت الآن، يُنظر إليه على أنه "رجل أمريكا"، بينما يمثل حقاني، القائم بأعمال وزير الداخلية، الوجه الأكثر معاداة للغرب في الجماعة، والذي يروق لباكستان. ويتم في هذا السياق تفسير هجوم على مستشفى عسكري في كابل، أدَّى إلى مقتل حليف حقاني، حمد الله مخلص، قائد الفيلق العسكري في العاصمة[١٥].

(١٢) أفغانستان تحت حكم طالبان: ما حال الأفغان بعد ١٠٠ يوم من تولي الحركة مقاليد السلطة؟، BBC عربي، ٢٣ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/zaZuV

(13) Alexander Ward, Pause in USAID's Afghanistan funds rankles contractors, Politico, 24 November 2021, available at: https://politi.co/30WW8cz

(١٤) أحمد موفق زيدان، لعبة الجغرافيا الاقتصادية في أفغانستان، عربي ٢١، ٩ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Fp8YiO

(15) Lynne O'Donnell, Taliban Splintered by Internal Divisions, External Spoilers, Foreign Policy, 12 November 2021, available at: https://bit.ly/3szEVBy

لا يمكن الجزم بمدى دقَّة هذه المعلومات التي تحرص طالبان على نفيها[١٦]، ولكن لا يمكن استبعادها من قراءة المشهد الأفغاني الجديد، وهو سلوك معتاد يظهر بين المنتصرين بعد الوصول إلى السلطة، وهو تحدٍّ لا شك أن طالبان ستتعرَّض له إن لم تكن تعاني منه فعلًا الآن.

٣- تحدِّي التعامل مع الجماعات المسلحة وتنظيم الدولة والقاعدة

تقلِّل طالبان من خطر تنظيم الدولة ويقول مسئولوها إن الحرب في أفغانستان قد انتهت أخيرًا وإنهم جلبوا السلام والأمن إلى أفغانستان وأي شيء يقوض هذه المقولة غير مرحب به.

يحمل تنظيم الدولة في أفغانستان اسم "الدولة الإسلامية - ولاية خراسان" وخراسان هو الاسم القديم لآسيا الوسطى التي تشمل عدَّة دول ومن بينها أفغانستان. وأكد التنظيم وجوده لأول مرة في أفغانستان عام ٢٠١٥ ونفَّذ هجمات في السنوات التالية، لكن منذ استيلاء طالبان على السلطة شنَّ هجمات انتحارية في مناطق من البلاد لم يسبق أن نشط فيها التنظيم.

لقد شَنَّ التنظيم هجمات دامية على مساجد للأقلية الشيعية في مدينة قندوز الشمالية ومعقل طالبان في قندهار. وتكمن المخاوف من نجاح التنظيم في تجنيد بعض المقاتلين الأجانب من آسيا الوسطى وباكستان المتمركزين في البلاد بالإضافة إلى أعضاء طالبان المحبطين إذا تحولت الحركة إلى فصائل متنافسة في المستقبل، خلال الأيام الأخيرة استسلم العشرات من أعضاء التنظيم لقوات طالبان في ننجرهار[١٧].

٤- تحدي استمرار طالبان في الحفاظ على صورتها الجديدة واكتساب الشرعية الدولية

وإذا كانت طالبان قد قدَّمت بعض السلوكيات والمواقف التي بدتْ فيها مثالية إلى حدٍّ كبير، خاصة في مجال الحقوق المالية رغم الضائقة الاقتصادية كتأجير بيوت المهاجرين الذين تركوها وحفظ عوائد هذا التأجير بالابنك المركزي لحين عودتهم لأفغانستان، وكذلك في مجال حقوق الإنسان عمومًا رغم حداثة سيطرتهم الحالية على السلطة وتزايد احتمالات التربُّص بهم من خصومهم، فإن التقارير التي تصدر عن هيئات ووسائل إعلام كبيرة وتنقل صورة مغايرة تحتاج إلى موالاة في تفنيدها بوثائق وإحصاءات، مثل تصريح نائبة رئيسة مفوضية حقوق الإنسان بالأمم المتحدة التي تحدَّثت عن مقتل ثمانية نشطاء أفغان منذ أغسطس الماضي واحتجاز عشرات بصورة غير قانونية[١٨].

لا شكَّ أن طالبان قدَّمت صورةً جديدة بل ورشيدة ومهنية، فرضت نفسها حتى على عددٍ من وسائل الإعلام التي ربما تتحيَّز ضدها، فتم توثيق الترحيب الكبير بوصولهم إلى السلطة، وإقرار التجار والمواطنين باستتباب الأمن وعدم وجود من يحصل منهم على رشاوى وإتاوات، بعد أن كانوا يدفعون سابقًا في ظل الحكومة السابقة[١٩]. لكن سيظل استمرار هذه الحالة رهنًا باستقرار الأوضاع الاقتصادية وزيادة معدلات النمو والتنمية الاقتصادية وحفظ الأمن، والمؤشرات الواردة حتى الآن مقلقة وغير مبشِّرة، باستثناء بعض الجهود المبذولة من بعض الدول

---

(١٦) نشر حساب (الإمارة الإسلامية) على موقع تويتر تغريدة في ١٥ سبتمبر ٢٠٢١، جاء فيها: منذ أيام يتم تداول شائعات في مواقع التواصل الاجتماعي من قبل بعض الجهات المغرضة، حول إصابة الملا برادر آخند نتيجة نزاع داخلي في القصر الرئاسي و... إلى غير ذلك من الترهات والأكاذيب. وقريبًا سيتم بث لقاء حصري مع السيد (الملا برادر آخند)، للرد على جميع تلك الشائعات. متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/bixkH

(١٧) سيكوندر كيرماني، أفغانستان تحت حكم طالبان: المعركة الشرسة خلف الستار بين طالبان وتنظيم الدولة الإسلامية، BBC عربي، ٣٠ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/4LyTw

(١٨) هاجر العرفاوي، هل يفجر تجاهل أفغانستان الأوضاع الإنسانية؟، الشرق، ١٦ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3er9p06

(١٩) محمد فرحات، تجار أفغانستان سعداء تحت راية "طالبان".. ضحايا الإتاوات الهاربة، العين الإخبارية، ٦ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3sAygXI

الإسلامية خاصة قطر وتركيا وباكستان، وغيرها. لكن هل تكفي؟

سؤال ينتظر إجابة خلال الشهور وربما الأعوام القادمة عن مدى نجاعة هذه الجهود، وقدرتها على جلب اعتراف دولي وأممي بحكومة طالبان بما يجعلها عضوًا طبيعيّا في المجتمع الدولي، وتحصل أفغانستان بموجب ذلك على أرصدتها المجمَّدة وتيسير التعامل الدولي معها بما ينعكس بصورة إيجابية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعب الأفغاني، وعلى قدرة طالبان على مواجهة التحديات الداخلية بكفاءة أكبر.

*****

الانسحاب الأمريكي من أفغانستان ودلالاته في الاستراتيجية الأمريكية

محمد جمال علي(*)

مقدمة:

احتلَّ الوضع في أفغانستان مواقع الصدارة في غالبية وسائل الإعلام واهتمامات المراكز والمؤسسات البحثية على مستوى العالم، مع دخول عملية الانسحاب العسكري الأمريكي من أفغانستان مراحلها النهائية خلال شهر أغسطس ٢٠٢١، وما صاحبها من تقدُّم عسكري سريع لقوات حركة طالبان مقابل انهيار واستسلام كامل غير متوقَّع للقوات الحكومية الأفغانية المدعومة أمريكيًا.

ومع إعلان الولايات المتحدة إتمامها الكامل للانسحاب العسكري وإجلاء كافة مواطنيها من العسكريين والمدنيين وأعداد كبيرة من المتعاونين معها من الأفغان والجنسيات الأخرى في ٣١ أغسطس ٢٠٢١، كانت طالبان قد سيطرت بالفعل على العاصمة كابول قبل ما يزيد عن الأسبوعين من هذا التاريخ، في موقف جذب أنظار المراقبين من كافة أنحاء العالم بين مستهجن للفشل الأمريكي في الملف الأفغاني أو معبر عن مخاوفه بشأن مستقبل الجماعات الجهادية التي قد تكتسب قدرات متجدِّدة على توسيع نشاطاتها انطلاقًا من أفغانستان.

يسعى هذا التقرير إلى الاقتراب من المشهد الأفغاني وتفسير دوافع الانسحاب الأمريكي من أفغانستان والإصرار عليه رغم التفوق العسكري الواضح لطالبان على القوات الحكومية أثناء الانسحاب الأمريكي، كما يسعى إلى تقديم تصور لسيناريوهات التعامل الأمريكي مع حكومة طالبان خلال السنوات المقبلة، ومن ثم تتمثَّل الأسئلة الرئيسية للتقرير فيما يلي:

لماذا الإصرار على الانسحاب؟ ما دلالة مشهد الإجلاء والانسحاب السريع وسيطرة طالبان دون معارك على العاصمة؟ وبناء عليه؛ ما هي أدوات السياسية الأمريكية في التعامل المستقبلي مع حكَّام أفغانستان؟ هل تتمثل في ضغوط اقتصادية أو دبلوماسية على طالبان؟ وما هي شروط المساعدة التي قد تفرضها الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الجديد؟

وعليه؛ ينقسم هذا التقرير إلى محورين رئيسيين: يتناول المحور الأول بالتحليل دوافع الانسحاب الأمريكي من أفغانستان ودلالاته بالنسبة للمصالح الأمريكية، بينما يتناول المحور الثاني اتجاهات وسيناريوهات التعامل المستقبلي لحكومة الولايات المتحدة مع حركة طالبان الحاكمة لأفغانستان.

أولًا- مشهد الانسحاب.. الأسباب والدلالات:

نشرت صحيفة واشنطن بوست وثائق حكومية أمريكية سرية في العام ٢٠١٩ بعنوان "الأوراق الأفغانية"؛ وتكشف هذه الأوراق أحد أهم دوافع الإصرار الأمريكي للإدارات المتعاقبة على إتمام وعود الانسحاب العسكري الكامل من أفغانستان؛ حيث تؤكد الوثائق على أن الإدارات الأمريكية منذ عهد جورج بوش الابن قد توصَّلت إلى استنتاج مفاده عدم القدرة على القضاء الكامل على حركة طالبان؛ مع الإدراك لحجم الفساد والضعف الذي تعاني منه الحكومات الأفغانية المدعومة أمريكيًا[1]؛ ومن ثم فإن قرار الانسحاب كان يبدو حتميًا في ظلِّ التكلفة المادية والبشرية الكبيرة التي تكبَّدتها الولايات المتحدة في إحدى أطول الحروب العسكرية التي خاضتها إن لم تكن أطولها زمنًا على الإطلاق.

(*) باحث دكتوراه في العلوم السياسية.

(١) خلفيات عودة طالبان إلى حكم أفغانستان وتداعياتها، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٧ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/306IJOx

وبدءًا من عام ٢٠٠٩ حدث تغيُّر استراتيجي في تعامل كلٍّ من الولايات المتحدة والحكومة الأفغانية مع طالبان؛ فأظهر الطرفان استعدادًا للتفاوض مع طالبان واستيعابها بدلًا من الاكتفاء بمواجهتها والصدام معها؛ وهو أمر أصرَّت طالبان على إعلان رفضها له بشكل متكرِّر مالم تخرج القوات الأجنبية من أفغانستان بالكامل[٢].

ويُصنف الانسحاب الأمريكي من أفغانستان ومن قبله الانسحاب من العراق ضمن الاستراتيجية الأمريكية الهادفة لتخفيض الإنفاق العسكري على الحروب الخارجية طويلة المدى والتحوُّل للاهتمام بدعم الاقتصاد الأمريكي الذي يواجه تحديات كبيرة على المستوى الدولي في ظلِّ صعود قوى اقتصادية منافسة وعلى رأسها الصين[٣].

وكان الرئيس الأسبق باراك أوباما هو أول من بدأ بتنفيذ الاستراتيجية الأمريكية للخروج التدريجي من أفغانستان؛ حيث تقرَّر في العام ٢٠١٠ أن يكون عام ٢٠١٤ هو عام انسحاب معظم القوات الأجنبية من أفغانستان[٤]؛ وتأكَّد ذلك حين أعلن أوباما في نهاية عام ٢٠١٤ انتهاء المهمة القتالية الأمريكية في أفغانستان وسحب جميع القوات الأمريكية التي كانت قد وصلت إلى قرابة الـ ١٠٠ ألف جندى في العام ٢٠١١؛ مع الإبقاء فقط على ٩٨٠٠ جندي أمريكي في مهام غير قتالية، والانتقال إلى مرحلة الحرب بقيادة أفغانية والاكتفاء بالدعم والإشراف الأمريكي[٥].

وفي العام ٢٠١٨ لجأ الرئيس دونالد ترمب إلى التفاوض مع طالبان عبر الوساطة القطرية بهدف تمهيد الطريق أمام الانسحاب الأمريكي الكامل من أفغانستان بما يضمن عدم استغلال طالبان للأراضي الأفغانية من أجل تنفيذ عمليات عدائية ضد الولايات المتحدة أو استضافة جماعات إرهابية تتولَّى تنفيذ هذه العمليات؛ وفي التاسع والعشرين من فبراير لعام ٢٠٢٠ تم رسميًّا توقيع الاتفاق بين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وحركة طالبان التي تمَّ التعبير عنها في الاتفاق بـ"إمارة أفغانستان الإسلامية التي لا تعترف بها الولايات المتحدة"، في حين غابت الحكومة الأفغانية المدعومة من الولايات المتحدة عن عمليات التفاوض وعن مراسم توقيع الاتفاق ولم تُعد طرفًا من أطراف هذا الاتفاق[٦].

ونصَّ الاتفاق على أربعة بنود أساسية؛ يتضمَّن البند الأول مجموعة من الضمانات والآليات التي من شأنها منع أي مجموعة أو فرد من استخدام الأراضي الأفغانية لتنفيذ أعمال عدائية ضد الولايات المتحدة، ويتضمَّن البند الثاني آليات الانسحاب الأمريكي الكامل من أفغانستان والجدول الزمني لهذا الانسحاب الذي يجب أن يتمَّ كاملًا في غضون ١٤ شهرًا من تاريخ الإعلان عن الاتفاقية، ويتضمن البند الثالث ضرورة انطلاق محادثات سلام بين حركة طالبان والحكومة الأفغانية تبدأ في ١٠ مارس ٢٠٢٠، بينما يشير البند الرابع إلى أن جدول أعمال الحوار الأفغاني-الأفغاني ينبغي أن يتضمن وقف إطلاق النار بين الطرفين وآلياته وجدوله الزمني[٧].

---

(٢) مدحت الليثي ومحمد صلاح عبد العال، الإسلاميون وبناء الدولة في أفغانستان: أين الخلل؟، (في) أمتى في العالم: السياسات العامة في نظم ومجتمعات العالم الإسلامي.. نماذج وخبرات، (القاهرة: كتاب غير دوري، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٢٠١٩)، ص ٤٢٩.

(٣) منصور أبو كريم، الانسحاب الأمريكي من أفغانستان.. الأسباب والتداعيات، المركز الديمقراطي العربي، ٢٠ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:

https://democraticac.de/?p=76718

(٤) مدحت الليثي ومحمد صلاح عبد العال، الإسلاميون وبناء الدولة في أفغانستان..، مرجع سابق، ص ٤٢٩.

(٥) كرونولوجيا التدخل الأمريكي في أفغانستان، البيان، ٣١ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/wkxLE

(٦) اتفاق السلام بين الولايات المتحدة وطالبان: المضمون، والسياقات، والتحديات، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٥ مارس ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي:

https://bit.ly/3Fk5NbT

(٧) المرجع السابق.

وبموجب هذه الاتفاقية كان من المفترض أن يتم الانسحاب الأمريكي كاملًا بنهاية شهر مايو ٢٠٢١، ولكن قرَّر الرئيس الأمريكي جو بايدن بعد وصوله للسلطة إرجاء موعد إتمام الانسحاب كاملًا إلى تاريخ ٣١ أغسطس من العام نفسه، مع الالتزام بذات التوجُّه الاستراتيجي لإنهاء التورط الأمريكي في أفغانستان مهما كان الثمن(٨).

- **فشل استخباري للولايات المتحدة في أفغانستان:**

على الرغم من الإصرار الأمريكي على الانسحاب من أفغانستان إلا أن الحكومة الأمريكية لم تكن تتوقَّع هذا الانهيار السريع للحكومة الأفغانية والهيمنة السريعة لطالبان على الحكم في كابول؛ إنما كانت أكثر التوقُّعات تشاؤمًا تشير إلى حرب أهلية بين طالبان والإدارة الأفغانية تنتهي بسيطرة طالبان بعد ٦ أشهر على الأقل، بينما كانت هناك توقُّعات أخرى باستمرار أطول للحرب الأهلية ينتهي بتوافقات وتقاسم للسلطة بين طالبان والإدارة الأفغانية، حتى إن الناطق باسم وزارة الدفاع الأمريكية جون كيربي كان حتى الثالث عشر من أغسطس ٢٠٢١ يؤكِّد أن العاصمة الأفغانية غير مهدَّدة، أي قبل يوم واحد فقط من الاقتحام الطالباني للعاصمة كابول؛ حيث لم تكن الإدارة الأمريكية على ما يبدو تتوقَّع هذا الانهيار المعنوي الكبير للقوات الحكومية ولم تكن تملك تقديرًا صحيحًا لحجم الاتكالية النفسية للحكومة الأفغانية على القوات الأمريكية الداعمة لها في أفغانستان(٩).

وهذا الفشل في التوقُّعات والتنبُّؤات بمستقبل أفغانستان تؤكِّده سلسلة التصريحات الأمريكية الرسمية عن الوضع في أفغانستان منذ بدء الترتيبات النهائية لتنفيذ الانسحاب العسكري وصولًا إلى مرحلة ما بعد سقوط كابول في يد طالبان؛ فمع بدايات عملية الانسحاب في نهاية شهر مايو ٢٠٢١ صدرت تصريحات متكرِّرة من الإدارة الأمريكية تؤكِّد على حرص الولايات المتحدة على الحفاظ على علاقات طيبة مع الحكومة الأفغانية والتزامها بتقديم المساعدات الأمنية لقوات الدفاع والأمن الوطنية الأفغانية، وهي الرسائل التي أوصلتها الإدارة الأمريكية لحكومة أشرف غني في أفغانستان وللمجتمع الدولي عبر عدد من ممثليها ومنهم مستشار الأمن القومي الأمريكي، وممثلة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، فضلًا عن الرسائل المباشرة التي قدَّمها الرئيس الأمريكي جو بايدن بنفسه في لقاءاته مع قيادات الحكومة الأفغانية في شهر يونيو ٢٠٢١(١٠).

وفي جلسة أمام مجلس الشيوخ الأمريكي بشأن الانسحاب الفوضوي من أفغانستان أقرَّ مسئولو البنتاغون بوقوع أخطاء وفشل استراتيجي في عملية الانسحاب نتيجة التقديرات الخاطئة لقوة القوات الحكومية الأفغانية وقدرتها على مواجهة طالبان، وعدم الإدراك لحجم الفساد داخل الحكومة والقوات الأفغانية؛ وصرَّحت قيادات بالبنتاغون بأنهم نصحوا الرئيس الأمريكي جو بايدن بالإبقاء على ٢٥٠٠ جندي على الأقل في كابول لتجنب الانهيار الكامل، وهي النصيحة التي رفضها

(٨) خلفيات عودة طالبان إلى حكم أفغانستان وتداعياتها، مرجع سابق.

(٩) المرجع السابق.

(10) Look at:

- Readout from NSC Spokesperson Emily Horne on National Security Advisor Jake Sullivan's Call with Afghan National Security Advisor Hamdullah Mohib, Statements and Releases, the white house, 26 May 2021, available at: https://bit.ly/3Fcwu24

- Remarks by Ambassador Linda Thomas-Greenfield at a UN Security Council Open Debate on Afghanistan, Unites states mission to the United Nations, 22 June 2021, available at: https://bit.ly/3ng5DMm

- Fact Sheet: Continued U.S. Support for a Peaceful, Stable Afghanistan, Statements and Releases, the white house, 25 June 2021, available at: https://bit.ly/3HwlVsK

الرئيس الأمريكي؛ الذي صرح لاحقًا بأنه لم يتلق هذه النصيحة من الأساس خلال مقابلة تليفزيونية[١١].

- **الفشل الأمريكي في "بناء الدولة" في أفغانستان:**

إلى جانب ما يُمكن اعتباره فشلًا استخباريًّا في توقُّع مآلات الانسحاب الأمريكي الكامل من انهيار معنوي سريع للقوات الحكومية وعودة طالبان للسيطرة على كامل الأراضي الأفغانية بما فيها العاصمة كابول قبل انتهاء الانسحاب الأمريكي الكامل بنحو أسبوعين، بالإضافة إلى الفشل العسكري على مدار عشرين عامًا من الحرب الأمريكية في أفغانستان في القضاء على طالبان أو حتى في إضعافها وتحجيمها بما يجعلها عاجزة عن العودة مجدَّدًا إلى حكم البلاد، ثمة فشل سياسي واستراتيجي واضح في مشروع بناء الدولة الأفغانية وفق الرؤية التحديثية الغربية التي تبنَّتها الإدارات الأمريكية والحكومات الأفغانية التابعة لها؛ وهي الرؤية التي انعكست بوضوح في الكتاب الصادر عام ٢٠٠٨ بعنوان "إصلاح الدولة الفاشلة: إطار لإعادة بناء عالم متصدع" لكل من أشرف غنى الذي أصبح لاحقًا رئيسًا للحكومة الأفغانية التي سقطت على يد طالبان بعد الانسحاب الأمريكي، وكلير لوكهارت المستشارة السابقة للأمم المتحدة في أفغانستان؛ ويطرح هذا الكتاب رؤية لإدماج "الدول الفاشلة" ومن بينها أفغانستان في العالم الحديث ذي القيادة الغربية، وأن ذلك غير ممكن إلا بتعاون دولي وتدخُّل غربي مباشر في شئون هذه الدول من أجل العمل على تحديثها وإدماجها في الآليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في العالم الحديث بما يحمي البلدان المتقدمة ذاتها من الشرور والأخطار التي قد تنجم عن ترك هذه الدول الفاشلة تقبع في براثن عدم الاستقرار والعجز عن توفير الاحتياجات الأساسية لمواطنيها[١٢].

وعلى الرغم من تبرؤ الرئيس الأمريكي جو بايدن من هدف "تأسيس الدولة" كأحد أهداف الغزو الأمريكي لأفغانستان؛ حين صرَّح في الثامن من يوليو ٢٠٢١ قائلًا: "لم نذهب إلى أفغانستان لبناء الدولة، فيعود إلى الشعب الأفغاني وحده حق ومسؤولية تقرير مستقبله وكيف يريد أن يدير بلاده"[١٣]، ومعبرًا عن رضاه عن المساعدات التي قدَّمتها بلاده لشركائها الأفغان من تسليح بأحدث الأجهزة وتدريب لمئات الآلاف من المقاتلين في الجيش وقوات الأمن الأفغانية؛ إلا أن حجم الفساد والانهيار السريع لقوات الأمن الأفغانية الذي ظهر بوضوح بعد ذلك أكد على فشل الإدارة الأمريكية حتى في وضع النخبة الأفغانية الحليفة لها على طريق بناء الدولة.

فقد أشارت الكثير من التقارير إلى حجم الفساد الهائل داخل القوات العسكرية والأمنية التابعة للحكومة الأفغانية والتي أشرفت الولايات المتحدة على تأسيسها وتدريبها ودعمها والتي كانت تنوي استمرار تقديم الدعم لها بعد الانسحاب؛ حيث افتقدت هذه المؤسسات العسكرية إلى القيادات ذات الكفاءة وإلى المستويات المناسبة من التعليم التي تُمكنها من التعامل مع الأسلحة المتطورة لدرجة أن أعدادًا كبيرة من الجنود لم يكونوا على قدر من التعليم يسمح لهم بملء استمارات بياناتهم الشخصية، وكذلك انتشار الفساد والرشوة بين قيادات هذه المؤسسات العسكرية بشكل فج؛ فضلًا عن افتقاد هذه القوات إلى أي التزام أخلاقي أو معنوي أو عقيدة قتالية تدفعهم للمخاطرة بخوض الحرب في مواجهة طالبان بعد الانسحاب الأمريكي؛ وأن الدافع المادي كان هو الدافع الأساسي لاستمرار أغلب الجنود في المؤسسات العسكرية الأفغانية في وظائفهم خاصة في ظلِّ معرفة هؤلاء الجنود بالفساد المالي

---

(١١) الانسحاب الأمريكي من أفغانستان: البنتاغون يقر أمام مجلس الشيوخ بحصول أخطاء و"فشل استراتيجي"، France 24، ٢٠ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3ClM2yy

(١٢) مدحت الليثي ومحمد صلاح عبد العال، الإسلاميون وبناء الدولة في أفغانستان..، مرجع سابق، ص ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(١٣) تصريحات الرئيس بايدن بشأن سحب القوات الأمريكية من أفغانستان، وزارة الخارجية الأمريكية، ٨ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3xfuQKq

والإداري والأخلاقي لدى قيادات الجيش والأجهزة الأمنية الأفغانية[١٤].

ومنذ الانسحاب الأمريكي من أفغانستان وانكشاف حجم الفساد الهائل للحكومة الأفغانية تحت سمع وبصر المحتل الأمريكي تتواتر الاتهامات للولايات المتحدة من الداخل والخارج بالتواطؤ في صناعة الفساد في أفغانستان وعدم الرغبة في القضاء عليه رغم انكشافه ووضوحه منذ سنوات الاحتلال الأولى؛ وعلى سبيل المثال فقد نشرت سارة تشاويس الخبيرة في العمل التنموي في أفغانستان والمساعد السابق لرئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية في أفغانستان مقالًا بعنوان "الفساد في أفغانستان.. صناعة أمريكية" اتهمت فيه الإدارات الأمريكية المتعاقبة بإهمال ملف الفساد في أفغانستان والاستمرار في تقديم الدعم المالي لأمراء الحرب في أفغانستان رغم معرفتهم بفساد هؤلاء ومراكمتهم الثروات من خلال هذه المساعدات، وتغاضيهم عن فضائح القيادات السياسية في أفغانستان فيما يتعلق بتزوير الانتخابات، وإهمالهم للاستراتيجيات التي طُرحت عليهم لمعالجة ملف الفساد الأفغاني، وتُفسر الكاتبة ذلك بالنظرة الاستعلائية للنخب المدنية والعسكرية الأمريكية التي تعتبر أن الفساد هو جزء من ثقافة شعوب مثل أفغانستان وليس نظامًا سياسيًّا واجتماعيًّا له ظروف موضوعية على رأسها سياسات الاحتلال الأمريكي نفسه[١٥].

وعلى الرغم من ذلك فإن التحقيقات الداخلية التي أجرتْها الحكومة الأمريكية ومؤسساتها عقب الانسحاب من أفغانستان تركّز معظمها حول الانسحاب المفاجئ وتداعياته والطريقة التي انسحبت بها القوات الأمريكية والتي بدت فوضوية وغير محسوبة؛ ولم تُبد هذه التحقيقات اهتمامًا واضحًا بتورُّط الإدارات الأمريكية في دعم الفساد في أفغانستان والسماح بتفاقمه على مدار ٢٠ عامًا من الاحتلال[١٦].

وخلاصة القول أن عودة طالبان إلى السيطرة على كامل الأراضي الأفغانية تقريبًا عشية الانسحاب الأمريكي من أفغانستان إنما يحمل دلالات مهمة عنوانها الرئيسي هو الفشل الأمريكي على المستويات العسكرية والسياسية والاستراتيجية والاستخباراتية في معالجة الملف الأفغاني؛ الذي هو نموذج للمعالجة الغربية لحالات الدول "الفاشلة" في العالم عبر التدخُّل والاحتلال العسكري المباشر.

ولعل هذا الاستنتاج يقود القوى الدولية الكبرى إلى التفكير في مسارات مختلفة للتفاعل مع مثل هذه الحالات بشكل يُجَنِّبُها تحمُّل التكلفة البشرية والمادية الهائلة للتدخُّل العسكري المباشر، وكما يبدو من التجربة الأفغانية فإن أبرز هذه المسارات الجديدة تتمثل في تواضع القوى الكبرى واعترافها بالأمر الواقع وقبولها للتفاوض والحوار مع القوى السياسية والعسكرية غير المعترف بشرعيتها على المستوى الدولي بهدف الوصول لصيغة من العلاقات تحفظ المصالح المشتركة بين الطرفين.

ثانيًا- سيناريوهات مستقبلية للعلاقات الأمريكية الأفغانية:

ثمة توجُّه طالباني ملحوظ لاتباع نهج براجماتي في علاقات الحركة بالقوى الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة؛ حيث تتبنَّى طالبان خطابًا دبلوماسيًّا وتؤكِّد في رسائل متكرِّرة ترحيبها بالتعاون مع الولايات المتحدة وبناء علاقات متوازنة معها

(١٤) انظر:
- خليل العناني، كيف انهار الجيش الأفغاني في مواجهة طالبان؟، موقع يوتيوب، ٢٥ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/BBFQP
- The Afghan Army Collapsed In Days. Here Are The Reasons Why, npr, 20 Augusts 2021, available at: https://n.pr/3ndMV7Z

(١٥) سارة تشاويس، الفساد في أفغانستان صناعة أمريكية، إندبندنت عربية، ٢٢ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3pEODPW

(16) U.S. Launches More Investigations Into Biden Administration's Afghanistan Withdrawal, the wall street journal, 22 October 2021, available at: https://on.wsj.com/3GzoBEx

مستقبلًا[١٧]؛ وحقيقة الأمر أن ذلك التوجه البراجماتي لطالبان ليس وليد اللحظة، ولكن له جذور ممتدَّة لسنوات حين بدأت مفاوضات سرية بين الولايات المتحدة وطالبان في العام ٢٠١٠ لمناقشة قضايا مثل تبادل الأسرى وتأسيس مكتب سياسي للحركة في الدوحة وفصل طالبان عن القاعدة، وهي مفاوضات مرَّت بمراحل من الصعود والهبوط حتى وصلتْ إلى أقصى مراحلها في العام ٢٠٢٠ بعقد اتفاق رسمي بين طالبان والولايات المتحدة في الدوحة[١٨]؛ حيث باتت الأخيرة هي الوسيط الرسمي بين طالبان والعالم الخارجي، ولذلك تصدر عن الولايات المتحدة تصريحات رسمية متكرِّرة بأهمية الدور القطري في الاستراتيجية الأمريكية تجاه أفغانستان[١٩].

أما الاستجابة الأمريكية لهذا التوجُّه الطالباني -والتي سيتحدَّد عليها مستقبل العلاقة بين الطرفين- فإنها لا تتطلَّب وضع استراتيجية أمريكية جديدة من العدم؛ وإنما يبدو أن الاستجابة الأمريكية للسياسة البرجماتية لطالبان ستُمثل استمرارًا للاستراتيجية الأمريكية في أفغانستان خلال السنوات الأخيرة؛ وهي استراتيجية الحوار مع طالبان عبر الوسيط القطري أو بشكل مباشر غير مُعلن، مع بقاء احتمالين لتطور العلاقات بين الطرفين؛ يتمثَّل الاحتمال الأول في بقاء الوضع على ما هو عليه دون الاعتراف الأمريكي الرسمي بحكومة طالبان، أو تطور العلاقات بشكل أكبر وصولًا لمرحلة من تطبيع العلاقات بين الطرفين في ظل ظروف دولية وإقليمية معينة.

- **سيناريو عدم الاعتراف بطالبان:**

أعلن الرئيس الأمريكي جو بايدن أن سياسة الولايات المتحدة تجاه أفغانستان ستهتم بالأساس بالتأكد على منع استخدام الأراضي الأفغانية لتنفيذ أية تهديدات إرهابية ضد الولايات المتحدة، وعلى حماية حقوق الإنسان وخاصة قضايا النساء والفتيات في أفغانستان، وأن الولايات المتحدة ستواصل تقديم الدعم الاقتصادي والإنساني للشعب الأفغاني وستواصل الجهود الدبلوماسية لمنع العنف وتحقيق الاستقرار، وأنها قادرة على ردع أية تهديدات إرهابية محتملة تُهدِّد الولايات المتحدة انطلاقًا من الأراضي الأفغانية؛ حيث طورت الولايات المتحدة قدرات فعالة لمكافحة الإرهاب حتى في الأراضي التي ليس ثمة وجود عسكري أمريكي دائم فيها[٢٠].

ومما يدعم سيناريو استمرار التواصل الدبلوماسي مع طالبان دون الاعتراف الكامل بها صعوبة تحقيق طالبان لكافَّة المبادئ التي تُعلن الولايات المتحدة تبنّيها والتطلُّع إلى تحقيقها في أفغانستان، ومنها تشكيل حكومة تضم تمثيلًا عادلًا لعرقيات وطوائف الشعب الأفغاني، وتحقيق تقدُّم على مستوى حقوق الإنسان وخاصة قضايا النساء والفتيات والتعليم والاقتصاد، والشكل الديمقراطي للنظام السياسي الأفغاني الجديد؛ ومن ثم فإن احتمالية الاعتراف الأمريكي الصريح بشرعية حكم طالبان لأفغانستان تُعد أمرًا مستبعدًا في المدى القريب على الأقل[٢١].

---

(١٧) "طالبان": مستعدون لإقامة علاقات دبلوماسية مع الولايات المتحدة ونرحب بمشاركتها في إعادة الإعمار، روسيا اليوم، ٧ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2ZfIFvL

(١٨) حسام إبراهيم، محددات حاكمة: هل تعترف واشنطن بحكومة طالبان المقبلة؟، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ٤ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3xfqnXQ

(19) Secretary Antony J. Blinken and Secretary of Defense Lloyd J. Austin, Qatari Deputy Prime Minister and Foreign Minister Mohammed bin Abdulrahman Al Thani, and Qatari Deputy Prime Minister and Defense Minister Dr. Khalid bin Mohammed Al Attiyah at a Joint Press Availability, US department of state, 7 September 2021, available at: https://bit.ly/3HNqVJx

(٢٠) تصريحات للرئيس بايدن بشأن أفغانستان، وزارة الخارجية الأمريكية، ١٦ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3oU8kCT

(٢١) حسام إبراهيم، محددات حاكمة: هل تعترف واشنطن بحكومة طالبان المقبلة؟، مرجع سابق.

كما أن مدى التزام طالبان بعدم اتخاذ إجراءات أو تبنِّي سياسات من شأنها تهديد المصالح الأمريكية في أفغانستان سيكون هو المُحدِّد الرئيسي لالتزام الولايات المتحدة باستراتيجية الحوار والمسار الدبلوماسي في علاقتها بحركة طالبان، وعدم العودة للعلاقات الصدامية بين الطرفين مجدَّدًا.

وثمة بعض البدائل والإجراءات المطروحة أمام الولايات المتحدة لضمان منع أية تهديدات محتملة للأمن الأمريكي انطلاقًا من الأراضي الأفغانية في ظلِّ حكم طالبان؛ منها بقاء احتمال استخدام الطائرات الحربية بدون طيار التي تملك فعالية كبيرة في مواجهة الميليشيات المسلحة في العديد من الدول كما كان الحال في اليمن على مدار سنوات وجَّهت فيها الولايات المتحدة ضربات جوية لتنظيم القاعدة هناك، بالإضافة إلى شبكات المخابرات الأمريكية ومخابرات الدول الغربية التي اكتسبت أرضية واسعة في أفغانستان خلال سنوات الحرب، فضلًا عن غارات القوات الخاصة الأمريكية التي اعتادت على توجيه ضربات قوية للجماعات الإرهابية في بلدان مختلفة وكان أبرزها اغتيال أسامة بن لادن في عام ٢٠١١، إلا أن هذه الغارات تتطلب الانطلاق من قواعد عسكرية قريبة جغرافيًّا من أفغانستان بعد أن لم تعد الولايات المتحدة تتمتَّع بمثل هذه القواعد في أفغانستان، ومن البلدان المرشحة لانطلاق مثل هذه العمليات من أراضيها باكستان أو بلدان آسيا الوسطى أو حتى عمان والبحرين[٢٢].

ومما يؤكِّد لجوء الولايات المتحدة لهذه الاستراتيجية إعلانها في الثامن والعشرين من أغسطس ٢٠٢١ عن استهداف قيادي من تنظيم داعش في أفغانستان باستخدام طائرة مسيرة ردًّا على هجوم التنظيم على مطار كابول إبان عمليات الانسحاب الأمريكي من أفغانستان في أيامها الأخيرة[٢٣].

- **سيناريو الاعتراف الأمريكي بشرعية حكم طالبان:**

يرى البعض أن الخوف الأمريكي من تدخُّل الصين في أفغانستان وعملها على استمالة طالبان لصالحها قد يدفعها إلى الاعتراف بشرعية حكم طالبان لأفغانستان لتكتسب بذلك مميزات ووزنًا أكبر في التأثير على حركة طالبان أكثر من الصين[٢٤]؛ خاصة في ظل التصريحات الصينية التي تُشير إلى الرغبة والاستعداد لتطوير علاقات إيجابية مع طالبان، والتي تؤكِّد على ما تُسَمِّيه "حق الشعب الأفغاني في تقرير مصيره"؛ بالإضافة إلى تأكيد الصين على استمرار عمل سفارتها في كابول بشكل طبيعي فضلًا عن المحادثات المباشرة بين الصين وطالبان والتي كانت قد بدأت منذ سبتمبر لعام ٢٠١٩ تحسبًا من الصين لمواجهة خطر حصول فوضى في أفغانستان[٢٥].

يُذكر أن الرئيس الأمريكي جو بايدن كان قد أكَّد أن التخوُّفات من ملء المنافسين الاستراتيجيين للولايات المتحدة وخاصة روسيا والصين للفراغ الناتج عن الانسحاب الأمريكي من أفغانستان ليست في محلِّها؛ لأنه لا شيء يُحقق تفوُّقًا استراتيجيًّا لمنافسي الولايات المتحدة أكثر من بقاء الأخيرة مُستنزفة عسكريًّا واقتصاديًّا في حرب لا نهاية لها في أفغانستان[٢٦].

ولا يعني هذا تخلِّي الولايات المتحدة عن الأهمية الجيوسياسية لأفغانستان في صراعاتها مع منافسيها

(٢٢) فرانك غاردنر، الحرب في أفغانستان: كيف يمكن للغرب أن يحارب الإرهاب بعد رحيل القوات الغربية؟، BBC عربي، ٢٦ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:
https://cutt.us/3QECQ

(٢٣) غارة جوية أمريكية تستهدف تنظيم داعش في أفغانستان ردا على هجوم مطار كابول، اليوم السابع، ٢٨ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3IH76Eg

(٢٤) المرجع السابق.

(٢٥) كيف يتفاعل العالم وقادته مع ما يحصل في أفغانستان؟ أبرز ردود الأفعال الدولية، euronews، ١٦ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.us/MZFX9

(٢٦) المرجع السابق.

الاستراتيجيين "الصين وروسيا"؛ ولكن قد يدفعها الخوف من الهيمنة الصينية على أفغانستان تحت حكم طالبان إلى الحفاظ على التأثير الأمريكي بأفغانستان من خلال توطيد العلاقات مع حركة طالبان الحاكمة على مستوى العلاقات السياسية والدبلوماسية والمساعدات الاقتصادية كبديل عن التدخُّل العسكري المباشر المُكَلِّف ماديًّا وبشريًّا.

ومما يضعف احتمالات وقوع سيناريو الاعتراف الأمريكي بطالبان تلك المؤشرات الصادرة عن حكومة طالبان منذ تولّيها البلاد والتي تصب أغلبها في الاتجاه المضاد للرؤى التي تتبنَّاها الولايات المتحدة وتطالب بها؛ حيث شكَّلت طالبان حكومة مؤقتة تتكون من رجال دين ينتمون لحركة طالبان وبعضهم يُعد من الحرس القديم للحركة، قبل أن تتراجع لاحقًا وتُضيف بعض الشخصيات من التكنوقراط والأقليات العرقية إلى الحكومة في مناصب غير رئيسية مثل منصب نائب وزير الصحة الذي أُسند إلى أحد المنتمين لأقلية الهزارة الشيعية، كما ظلت الحكومة خالية من النساء وممثلين عن كبار ساسة الحقبة السابقة، وألْغت الحكومة الطالبانية وزارة شئون النساء وحوَّلتها إلى وزارة الدعوة والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ الأمر الذي اعتُبر دلالة واضحة على توجُّهات الحكم الجديد الرافضة لحقوق النساء؛ إضافة إلى بعض القيود الاجتماعية الأخرى المتعلِّقة بسلوك النساء والرجال والملابس العامة وسماع الأغاني وغير ذلك[٢٧].

خاتمة:

يخلص هذا التقرير إلى أن الانسحاب الأمريكي من أفغانستان لم يكن انسحابًا مفاجئًا أو قرارًا متسرِّعًا غير محسوب العواقب كما خُيل للكثيرين جراء المشهد الفوضوي في أفغانستان والذي شاهده الجميع إبان عملية الانسحاب الأمريكي والعودة الطالبانية للسيطرة على الحكم في أفغانستان؛ وإنما كان قرار الانسحاب من "الورطة" الأفغانية قرارًا استراتيجيًّا أمريكيًّا لم يكن منه بدٌّ في ظل التكلفة البشرية والمادية الهائلة التي تعرَّضت لها الولايات المتحدة خلال هذه الحرب.

ومع ذلك فإن لمآلات هذا الانسحاب دلالات مهمة تتمثل في الفشل الاستخباراتي والعسكري الأمريكي؛ فإلى جانب عدم القدرة الأمريكية على القضاء على طالبان بعد ٢٠ عامًا من الحرب لدرجة أن تعود طالبان إلى حكم كامل الأراضي الأفغانية عشية الانسحاب الأمريكي من أفغانستان مباشرة؛ فإنه ثمة فشل استخباراتي يتمثَّل في عدم توقُّع الحكومة الأمريكية للانهيار السريع والاستسلام الكامل لقوات الأمن الأفغانية لمجرد بدء الانسحاب الأمريكي الكامل؛ وإنما كان المتوقَّع صمود الحكومة الأفغانية الحليفة للولايات المتحدة لبعض الوقت وبدء محادثات سلام بينها وبين الحكومة أو استمرار الحرب الأهلية لعدَّة أشهر على الأقل، وهو ما يدل على فشل استخباراتي أمريكي ربما يكون غير مسبوق، إلى جانب الفشل الإداري والمؤسَّسي المتمثِّل في تضارب التصريحات بين البنتاجون والبيت الأبيض بشأن تقديم البنتاجون نصيحة للرئيس الأمريكي بالإبقاء على ٢٥٠٠ جندي تجنُّبًا للانهيار الكامل للحكومة الأفغانية، وهو الأمر الذي نفاه الرئيس الأمريكي في تصريحات لاحقة مؤكِّدًا أنه لم يتلقَّ نصيحة كهذه.

وإلى جانب ذلك الفشل الاستخباراتي والعسكري والإداري؛ ثمة فشل استراتيجي واضح للعيان يتمثَّل في انهيار مشروع الدولة الأفغانية والجيش الأفغاني الحديث المُدرب والمدعوم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اتَّضح عقب الانسحاب الأمريكي حجم الفساد المرتبط بالمؤسسات الحكومية الحديثة التي أشرفت الولايات المتحدة على إنشائها وتأهيل العاملين فيها في أفغانستان.

أما عن سيناريوهات التعاطي المستقبلي لحكومة الولايات المتحدة مع الأمر الواقع في أفغانستان؛ فإنها تتمثل في احتمالين

(٢٧) شهر على تشكيل حكومة "طالبان".. ما هي الإنجازات وهل تتحقَّق التوقُّعات؟، روسيا اليوم، ٧ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3oUheAt

رئيسيين؛ يتضمَّن الاحتمال الأول استمرار التواصل الدبلوماسي بين الولايات المتحدة وطالبان عبر الوساطة القطرية ومحاولة الضغط وممارسة الرقابة على الحركة من أجل تطبيق مبادئ اتفاق الدوحة ومنع أي تهديدات إرهابية للولايات المتحدة تنطلق من أفغانستان، واستخدام ورقة المساعدات الإنسانية من أجل التأكُّد من تنفيذ بنود الاتفاق.

أما الاحتمال الثاني فيتضمَّن مزيدًا من التقارب بين الحكومة الأمريكية وطالبان في حالة تزايد المخاوف الأمريكية من التدخُّل الصيني أو الروسي في أفغانستان في ظل المحاولات الصينية لتوطيد العلاقات بحركة طالبان، ويذهب هذا التقرير إلى ترجيح السيناريو الأول والمتمثِّل في عدم الاعتراف الأمريكي بطالبان أو بناء علاقات طبيعية معها مع الاحتفاظ بالعلاقات الحالية وتطويرها والاعتماد على الوسيط القطري لضمان عدم تبنِّي طالبان لسياسات تُهَدِّد المصالح الأمريكية في المنطقة.

*****

الموقف الأوروبي والناتو منذ الانسحاب الأمريكي ودلالاته على بينيات الغرب

آية محمود عنان(*)

مقدمة:

أعاد مشهد الانسحاب الأمريكي من أفغانستان وسيطرة طالبان، وإجلاء مدنيين ودبلوماسيين غربيين على وجه السرعة من كابول، وإنزال العلم الأمريكي من على القواعد العسكرية، إلى الأذهان مشاهد الانسحاب من فيتنام والصومال، فيبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية والديمقراطيات الغربية لم تستوعب دروس التاريخ بعد، أو ربما تقف الغطرسة الأمريكية والأوروبية، لاسيما بعد انتهاء الحرب الباردة، عائقًا أمام فكرة إنكار الهزائم. ولكن مما لاشك فيه أن الانسحاب السريع من أفغانستان، قد مثَّل نقطة تحول أساسية في السياسة الدولية، ولا سيما في العلاقات الأمريكية الأوروبية؛ حيث لم تؤيد دول الاتحاد الأوروبي والناتو قرار الولايات المتحدة الأمريكية في طريقة انسحابها السريع من أفغانستان، الذي أدى إلى عودة طالبان إلى حكم أفغانستان.

وقد وصلت أعداد قوات المهمة في أفغانستان إلى ١٧ ألفا و١٤٨ جنديا من ٣٩ دولة في عام ٢٠١٩، وفي منتصف أبريل ٢٠٢١ عند إعلان الانسحاب، تقلصت القوات إلى ١٠ آلاف جندي من حلفاء الناتو(١). الأمر الذي ربما يقود إلى تحول في العلاقات الأمريكية الأوروبية، مما يثير عدة تساؤلات حول طبيعة الموقف الأوروبي ودول الناتو من الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، وكيف ستعيد الدول الأوروبية ترتيب الملف العسكري؟ وماذا عن المخاوف الأوروبية فيما يتعلق بقضية الهجرة؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات، يرصد هذا التقرير خطابات ومواقف نماذج من هذه الدول تجاه الانسحاب الأمريكي.

أولًا- الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو: نذهب معًا.. ونغادر معًا

لطالما اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو دومًا نهج "نذهب معًا ونغادر معًا" "in together, out together"، ومن ثم فور إعلان الولايات المتحدة الأمريكية الانسحاب من أفغانستان في ١٤ أبريل ٢٠٢١، أعلنت قوات حلف الناتو أيضًا بالتوازي سحب قواتها من أفغانستان، فقد أعلن الحلف في بيان له في أبريل ٢٠٢١ فيما يتعلق بالانسحاب من أفغانستان: "أنه في عام ٢٠٠١ تدخلت قوات حلف شمال الأطلنطي (ناتو) في أفغانستان من أجل عدة أهداف واضحة؛ وهي مواجهة تنظيم القاعدة ومن هاجموا الولايات المتحدة في ١١ سبتمر، ومنع الإرهابيين من استخدام أفغانستان كملاذ آمن لمهاجمتنا، ولكن مع إدراك التحالف أنه لا يوجد حلول عسكرية بإمكانها مواجهة التحديات في أفغانستان، لذا قرر التحالف الانسحاب من أفغانستان، فقد شكّل الناتو أحد أكبر التحالفات في التاريخ للعمل في أفغانستان. فقد ذهب جنودنا إلى أفغانستان معًا، ونغادر معًا(٢).

وقد أقر الأمين العام لحلف الناتو في هذا الصدد بأن الخطة "لم تكن قرارًا سهلا وانطوت على مخاطر". وجادل بأن البديل

---

* باحثة في العلوم السياسية، جامعة القاهرة.

(1) NATO and Afghanistan, North Atlantic Treaty Organization, 7 Dec. 2021, accessed 19 Dec. 2021, available at: https://cutt.us/YbpUm

(2) North Atlantic Council Ministerial Statement on Afghanistan, 14 April 2021, Accessed: 15 December2021, available at: https://cutt.us/jh2JE

هو "الاستعداد لالتزام عسكري طويل الأمد ومفتوح النهاية مع إمكانية زيادة قوات الناتو"[٣].

إلا أن الفشل الذريع في كابول، أثار مزيدا من الإلحاح على السؤال الذي يواجه حلف الناتو منذ نهاية الحرب الباردة تقريبا: هل سيكون هناك أي تحول جدي في الطريقة التي يعمل بها حلف الناتو؛ حيث تقود أمريكا، وأوروبا تتبع؟

إن سياق الانسحاب الأمريكي من أفغانستان وكيفيته يشير إلى أبعد من مجرد هزيمة وانسحاب عسكري، وإنما قد يؤشر لانتهاء عصر من الهيمنة والمكانة والدور، وقد يجري التأريخ له لاحقًا باعتباره المحطة الكبرى الفارقة بين العصر الأمريكي والعصر الصيني؛ حيث ظلت المظلة العسكرية والأمنية التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لحلفائها على مدى العقود، أهم عنصر ثقة في الدور الأمريكي عالميًا. ولقد تعددت مستويات هذه المظلة، بدءًا برابطة حلف الناتو، الذي يمثل مركز الدائرة الأمنية الغربية، ومرورًا بالمظلة الأمنية الأمريكية لليابان وكوريا الجنوبية وتايوان، ثم إسرائيل، ثم روابط أمنية وعسكرية خاصة مع الدول التي خضعت للغزو (العراق وأفغانستان)، ثم ارتباطات أمنية مختلفة مع دول حليفة. وهذه المستويات جميعها للروابط الأمنية الأمريكية، أصبحت بعد أفغانستان محل شك؛ حيث **تراجعت الثقة في النموذج الأمريكي والديمقراطية**، ويرتبط بذلك تراجع الثقة بما سُمي بتحالف الديمقراطيات، وفتح الباب لعودة المقولات حول الانتهازية الأخلاقية والإمبريالية الأمريكية، التي غزت الدول تحت ذرائع التهديد الوجودي الراديكالي للحضارة الغربية، ثم تركتها مفككة ومنهارة[٤].

ثانيًا- أوروبا بين رفض الانسحاب الأمريكي والرغبة في الاستقلالية العسكرية

أثار الانسحاب الأمريكي من أفغانستان المو اقف الأوروبية المعارضة للقرار الأمريكي، والذي أظهر التبعية الأوروبية وعدم الاستقلال في اتخاذ القرارات؛ حيث اعتمدت الدول الغربية على الجيش الأمريكي في استمرار تشغيل المطار أثناء عمليات الإجلاء الجوي؛ حيث تدافعت لإخراج مواطنيها من كابول بعد استيلاء "طالبان" على السلطة، مما إنعكس علي الموقفان الأوروبي والبريطاني للسعي من أجل توجه للاستقلال العسكري عن الولايات المتحدة بعد التجربة الأفغانية، ولا يتعلق الأمر بالشأن العسكري فحسب، وإنما بالشؤون الدبلوماسية والعلاقات متعددة الأوجه.

الأمر الذي أيقظ القرار الأوروبي لتطوير قدراته العسكرية المستقلة، فمنذ تولي الرئيس الأمريكي "بايدن" منصبه، هناك فرصة لإعادة العلاقات مع أوروبا بعد صدمة سنوات ترامب، إلا أن الإخفاق في أفغانستان جعل العديد من الأوروبيين يقتنعون أكثر من أي وقت مضى، بأنهم لا يستطيعون الاعتماد على أمريكا لرعاية مصالحهم الأمنية، بغض النظر عمن يسكن البيت الأبيض.

ففي حين وصف الرئيس الأمريكي "بايدن" إنهاء مهمة بلاده العسكرية في أفغانستان بأنها كانت "أفضل سبيل لحماية الجنود الأمريكيين، وتأمين خروج المدنيين الراغبين من هناك"، وقال إن قرار الانسحاب من أفغانستان "لا يتعلق فقط بالبلد المذكور، بل بإنهاء حقبة من العمليات العسكرية الكبرى"، **إلا أن "جوزيف بوريل" الممثل الأعلى للشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي وصف** -على صعيد آخر- الانسحاب من أفغانستان بأنه "فوضوي"، ورجَّح أن ذلك سيكون أيضا "عاملا محفزا في محاولات الاتحاد الأوروبي لتطوير دفاعاته المشتركة"، بعد أن

(3) U.S department of Defense, Joint Press Conference of NATO Secretary General and US Secretary of State and US Defense Secretary, 14 April 2021, Accessed: 14 December2021, available at: https://cutt.us/LvOvT

(٤) معتز سلامة، تراجع الثقة: انعكاسات الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٣٠ أغسطس٢٠٢١، تاريخ الاطلاع علي الموقع ١٠ ديسمبر٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي https://cutt.us/UUPR9

أظهر الموقف في أفغانستان ضعف إمكانيات أوروبا العسكرية؛ حيث قال وزير دفاع سلوفينيا "ماتي تونين"، الذي تتولى بلاده الرئاسة الدورية للاتحاد الأوروبي، "إن أزمة أفغانستان أظهرت أن أوروبا لا تمتلك إمكانيات عسكرية كافية"(٥).

كما نشر رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان البريطاني "توم تيوغيندهات" تغريدة أفاد فيها بأن: "أفغانستان هي الخطأ السياسي الأكبر، نحن في حاجة إلى إعادة التفكير في طريقة تعاطينا مع الأصدقاء، الذين يهموننا، وكيف ندافع عن مصالحنا"(٦).

وفي الوقت الذي يدفع بعض القادة الأوروبيين، وبينهم الرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون"، الاتحاد الأوروبي إلى اعتماد سياسة أمنية أقل اتكالًا على أمريكا، فإن أفغانستان ستُستخدَم دليلًا على ضرورة "الاستقلال الذاتي الاستراتيجي"، كما صرح رئيس المجلس الأوروبي "شارل ميشيل"، بأن الاتحاد الأوروبي، يجب أن يتخذ إجراءات تمكنه من الاستعداد بشكل أفضل لعمليات الإجلاء العسكرية لرعاياه في مواقف مثل ما حدث في أفغانستان خلال الأسابيع الأخيرة، وذكر "ميشيل" في منتدى بليد الاستراتيجي في سلوفينيا: "من وجهة نظري، لسنا بحاجة إلى حدث جيوسياسي آخر من هذا القبيل، لندرك ضرورة أن يسعى الاتحاد الأوروبي من أجل استقلالية أكبر في صنع القرار، وقدرة أكبر على العمل في العالم. وأضاف وزير الدفاع السلوفيني أن ما حدث في أفغانستان، أظهر مدى اعتمادنا على الولايات المتحدة في الجوانب العسكرية، مؤكدا أنه إذا أراد الاتحاد الأوروبي أن يكون قادرًا على نشر السلام، فيجب تسريع عملية صنع القرار في مؤسساته"، وقال: "لدينا الموارد المالية، ونحتاج لإرادة سياسية لبناء القدرات اللازمة للتصرف بشكل مستقل دفاعيًّا"(٧).

وقد تجسَّدت هشاشة أوروبا في دعوة الرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون" لإقامة منطقة آمنة تخضع لسيطرة الأمم المتحدة في كابول، لتعمل على مساعدة حاملي التأشيرات من الأفغان المعارضين لطالبان على المغادرة بأمان، وبطريقة منظَّمة ومجهَّزة، إلا أنه في غضون يوم واحد تمَّت تنحية اقتراحه، وقال "ريم كورتيوبغ" من معهد كلينجيندايل، وهو مؤسسة أبحاث هولندية: "إن الأوروبيين يحتجون بشدة، لكن لا توجد خيارات بديلة، لذا لا أحمل ذلك محمل الجد.. إنه مجرد تكرار لنفس العبارات التي دأب الأوروبيون على قولها عندما لا تسير الأمور كما نريد". لكن الحروب في البوسنة وليبيا أظهرت "عدم قدرة الأوروبيين على فعل أي شيء جدي بدون الأمريكيين، تغيير ذلك يحتاج إلى التزام بتوفير الإرادة السياسية وأموال دافعي الضرائب، التي لا يُظهر القادة الأوروبيون بوادر تشير إلى توفيرها، فمن الصعب بدرجة كافية حمل أعضاء الناتو الأوروبيين على إنفاق نسبة ٢% من الناتج المحلي الإجمالي على الدفاع الذي وافقوا على القيام به بحلول عام ٢٠٢٤، بعد الغزو الروسي لأوكرانيا، حتى ألمانيا، التي تنفق أكثر، ستصل إلى ١,٥٣% فقط.

ومع رفض طالبان السريع لخطة ماكرون لإقامة منطقة آمنة، لم تكن هناك رغبة دولية كبيرة للدفاع عن المقترح، ولكن على أية حال، تحظى مثل تلك الجهود بسجل متقلِّب، بما في ذلك مذبحة عام ١٩٩٥، التي راح ضحيتها أكثر من ٨٠٠٠ رجل وصبي بوسني في المنطقة الآمنة المحمية دوليًا في مدينة سربرنيستا في البوسنة، وهجوم عام ١٩٨٣ على ثكنات قوات

(٥) الاتحاد الأوروبي يتجه لتأسيس "قوة ردع عسكرية" بعد تطورات أفغانستان، موقع روسيا اليوم، ٢ سبتمبر٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٥ ديسمبر٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/kMnPX

(٦) زياد الأشقر، بوليتيكو: أوروبا بين رفض التصديق والشعور بالخيانة في أفغانستان، موقع أخبار ٢٤، ١٩ أغسطس٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٣ ديسمبر، متاح عبر الرابط التالي https://cutt.us/R3OvN

(7) Charles Michel, opening speech in Slovenia at the @BledStratForum #BSF2021, twitter, Accessed: 21 December , available at: https://cutt.us/lCAhd

حفظ السلام في لبنان، والذي أسفر عن مقتل ما يقرب من ٣٠٠ جندي أمريكي وفرنسي[٨].

ومن ثم أظهر القرار الأمريكي بالانسحاب السريع عدم التوافق الأمريكي الأوروبي، بل أجبر هذا القرار الإدارة الأوروبية على الرحيل؛ حيث لم يترك لها أي خيارات بديلة، مما أدى إلى انكشاف ضعف القدرات العسكرية الأوروبية، وأنها مجرد تابع لقيادة أمريكية قررت الانسحاب العسكري المفاجئ لقواتها، مما أظهر الموقف الأوروبي بالعجز، ومن ثم تعالت الأصوات بالاستقلال الأوروبي عن التبعية العسكرية للولايات المتحدة.

ثالثًا- خطابات أوروبية رافضة للقرار الأمريكي

في ألمانيا، تزايدت الانتقادات للانسحاب العسكري الغربي من أفغانستان، فبينما سيطر القلق في سياق الأحداث في أفغانستان على كل أوروبا، فإن التعبير عنه في ألمانيا، كان على نحوٍ خاص؛ فبالنسبة للألمان، لم تكن المهمة الأفغانية مجرد وقوف مع حليف أو "بناء أمة"، إنما كانت برهانًا للعالم ولأنفسهم، أن ألمانيا تغيرت، فقد كانت المهمة الأفغانية، أول انتشار رئيسي لجنود ألمان في الخارج منذ الحرب العالمية الثانية. وعندما طلب المستشار السابق جيرهارد شرودر من البوندستاج، الموافقة على المهمة بعد الهجمات الإرهابية في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، واجه معارضة من الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي يتزعمه، وقرر المجازفة بحياته السياسية بربط الموافقة باستفتاء، واشتكى شرودر لمساعدين لاحقًا، فقال إن المجازفة التي أقدم عليها لم تكن محل تقدير الرئيس الأمريكي وقتها جورج دبليو بوش، ما حدا بالمستشار إلى رفض الانضمام إلى الحرب على العراق بعد ذلك بعام[٩].

وعلى مدى سنوات، شعرت ألمانيا بتأثير المهمة. ورغم أن قواتها كانت منتشرة في الجزء الشمالي من البلاد الهادئ نسبيًا، إلا أن ٦٠ جنديًا ألمانيًا قُتلوا هناك، كما استثمرت ألمانيا المليارات في أفغانسان خلال هذه المدة واستقبلت آلاف اللاجئين.

ووصفت المستشارة الألمانية "أنجيلا ميركل" الوضع في أفغانستان بأنه "مرير"، معتبرةً أن أسبابًا سياسية داخلية أمريكية، ساهمت في قرار سحب القوات الغربية من أفغانستان. فيما اعتبر رئيس حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي، أن الانسحاب هو أكبر إخفاق لحلف الناتو منذ تأسيسه، وقالت المستشارة أمام مسؤولين في حزبها، وفق ما أفاد مشاركون في الاجتماع، "إن انسحاب القوات (من أفغانستان)، كان له تأثير الدومينو"، وأضافت أن مسؤولية الانسحاب العسكري الغربي من أفغانستان تقع على عاتق الولايات المتحدة. وتابعت قائلة: "لطالما قلنا إننا سنبقى أيضًا إذا بقي الأمريكيون"، إلا أن المستشارة عبّرت أيضًا عن تفهّم للقرار الذي اتخذه الرئيس الأمريكي جو بايدن لناحية تكبّد الولايات المتحدة خسائر بشرية كبيرة في أفغانستان، واعتبرت ميركل أن التطوّرات الأخيرة في أفغانستان هي أحداث مريرة بالنسبة لكل الأشخاص الذين حاولوا العمل من أجل التقدم والحرية في هذا البلد، خاصة النساء، وأضافت أن حاليًا يريد عدد كبير من الأشخاص مغادرة البلاد، واعدةً ببذل ما بوسعها لمساعدتهم وكذلك المنظمات غير الحكومية التي تدعمهم. ورغم تجنب ميركل توجيه الانتقاد المباشر لبايدن، فإنها في الكواليس، اعتبرت أن الانسحاب المتسرع يعد خطأ، وقالت في اجتماع مع مسؤولين من حزبها: "بالنسبة للذين يؤمنون بالديمقراطية والحرية، خاصةً للنساء، فإن هذه تطورات مزعجة".

وقالت وزيرة الدفاع الألمانية "آنغريت كرامب-كارنباور"، إن الأوروبيين لم تكن لديهم القدرة على معارضة قرار الانسحاب الأميركي من أفغانستان، لأنهم لا يملكون القدرة لفعل ذلك

(٨) الانسحاب من أفغانستان مشكلة أكبر لـ"أوروبا" من أن تكون للولايات المتحدة، بلومبيرج، بوابة الشرق اقتصاد، ١ سبتمبر٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٤ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/MtcsR

(9) The New York Times, Pressing Greens, German Leader Wins Historic Vote on Sending Troops to Afghanistan, 17 November 2021, Accessed: 13 December 2021, available at: https://cutt.us/vbLcX

بأنفسهم، وأضافت أن الوقت حان كي يتحرك الأوروبيون للأمام بما يخدم مصالحهم ويعطيهم القدرة على التصرف في مجالات الدفاع والأمن. ورأت الوزيرة الألمانية أن الغرب تلقى ضربة قاسية في أفغانستان، لافتة إلى أن قوْل ما إذا كانت هذه الضربة هزيمة دائمة من عدمه، سيحدده ما سينتج عن النقاشات في أوروبا والولايات المتحدة، وقالت "لدى الأوروبيين القدرات لتشكيل قوة عسكرية أوروبية، لكن كيفية استخدامها لتشكيل مستقبل أوروبا، يبقى تحديًا محوريًّا".

كما شددت كرامب-كارنباور على أن الاستقلال الأوروبي الأكبر لا يعني أن يحل محل الناتو أو الروابط الوثيقة مع الولايات المتحدة، ولكن يعني جعل الغرب أقوى بشكل عام، مضيفة في الوقت نفسه في تصريح لشبكة "أيه آر دي" التلفزيونية في ١٢ أغسطس ٢٠٢١: "أنه من الصعب قبول تلك الصور المريرة لطالبان في المدن الأفغانية، لكن أي شخص يتحدث عن عودة الجيش الألماني إلى أفغانستان، عليه أن يعرف أننا لم نعد نتحدث عن مهمة تدريبية، فنحن نتحدث عن مهمة قتالية طويلة وشاقة، ويمكن القول: نحن نتحدث عن حرب"؛ وذلك ردا على أصوات طالبت بمهمة جديدة للجيش الألماني ولحلف الناتو في أفغانستان لمواجهة طالبان(١٠).

وقال وزير الخارجية الأسبق يوشكا فيشر، الذي كان يشغل منصب وزير خارجية ألمانيا في بدء تدخل حلف الناتو في أفغانستان عام ٢٠٠١: "لم أتوقع مثل هذا القرار بالانسحاب سريعًا، نحن نرى تداعياته اليوم"، فيما قال رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البوندستاج الألماني نوربرت روتيجن: "أقول بقلب ملؤه الحزن والرعب أمام ما يحدث، إن الانسحاب المبكر كان بمثابة خطأ خطير وبعيد المدى لحسابات الإدارة الحالية، لقد ألحق ذلك ضررًا أساسيًا بالمصداقية السياسية والأخلاقية للغرب"(١١).

وفي بريطانيا تساءلت تيريزا ماي، رئيسة الوزراء البريطانية السابقة، التي سارعت لتكون أول زعيم أجنبي يلتقي الرئيس المنتخب حديثا ترامب، في البرلمان: "هل كانت معلوماتنا ضعيفة لهذه الدرجة؟ هل كان فهمنا للحكومة الأفغانية ضعيفا لهذا المستوى؟ هل كانت معرفتنا على الأرض غير كافية إلى هذا الحد؟ أم أننا اعتقدنا فقط أنه كان علينا أن نتبع أمريكا ونأمل أن يكون كل شيء على ما يرام؟"(١٢).

وقال "ياب دي هوب شيفر"، الأمين العام لحلف الناتو من عام ٢٠٠٤ إلى عام ٢٠٠٩، إن الانتقاد الأوروبي لبايدن كان دقيقا تماما، ولكنه أيضا بدون أهمية إلى حد ما، لأننا "نحن الأوروبيين أصبحنا مدمنين على قيادة أمريكا، إنه بالنظر إلى صعود الصين، فإن "العلاقة عبر الأطلسي كما عرفناها لن تكون أبدا هي نفسها".

وأضاف قائلا: "إن أفغانستان يجب أن تكون درسا لأوروبا، فتركيز أمريكا على الصين، يعني أنه يجب على الأوروبيين تطوير القدرة على الوقوف على أقدامنا، عسكريا وسياسيا، ويجب أن نفكر بجدية فيما يجب القيام به للدفاع عن أنفسنا وإنفاق الأموال لتحقيق ذلك"، ولكنه أضاف: "نحن بعيدون جدا عن ذلك الآن، للأسف وعلى الرغم من كل الدعوات المتجددة لاستقلال العمل الأوروبي والاستقلال الذاتي الاستراتيجي، يقول البعض إن هناك القليل من الأدلة على أن الكثير سيتغير".

فيما قال وزير الخارجية البريطاني "دومينيك راب": "إن الحكومة قد تحتاج إلى تطوير قدراتها حتى تتمكن من العمل على مهام عسكرية معينة في المستقبل بدون الولايات المتحدة"، في

(١٠) الهزيمة الأفغانية تؤكد حاجة أوروبا لتطوير قدرات دفاعية مستقلة"، موقع دويتش فيله، سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٣ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/bJNm9

(١١) ألمانيا: الانسحاب من أفغانستان أكبر إخفاق لـ «الناتو» منذ تأسيسه، صحيفة الخليج، ١٦ أغسطس٢٠٢١، تايخ الاطلاع ٤ ديسمبر٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/HodMk

(12) BBC, Afghanistan: Theresa May on politicians withdrawing UK troop, 18 August,Accessed: December, available at: https://cutt.us/PivoA

وقت كشفت فيه شبكة "سي بي آس" الأمريكية عن أن حركة "طالبان" أحبطت عددًا من الهجمات المفترضة خلال عملية الإجلاء الأمريكية من كابول، مشيرة إلى تعاون بين الحركة و"البنتاجون" أوسع من المعلن. وقال وزير الخارجية البريطاني إنه يريد أن يكون لحكومة بلاده تمثيل دبلوماسي في أفغانستان، لكن ذلك غير ممكن الآن بسبب الوضع الأمني(١٣).

وقالت "كارين فون هيبل"، المدير العام للمعهد الملكي للخدمات المتحدة للدراسات الدفاعية والأمنية، وهو مركز أبحاث في لندن، والمسؤولة السابقة في وزارة الخارجية الأمريكية، إنَّ مشهد الاعتماد الأوروبي والبريطاني على الولايات المتحدة عندما قرَّرت الانسحاب السريع من أفغانستان، يكشف الفجوات الواسعة في البنية التحتية الأمنية الأوروبية، والبنية التحتية البريطانية فيما يتعلَّق بإدارة الأزمات بمفردهم، وتابعت فون هيبل قائلةً: "إنَّه على الرغم من إدراك الحاجة إلى الاستثمار بشكل أكثر فاعلية في الدفاع، وبناء نهج أكثر استراتيجية للسياسة الخارجية؛ فقد تراجعت قدرة الاتحاد الأوروبي على الدفاع عن مصالحه بمفرده- في غالب الأمر- في أعقاب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وتفشي وباء "كوفيد -١٩"، وأضافت: "حتى بعد أربع سنوات من رئاسة ترمب، لا أعتقد أنَّهم خطَّطوا بجدية لوضع خطة بديلة"(١٤).

وفي فرنسا، قال الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في ٤ ديسمبر ٢٠٢١، إن دولا أوروبية عدة تعمل على فتح بعثة دبلوماسية مشتركة في كابول، حتى يكون لها تمثيل دبلوماسي في أفغانستان، وأضاف في حديث للصحفيين في العاصمة القطرية الدوحة: "نفكر في تعاون وتنظيم بين عدة دول أوروبية، لإيجاد موقع مشترك للعديد من الأوروبيين، مما سيسمح لسفرائنا بالتواجد في أفغانستان"(١٥).

وتأتي هذه الخطوة ضمن مساعي الدول الأوروبية لإيجاد طريقة للتعامل مع حركة طالبان، كما أن من شأنها أن تمكن السفراء الأوروبيين من العودة إلى كابول؛ حيث أنه منذ انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان، وسيطرة الحركة على البلاد بسرعة أذهلت الدول الغربية، تحاول الأخيرة التوصل إلى آلية بشأن كيفية التعامل مع طالبان.

وفي روسيا سخر نائب وزير الخارجية الروسي "إيجور مارجولوف" من طريقة الانسحاب الأمريكي من أفغانستان بصورة فوضوية، وقال: "إن انهيار الحكومة الأفغانية وتسليمها الحكم بشكل شبه طوعي لحركة "طالبان" هو نتيجة طبيعية لعشرين عامًا من جهود "الدمقرطة" الأمريكية لأفغانستان". وأضاف قائلا: "إن هناك اجتماعًا دوليًا سيعقد لمناقشة التطورات في أفغانستان، ستشارك فيه موسكو وواشنطن"(١٦).

رابعًا- الانسحاب من أفغانستان والقلق الأوروبي من ملف الهجرة

أثار ملف الهجرة قلق الجانب الأوروبي، كونها مرتبطة بأفغانستان برًا، على عكس الولايات المتحدة، ولا يشمل ذلك الإرهاب فحسب؛ بل الهجرة الجماعية وتجارة الهيروين أيضًا. وبدون وجود على الأرض، لن يكون لدى الحكومات الأوروبية الآن العديد من الأدوات التي يمكن من خلالها التأثير على الجماعة المسلحة؛ حيث بدا الأمر أن أوروبا بصدد مواجهة موجة جديدة من اللاجئين، مثلما حدث في عام ٢٠١٥، حين فرّ نحو مليون رجل وامرأة وطفل، معظمهم من السوريين إلى جانب

(١٣) وزير الخارجية البريطاني دومنيك راب: بوغتنا بسرعة سقوط كابُل التي كان التقييم الاستخباري يتوقع صمودها حتى نهاية العام، موقع بي بي سي بالعربية، ١ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٤ ديسمبر، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/YkX5p

(١٤) الانسحاب من أفغانستان مشكلة أكبر لـ"أوروبا" من أن تكون للولايات المتحدة، مرجع سابق.

(١٥) ماكرون: أوروبا سيكون لها تمثيل دبلوماسي في أفغانستان لا يلزم الاعتراف السياسي بطالبان، ٤ ديسمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٣ ديسمبر ٢٠٢١، موقع بي بي سي بالعربية، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/f6Zbx

(١٦) استقلال أوروبي . بريطاني عن واشنطن بعد حرب أفغانستان، صحيفة الخليج، سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١١ ديسمبر٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/P8bRh

الأفغان وغيرهم إلى أوروبا في غضون عام، فوفقًا للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، يوجد حاليًا ما يقرب من ٢,٥ مليون لاجئ أفغاني مسجَّلين في دول حول العالم، مما يضعهم في المرتبة الثانية بعد السوريين.

وفي مؤشر على هذه المخاوف، اختلف وزراء داخلية الاتحاد الأوروبي في اجتماع لهم عقب الانسحاب الأفغاني، حول كيفية التعامل مع التدفُّق المحتمل للاجئين الأفغان؛ فقد وقف وزراء داخلية النمسا، وجمهورية التشيك، والدنمارك، جنبًا إلى جنب، أمام المراسلين ليقولوا: "إنَّ رسالة أوروبا للأفغان ينبغي أن تكون البقاء في مكانهم". وعقب الاجتماع، حثَّ بيان مشترك للكتلة المكوَّنة من ٢٧ دولة، على استخدام جميع الوسائل لمساعدة الدول الأقرب إلى أفغانستان على توفير "سبل عيش مستدامة" للاجئين، و"منع الهجرة غير الشرعية من المنطقة، وتعزيز القدرة على إدارة الحدود ومنع تهريب المهاجرين والاتجار بالبشر"[١٧].

في خضم تلك الأحداث، تفاوضت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل على صفقة النقد مقابل مراقبة الحدود مع تركيا، التي تعهدت بوقف تدفُّق اللاجئين مقابل ٣ مليارات يورو (٣,٦ مليار دولار)، وهي الصفقة التي كانت مثيرة للجدل، بسبب السجل السيء للحكومة التركية في مجال حقوق الإنسان، وهي مشكلة يمكن تضخيمها في أي محادثات مع حركة طالبان الإسلامية المتطرفة أيضًا، رغم أنه ليس لدى أوروبا العديد من الأدوات الأخرى المتاحة لدرء مخاوفها، فعندما دعت مفوَّضة الشؤون الداخلية الأوروبية "إيلفا جوهانسون"، الاتحاد الأوروبي إلى التدخل في أفغانستان، لمنع اندفاع موجة جديدة من اللاجئين الباحثين عن حياة جديدة في أوروبا، أوضحت أيضًا أنَّ التدخل يعني إنفاق المال[١٨].

ففي أول مؤتمر صحفي عقدته المستشارة الألمانية "أنجيلا ميركل" عقب استيلاء حركة طالبان على العاصمة الأفغانية كابول، كان القلق من موجة جديدة من اللاجئين باديًا بوضوح على تصريحاتها، خاصة حين شددت أنه "لا يجب تكرار الأخطاء الماضية"، في إشارة إلى موجة اللاجئين في عام ٢٠١٥[١٩].

كما سارعت الصحافة الألمانية بدورها إلى تبني ذلك في تعليقات عدد كبير من كتابها، آخرها كان تعليق صادر عن الكاتب "أندرياس كلوث"، رئيس تحرير صحيفة "هاندلسبلات غلوبال" الاقتصادية في تقرير لوكالة بلومبرج للأنباء، مشددًا فيه على "ضرورة عدم تكرار" سيناريو عام ٢٠١٥، حين وصل عدد كبير من الأشخاص إلى الاتحاد الأوروبي عبر البحر المتوسط أو برًا عبر جنوب شرق أوروبا. وأضاف "كلوث" أن هناك إحجاما من جانب السياسيين في جميع أنحاء الاتحاد الأوروبي، وهم يشاهدون الكارثة الإنسانية التي تتكشف في أفغانستان وتنذر بتجدد الهجرة الجماعية، ووفقًا لكلوث، استبعد المستشار النمساوي "سيباستيان كورتس" قبول أي لاجئين من أفغانستان، وطالب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بـ"استجابة قوية" تجاه أي تدفق جديد للمهاجرين؛ وذلك إلى جانب زعيمي ليتوانيا وبولندا، اللذين يبنيان الآن سياجا فعليا على حدودهما مع بيلاروس لإبعاد اللاجئين[٢٠].

وعد جونسون باستقبال حار للاجئين الأفغان الذين يصلون إلى المملكة المتحدة، بعدما واجه انتقادات لإدارته عمليات الإجلاء من أفغانستان. وكانت لندن أعلنت أن الأفغان

(17) Gabriela Baczynska, Echoes of 2015 as EU grapples with Afghan migration, security challenges, August 31, 2021, Accessed: 12 December, available at: https://cutt.us/Xx1z5

(18) Lorne Cook, Associated Press, EU to give Turkey 3 billion euros to help Syrian refugees inside its borders, Independent, 25 june 2021, Accessed: 12 December 2021, available at: https://cutt.us/SMqy9

(19) Oliver Noyan, How worried is Germany about Afghan refugees?, 26/8/2021, available at: https://cutt.us/0VF4r

(٢٠) ملف اللاجئين الأفغان يلقي بثقله على ألمانيا وأوروبا، موقع دويتش فيلة، ٢٩ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ ديسمبر٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://p.dw.com/p/3zdbZ

الذين عملوا لحساب بريطانيا في بلدهم، وتم إجلاؤهم إلى المملكة المتحدة، سيُمنحون حقوق إقامة غير محدودة، والحق في العمل، وطلب الحصول على الجنسية البريطانية في الوقت المناسب، وسيحصل هؤلاء على خدمات صحية مجانية، ودروس للغة الإنجليزية، ومنح جامعية في إطار عملية حكومية تحمل اسم "الترحيب الحار"، وقال "بوريس جونسون" في بيان له: "ندين بالكثير للذين عملوا مع القوات المسلحة في أفغانستان، وأنا مصمم على منحهم مع عائلاتهم الدعم الذي يحتاجونه لإعادة بناء حياتهم هنا في المملكة المتحدة"[٢١].

كما يعتبر ملف الهجرة "مغلفًا بالديناميت الإنساني والجيوسياسي"؛ حيث يتم استخدامه كـ"سلاح" ضد الاتحاد الأوروبي، يمكن تفجيره بشكل أكثر تدميرا من أي قنبلة، وهو ما أدركه الرئيسان البيلاروسي ألكسندر لوكاشينكو والتركي رجب طيب أردوغان وأمثالهما، فقد استخدم لوكاشينكو اللاجئين كـ"ورقة ضغط"، من خلال استقدام المهاجرين على متن الطائرات من العراق، ومن بينهم أفغان، ثم يدفعهم باتجاه حدود الاتحاد الأوروبي، وأيضًا على الرغم من إبرام الرئيس التركي رجب طيب أردوغان اتفاقًا مع الاتحاد الأوروبي في عام ٢٠١٦، يلزمه بمنع اللاجئين من العبور إلى اليونان، فإنه يهدد بإجبار اللاجئين على دخول الاتحاد الأوروبي كلما دخل في إشكالية مع بروكسل أو برلين أو باريس أو أثينا. ويقول كلوث: "إن الحكام المستبدين، يدركون أنهم قادرون على فضح الاتحاد الأوروبي، الذي يقول إنه يهتم بالبشر، وذلك من خلال تصويره على أنه ضعيف أو منافق أو كليهما".

أثار ذلك تنامي الحركات الشعبوية داخل أوروبا، وإحداث شرخ قوي داخل التكتل الأوروبي العاجز حتى هذه اللحظة على تطوير سياسة هجرة موحدة عادلة لجميع الأطراف، ويذهب كلوث إلى حدّ القول بأنّ "الفشل في السيطرة على الهجرة، قد أسقط إمبراطوريات من قبل"، فالاتحاد الأوروبي -مثله مثل روما القديمة- لا يستطيع أن يفعل شيئا يُذكر للسيطرة عليها، ومع ذلك يتعين عليه أن يجتاز اختباراته مرارا، وهي اختبارات قد تفشل فيها أوروبا في نهاية المطاف. وخلافا للولايات المتحدة، فإن الاتحاد الأوروبي غير قادر أو راغب في نشر القوة عندما يتعرض للتهديد، وبالتالي فهو محكوم عليه، إما بأن يحذو حذو الولايات المتحدة، أو أن يحاول كسب ودِّ الحكومات في إفريقيا والشرق الأوسط، على أمل أن تبقى شعوبها في الداخل[٢٢].

يبدو أن القلق الأوروبي من اللاجئين ليس فقط على مستوى الحكومات، بل امتد أيضًا إلى مستوى الشعوب؛ حيث أظهر استطلاع للرأي في ألمانيا، أجراه معهد سيفي لاستطلاعات الرأي لصحيفة أوغسبورغر الألمانية اليومية، بشأن قضية الهجرة أن ثلثي الألمان تقريبا بنسبة ٦٢,٩%، يخشون تدفقا كبيرا للاجئين في أعقاب التطورات الأخيرة في أفغانستان، كما حدث في عام ٢٠١٥.

وكشف الاستطلاع عن أن ثلث الألمان تقريبا (٣٠%) يفكر بطريقة مختلفة؛ حيث قال الناخبون الذين يؤيدون حزب البديل من أجل ألمانيا اليميني المتطرف على وجه الخصوص، إنهم قلقون من تدفق اللاجئين، وقال ثلاثة أرباع مؤيدي الاتحاد الديمقراطي المسيحي، وحليفه البافاري الاتحاد الاشتراكي المسيحي، وكذلك الحزب الديمقراطي الحر الليبرالي، إنهم يخشون حدوث أزمة لاجئين على غرار ما كان عليه الوضع قبل ست سنوات. لكن الباحث في شؤون الهجرة شتيفان أنغيندت قال لوكالة الأنباء الألمانية، إنه يعتبر التحذيرات بشأن أعداد لاجئين مثل ٢٠١٥ و٢٠١٦ مبالغا فيها، علما أنه في هذين العامين، جاء أكثر من ١,١ مليون طالب لجوء إلى ألمانيا، كثير منهم سوريون[٢٣].

(٢١) الاتحاد الأوروبي يفكر باستقلاله العسكري بعد الانسحاب من أفغانستان، انبندت عربية، ١ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٣ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Dl9Uv

(٢٢) ملف اللاجئين الأفغان يلقي بثقله على ألمانيا وأوروبا، مرجع سابق.

(٢٣) ثلثا الألمان يخشون تدفق اللاجئين الهاربين من أفغانستان، موقع أخبار اليوم السابع، ١٨ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/rJcO1

خامسًا- أوروبا ومستقبل العلاقات مع أفغانستان

يبدو أن أوروبا تترقب الموقف في أفغانستان، محاوِلةً الضغط على حكومة طالبان بتنفيذ عدد من الشروط من أجل الحصول على الإعتراف الدولي.

في بيان اختتام مهمة الدعم الحازم لحلف الناتو، وجه الحلف خطابه عن مستقبل العلاقات مع أفغانستان، قائلا: "إنه على خلفية الدعم الإقليمي والدولي المتجدد للتقدم السياسي نحو السلام، سنواصل دعم عملية السلام الجارية التي يملكها ويقودها الأفغان.. نرحب بمؤتمر اسطنبول باعتباره فرصة لدفع عملية السلام قدما، وتعزيز التقدم المحرز في الدوحة، وندعو الحكومة الأفغانية وطالبان إلى الالتزام بالتزاماتهما تجاه عملية السلام التي بدأتها اتفاقية طالبان والولايات المتحدة والإعلان الأمريكي الأفغاني المشترك، سيستمر حلفاء وشركاء الناتو في الوقوف إلى جانب أفغانستان وشعبها ومؤسساتها في تعزيز الأمن ودعم مكاسب السنوات العشرين الماضية، إن سحب قواتنا لا يعني إنهاء علاقتنا بأفغانستان، بل ستكون بداية فصل جديد.. السلام المستدام في أفغانستان سيكون له في الأساس اتفاق سلام دائم وشامل يضع حدًا للعنف، ويحمي حقوق الإنسان لجميع الأفغان، ولا سيما النساء والأطفال والأقليات، ويدعم سيادة القانون، ويضمن أن أفغانستان لم تعد مرة أخرى ملاذا آمنا للإرهابيين"[٢٤].

ومن ثم فإن الاعتراف الأوروبي بحكومة طالبان مرهون بعدة شروط؛ فعلى الرغم من إعلان طالبان تشكيل حكومة مؤقتة في سبتمبر الماضي في أفغانستان بعد بسط سيطرتها على العاصمة كابول، عبَّرت محادثات بين قادة مجموعة العشرين حول أفغانستان، بحسب ما أفادت صحيفة "الجارديان" البريطانية، عن أن حكومة طالبان ليست شاملة، وبالتالي فإن الاعتراف بحركة طالبان ليس مدرجا على جدول الأعمال، مشيرة إلى ضرورة استمرار عملية التفاوض مع حركة طالبان. كما أكدت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، قناعة بلادها التامة بأن جميع الأفغان لديهم الحق في العيش في سلام وكرامة وأمن، مشيرة في هذا الإطار إلى أهمية المساعدة في حل المشاكل الإنسانية التي يعاني منها الشعب الأفغاني والحيلولة دون انهيار الاقتصاد الأفغاني، وذلك خلال مشاركتها في قمة مجموعة العشرين حول أفغانستان. وطالبت ميركل بأن تحصل وكالات الأمم المتحدة على المساعدات الإنسانية المطلوبة، مشدِّدة على أن تكون المساعدات الإنسانية أيضًا متوافقة مع المبادئ المتفق عليها دوليًا. وشددت المستشارة الألمانية على أهمية ضمان نجاح مكافحة الإرهاب وألا تشكل أفغانستان تهديدًا آخر للعالم الخارجي، منبهة إلى أن الحرب ضد الإرهاب ستلعب دورًا مركزيًا للغاية في المحادثات مع طالبان[٢٥].

خاتمة: الناتو والدروس المستفادة في أفغانستان

في أغسطس ٢٠٢١، تم إجراء تقييم سياسي وعسكري شامل خلال الخريف، بمشاركة نشطة من الحلفاء والخبراء، وجد التقييم أن مشاركة الناتو في أفغانستان أظهرت قدرة هائلة وقدرات عسكرية، وأنه في بيئة أمنية متزايدة التعقيد، يجب أن تظل إدارة الأزمات مهمةً أساسيةً لحلف الناتو. وخلص أيضًا إلى أن مستوى طموح المجتمع الدولي في أفغانستان امتد إلى ما هو أبعد من تدهور الملاذات الآمنة للإرهابيين، وأنه في المستقبل، يجب على الحلفاء تقييم المصالح الاستراتيجية وتحديد أهداف قابلة للتحقيق والبقاء على دراية بمخاطر توسيع البعثة.

قدم التقييم عددا من التوصيات الأخرى، بما في ذلك ما يتعلق بشأن الحفاظ على قابلية التشغيل البيني مع الشركاء التشغيليين؛ النظر في المعايير السياسية والثقافية للدول المضيفة، وكذلك قدرتها على استيعاب بناء القدرات والتدريب، وضمان تقديم التقارير في الوقت المناسب والمشاورات الهادفة. كما اقترح أن على الناتو النظر في كيفية تعزيز قدراته لإجراء عمليات إخلاء واسعة النطاق وسريعة

(24) NATO and Afghanistan, Op. cit.

(٢٥) ميركل: الاعتراف بحكومة طالبان لم يكن مطروحا في قمة مجموعة العشرين، روسيا اليوم، ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي https://cutt.us/7ezl5

الإخطار في المستقبل. وتهدف الاستنتاجات والتوصيات الرئيسية للتقييم إلى إعلام القادة السياسيين والعسكريين لحلف الناتو أثناء نظرهم في عمليات إدارة الأزمات المستقبلية وتوجيهها[٢٦].

وعليه يتبين أن الانسحاب الأمريكي من أفغانستان قد لقَّن أوروبا دروسًا عدة، يمكن أن نرى تبعاتها في المستقبل القريب فيما يتعلق بالعلاقات الأمريكية الأوروبية، بعد اهتزاز الثقة في الحليف الأمريكي، مما حث أوروبا على اتخاذ المزيد من التدابير العسكرية لمزيد من الاستقلالية وعدم الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية، فلم تعد الحليف الموثوق به، وجاء إعلاء المصلحة الأمريكية الوطنية على حسابات مصالح الحليف الأوروبي، الأمر الذي دعا الدول الأوروبية لمراجعة سياساتها وتقييم أخطاء الماضي.

*****

[26] NATO and Afghanistan, Op. cit.

مواقف قوى شرقية كبرى من الانسحاب الأمريكي من أفغانستان

د. أحمد عبد الحافظ فواز(*)

مقدمة:

أفغانستان دولة حبيسة جبلية وعرة التضاريس. تكمن أهميتها الاستراتيجية منذ القدم في كونها تقع على مفترق طرق وسط وجنوب آسيا، وتحيط بها باكستان شرقًا وجنوبًا، وإيران غربًا، وتركمانستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان شمالًا، والصين من الشمال الشرقي. وربطها موقعها على طول طريق الحرير بثقافات كل من الشرق الأوسط وأجزاء أخرى من آسيا. أطلق عليها لقب "التي لا تقهر" وأطلق عليها اسم "مقبرة الإمبراطوريات" على الرغم من أنها احتُلت عبر مراحل مختلفة من تاريخها(١).

شَنَّ البريطانيون -على مدى ثمانين عامًا- الحرب مرارًا وتكرارًا ضد الجيوش الأفغانية. لكن باءت معظم محاولاتهم بالفشل وتكبَّدوا خسائر في الأرواح أضعاف ما تكبَّدته الولايات المتحدة وحلفاؤها -بما في ذلك بريطانيا- أثناء احتلالها أفغانستان لمدة عشرين عامًا(٢). لكن أفغانستان دفعت للدفاع عن نفسها ولما لحق بها من تبعات الاحتلال أثمانًا غالية. فقد حذر البنك الدولي من تردي الأوضاع الاقتصادية في أفغانستان، إذ يشير إلى أنها تعد واحدةً من أفقر بلدان العالم، ولم تشهد استقرارا منذ الغزو السوفيتي أواخر سبعينيات القرن العشرين. ويتَّسم اقتصاد أفغانستان بهشاشته واعتماده على المساعدات والمعونات والتي وصلت إلى قرابة ١٠٠% من الناتج المحلي الإجمالي في عام ٢٠٠٩، قبل أن تنخفض النسبة إلى ٤٢,٩% في عام ٢٠٢٠(٣).

عندما بدأ الحديث عن الخطط الأمريكية للانسحاب من أفغانستان كانت موسكو على تواصل بالفعل مع طالبان استعدادًا لأية سيناريوهات تخصُّ تلك الدولة المتاخمة لدول آسيا الوسطى التي تحظى بأهمية استراتيجية خاصة لدى روسيا. أما بقية الفاعلين الإقليميين فتباينت درجات اقترابهم من الجماعة. أما باكستان والهند والصين، ففي الأشهر الأخيرة التي سبقت عودة طالبان للحكم في أفغانستان عملت الحكومات الثلاث جميعها على تصعيد اتصالاتها الدبلوماسية بطالبان تحسبا لاحتمال تنامي دورها لتصبح قوة سياسية فاعلة في أفغانستان. وتحولت هذه الإمكانية إلى حقيقة واقعة حين اجتاحت هذه الجماعة العاصمة كابول إيذانًا بمشهد جيوسياسي جديد في آسيا.

هذا المشهد الجديد ستتحدد ملامحه عبر مآلات الصراع داخل أفغانستان وعلاقات طالبان بدول الجوار والقوى الإقليمية في المنطقة. فوصول طالبان للحكم من جديد لا يعني أن السيطرة قد دانت لها على كافة أنحاء الدولة؛ فالسقوط السريع لكابول لا يقابله غيابًا للمعارضة التي ستشكل تحديًا للحركة يضاف إلى تحدي الجماعات المتطرِّفة التي قد تتحيَّن الفرصة سواء لتكثيف أنشطتها داخل أفغانستان أو العودة من جديد لاتخاذ الدولة منطلقًا لأعمالها في مناطق أخرى خارجها. وعلى المستوى الإقليمي تراقب دول الجوار والقوى الإقليمية -التي تهتم باستقرار المنطقة- عن كثب ما يحدث بأفغانستان. وإن كانت هناك تحليلات ترى أن انسحاب الولايات المتحدة يعد خطًا استراتيجيًا وإقرارًا منها بفشل مهمَّتها في أفغانستان إلا أن

(*) أستاذ مساعد علوم سياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة

(1) Devender Sharma, Dealing with the Taliban: India's Strategy in Afghanistan after Regime Change, Modern Diplomacy, 22 August 2021, available at: https://bit.ly/3JXBmes

(2) Scott Savitz, Lessons from Afghanistan, The RAND blog, 3 September 2021, available at: https://bit.ly/3r4ckld

(٣) التجارة بين الهند وأفغانستان متوقفة.. وتوقعات باستئنافها قريبًا، العين الإخبارية، ٢٠ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3JUnWzR

تحليلات أخرى ترى في الانسحاب قرارًا أمريكيًّا مدروسًا سعتْ من خلاله الولايات المتحدة من ناحية أن تتخلَّى عن مهمَّة تستنزف من مواردها ما لا تغطِّيه العوائد منها ومن ناحية أخرى أرادت أن تترك لخصومها في المنطقة-خاصةً روسيا والصين- قنابل موقوتة بإمكانها أن تخلق لموسكو المشكلات في منطقة آسيا الوسطى ذات الأهمية الكبرى لروسيا، كما يمكن أن تفسد للصين مشروعاتها الاقتصادية بأفغانستان والطرق التجارية التي كانت تسعى لدمج أفغانستان فيها. أما الهند التي تدهورت علاقاتها مع طالبان في ولايتها الأولى وتوطدت علاقتها بحكومات كابول إبان الاحتلال الأمريكي ودعمتها وألقت بثقلها الاقتصادي أضحت في وضع قد تبدو فيه الخاسر الأكبر من الانسحاب الأمريكي وعودة طالبان للحكم.

تسعى الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس التالي: كيف تشكَّلت مواقف قوى شرقية كبرى كروسيا والصين والهند تجاه الانسحاب الأمريكي من أفغانستان؟ ويثير ذلك السؤال مجموعة من التساؤلات الفرعية، منها: كيف أدركت تلك القوى التحديات الناشئة أو الفرص المتاحة من الانسحاب الأمريكي؟ ما هي تداعيات وصول طالبان للسلطة في أفغانستان على طبيعة العلاقات بين أفغانستان وتلك القوى؟ كيف ستنعكس الأوضاع الجديدة في أفغانستان على الأوضاع الجيوسياسية بمنطقة جنوب آسيا؟ كيف تشابهت أو تباينت ردود أفعال تلك القوى تجاه الانسحاب الأمريكي وتولي طالبان الحكم من جديد؟

وتستعرض الدراسة مواقف الدول الثلاثة؛ روسيا والصين والهند، تباعًا والفرص والتحديات التي قدَّمتها التحولات على الساحة الأفغانية لهذه القوى.

أولًا- روسيا:

ظلَّت أفغانستان مسرحًا لمؤامرات وتدخُّلات دولية لفترة طويلة حيث شهدت تنافسًا بريطانيًّا روسيًّا في فرض سيطرتها عليها عبر ما اصطلح على تسميته بـ "اللعبة الكبرى" في القرن التاسع عشر. كما ساعدت الولايات المتحدة باكستان في تقديم السلاح والمال للمقاتلين الأفغان الذين كانوا يحاربون القوات السوفيتية في ثمانينات القرن العشرين. لكن صرح مسؤولون من طالبان بأن الجماعة تجري اتصالات مهمة مع موسكو منذ عام ٢٠٠٧ على الأقل وأن الدور الروسي لم يتجاوز الدعم المعنوي والسياسي. فسَّر مسؤول كبير في طالبان ذلك بقوله "لنا عدو مشترك. كنا نحتاج الدعم للتخلص من الولايات المتحدة وحلفائها في أفغانستان وكانت روسيا تريد خروج كل القوات الأجنبية من أفغانستان بأسرع ما يمكن"[٤].

لكن ربما تناست تلك التصريحات أن روسيا دعمت بقوة احتلال حلف شمال الأطلنطي لأفغانستان قبل عشرين عامًا، بل وسمحت للولايات المتحدة باستخدام المجال الجوي الروسي في سلسلة إعادة الإمداد، وحثَّتْ حلف شمال الأطلنطي في كثير من الأحيان على عدم مغادرة أفغانستان قبل الانتهاء من استعادة الاستقرار في البلاد. وكان الانزعاج الروسي من الوجود الأمريكي المستمر يظهر غالبًا في سياق أكثر عمومية للعلاقات بين موسكو وواشنطن خاصةً عند توترها[٥].

بالرغم من اهتمام الكثير من التحليلات بمناقشة الآثار الجيوسياسية المترتبة على انهيار الحكومة الأفغانية السابقة على الصين إلا أن روسيا تبدو المؤثر الإقليمي الأنشط في الأزمة. يعود ذلك لتجربتها وشبكاتها منذ عقود في أفغانستان. لذا

(٤) العلاقات بين روسيا وطالبان تقلق المسؤولين الأفغان والأمريكيين، رويترز، ٨ ديسمبر ٢٠١٦، متاح عبر الرابط التالي: https://reut.rs/3n8AUQS

(5) Fred Weir, Russia worries: Will US exit from Afghanistan bring back bad old days?, The Christian Science Monitor, 20 July 2021, available at: https://bit.ly/33cFfLQ

باستطاعة موسكو تطبيق أدواتها الدبلوماسية والاستخباراتية والعسكرية لمنع انتشار الاضطرابات خارج أفغانستان[٦].

ترى إحدى المحلِّلات الروسيات أن انسحاب الرئيس جو بايدن من أفغانستان يعد خطًّا أخلاقيًّا واستراتيجيًّا كارثيًّا سيحدِّد إرثه. كما أنه سيعقِّد من المنافسة مع قوى كالصين وروسيا. ورغم أن الانسحاب الأمريكي يشكّل تحديات لروسيا لكنه يمنح رئيسها بوتين فرصًا أيضًا. لا يسعى الأخير لمكافحة الإرهاب فحسب، وإنما إلى إضعاف هيكل البنية الأمنية الليبرالية التي قادتْها الولايات المتحدة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية لصالح رؤيته لعالم متعدِّد الأقطاب. صحيح أن بوتين يرى أن الانسحاب الأمريكي من أفغانستان سيضعف حتمًا من هذا الهيكل لكنه أيضًا سيترك فراغًا لا خيار أمامه سوى ملئه[٧].

١) الفرص

رغم أن موسكو تعتبر طالبان رسميًّا منظمة إرهابية ولم تعترف بها -حتى كتابة هذه السطور وانقضاء عام ٢٠٢١- بوصفها الحكومة الشرعية لأفغانستان لكنها استقبلت ممثليها أكثر من مرة في محادثات جرت بالعاصمة موسكو. لكن إزالة تسمية الإرهابيين والاعتراف بطالبان سوف يشكِّل دلالة رئيسية على أن روسيا تنظر إلى الحركة باعتبارها أفضل رهان طويل الأمد من أجل الاستقرار[٨]. وجدير بالذكر هنا أن حظر الحركة وتوصيفها رسميًّا بالإرهاب لا يعود لعلميات قامت بها داخل الحدود الروسية وإنما يتمثل السبب الأساسي في اعتراف طالبان في يناير ٢٠٠٠ بجمهورية الشيشان إشكيريا التي خاضت حربين ضد روسيا في تسعينيات القرن العشرين حتى أعادتْها موسكو لسيطرتها في مطلع القرن الحادي والعشرين[٩].

لكن نظرة موسكو إلى العالم تحوَّلت بشكل عميق في الأعوام التي تَلَتْ إعادة الشيشان لسيادتها. فقد انتقلت روسيا من ذلك الموقف الدفاعي الذي شكَّلته الحروب الشيشانية إلى موقف أكثر تعقيدًا تجسَّد في ضم شبه جزيرة القرم. ففي الحالة الأولى كان التعاون مع الولايات المتحدة -المرتكز على مكافحة التهديدات الإرهابية- ممكنًا، بل ومرغوبا فيه. لكن في الحالة الأخرى أضحت المواجهة مع الغرب هي السمة المهيمنة على الموقف الروسي، وعليه ارتأتْ موسكو وجوب اغتنام كل فرصة لاستغلال أية انتكاسة لسياسات الولايات المتحدة. ثم جاء انسحاب قوات الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلنطي من أفغانستان ليشكِّل انتكاسةً كبرى. لكن تظلُّ المشكلة بالنسبة لروسيا هي كيف يمكن تحقيق الاستفادة منه في ظل كون الفراغ الأمني الناشئ لا يتلاءم مع منظور المواجهة، بل ويتعارض معه[١٠].

كجزء من استراتيجية التحوُّط التي استخدمها الكرملين استعدادًا لأية سيناريوهات تفرزها أفغانستان عبر التعامل مع جميع المتنافسين على السلطة في أفغانستان، قدَّمت موسكو دعما سياسيًّا واستخباراتيًّا صريحًا لطالبان إلى جانب اتهامات بمساعدة الجماعة سرًّا. وقد أثمرت جهود روسيا بالفعل عن بعض النتائج المبكرة. فعندما اجتاحت طالبان البلاد بسرعة في صيف عام ٢٠٢١، وعد مسؤولوها الكرملين بأن طالبان سوف تعمل على احتواء أية اضطرابات ولن تسمح باستخدام أفغانستان لمهاجمة روسيا وحلفائها في آسيا الوسطى. وسرعان

(6) Dara Massicot, Can a Pragmatic Relationship With the Taliban Help Russia Counter Terrorism?, The National Interest, 3 September 2021, available at: https://bit.ly/3JY6uea

(٧) آنا بورشفسكايا، كيف ستستفيد روسيا بفضل كارثة بايدن في أفغانستان، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، ١٨ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Ge5SOY

(8) Dara Massicot, Can a Pragmatic Relationship With the Taliban Help Russia Counter Terrorism?, Op. cit.

(٩) ماكسيم سوشكوف، روسيا في أفغانستان.. واقعية لا تشوبها أوهام، موقع أوريان ٢١، ١٩ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3nbw5q1

(10) Pavel K. Baev, Russia and America's overlapping legacies in Afghanistan, Brookings: Order from Chaos, 18 August 2021, available at: https://brook.gs/3q8wyev

ما تحرَّكت طالبان للسيطرة على المعابر الحدودية مع بلدان آسيا الوسطى[١١].

قد يكون من الصعب الإجابة عما إذا كانت أفغانستان -بعد انسحاب الولايات المتحدة- ستصبح ملاذًا آمنًا أو موطئ قدم للإسلاميّين "المتطرفين". لكن أيًّا كان الأمر، فإن من المحلِّلين الروس من يرى أن طالبان لن تكون بحاجة للإرهابيين والمتطرفين إذا ما كان قادتها يخططون لبناء دولة قومية لها علاقات جيدة مع الجميع[١٢]. بل إن عودة طالبان للسلطة في أفغانستان يمكنها أن تساهم في تعزيز الوجود الروسي القوي أصلًا في دول آسيا الوسطى. وقد أعلنت موسكو بالفعل استعدادها لاستخدام القوة العسكرية لحماية "حلفائها" في طاجيكستان وتركمانستان وأوزبكستان، وجميعها أعضاء في منظمة معاهدة الأمن الجماعي ولها جوار مباشر مع أفغانستان[١٣].

وفيما يبدو سعيًا لتمكينها من حماية هؤلاء الحلفاء تحتفظ روسيا بقواعد عسكرية في طاجيكستان وقرغيزستان. فمنذ أربعينيات القرن العشرين يقع مقر الفرقة (٢٠١) الروسية في طاجيكستان، وبموجب بنود الاتفاقية الموقَّعة في عام ٢٠١٢ ستظل هذه الفرقة هناك حتى عام ٢٠٤٢ على الأقل. كما قامت روسيا -على خلفية الوضع في أفغانستان- بإعادة تجهيز القاعدة (٢٠١) بشكل مكثَّف وتجديد ترسانتها من العربات المدرَّعة حيث تعتبر موسكو تلك القاعدة عنصرًا محوريًّا لوجودها العسكري في المنطقة[١٤]. كما تمتلك روسيا أيضًا قاعدة عسكرية في قيرغيزستان، منذ عام ٢٠٠٣، وبموجب اتفاقية إنشاء القاعدة والموقَّعة في عام ٢٠١٢، ستبقى القوات الروسية هناك حتى عام ٢٠٢٧، مع إمكانية تمديد بقائها لخمس سنوات أخرى بعد هذا التاريخ[١٥].

٢) التحديات

تنبع التحديات التي تواجه روسيا جراء الانسحاب الأمريكي من إدراك موسكو أن ذلك الانسحاب سيؤثر في استقرار المنطقة وهو ما قد تظهر تبعاته السلبية على الداخل الروسي. وفي أغسطس ٢٠٢١ حدَّد نيكولاي باتروشوف، رئيس مجلس الأمن الروسي، مجموعة أهداف مباشرة لروسيا في أفغانستان: كالتالي: (١) مراقبة تدفقات الهجرة من أفغانستان إلى آسيا الوسطى وروسيا، (٢) حماية آسيا الوسطى من الإرهابيين الذين يتظاهرون بأنهم لاجئون، (٣) منع انتشار الأيديولوجيا المتطرِّفة خارج حدود أفغانستان، (٤) الحماية من تهريب الأسلحة والاتجار بالمخدرات[١٦]. ويمكن إجمالًا تقسيم تلك التحديات لمجموعتين تضم الأولى التحديات الاستراتيجية وتشمل الثانية التحديات الأمنية.

تشكِّل آسيا الوسطى منطقة ذات أهمية استراتيجية كبرى لروسيا، لذا حرصت منذ تفكُّك الاتحاد السوفيتي على إقامة وتطوير علاقات متميزة بدولها لإبقائها قدر المستطاع في دائرة النفوذ الروسي. لكن اتَّسمت العلاقات بمحاولات الهيمنة أكثر من حل الصراعات والنزاعات بين دول المنطقة مثلما حدث في مايو ٢٠٢١ عندما تصاعدت الاشتباكات الحدودية بين قيرغيزستان وطاجيكستان بالتزامن مع عقد منظمة معاهدة

(11) Dara Massicot, Can a Pragmatic Relationship With the Taliban Help Russia Counter Terrorism?, Op. cit.

(12) Russia's Options Following A Taliban Takeover Of Afghanistan: Cooperation With The Taliban Or Containing Them, The Middle East Media Research Institute, Special Dispatch, No. 9448, 15 July 2021, available at: https://bit.ly/3f8xQQi

(١٣) أحمد قنديل، سقوط كابول واحتمالات إعادة رسم خريطة القوى الدولية في منطقة آسيا الوسطى، آفاق استراتيجية، العدد ٤، أكتوبر ٢٠٢١ (القاهرة: مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار)، ص ١٣٦.

(١٤) تحسبا للأسوأ: روسيا تعزز قاعدتها في طاجيكستان على حدود أفغانستان، روسيا اليوم، ١٦ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3F9th2T

(١٥) أحمد قنديل، سقوط كابول واحتمالات إعادة رسم خريطة القوى الدولية في منطقة آسيا الوسطى، مرجع سابق، ص ١٣٦.

(16) Dara Massicot, Can a Pragmatic Relationship With the Taliban Help Russia Counter Terrorism?, Op. cit.

الأمن الجماعي التي تقودها روسيا اجتماعًا لوزراء الدفاع في العاصمة الطاجيكية[١٧]. تضمُّ المنظمة إلى جانب روسيا كلًّا من طاجيكستان وكازاخستان وقيرغيزستان، وتتعهد بموجبها موسكو بتقديم الدعم العسكري لأعضائها.

وفقًا لعددٍ من المحلِّلين فإنه على الأقل من الناحية الافتراضية البحتة تلوح في الأفق بعض المخاطر والتهديدات المحتملة الناجمة عن الأوضاع الجديدة في أفغانستان من بينها احتمال قيام التنظيمات المتطرفة مثل داعش –وبدرجة أقل القاعدة أو الفصائل المتطرفة المنتمية لها- بأعمال عدائية ضدَّ حلفاء موسكو في آسيا الوسطى مع احتمال امتدادها للأراضي الروسية. وقد تأخذ هذه الأعمال شكل الهجمات المتفرقة والاستفزازات على الحدود[١٨]. ومع تزايد التوتُّرات الحدودية بين طاجيكستان وقيرغيزستان، والاضطرابات التي شهدتها أفغانستان قبيل سيطرة طالبان قامت طاجيكستان وقيرغيزستان وكازاخستان بإعلان التعبئة العسكرية.

قد يكون من المهم هنا الحديث عن العلاقات التاريخية الأفغانية-الطاجيكية التي تتَّسم بالتداخل والتعقُّد. فالطاجيك يشكلون العرقية الثانية في أفغانستان وحينما اندلعت الحرب الأهلية الطاجيكية في تسعينيات القرن العشرين لجأ مئات الآلاف من الطاجيك لأفغانستان[١٩]. وتصف صحيفة «فاينانشيال تايمز» طاجيكستان بأنها مركز للمقاومة الأفغانية؛ فعلى سبيل المثال تعود أصول أحمد شاه مسعود - زعيم المقاومة في الحقبة السوفييتية وقائد المقاومة ضد طالبان قبل اغتياله في سبتمبر ٢٠٠١- لأصول طاجيكية. كما دأبت طاجيكستان على منح القادة الذين تسعى وراءهم طالبان حق اللجوء، بل والسماح لهم بالتخطيط للعودة لمهاجمة الجماعة من جديد. ومن أمثلة هؤلاء أحمد مسعود زعيم «جبهة المقاومة» الأفغانية ونجل أحمد شاه مسعود، وأمر الله صالح، نائب الرئيس الأفغاني السابق، وعبد اللطيف بيدرام، زعيم حزب المؤتمر الوطني من أفغانستان[٢٠]. كما لجأ أكثر من ١٠٠٠ جندي من قوات الحكومة الأفغانية لطاجيكستان. ولعل ذلك ما يفسر سعي طالبان للسيطرة على معابر الحدود مع دول الجوار خاصةً طاجيكستان التي استدْعت ٢٠ ألف جندي من قوات الاحتياط ونقلت فرقة الجيش الروسي (٢٠١) -التي تتَّخذ من الجمهورية مقرًّا لها منذ عقود- إلى مواقع حدودية[٢١].

أجرى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في خضم تلك الأحداث -وتحديدًا في ٥ يوليو ٢٠٢١- محادثات هاتفية مع الرئيس الطاجيكي إمام علي رحمن بشأن الوضع على الحدود الأفغانية-الطاجيكية. وأعلن الكرملين أن بوتين "أكد استعداده لتقديم المساعدة اللازمة لطاجيكستان". جاء ذلك متوافقًا مع الموقف الذي أعلنه كبار المسؤولين الروس بأن روسيا مستعدَّة لمساعدة حلفائها في منظمة معاهدة الأمن الجماعي إذا واجهوا العدوان. وقال وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف "سننشر أي وسيلة، بما في ذلك استخدام قدرات قاعدتنا العسكرية، الواقعة على الحدود الطاجيكية الأفغانية، لمنع أية أعمال عدوانية ضد حلفائنا"[٢٢].

يعدُّ استقرار آسيا الوسطى أولوية للأمن القومي الروسي، فعندما علمت موسكو بأنباء إرسال طاجيكستان وأفغانستان قوات إلى منطقة حدودهما دعا الكرملين الطرفين إلى حلِّ الخلاف عبر أسلوب يقبله كلاهما. لم يكن الخلاف بين الطرفين

(17) Pavel K. Baev, Russia and America's overlapping legacies in Afghanistan, Op. cit.

(١٨) فيتالي نعومكين، روسيا وأفغانستان... البحث عن نهج جديد، الشرق الأوسط، ١٧ أغسطس ٢٠٢١.

(١٩) تصعيد بين طاجيكستان وأفغانستان ينذر بمواجهة، جريدة البيان الإماراتية، ١ أكتوبر ٢٠٢١.

(20) Nastassia Astrasheuskaya, How Tajikistan became hub for Afghanistan's resistance, The Financial Times, 29 September 2021.

(21) Fred Weir, Russia worries: Will US exit from Afghanistan bring back bad old days?, Op. cit.

(22) Russia's Options Following A Taliban Takeover Of Afghanistan: Cooperation With The Taliban Or Containing Them, Op. cit.

خفيًّا، بل إن رئيس طاجيكستان رفض الاعتراف بحكومة طالبان في كابول. وقبيل رحيل القوات الأمريكية عن أفغانستان نقل أفراد القوات الجوية الأفغانية المدعومة أمريكيًّا عشرات الطائرات الحربية عبر الحدود إلى طاجيكستان وأوزبكستان وتم احتجازهم هناك. وهو ما دفع عبد الغني برادر - نائب رئيس الوزراء بالوكالة في حكومة طالبان- إلى اتهام طاجيكستان بالتدخُّل في الشأن الأفغاني، وتوعَّدها بإجراءات ردٍّ محتملة. وصرح برادر: «لن نسمح لأحد من دول الجوار بإثارة النعرات الطائفية والعرقية في بلادنا»[٢٣].

تأتي على رأس التحديات الأمنية تزايد أنشطة التنظيمات المتطرفة، حيث عبَّرت عناصر من تلك التنظيمات -خاصة أولئك المرتبطين بشبكات تنظيم «القاعدة» أو «هيئة تحرير الشام»- عن فرحتهم باستيلاء "طالبان" السريع على أفغانستان، معتبرين ذلك دليلًا على أن الله سيكافئهم حتمًا على الصبر والثبات على عقيدتهم. فقد قاد استيلاء "طالبان" على السلطة لهروب العديد من السجون، منهم عناصر من تنظيم «القاعدة». كما سقطت "قاعدة باغرام الجوية" وهي التي كانت تحتجز أهم سجناء تنظيم «القاعدة». وربما يشجِّع خروج قدامى المحاربين الجهاديين «القاعدةَ» على إعادة بناء بنيتها التحتية بالبلاد أو الانتقال لدول الجوار[٢٤].

لكن روسيا تراهن على الخلاف الأيديولوجي بين داعش وطالبان. فقد شهد عام ٢٠١٥ بداية القتال بين قوات «طالبان» و«داعش» عندما أعلن تنظيم «الدولة الإسلامية» لأول مرة عن وجوده في أفغانستان. ولا يزال تنظيم «الدولة الإسلامية» يدين ما يراه قصورًا في أيديولوجية «طالبان»؛ حيث يتَّهم قادةُ «داعش» الحركةَ بالتساهل المفرط حيال «البدعة». ومن ذلك ما أشيع عن إرسال «طالبان» بعضًا من أعضائها لحضور مراسم شيعية تحتفل بذكرى عاشوراء[٢٥].

يأتي في سياق المخاوف من الأفكار المتطرفة ذلك التحدِّي المرتبط بتدفُّق اللاجئين الأفغان لدول آسيا الوسطى. تخشى روسيا من أن يتسلَّل في الخفاء مسلَّحون ودعاة متطرِّفون ضمن موجات اللاجئين؛ بحيث يصبح بمقدورهم تجنيد مؤيدين جدد لفكرهم المتطرف. وقد يتسبَّب عشرات الآلاف من الطاجيك الأفغان والأوزبكيين الفارين من طالبان إلى زعزعة استقرار طاجيكستان وأوزبكستان. ومع عدم قدرة طاجيكستان على إغلاق حدودها يصبح لزامًا عودة حرس الحدود الروس. وإذا كانت آسيا الوسطى متطرّفة فإن ذلك سيؤثر سلبًا على روسيا: لأن ملايين الناس من هذه الجمهوريات يعملون في روسيا. ويرى محللون روس أن الوضع الحالي أسوأ مما كان عليه في عام ٢٠٠١ في بداية التدخل الأمريكي عندما كان التحالف الشمالي على الأقل يوفر عازلًا ضد طالبان. أما الآن فقد انكشفت حدود الجمهوريات السوفييتية السابقة ممَّا قد يفتح الباب أمام أفغانستان لتتحول -في وقت قصير- من صداع أمريكي إلى صداع روسي[٢٦].

يرتبط أيضًا بالتحديات الأمنية تهريب المخدرات من أفغانستان التي ارتبط اسمها لعقود بزراعة الخشخاش المستخرج منه الأفيون. ففي ظل الفقر المدقع للأفغان ازدهرت زراعة الأفيون وتجارته كمصدر للدخل حتى أضحت أفغانستان أكبر منتجي هذا المخدر الخام. وكانت طالبان قد حظرت خلال فترتها الأولى في الحكم ما بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠٢ إنتاج الأفيون والذي انخفض بشدة عام ٢٠٠٢ لكن مع الإطاحة بها عاد للارتفاع من جديد. وعقب سيطرتها على السلطة في أغسطس

(٢٣) تصعيد بين طاجيكستان وأفغانستان ينذر بمواجهة، مرجع سابق.

(24) Aaron Y. Zelin, Return of the Islamic Emirate of Afghanistan: The Jihadist State of Play, *The Washington Institute,* Policy Watch 3523, *18* August 2021, *available at:* https://bit.ly/3JUva7i

(25) Return of the Islamic Emirate of Afghanistan: The Jihadist State of Play, Op. cit.

(26) Russia's Options Following A Taliban Takeover Of Afghanistan: Cooperation With The Taliban Or Containing Them, Op. cit.

٢٠٢١ تعهدت طالبان بمكافحة زراعة الأفيون وتهريب المخدرات في أفغانستان[٢٧].

يتَّهم وزير الخارجية الروسي لافروف حكومة كابول السابقة والولايات المتحدة بالضلوع في زيادة إنتاج المخدرات وصرح بأن هناك مصادر غربية تشير إلى أن الجنود الأمريكيين شاركوا على الأرجح في نقل شحنات المخدرات[٢٨]. ومن بين تلك التحليلات الداعمة لاتهامات لافروف ما ذكره توماس روتينج من أن القوات الغربية التي انتشرت في أفغانستان منذ عام ٢٠٠١ تعاونت مع بعض أمراء الحرب وزعماء ومسؤولين حكوميين ممَّن تورَّطوا أيضًا في تهريب المخدرات. لكن روتينج يشكِّك في تعهُّدات طالبان مبرِّرًا ذلك بأسباب منها صعوبة وفائها بها لأنه سيعني فقدانَها الكثير من أنصارها بالمناطق الريفية الرئيسية في أفغانستان[٢٩]. وقد عبَّر بوتين عن أهمية قضية تهريب المخدرات من أفغانستان عندما تحدَّث في المؤتمر الصحفي السنوي المنعقد في ٢٣ ديسمبر ٢٠٢١ عن حدود مفتوحة مع دول آسيا الوسطى بما يعني إمكانية انتقال العناصر المتطرفة ثم أتبع ذلك بقلق موسكو من الترويج للمخدرات بكميات كبيرة داخل أفغانستان[٣٠].

٣) الموقف الروسي

تلعب الخبرة التاريخية دورًا هامًّا كأحد محددات الموقف الروسي من الانسحاب الأمريكي من أفغانستان. فقد يبدو للبعض من المحللين أن إرث التدخل السوفييتي في أفغانستان (١٩٧٩-١٩٨٩) وكأنه ينتمي لذلك الماضي السحيق الذي شهد ضم سمرقند وميرف للإمبراطورية الروسية في أواخر القرن التاسع عشر. لكن الواقع أن المجتمع الأفغاني لم يتعاف قط من تبعات إسقاطه للسلطة الشيوعية. وكما يشير المحللون الروس، فإن أطفال المجاهدين هم من قاوموا الاحتلال السوفييتي مقاومة عنيدة وسيطروا على قندهار وكابول. حاول آنذاك الزعيم السوفييتي ميخائيل جورباتشوف إقناع الرئيس الأمريكي رونالد ريغان بأن الحل التوفيقي هو الوسيلة الوحيدة لكبح جماح الفوضى العارمة التي اجتاحت بالبلاد. ولكن لم يكن هناك أي بديل واقعي للانسحاب الكامل للوحدة العسكرية السوفييتية التي بلغ قوامها ١٠٠ ألف جندي، وبالفعل تلت ذلك الانسحاب الفوضى[٣١].

وقبيل الانسحاب الأمريكي ظهرت من جديد في وسائط الإعلام الروسية مجموعة من الصور الرمزية ترصد الانسحاب السوفييتي عام ١٩٨٩. تُظهر هذه الصور الجنرال بوريس جروموف قائد "الوحدة العسكرية" للقوات التابعة للاتحاد السوفييتي في أفغانستان وقد تخطَّى جسر الصداقة -والمسمَّى ذاته يثير السخرية- بين أوزبكستان وأفغانستان وتظهر وراءه آخر قواته تغادر البلاد بعد قرابة تسع سنوات من المحاولات العقيمة لفرض نظام مؤيد للاتحاد السوفييتي[٣٢].

على الرغم من أن بوتين أيَّد غزو التحالف الذي قادته الولايات المتحدة لأفغانستان إلا أن تأييده كان مشروطًا. ففي

---

(٢٧) يدخل الأفيون بشكل أساسي في إنتاج العقاقير القوية المسكنة للألم فضلا عن أنه يستخدم في صناعة مخدر الهيروين القاتل، ووفقا لمكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، وصل حجم إنتاج أفغانستان من الأفيون إلى قرابة ٦٨٠٠ طن خلال موسم الحصاد الأخير الذي انتهى في يوليو ما يمثل زيادة بنسبة ٨ بالمائة عن إنتاج عام ٢٠٢٠. وقد أشار التقرير إلى أن أفغانستان لا تزال تستحوذ على ٨٥ بالمائة من إنتاج الأفيون على مستوى العالم. لمزيد من التفاصيل انظر: رغم وعود طالبان.. الأفيون يزدهر في أفغانستان، DW، ٢٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://p.dw.com/p/44FWE

(28) Russia's Options Following A Taliban Takeover Of Afghanistan: Cooperation With The Taliban Or Containing Them, Op. cit.

(٢٩) رغم وعود طالبان.. الأفيون يزدهر في أفغانستان، مرجع سابق.

(30) Russia strives for united international position on recognizing Taliban government — Putin, Russian news agency TASS, 23 December 2021, available at: https://cutt.us/YkaR4

(31) Pavel K. Baev, Russia and America's overlapping legacies in Afghanistan, Op. cit.

(32) Fred Weir, Russia worries: Will US exit from Afghanistan bring back bad old days?, Op. cit.

عام ٢٠٠٩، ضغط الكرملين على قيرغيزستان كي تغلق "قاعدة ماناس الجوية" التي كانت تستأجرها الولايات المتحدة. وكان الوجود الأمريكي في آسيا الوسطى مصدر قلق لموسكو. لم يُرد بوتين وجود قواعد أمريكية بتلك المنطقة التي كان ينظر لها باعتبارها "نقطة ضعف" بالنسبة لروسيا. لذا عملَتْ روسيا على تدعيم نفوذها بأفغانستان ليس لاعتبارات أمنية فحسب، وإنما لإضعاف الغرب وحلف شمال الأطلنطي[٣٣]. لكن الانسحاب الأمريكي من أفغانستان لا يعني أن الباب أضحى مفتوحًا لفرض روسيا هيمنتها على أفغانستان. فسوف تواجه موسكو منافسة من قوى إقليمية مثل إيران وتركيا والصين والهند؛ حيث تسعى هي الأخرى لاستغلال ذلك الفراغ الذي خلفه الانسحاب. لكن الأرجح أن تتحاشى هذه المنافسة خلق المزيد من التهديدات الأمنية التي من شأنها تقويض مصالح جميع الأطراف.

تتحرك السياسة الروسية تجاه أفغانستان ما بعد الخروج الأمريكي في ضوء عاملين أساسيَّين، أولهما -كما اتَّضح من قبل- هو الحفاظ على أمن واستقرار منطقة آسيا الوسطى عبر منع انتشار أو تسلُّل قوى التطرُّف إليها. وثانيهما تقييد نفوذ الأطراف الفاعلة الدولية والإقليمية في المنطقة قدر المستطاع.

أمْضَتْ موسكو -قبل الانسحاب الأمريكي- سنوات في تطوير علاقتها مع طالبان وتعزيز نفوذها بآسيا الوسطى. ورغم أن روسيا ربما لم تتفاجأ بانهيار الحكومة الأفغانية السابقة إلا أن الكرملين اعتبر الوضع خطيرًا. وفي ٢٤ أغسطس ٢٠٢١، صرح بوتين بأن تنامي وجود الجماعات الإرهابية في أفغانستان يشكل "تهديدًا مباشرًا لبلدنا، وحلفائنا". وأوضح أيضا أن روسيا لن تشارك عسكريًّا في أفغانستان مرة أخرى، قائلًا: "إن للاتحاد السوفياتي السابق تجربته الخاصة في ذلك البلد، لقد تعلمنا الدرس"[٣٤].

شهدت كابول في الثالث من أكتوبر٢٠٢١ تفجيرًا لأحد مساجدها أسفر عن مقتل ١٩ أفغانيًّا على الأقل وجرح ٣٠ آخرين. أعلن تنظيم "الدولة الإسلامية - ولاية خراسان" مسؤوليته عن التفجير. وسارعت موسكو بإدانة التفجير وتواصلت مع طالبان التي أعاد قادتها التأكيد بأنهم لن يسمحوا بأن تكون أفغانستان قاعدة انطلاق لأي هجوم إرهابي على أية دولة أخرى. من جهته، أصدر وزير الخارجية الروسي بيانا يؤكّد فيه "ضرورة مواصلة الجهود للقضاء على الإرهاب في أفغانستان". كان البيان -رغم اقتضابه- كافيًا لترجمة أولويات السياسة الروسية تجاه أفغانستان ونظام طالبان. فقد تكون روسيا غير سعيدة بوجود إمارة إسلامية غير بعيدة عن حدودها. لكن طالما ظل مشروع طالبان محليًّا دون رؤية شاملة -على خلاف تنظيم الدولة الإسلامية- واقتصر اهتمام الحركة الأكبر على فرض الشريعة داخل أفغانستان، فسوف تقبل موسكو بالأمر[٣٥].

لذلك بدا أن موقف روسيا يتَّسم بالحذر وترقُّب ما ستؤول إليه الأوضاع في أفغانستان والسعي لإشراك الدبلوماسية الروسية وقدراتها العسكرية في احتواء القلاقل والاضطرابات بالمنطقة. وبالتالي، ستكون موسكو مهتمَّة بوجود سياسي وعسكري يحيط بأفغانستان[٣٦]. وحينما عادت طالبان للسلطة من جديد سَعَتْ موسكو لإيصال رسالة واضحة للجميع أنها لا تشعر بالقلق عبر تأكيد الخارجية الروسية إجراء اتصالات بممثِّلي السلطة الجديدة والإعلان عن استمرار سفارتها بالعاصمة كابول بالعمل كالمعتاد وأن طالبان بدأت تستعيد

(٣٣) آنا بورشفسكايا، كيف ستستفيد روسيا بفضل كارثة بايدن في أفغانستان، مرجع سابق.

(34) Dara Massicot, Can a Pragmatic Relationship With the Taliban Help Russia Counter Terrorism?, Op. cit.

(٣٥) ماكسيم سوشكوف، روسيا في أفغانستان.. واقعية لا تشوبها أوهام، مرجع سابق.

(36) Russia's Options Following A Taliban Takeover Of Afghanistan: Cooperation With The Taliban Or Containing Them, Op. cit.

النظام العام وقدَّمت تعهُّدات بضمانات أمنية سواء للسكان المحليين أو أعضاء البعثات الدبلوماسية[٣٧].

ويرى محلِّلون روس أن موسكو ستواصل "سياستها المزدوجة" بشأن أفغانستان. فمن ناحية، تتواصل مع طالبان لضمان أمنها السياسي، ومن ناحية أخرى، تزيد من قواتها في طاجيكستان، والتعاون العسكري المكثَّف مع طاجيكستان وأفغانستان لمنع "تسلل المتطرفين" للمنطقة عبر الأراضي الأفغانية فضلًا عن استعراض القوة عبر المناورات العسكرية المشتركة مع حلفائها بآسيا الوسطى. وعلى نطاق أوسع، فإن انسحاب الولايات المتحدة من آسيا الوسطى يقلِّل من نفوذ واشنطن في منطقة تعتبرها روسيا مجالًا لنفوذها. خلاصة الأمر كما يطرحها أركادي دوبنوف، المحلل السياسي في موسكو: "ما هو جيد بالنسبة لنا هو سيئ للأمريكيين، وما هو سيئ لنا هو جيد للأمريكيين. واليوم الوضع سيئ بالنسبة للأمريكيين؛ لذا، هو جيد بالنسبة لنا"[٣٨]. لذا سَعَتْ روسيا منذ بداية الانسحاب لاستغلال الوضع لتنقل لحلفائها الصورة بأن الولايات المتحدة ليست الشريك الذي يمكن الوثوق به.

ثانيًا- الصين:

شهد العقد الثاني من الألفية الثالثة تنامي دور الصين بمنطقة آسيا الوسطى. فقد أنفقت بكين مليارات الدولارات في إقامة البنية التحتية من طرق وسكك حديدية لنقل ثروات الموارد المعدنية بدول المنطقة للصين وكذلك خطوط أنابيب النفط والغاز المغذية للمصانع الصينية. فضلًا عن تأهيل الطرق التجارية اللازمة لنقل الصادرات الصينية للمنطقة ولأوروبا عبر مشروعات مثل الحزام والطريق[٣٩].

لكن الخبرة التاريخية لعلاقات بكين مع طالبان لم تكن تسير على نحو جيد. ففي ولاية طالبان الأولى علقت الصين علاقاتها الدبلوماسية مع أفغانستان مع استيلاء طالبان على السلطة في عام ١٩٩٦ ورفضت الاعتراف بحكم الحركة وظلت سفارتها مغلقة حتى عام ٢٠٠٢ عندما تشكلت الحكومة المؤقتة[٤٠]. أعقب ذلك أن أعادت بكين لأول مرة الاتصالات العادية مع كابول، وتحرَّكت العلاقات الثنائية بين الجانبين بشكل مطَّرد بدعم الصين لأفغانستان ماليًّا وسياسيًّا. ومع ذلك، خلال السنوات ٢٠٠٢-٢٠١٤، حافظت الصين سياسيًّا على العمل مع حكومة كابول دون إثارة ذلك إعلاميًّا في أفغانستان على الرغم من خروج تقارير عن وزارة الخارجية الأفغانية تشير إلى وجود علاقات غير رسمية بين بكين وطالبان[٤١].

١) الفرص

تكمن الفرص الصينية في إدراك طالبان لها كقوة إقليمية مؤثرة هي بحاجة لاعترافها من أجل كسب الشرعية الدولية من ناحية، ولقدراتها الاقتصادية التي ستمكِّن طالبان من إقامة نظامها الحاكم وتمويل مشروعات البنية التحتية[٤٢]. وبدا ذلك واضحًا في جملة الوعود والتعهُّدات التي قطعتْها الحركة على نفسها عبر ما جاء على لسان عبد الغني برادر - رئيس المكتب السياسي للحركة آنذاك- في زيارته لبكين في يوليو ٢٠٢١ حيث استهلَّ حديثه بوصفه الصين صديقًا موثوقًا للشعب الأفغاني

(٣٧) وسط قلق دولي.. اتصالات أميركية وروسية مع طالبان وقطر تؤكد سعيها لضمان انتقال سلمي بأفغانستان، الجزيرة نت، ١٦ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3n8DDd4

(٣٨) بابلو أوجوا، أفغانستان تحت حكم طالبان: من المستفيد ومن المتضرر؟، بي بي سي العربية، ٣ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/IcTB4

(٣٩) أحمد قنديل، سقوط كابول واحتمالات إعادة رسم خريطة القوى الدولية في منطقة آسيا الوسطى، مرجع سابق، ص ١٣٦.

(40) Chulanee Attanayake & Zheng Haiqi, Understanding China in Taliban-led Afghanistan, Journal of Indo-Pacific Affairs, Air University Press, 25 August 2021, available at: https://bit.ly/3zEvB0L

(41) Paul Wang, China's approach to the Taliban: A reflection of Realpolitik, Modern Diplomacy, 5 September 2021, available at: https://bit.ly/3q5Ba58

(42) Devender Sharma, Dealing with the Taliban: India's Strategy in Afghanistan after Regime Change, Op. cit.

وأثنى على الدور الإيجابي للصين بعملية المصالحة السلمية الأفغانية. وأضاف قائلًا إن طالبان على استعداد للعمل مع الأطراف الأخرى لإنشاء إطار سياسي في أفغانستان. وتعهَّد بعدم السماح لأية قوة باستخدام الأراضي الأفغانية في أعمال تضر بالصين التي يعتبرها طرفًا رئيسيًّا في إعادة بناء الدولة والتنمية الاقتصادية بالمستقبل. وخلص إلى أن الصين وطالبان تشاطرتا توافقًا في الآراء بشأن العديد من المسائل[٤٣].

لكن تلك الوعود التي أطلقتها طالبان والتعهدات التي ألزمت نفسها بها لم تكن بالجديدة. فقد تعهَّدت الحركة في صفقة ٢٠٢٠ مع الولايات المتحدة بأنها لن تؤوي الجماعات المتطرفة مثل القاعدة إذا انسحب الجيش الأمريكي في الوقت المناسب. وقال المتحدث باسم طالبان أيضًا إن المجموعة لن تهاجم أهدافًا صينية. فقد أوجدت التطورات الجديدة في أفغانستان واقعًا جيوسياسيًّا مغايرًا بالمنطقة وتشكَّلت معادلات جديدة لسياسات القوة. وبالنسبة للصين، أثار انسحاب الولايات المتحدة مخاوف من اتِّساع شبكة الجماعات المسلَّحة التي تستهدف مشاريع البنية التحتية الطموحة التي تقوم بفتحها غربًا عبر أوراسيا[٤٤]. لكن من ناحية أخرى، مع انسحاب الولايات المتحدة، أصبحت الشركات الصينية في وضع جيد لاستغلال الثروات التعدينية في أفغانستان، بما في ذلك المعادن النادرة التي تدخل في صناعة الشرائح الدقيقة. وفي عام ٢٠٢٠ قدَّر الخبراء الأمريكيون احتياطيات أفغانستان من تلك المعادن بما قيمته تريليون دولار، لكن التقديرات الحكومية المحلية وصلت بها لثلاثة تريليونات دولار[٤٥].

كما أن استقرار أفغانستان قد يجعل لها مكانًا كدولة عبور في مبادرة الحزام والطريق الصينية. وكانت بدايات التوافق حول هذا الشأن قد بدأت في سبتمبر ٢٠١٩ حينما وافق وزراء خارجية كل من الصين وباكستان وأفغانستان على الدفع نحو تمديد الممر التجاري بين الصين وباكستان. لذا فإن دمج أفغانستان في المبادرة يعطي للصين أفضلية على الهند ويمنحها الفرصة لمزيد من تطويق الهند اقتصاديًّا عبر سلسلة من الشركاء التجاريين المحيطين بها[٤٦]. ولما كان المشروع سيعود بالنفع على كل الأطراف فقد رحَّبت طالبان بالعلاقات مع الصين بغية الانضمام للمبادرة ويتوقف تطور تلك العلاقات على براجماتية الحركة وفرضها سيطرتها على البلاد بشكل يضمن لها الوفاء بوعود منع انتشار التطرف عبر أراضي أفغانستان[٤٧]. وإذا نجحت طالبان في ذلك فربما يُسمح لها بدور أكبر بمنظمة شنغهاي للتعاون وتتحوَّل من مجرد مراقب -وهو الوضع الذي مُنحت إياه في عام ٢٠١٢- إلى العضوية الكاملة[٤٨].

وكما أتاح الانسحاب الأمريكي الفرصة أمام موسكو للتشكيك في إمكانية الوثوق بها كحليف فقد سنحت الفرصة ذاتها لبكين وظهرت شعارات "تراجع الغرب وصعود الشرق". لكن الخطاب الرسمي الصيني يرى أن الولايات المتحدة وحلفاءها الأوروبيين تركوا وراءهم الفوضى في أفغانستان ويتوقعون من الصين وروسيا تحمل العواقب والتكاليف[٤٩]. وطالما أضحت بكين وموسكو بهذه الوضعية فربما يكون ذلك دافعًا لكلتا الدولتين أن تقسما العمل فيما بينهما وتنسقان من

(43) Paul Wang, China's approach to the Taliban: A reflection of Realpolitik, Op. cit.

(44) Devender Sharma, Dealing with the Taliban: India's Strategy in Afghanistan after Regime Change, Op. cit.

(٤٥) بابلو أوجوا، أفغانستان تحت حكم طالبان: من المستفيد ومن المتضرر؟، مرجع سابق.

(٤٦) هدى الحسيني، هل تكون الصين الرابح الأول من عودة «طالبان»؟، الشرق الأوسط، ٢ سبتمبر ٢٠٢١.

(47) Paul Wang, China's approach to the Taliban: A reflection of Realpolitik, Op. cit.

(٤٨) هدى الحسيني، هل تكون الصين الرابح الأول من عودة «طالبان»؟، مرجع سابق.

(49) Sabine Fischer, Angela Stanzel, Afghanistan: The West Fails – a Win for China and Russia?, Stiftung Wissenschaft und Politik SWP Comment, September 2021, available at: https://cutt.us/58nbI

أجل استنزاف مواردهما التي قد تسعى كل واحدة منهما إلى توجيهها لمناطق نفوذ أخرى[٥٠].

٢) التحديات

ربما تخلق عودة طالبان للحكم بالنسبة لبكين من التحديات أكثر من خلقها للفرص. ويأتي على رأسها الاضطرابات وغياب الاستقرار كذلك المتعلق بدخول طالبان في قتال الجماعات العرقية المعارضة لها وعجز طالبان عن فرض سيطرتها على كافة إقليم الدولة[٥١]. ويضاف لذلك التحدّي المرتبط بنشاط جماعات متطرفة مثل تنظيم "الدولة الإسلامية - ولاية خراسان" الذي ينشط في إقليم بدخشان (Badakhshan) المجاور للصين، مع إمكانية انضمام أنصار حركة تركستان الشرقية -التي تحظرها بكين- لذلك التنظيم، وهو سيناريو مشابه لفترة طالبان الأولى التي دعمت فيها الجماعات المتطرفة بأفغانستان الحركة الإسلامية الانفصالية في إقليم شينجيانج غربي الصين[٥٢]. كما استضافت أفغانستان آنذاك عناصر تصفها بكين بالراديكالية من أقليتها المسلمة والمنضوية تحت لواء حركة تركستان الشرقية. لذا تخشى الصين أن يحدث ذلك مجددًا ويطرح المحللون الصينيون السؤال حول: هل طالبان الآن هي ذات الحركة التي حكمت قبل ٢٠ عامًا مضت؟[٥٣] وصعوبة الإجابة عن السؤال السابق لا ترجع فقط لعدم القدرة على اختبار مصداقية تصريحات طالبان التي تؤكد فيها على عدم السماح بزعزعة استقرار الدول المجاورة عبر أراضي أفغانستان، لكن أيضًا لأن انتصارها في حد ذاته داخل أفغانستان قد يصبح ملهمًا لجماعات متطرفة لزيادة نشاطها وتوسيع عملياتها.

يضاف أيضًا لذلك أن طالبان ليست بالحركة الموحَّدة أو متجانسة التوجُّهات؛ فمن الوارد أن تضمَّ فصيلًا يدعم التطرف أو الحركات الانفصالية سواء داخل الصين أو غيرها من دول المنطقة أو على أقل تقدير يكون ذلك الفصيل غير راضٍ عن تصريحات الحركة المعتدلة أو الساعية لإقامة علاقات تعاونية مع دول الجوار[٥٤]. بل إن هناك من يشكِّك في اعتدال الحركة ويصف خطابها المهادن والتعاوني بتلوُّن الحرباء وأن الحركة تناور سعيًا لتحيُّن الوقت الملائم لاقتناص الفرص[٥٥].

كما أن أفغانستان المضطربة ستخلق مشكلات لمشروعات الصين الكبرى التي كان بالإمكان دمج أفغانستان بها مثل مبادرة الحزام والطريق وتهدِّد ممرَّات أخرى بالمنطقة، فضلًا عن تدفُّق اللاجئين الأفغان لدول الجوار مما يضع المزيد من الضغوط على اقتصادات تلك الدول وتتأثَّر معه الاستثمارات الصينية بها. بل إن أفغانستان نفسها قبل عودة طالبان كانت قد أوكلت لشركات صينية العديد من المشروعات الكبرى سواء في استخراج المعادن كالنحاس أو مشروعات الطاقة واستخراج النفط لكن الظروف غير الآمنة والسياسات القبلية وغياب الحكومة المركزية والبنية التحتية قادت لتوقُّف وانهيار تلك المشروعات[٥٦]. وتزداد الأمور صعوبة على بكين في ضوء اعتمادها في إمدادات النفط والغاز على بلدان آسيا الوسطى[٥٧].

(٥٠) هدى الحسيني، هل تكون الصين الرابح الأول من عودة «طالبان»؟، مرجع سابق.

(٥١) المرجع السابق.

(52) Sabine Fischer, Angela Stanzel, Afghanistan: The West Fails – a Win for China and Russia?, Op. cit.

(٥٣) سيطرة طالبان.. نعمة أم نقمة لمحيط أفغانستان الإقليمي؟، DW، ٢٢ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://p.dw.com/p/3zIiS

(٥٤) هدى الحسيني، هل تكون الصين الرابح الأول من عودة «طالبان»؟، مرجع سابق.

(55) Harish K. Thakur, The Post-US Withdrawal Afghanistan: India, China and the 'English Diplomacy', Modern Diplomacy, 22 September 2021, available at: https://bit.ly/3HKFCw4

(٥٦) هدى الحسيني، هل تكون الصين الرابح الأول من عودة «طالبان»؟، مرجع سابق.

(57) Russia's Options Following A Taliban Takeover Of Afghanistan: Cooperation With The Taliban Or Containing Them, Op. cit.

لكن هناك تحليلات ترى أن الحديث عن الفرصة الضائعة بدمج أفغانستان في طرق التجارة التي تهيمن عليها الصين مثل مبادرة الحزام والطريق لا مجال للحديث عنه لأنها لم تكن ممكنة بالأساس لطبيعة التضاريس الوعرة وغياب اتصال مباشر بين الصين وأفغانستان، والطرق غير المباشرة تعاني أيضًا من عدم صلاحيتها للتجارة الكثيفة وعدم استقرار المعابر الحدودية بين أفغانستان ودول الجوار، خاصةً طاجيكستان[٥٨]. بل إن ممرَّ النقل إلى باكستان الذي يمرُّ عبر أفغانستان وتموّله بكين تخلَّت عنه باكستان ومن ثم توقَّفت عنه أيضًا المساهمة الصينية[٥٩].

تتشابه بعض التحديات الاستراتيجية التي تواجه الصين مع تلك التي تواجه روسيا. فالاضطرابات التي قد تشهدها جارتها الغربية والتي قد تنتقل لحلفاء الصين في آسيا الوسطى ستجعل بكين مضطرة لزيادة الوجود العسكري غرب البلاد، وسيزيد من الغموض الاستراتيجي الناجم عن احتمال احتدام المنافسة الإقليمية بين الصين وكلٍّ من الهند وروسيا. يأتي ذلك ليشتِّت من تركيز الصين الاستراتيجي الذي كان مخطَّطًا له أن يتوجَّه بالأساس لشرق آسيا وبحر الصين الجنوبي[٦٠].

يستخلص محلِّلون ممَّا سبق أن تلك التطورات التي تشهدها آسيا الوسطى تحت تأثير عوامل أبرزها الأوضاع الجديدة في أفغانستان ستثني بكين عن إنفاق أموال كتلك التي موَّلت بها سابقًا مشروعات البنية التحتية بدول المنطقة خاصةً وأن مديونيات تلك الدول للصين باتت مستحقة الدفع ومن غير الواضح هل ستتمكن من السداد أم لا مما يضع مزيدًا من الضغوط على الأنظمة الحاكمة بها وما يصاحب ذلك من استياء شعبي إذا ما استشعرت الشعوب أن بلدانها قد سقطت في فخ الديون الصينية[٦١].

محصلة القول؛ أن الصين أضحى لزامًا عليها العمل على احتواء أية تداعيات محتملة للوضع في أفغانستان سواء عبر الضغط على طالبان لقطع الطريق على أي ارتباط بالقوى الانفصالية في الصين، والاستعداد للتعاون العسكري مع روسيا وغيرها من الحكومات الإقليمية للتنسيق الأمني وتعزيز الرقابة على الحدود، وقبل كل ذلك تواصلت الصين مع طالبان سعيًا منها للوصول لضمانات بعدم المساس بالمصالح الصينية بالمنطقة أو السماح بتهديدها عبر أفغانستان وهو ما اعتبر تحولًا علنيًّا صارخًا مقارنةً بالخبرة التاريخية السابقة بين الطرفين[٦٢].

٣) الموقف الصيني

أعلنت الصين في ٢٨ يوليو ٢٠٢١ -أي قبل أيام قلائل من سيطرة طالبان على كابول- أن الجماعة ستلعب دورًا هامًّا في المصالحة السياسية وإعادة إعمار البلاد. وبات جليًّا أن الموقف الصيني يقوم على ثلاثة مرتكزات: أولا، تكرر الصين التأكيد على أن أفغانستان ملك للشعب الأفغاني، وأن مستقبلها ينبغي أن يقرره شعبها. ولهذا السبب ترى الصين أن طالبان قوة عسكرية وسياسية هامة في أفغانستان. ثانيًا، توافق طالبان على التقيُّد بمبدأ "قيادة الأفغان وملكية الأفغان" في عملية السلام والمصالحة، وإنشاء هيكل سياسي واسع وشامل يناسب واقع أفغانستان. ثالثًا، تحذِّر الصين من أنه في ضوء قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، يجب على طالبان أن تقطع الطريق بشكل صريح على جميع المنظمات الإرهابية -أو التي تعتبرها بكين كذلك مثل حركة تركستان الشرقية الإسلامية- وأن تقوم بدور

(٥٨) هدى الحسيني، هل تكون الصين الرابح الأول من عودة «طالبان»؟ مرجع سابق.

(59) Russia's Options Following A Taliban Takeover Of Afghanistan: Cooperation With The Taliban Or Containing Them, Op. cit.

(٦٠) هدى الحسيني، هل تكون الصين الرابح الأول من عودة «طالبان»؟، مرجع سابق.

(٦١) أحمد قنديل، سقوط كابول واحتمالات إعادة رسم خريطة القوى الدولية في منطقة آسيا الوسطى، مرجع سابق، ص ١٤٠.

(62) Devender Sharma, Dealing with the Taliban: India's Strategy in Afghanistan after Regime Change, Op. cit.

إيجابي في تعزيز الأمن والاستقرار والتنمية المشتركة بالمنطقة[٦٣].

وفي سياق ما اعتبر مكسبًا استراتيجيًّا لطالبان نشرت بكين صورًا تظهر مصافحة وزير خارجيتها لعبد الغني برادر لما للصين من ثقل يمنح الحركة قدرًا من الشرعية الدولية هي في أمَسِّ الحاجة إليه[٦٤]. جاءت زيارة برادر في أعقاب زيارة وزير الخارجية الباكستاني محمود قريشي لبكين فيما بدا اتفاقًا بين الصين وحليفتها باكستان على دعم طالبان[٦٥]. فرغم توتر العلاقات تاريخيًّا بين طالبان في ولايتها الأولى وبكين -كما اتَّضح من قبل- إلا أن الصين أدركت أن الانسحاب الأمريكي الذي بدأ في عام ٢٠١٤ سينتهي لانسحابٍ كامل يومًا ما في الأمد القريب. لذلك رحبت بكين بالزيارات الرسمية لطالبان بدايةً من ذلك العام لاستكشاف التفاهمات المتبادلة والسعي للعب دور الوساطة بين الحركة وحكومة كابول آنذاك. وجاءت تلك الوساطة في سياق مبادرات جماعية كانت الصين طرفًا فيها مثل مجموعة التنسيق الرباعية التي ضمَّت معها أيضًا أفغانستان وباكستان والولايات المتحدة، والحوار الثلاثي بين روسيا والصين وباكستان، وعملية قلب آسيا-إسطنبول[٦٦].

هذه الاتصالات بين بكين وطالبان جعلت الأولى تبدو كأنها تشعر بارتياح ضمني لسقوط الحكومة الأفغانية وسيطرة طالبان على البلاد. لكنه يظل ارتياحًا يشوبه الحذر وهو ما عبَّرت عنه تصريحات المتحدثة باسم وزارة الخارجية الصينية بأن "السفارة الصينية في أفغانستان تواصل العمل كالمعتاد وسيظل السفير وجميع العاملين والموظفين مستمرون في عملهم وفي مناصبهم". وأكدت على أن بكين لديها اتصالات قوية وراسخة مع طالبان التي "أعربت عدَّة مرات عن رغبتها في إقامة علاقات جيدة مع الصين. وفي ضوء التوقعات بمشاركة الصين في عملية إعادة بناء أفغانستان وتنميتها... لن تسمح الصين لأية قوة باستخدام الأراضي الأفغانية لإلحاق الضرر بالصين"[٦٧].

وينعكس الحذر الصيني -والذي تشترك فيه مع روسيا- في التحوُّط ضدَّ احتمالات زعزعة الاستقرار في أفغانستان حيث خرجت تقارير بأن الصين وروسيا نشرتا -في أغسطس ٢٠٢١ وقبل سقوط كابول بأيام قلائل- قوات بلغت ١٠ آلاف جندي، فضلًا عن الطائرات وقطع المدفعية، في منطقة نينغشيا هوي (Ningxia Hui) ذات الحكم الذاتي في الصين كجزء من عملية مشتركة لمكافحة الإرهاب، وحماية السلام والاستقرار في المنطقة[٦٨]. وفي خطوة تشبه استعراض القوة الذي مارسته موسكو عبر مناوراتها العسكرية قامت بكين أيضًا بمناورات تكتيكية مشتركة للقوات الطاجيكية الخاصة والوحدات الصينية لمكافحة الإرهاب. وكان الهدف المعلن للمناورات بحسب تصريحات الداخلية الطاجيكية هو "تحسين المهارات المهنية لجنود القوات الخاصة وتبادل الخبرات في مجال مكافحة الإرهاب في المناطق الجبلية، وتدريب الكوادر المؤهلة تأهيلا عاليا"[٦٩].

ثالثًا- الهند:

جمعت أفغانستان والهند علاقات ودية على مَرِّ العقود. فقد كانوا جيرانًا تاريخيِّين، وتقاسمتَا روابط تاريخية وثقافية

(63) Paul Wang, China's approach to the Taliban: A reflection of Realpolitik, Op. cit.

(٦٤) واشنطن بوست: بعد سيطرة طالبان على كابل.. ما هواجس دول الجوار؟، الجزيرة نت، ١٦ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3t9w5ut

(65) Harish K. Thakur, The Post-US Withdrawal Afghanistan: India, China and the 'English Diplomacy', Op. cit.

(66) Paul Wang, China's approach to the Taliban: A reflection of Realpolitik, Op. cit.

(٦٧) سيطرة طالبان.. نعمة أم نقمة لمحيط أفغانستان الإقليمي؟، مرجع سابق.

(68) Devender Sharma, Dealing with the Taliban: India's Strategy in Afghanistan after Regime Change, Op. cit.

(٦٩) طاجيكستان والصين تجريان مناورات تكتيكية بمشاركة الدبابات والمدفعية على خلفية التطورات في أفغانستان، روسيا اليوم، ١٩ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3zDOh0q

عميقة. وكانت الهند أيضًا الدولة الوحيدة في جنوب آسيا التي اعترفت بجمهورية أفغانستان الديمقراطية المدعومة من الاتحاد السوفييتي في ثمانينيات القرن العشرين. لكن تراجعت العلاقات خلال تسعينيات القرن العشرين عندما اندلعت الحرب الأهلية الأفغانية التي قادت لولاية طالبان الأولى. وكانت الهند -حتى عودة طالبان للحكم في أغسطس ٢٠٢١- هي أكبر جهة إقليمية تقدِّم المعونة الإنسانية والإعمار لجمهورية أفغانستان الإسلامية، كما تشارك في مشاريع تشييد مختلفة، كجزء من جهود الهند لإعادة البناء في أفغانستان[٧٠].

قامت استراتيجية الهند في التعامل مع أفغانستان على أساس أن النظام الأفغاني المعادي لباكستان سيستمر في الحكم، وعلى ضوء هذا الاستنتاج صاغت نيودلهي سياستها المحلية وسياساتها إزاء دول الجوار. لكنها الآن ستضطر لإعادة النظر في تحالفاتها لأن الانسحاب الأمريكي من أفغانستان خلق فراغًا ستسْعى باكستان والصين وروسيا وإيران لملئه، وهي كلها دول معادية للولايات المتحدة، كما أنها -باستثناء روسيا- دول تعادي الهند بدرجات متفاوتة[٧١].

١) الفرص

شهد العقدان السابقان على عودة طالبان للسلطة في أغسطس ٢٠٢١ تطورًا واضحًا للعلاقات الهندية الأفغانية حيث استثمرت الهند أكثر من ٣ مليارات دولار في مشروعات البنية التحتية مثل بناء المدارس والطرق والسدود. فقد شيدت أكثر من ٢٠٠ مدرسة حكومية وخاصة، وقدَّمت أكثر من ١٠٠٠ منحة دراسية، وتستضيف ما يزيد على ١٦ ألف طالب أفغاني.

وفي عام ٢٠١١ وقَّعت الهند وأفغانستان على اتفاقية شراكة استراتيجية كانت هي الأولى في أفغانستان منذ الغزو السوفييتي للبلاد عام ١٩٧٩[٧٢].

وبلغت صادرات الهند إلى أفغانستان ٨٢٦ مليون دولار في العام المالي المنقضي في ٣١ مارس ٢٠٢١، وتألَّفت بشكل رئيسي من السكر والحبوب والشاي والتوابل والأدوية ومنتجات المنسوجات. في حين قدرت واردات نيودلهي من كابول بنحو ٥٠٩ ملايين دولار في العام ذاته، وتشكَّلت من التين، والزبيب، والتفاح[٧٣]. وامتدَّ التعاون للمجال العسكري حيث قدمت نيودلهي طائرات هليكوبتر وأجهزة رادار إلى أفغانستان. وتمَّ الإعلان في عام ٢٠٢٠ عن قيام الشركات الهندية بنحو ١٥٠ مشروعًا إضافيًّا بقيمة ٨٠ مليون دولار في أفغانستان[٧٤].

لكن تستشعر الهند صعوبة ضخِّ المزيد من الأموال أو الاستثمارات في أفغانستان في ظلِّ ظروف الاضطرابات الحالية. صحيح أنها لا تمانع في تقديم الدعم الدبلوماسي لأفغانستان بالأمم المتحدة لكنها ليست على استعداد حاليًّا لدفع أية أموال أو التعهُّد بدفع أية أموال لطالبان[٧٥]. أمَّا طالبان فبالقطع ستختلف رؤيتها؛ فهي المتلقِّي للأموال وفي أوضاع كهذه سترحب بمن يمدُّ إليها يدَ العون سواء بالدعم الدبلوماسي أو بالأموال. يعبِّر عن ذلك تصريح الناطق باسم الحركة، سهيل شاهين، قائلًا: "الهند نفَّذت العديد من المشاريع، مشاريع لإعادة الإعمار وتطوير البنية التحتية، ويمكنهم إذا أرادوا إكمال هذه المشاريع

(70) Devender Sharma, Dealing with the Taliban: India's Strategy in Afghanistan after Regime Change, Op. cit.

(٧١) ظفر الإسلام خان، قدمت ١٣ مليار دولار منحا واستثمارات لأفغانستان.. لماذا تعتبر الهند الخاسر الأكبر من وصول طالبان للحكم؟، الجزيرة نت، ٢٤ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/31IKCCa

(72) Devender Sharma, Dealing with the Taliban: India's Strategy in Afghanistan after Regime Change, Op. cit.

(٧٣) التجارة بين الهند وأفغانستان متوقفة.. وتوقعات باستئنافها قريبًا، مرجع سابق.

(٧٤) ذكر الرحمن، الهند والانسحاب الأميركي من أفغانستان، جريدة الاتحاد، ٣٠ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3HRoB3d

(75) Amjed Jaaved, Misjudgements in India's Afghan policy, Modern Diplomacy, 16 September 2021, available at: https://bit.ly/3f3BCKX

غير المكتملة، فهي مخصَّصة للناس"[٧٦]. لكنه استدرك قائلًا: "لكننا لن نسمح لأية دولة بالتدخُّل في شؤون أفغانستان أو استخدام أراضينا لأغراض عسكرية"[٧٧].

كانت الهند ترى العديد من الفرص التجارية والاقتصادية في أفغانستان. ففي ظلِّ التوتُّر مع باكستان واتهامها بإثارة المشكلات في كشمير وغيرها في الهند، قرَّرت نيودلهي الاستغناء عن الطريق البري الذي يعْبر باكستان وصولًا لآسيا الوسطى وكان البديل هو تطوير ميناء جابهار شرقي إيران واستخدامه للوصول لآسيا الوسطى عبر أفغانستان[٧٨]. ففي عام ٢٠١٠ وقَّع وزراء النقل للدول الثلاث (إيران والهند وروسيا) اتفاقية النقل والشحن الدولي "شمال-جنوب" في سان بطرسبورغ. واتخذت الهند منذ عام ٢٠١٦ إجراءات لتفعيل ميناء جابهار[٧٩]. لكن الطموحات الهندية كان يعرقلها تهديد العقوبات الأمريكية وعداء الرئيس السابق ترامب لإيران ممَّا جعل الهند -حتى وصول طالبان للحكم- لا تساهم سوى بحوالي ٥٠٠ مليون دولار لتطوير الميناء ثم اضطرَّت لتعليق التمويل وانتظار ما ستُسفر عنه الأوضاع في أفغانستان[٨٠].

ما إن اتَّضحت المؤشِّرات الدالَّة على قرب عودة طالبان للحكم حتى وجدت الهند نفسها مضطرَّة لإعادة حساباتها الجيوسياسية وفتح قنوات اتصال مع طالبان في ظل النظر للهند اللاعب الإقليمي الذي لا تجمعه روابط فعلية مع الحركة. جاء ذلك أيضًا في سياق تنافس إقليمي مع روسيا وإيران والصين وشكوك حول سعي الأخيرة لاستبعاد الهند من محادثات مستقبل أفغانستان[٨١]. لكن في الوقت الذي لم تجدْ بكين فيه حرجًا من الإعلان عن زيارات قادة طالبان والتقاط الصور معهم كانت نيودلهي حريصة على جعل اتصالاتها في طي الكتمان خشية إثارة داعميها من القوميّين الهندوس الذين يشكِّلون القوام الأساسي للكتلة التصويتية التي أوصلت ناريندرا مودي وحزبه بهاراتيا جاناتا للحكم، بل وطالبت منظماتها الحكومة بدعم الجماعات المعارضة لطالبان[٨٢].

٢) التحديات

أيَّدت الهندُ غزو أفغانستان من قبل كل من الاتحاد السوفياتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية، وللمفارقة خسر كلاهما في النهاية. كان الرئيس الأمريكي ترامب يتوقَّع أن تساهم الهند بقواتها البرية في الأزمة الأفغانية وهو ما لم يحدث، بل إن ترامب سخر من رئيس الوزراء الهندي مودي لأنه بنى مكتبة للشعب الأفغاني. وكان رد الفعل الأمريكي هو إخراج الهند من المعادلة رغم محاولتها أقصى ما تستطيع لإقناع الولايات المتحدة الأمريكية بجعلها طرفًا في محادثات الولايات المتحدة وطالبان. ولكن الولايات المتحدة الأمريكية تخلَّتْ ليس فقط عن مودي، ولكن أيضًا عن الرئيس الأفغاني السابق أشرف غني لتوقيع اتفاق الدوحة للسلام مع طالبان[٨٣].

تثور حفيظة الهند على استبعادها من المشهد التفاوضي في الوقت الذي تظهر فيه باكستان. وهو ما تراه باكستان نتاجًا

(٧٦) طالبان تدعو الهند لاستكمال مشاريعها الاستثمارية في أفغانستان، سبوتنيك، ١٨ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/32WVUn0

(٧٧) وسائل إعلام: أفغانستان توقف تجارة الترانزيت مع الهند، روسيا اليوم، ١٩ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3n9CfHo

(٧٨) ظفر الإسلام خان، قدمت ١٣ مليار دولار منحا واستثمارات لأفغانستان.. لماذا تعتبر الهند الخاسر الأكبر من وصول طالبان للحكم؟، مرجع سابق.

(٧٩) ميناء إيراني ينضم إلى مشروع النقل "شمال - جنوب"، روسيا اليوم، ٣٠ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3f6cgvV

(٨٠) هدى الحسيني، «طالبان» الهند وباكستان وإيران والصين وروسيا عند منعطف، الشرق الأوسط، ١٩ أغسطس ٢٠٢١.

(٨١) الهند تعيد حساباتها الجيوسياسية وتنفتح على «طالبان المتجددة»، الشرق الأوسط، ٢٩ يونيو ٢٠٢١.

(٨٢) للمزيد من التفاصيل عن الحزب وسياساته المتطرفة تجاه مسلمي الهند، انظر: أحمد عبد الحافظ فواز، النظام السياسي الهندي: الهوية القومية وتحديات التعددية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٥٠٥ (آذار/مارس ٢٠٢١)، ص ص ١٠٣-١٢٠.

(83) Amjed Jaaved, Misjudgements in India's Afghan policy, Op. cit.

طبيعيًّا لغياب التواصل والتفاهم بين طالبان والهند. يأتي في ذلك السياق تصريح سفير باكستان لدى الولايات المتحدة في أغسطس عام ٢٠٢٠ بأنه يتعيَّن على الهند أن تجري محادثات مع مسلَّحي طالبان إذا ما ارتأت ذلك دافعًا لعملية السلام وهو ما جاء عقب سلسلة هجمات في أفغانستان أثارت شكوكًا حول نجاح جهود السلام الأمريكية(٨٤).

ساهمت مجموعة من الأحداث والتطورات في توتر واضطراب العلاقات بين الهند وطالبان. كتلك الاتهامات التي وجَّهتها نيودلهي لطالبان سابقًا بإرسال مجاهدين للمشاركة في الحركة المسلَّحة بإقليم كشمير وهو ما كانت تنفيه طالبان وتؤكِّد على أن من توجَّهوا لكشمير قبل ثلاثة عقود هم بالأساس مجاهدون عرب كانوا حينها في أفغانستان. كما استاءت الهند بشدَّة من سماح حكومة طالبان بهبوط طائرة هندية مخطوفة بمطار قندهار عام ١٩٩٩، وأدانت الهند إقدام طالبان على هدم تمثال بوذا في باميان عام ٢٠٠١(٨٥).

لذلك يراقب قادة الهند بقلق استيلاء طالبان على السلطة في أفغانستان، خشية أن يدعم ذلك خصمهم اللدود باكستان ويغذِّي التمرُّد في إقليم كشمير الذي يتَّخذه المسلَّحون -بحسب الاتهامات الهندية- منطلقًا لهجماتهم. فعلى مدى سنوات، تنشط جماعات مسلحة مناهضة للهند مثل "عسكر طيبة" و"جيش محمد" على الحدود الأفغانية-الباكستانية وتتدرَّب بمعسكرات هناك. ويرى محلِّلون هنود أن الجماعات المسلَّحة المتمركزة عبر الحدود في باكستان حتمًا ستحاول دفع رجالها لكشمير بعد وصول طالبان للسلطة. تستدل تلك التحليلات بتصريحات بعض قادة تلك الجماعات مثل سيد صلاح الدين - زعيم تحالف الجماعات الانفصالية الكشميرية ويقيم في الشطر الباكستاني لكشمير- الذي وصف انتصار طالبان بأنه "استثنائي وتاريخي". وتوقَّع صلاح الدين أن تساعد طالبان الانفصاليين. وأضاف "بالطريقة نفسها، ستُهزم الهند أيضًا على أيدي مقاتلي كشمير في المستقبل القريب"(٨٦). كما تثير بعض تصريحات قادة طالبان بدورها هي الأخرى قلق نيودلهي مثل تصريح المتحدث باسم طالبان سهيل شاهين بأن للجماعة الحق في "رفع صوتها من أجل المسلمين في كشمير أو الهند أو أية دولة أخرى"(٨٧).

تأخذ الهند تصريحات كهذه على محمل كبير من الجد؛ لذا أثار رئيس الوزراء ناريندرا مودي مخاوفه بشأن باكستان خلال محادثاته مع الرئيس الأميركي جو بايدن في سبتمبر ٢٠٢١، وكذلك خلال قمة رباعية أوسع مع زعيمي أستراليا واليابان. وصرح وزير الخارجية الهندي عقبها بأنه "كان هناك شعور جلي بضرورة الإبقاء على نظرة أكثر دقةً وتدقيق وثيق ومراقبة لدور باكستان في أفغانستان، دور باكستان في مسألة الإرهاب"(٨٨).

ربما تستشعر الهند أن يدَها تكاد تكون مغلولة إزاء الوضع في أفغانستان. يرجع ذلك الشعور لمجموعة قيود منها افتقارها القدرة على التأثير من جانب واحد على الوضع على الأرض هناك، واحتياجها لشركاء. لم ينجح التعاون مع الصين وباكستان، وتفضِّل روسيا -شريكها التاريخي- الاعتماد على باكستان لمساعدتها في حماية المصالح الروسية بأفغانستان. ويجعل ذلك من إيران أهم حليف للهند فيما يخص الشأن الأفغاني. ترغب كل من الهند وإيران في أفغانستان مستقرة تديرها حكومة شاملة لا تهيمن عليها طالبان ولا تخضع لسيطرة

(٨٤) سفير باكستاني: على الهند التحدث مع طالبان إذا رأت أن ذلك يعزز جهود السلام، رويترز، ١٦ مايو ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://reut.rs/3qbbF2u

(٨٥) ظفر الإسلام خان، قدمت ١٣ مليار دولار منحا واستثمارات لأفغانستان.. لماذا تعتبر الهند الخاسر الأكبر من وصول طالبان للحكم؟، مرجع سابق.

(٨٦) إيجاز حسين، انتصار طالبان ينعش آمال الاستقلال في كشمير ويقلق الهند، جريدة العرب الدولية، ٢١ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3q8vhEg

(٨٧) إيجاز حسين، انتصار طالبان ينعش آمال الاستقلال في كشمير ويقلق الهند، مرجع سابق.

(٨٨) الهند تصعِّد لهجتها فيما تدعو باكستان العالم إلى العمل مع طالبان، جريدة إيلاف الإلكترونية، ٢٥ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/332XOlN

باكستان. فكلاهما يخشى من عودة طالبان للسلطة. وتخشى نيودلهي تكرار سيناريو تسعينيات القرن العشرين حينما آوت أفغانستان -في ظل نظام طالبان- الجماعات المسلحة المناهضة للهند والمدعومة من المؤسسة العسكرية الباكستانية[٨٩].

امتدَّت الاتهامات الهندية لباكستان بدعمها حركة طالبان عسكريًّا كما حدث -بحسب تقارير هندية- في قتالها ضد قوات المعارضة المسلحة في وادي بنجشير في سبتمبر ٢٠٢١. حيث أشارت تلك التقارير إلى أن القوات الجوية الباكستانية زوَّدت طالبان بثلاثة طيارين وأربع مقاتلات من طراز "جي أف ٧" لقصف بنجشير، كما شاركت قوات من مجموعة القوات الخاصة الباكستانية وقوة من الفيلق الحادي عشر للجيش الباكستاني في العمليات. لكن المسؤولين الباكستانيين نفوا تلك الاتهامات التي وصفوها بالوهمية[٩٠].

لم تَخْلُ طبيعة العلاقة بين طالبان وباكستان من الجدل والتحليلات المتباينة المرتبطة بتطوُّر الحركة ذاتها. فهناك محللون يرون اختلافات عديدة لطالبان اليوم عن طالبان عام ١٩٩٦. تبدو الحركة الآن أكثر اهتمامًا بصورتها أمام العالم ورغبتها في التواصل مع الآخرين. فمتحدث الحركة يجيد الإنجليزية بطلاقة، ويسافر ممثلوها للخارج ويحملون الهواتف الفاخرة. فقد أضحت طالبان اليوم أكثر خبرة، وشاع تصوُّر بأنها لم تعد منظمة متجانسة وبعض فصائلها قد لا يخضع لسيطرة جنرالات باكستان حيث تمتلك أجنحة سياسية وعسكرية مستقلَّة عن باكستان وبآلات حديثة بعيدًا عنها باكستان. ونتيجة لما سبق يظهر احتمال تطوير علاقات ملائمة بين الهند وأفغانستان. لكن على الجانب الآخر، ترى تحليلات أن نظرتهم للعالم لم تتغير؛ فهم لا يؤيدون الديمقراطية ويعارضون تعليم الإناث، ويدعمون الأفكار المتشددة. لذا يظل تغيير مواقفهم تجاه العديد من القضايا مجرد أمنيات[٩١].

التحديات الأمنية للهند لا تختلف كثيرًا عمَّا تواجهه روسيا والصين. لذا فالفراغ الذي أحدثه الانسحاب الأمريكي من أفغانستان اجتذب العديد من الفاعلين الراغبين في تعزيز قدرتهم على الوصول لمصادر الطاقة في آسيا الوسطى وأفغانستان وأضحى يشكِّل جسرًا ممكنًا للتعاون فيما بينهم. والواقع أن مشكلة الأمن الأفغاني تهدِّد اقتصادات تركمانستان وأفغانستان وباكستان والهند والاستثمارات الهندية الضخمة بأفغانستان[٩٢]. وعلى الرغم من ترحيب ساسة ومحلِّلين هنود بالتصريحات التوفيقية التي خرجت عن بعض قادة حكومة طالبان كتلك التي تتعهَّد بعدم اتخاذ أفغانستان منطلقًا لتهديد دول الجوار إلَّا أن هؤلاء الساسة والمحلِّلين يتشكَّكون في قدرة طالبان على الوفاء بتلك التعهُّدات وينتظرون منها أفعالًا تدعم تلك التوجُّهات لا مجرَّد أقوال وتصريحات[٩٣].

٣) الموقف الهندي

رغم تأييدها غزو واحتلال قوات التحالف -بقيادة أمريكية- أفغانستان عام ٢٠٠١ إلا أن الهند رفضت طلبًا أمريكيًّا بإرسال قواتها لأفغانستان عقب الغزو. ثم اعترفت نيودلهي بالحكومات المدنية التي تشكَّلت في ظلِّ الاحتلال برئاسة حامد كرزاي ثم أشرف غني، كما قدمت مساعدات إنسانية وساهمت في إنشاء البنية التحتية بالبلاد. لكن عودة طالبان من جديد أثارت مخاوف هندية واضحة بدت -على سبيل المثال- في كونها من أوائل تلك الدول التي أجْلَت دبلوماسييها بعد دخول قوات طالبان العاصمة كابول فقرَّرت إغلاق سفارتها وقامت بإجلاء مواطنيها ثم أغلقت قنصلياتها تباعًا رغم غياب مخاطر حقيقية

(٨٩) هدى الحسيني، «طالبان» الهند وباكستان وإيران والصين وروسيا عند منعطف، مرجع سابق.

(٩٠) إعلام: القوات الجوية الباكستانية ساعدت طالبان في الاستيلاء على ولاية بنجشير، سبوتنيك، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3na1d9p

(٩١) الهند تعيد حساباتها الجيوسياسية وتنفتح على «طالبان المتجددة»، مرجع سابق.

(92) Harish K. Thakur, The Post-US Withdrawal Afghanistan: India, China and the 'English Diplomacy', Op. cit.

(93) Amjed Jaaved, Misjudgements in India's Afghan policy, Op. cit.

تهدِّد أولئك الدبلوماسيين أو المواطنين على عكس الدول الغربية التي كانت لها قوات في أفغانستان[٩٤]. وإن كانت هناك تحليلات تفهَّمت تلك المخاوف في ضوء مأزق حكومة مودي بعد تبنِّي نيودلهي لسياسة مناهضة طالبان استمرت لعقود[٩٥]. لكن يبقى الأمر الأبرز هنا أن الهند كانت الوحيدة من دول جنوب آسيا والدول المجاورة لأفغانستان التي أغلقت سفارتها وأجْلَت مواطنيها عقب تلك التطورات. كما كشفت تقارير صحفية إسرائيلية أن نيودلهي أبرمت صفقة لشراء ١٠٠ طائرة بدون طيار تنتجها إحدى الشركات الإسرائيلية وذلك على خلفية أحداث أفغانستان[٩٦].

فما زالت نيودلهي تتذكَّر -ضمن حوادث أخرى- موقف طالبان من الطائرة الهندية المخطوفة عام ١٩٩٩. لذا لا تتوقَّف الصحف الهندية عن توصيف طالبان بالجماعة الإرهابية، بل وصل الأمر لإطلاق ألعاب فيديو صمَّمت شخصيات بها ترمز للجماعة. لذلك يحتاج الأمر وقتًا من نيودلهي للبحث عن إمكانية إصلاح العلاقات المتردِّية مع طالبان[٩٧].

من البدائل المتاحة أمام الهند وتطرحها التحليلات، صياغة تحالف ضد طالبان يضم إيران. لكن يعيب ذلك البديل أن نيودلهي وجدت صعوبة واضحة -في مواقف أخرى- من موازنة علاقاتها مع كل من واشنطن وطهران. كما أن طهران قد تكون لها أحيانًا تفضيلات لا تلقَى ترحيبًا من الهند مثل توقيع إيران والصين -خصم الهند الاستراتيجي- في ٢٧ مارس ٢٠٢١ اتفاق تعاون استراتيجي مدته ٢٥ عامًا ويركز على القضايا الاقتصادية[٩٨]. لكن في ظلِّ احتمال إبقاء إيران للخيار العسكري مفتوحًا -عبر استخدام لواء "فاطميون" الذين دربته طهران لمحاربة طالبان- يصبح بالإمكان إيجاد أرضية مشتركة تجمع بين طهران ونيودلهي بحيث تدعم الأخيرة مقاومة محلية أفغانية في المستقبل[٩٩]. لكن يظل هذا السيناريو مرهونًا بتدهور العلاقة مع طالبان ودعم الأخيرة لحرب الوكالة التي ترى نيودلهي أن إسلام أباد تقودها في كشمير[١٠٠].

شكَّلت -ولا تزال- العلاقة مع باكستان أحد محددات سياسة الهند تجاه أفغانستان. كانت تلك السياسة مدفوعة دائمًا بالرغبة في حرمان باكستان من "العمق الاستراتيجي" الذي تتوق إليه إسلام أباد، وفقًا لتصورات نيودلهي[١٠١]. لكن استمرار محاولات منافسيها استبعادها من التفاعلات المستقبلية في أفغانستان قد يدفع الهند لتجنُّب عزلة محتملة عبر عدم التصعيد مع باكستان أو ربما تحسين العلاقات وصولًا لأحد أشكال السلام البارد وليس تسوية النزاع بينهما. وقد يؤدِّي ذلك حينها لتخفيف نيودلهي من الضغوط على مسلمي كشمير الذين انتزعت منهم استقلالهم الذاتي[١٠٢].

فيما يبدو ردًّا على محاولات استبعاد الهند من المعادلة في أفغانستان عبْر بعض منافسيها الإقليميِّين؛ يظهر موقف نيودلهي الداعي لمنح الأمم المتحدة دورًا مركزيًّا في أفغانستان والمناداة بأن تكون عملية السلام بها "يقودها الأفغان ويملكها

(٩٤) ظفر الإسلام خان، قدمت ١٣ مليار دولار منحا واستثمارات لأفغانستان.. لماذا تعتبر الهند الخاسر الأكبر من وصول طالبان للحكم؟، مرجع سابق.

(٩٥) سيطرة طالبان.. نعمة أم نقمة لمحيط أفغانستان الإقليمي؟، مرجع سابق.

(٩٦) الهند تبرم صفقة لشراء ١٠٠ طائرة مسيرة إسرائيلية على خلفية سيطرة طالبان على أفغانستان، سبوتنيك، ٦ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3r0flxI

(97) Amjed Jaaved, Misjudgements in India's Afghan policy, Op. cit.

(٩٨) هدى الحسيني، «طالبان» الهند وباكستان وإيران والصين وروسيا عند منعطف، مرجع سابق.

(٩٩) المرجع السابق.

(١٠٠) سيطرة طالبان.. نعمة أم نقمة لمحيط أفغانستان الإقليمي؟، مرجع سابق.

(101) Amjed Jaaved, Misjudgements in India's Afghan policy, Op. cit.

(١٠٢) ظفر الإسلام خان، قدمت ١٣ مليار دولار منحا واستثمارات لأفغانستان.. لماذا تعتبر الهند الخاسر الأكبر من وصول طالبان للحكم؟، مرجع سابق.

الأفغان ويسيطر عليها الأفغان"[١٠٣]. جاء فتح قنوات الاتصال مع طالبان متأخرًا من نيودلهي مقارنة بنظرائها من اللاعبين الإقليميّين الآخرين لذلك كان الغموض هو السمة الغالبة على كيفية التعامل مع الحركة بعد وصولها للحكم. فعندما تسارعت الأحداث وانتصرت طالبان في حربها عقد رئيس الحكومة الهندية مودي اجتماعًا مع اللجنة الوزارية المسؤولة عن الأمن للتباحث حول طبيعة العلاقات مع أفغانستان في ضوء تلك التطورات. وصرح بعدها أحد مسؤولي الحكومة قائلًا: "سنبقى منفتحين ونتنظر ونراقب خطوات طالبان خلال المرحلة الانتقالية وبعدها. وسنعمل أيضًا على تقييم مدى شمول الحركة في استيعاب المكاسب التي تحقَّقت خلال العشرين عامًا الماضية"[١٠٤].

بات واضحًا ممَّا سبق أن عودة العلاقات الهندية-الأفغانية حاليًّا لسابق عهدها يبدو أمرًا ليس باليسير، على الأقل على المدى القصير. لكن ربما تعمل نيودلهي سرًّا على ترميم علاقتها بطالبان وقد تكون موسكو هي الوسيط[١٠٥]. لكن في كلّ الأحوال سوف تحتاج الهند إلى نهج استراتيجي طويل الأجل تجاه أفغانستان، يجمع الأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية في كلٍّ متماسك في إطار استراتيجية كبرى. ويجب أن تستند سياسة الهند لفهمٍ واضحٍ للأهداف الاستراتيجية للهند بالمنطقة، والبيئة الاستراتيجية الإقليمية والعالمية[١٠٦].

خاتمة:

نجحت روسيا والصين في الاستعداد لسيناريوهات التغيير في أفغانستان عبر سياسة التحوط وفتح قنوات الاتصال مع كافة الأطراف، بل ودعمت موسكو طالبان سياسيًّا واستخباراتيًّا ولاحقتْها اتهامات بمساعدة الجماعة سرًّا. لذلك فالدولتان لم تُبْدِيَا قلقًا من سقوط كابول بأيدي طالبان؛ فقد استمرَّت السفارة الروسية في عملها كالمعتاد ورغم ترحيل الصين لمواطنيها من أفغانستان وقيام موسكو بإجلاء عدد من مواطنيها إلَّا أن سفارتيهما استمرَّتا في العمل. أما الهند ففي ظل توتر سابق لعلاقاتها بطالبان راهنت على حكومة كابول المدعومة من الاحتلال وجاءت اتصالاتها بطالبان متأخِّرة كثيرًا وعلى استحياء وأقرب للسرية منها للعلن في ظل مخاوف استثارة مشاعر القوميين الهندوس غير الراضين عن علاقة مباشرة مع طالبان، بل يطالبون نيودلهي بدعم معارضي طالبان لإسقاطها. لذلك كانت المخاوف الهندية جلية عبر إجلائها رعاياها وإغلاقها سفارتها وقنصلياتها بأفغانستان.

وفي الوقت الذي تبدو فيه الهند معنيةً بالأساس باستقرار أفغانستان في حد ذاتها خوفًا على مشروعاتها واستثماراتها التي تنامت قبل سيطرة طالبان على السلطة من جديد، وتظهر الصين متطلِّعة لاستقرار يمنحها مزيدًا من الفرص الاقتصادية، إلَّا أن بكين يقلقها بشكل أكبر تداعيات عدم استقرار أفغانستان على مشروعات الصين التجارية الكبرى بالمنطقة وتأتي اهتمامات موسكو بالأوضاع في أفغانستان حفاظًا على استقرار حلفائها وهو ما ظهر في تصريحات المسؤولين الروس باستعدادهم لدعم حلفائهم خاصة في منظمة معاهدة الأمن الجماعي. فعندما قامت روسيا بإجلاء مواطنيها صاحبهم أيضًا رعايا حلفائها في طائرات عسكرية خُصِّصَتْ لذلك الغرض. وفي سياق آخر وسعيًا لتحقيق الهدف ذاته سارعت موسكو بالاستجابة لطلب رئيس كازاخستان بنشر قوات لحفظ السلام لمواجهة الاضطرابات الدموية التي شهدتها دولته في مطلع عام ٢٠٢٢ احتجاجًا على ارتفاع أسعار الغاز.

المناورات العسكرية التي أجرتْها موسكو وبكين سواء مع بعضهما البعض أو كل على حدة مع طاجيكستان كانت رسالةً

(103) Harish K. Thakur, The Post-US Withdrawal Afghanistan: India, China and the 'English Diplomacy', Op. cit.

(١٠٤) سيطرة طالبان.. نعمة أم نقمة لمحيط أفغانستان الإقليمي؟، مرجع سابق.

(١٠٥) ظفر الإسلام خان، قدمت ١٣ مليار دولار منحا واستثمارات لأفغانستان.. لماذا تعتبر الهند الخاسر الأكبر من وصول طالبان للحكم؟، مرجع سابق.

(106) Devender Sharma, Dealing with the Taliban: India's Strategy in Afghanistan after Regime Change, Op. cit.

واضحةً عن استعدادهما إلى اللجوء للأداة العسكرية إذا ما وصلت الاضطرابات إلى ما يشكِّل تهديدًا لمصالح الدولتين وأمنهما القومي. أما نيودلهي فليست في وضعية قوى نسبية تتيح لها القيام بالمثل فجاءت الخيارات المطروحة أمامها أقل من تلك التي تحظى بها نظيرتاها في المنطقة.

أخيرًا، تظل الأطراف الثلاثة ترقَّب عن كثب تطورات الحالة الأفغانية وتراقب بحذر تعامل طالبان مع التحديات التي تواجهها. وتأتي أفغانستان لتمنح الصين من جديد الفرصة لتأكيد دعمها لمبدأ عدم التدخُّل في الشؤون الداخلية للدول وهو ما ظهر جليًّا في تصريح المبعوث الخاص للشؤون الأفغانية في وزارة الخارجية الصينية، بأن الصين تحترم سيادة أفغانستان وسلامة أراضيها واستقلالها. جاء ذلك التصريح في أعقاب اجتياح طالبان للعاصمة الأفغانية ليعبّر ضمنًا أيضًا عن استمرار رفض الصين مناقشة أوضاع أقليتها المسلمة واعتبارها شأنًا داخليًّا لا تقبل تدخُّل أطرافٍ خارجية فيه.

*****

أفغانستان بين باكستان وإيران: المواقف والقضايا بعد الانسحاب الأمريكي

أحمد عبد الرحمن خليفة(*)

مقدمة:

وفقًا للخرائط الجغرافية والثقافية تتشارك كلٍ من باكستان وإيران مع أفغانستان الحدود السياسية، والعرقيات، والتاريخ، إذ يتجاوز طول الحدود المشتركة بين باكستان وأفغانستان ٢٦٠٠ كم، أما مع إيران فيبلغ طول الحدود بينهما أقل من ١٠٠٠ كم. من ناحية التاريخ كانت أفغانستان جزءً من الإمبراطورية الفارسية، في حين أنها كانت تاريخيًا ضد التقسيم الحدودي بينها وبين باكستان، كما كانت الدولة الوحيدة التي رفضت انضمام باكستان للأمم المتحدة، ولا يعني ذلك انعدام الروابط الثقافية بين الأخيرة وأفغانستان بل على العكس من ذلك، تُعد الأغلبية العرقية السائدة في أفغانستان (البشتون) أغلبية عرقية في باكستان أيضًا، وتجتمع العائلات بين خطي الشريط الحدودي بوشائج التمازج العرقي واللغوي وصلات القرابة. أما إيران فكانت روابطها أوثق مع الأقليات الدينية الشيعية والعرقية الفارسية من الطاجيك وغيرهم، وعملت دائمًا على أن تكون الداعم الأساسي لحقوقهم ووجودهم آمنين في أفغانستان.

وفي هذا الإطار تلعب كثير من العوامل دورًا كبيرًا في التأثير على العلاقات بين الدولتين (باكستان وإيران) وأفغانستان. يأتي على رأس هذه العوامل: **طبيعة حكومة كابول**، فتوجهات هذه الحكومة غالبًا ما تؤثر في علاقاتها بالفاعلين الإقليميين المختلفين، وتؤثر في مواقفهم منها، فباكستان تاريخيًا كانت ترغب في حكومة صديقة لها، معادية للهند أو على الأقل غير متعاونة معها، في حين ترغب إيران في حكومة متحالفة معها، تحفظ حقوق الشيعة الهزارة والأقليات الداعمة لها في أفغانستان، ويُتوقع أن يحضر هذا العامل في أجندات الدول الثلاث في الأجل القصير، ما يؤثر على مواقفها السياسية والدبلوماسية، على التفصيل الوارد في المحور الأول من هذه الدراسة.

أما العامل الثاني فمنبعه **الأبعاد الجيوسياسية**، المتمثلة أساسًا في أمن الحدود، والقضاء على الجماعات الإرهابية المناهضة للدولتين، ومنع تهريب وإتجار المخدرات (الأفيون الأفغاني)، وتدفق المياه من الأنهار الأفغانية إلى الدولتين، وتشترك كلا الدولتين –باكستان وإيران- في هذه المصالح، فكلما كانت الحدود أكثر استقرارًا بين الدولتين وأفغانستان، والجماعات الإرهابية أقل نشاطًا، وتدفقات المياه مستمرة، كانت العلاقات أكثر استقرارًا وسلميةً، والعكس بالعكس.

ويتصل العامل الثالث **بالمحددات الجيو اقتصادية**، التي تظهر في نقل الغاز من آسيا الوسطى عبر أفغانستان، وفي أي الموانئ ستعتمد عليها أفغانستان –كدولة حبيسة- كمحور لنقل تجارتها عبرها، وفي الحفاظ على تدفقات النفط الإيراني إلى أفغانستان باعتبارها المصدر الأهم للنفط لأفغانستان في هذا الوقت. وترتبط قدرة هذه العوامل في التأثير على العلاقات بين الدول الثلاث بأدوار **الأطراف الثالثة**[1] الإقليمية والدولية كالهند، والصين، والولايات المتحدة. وبصفة عامة، تؤثر علاقات هذه الدول مع الدولتين في علاقاتهما المتبادلة؛ فعلاقات إيران والهند (القوية) تنعكس سلبًا على علاقاتها

---

* باحث ماجستير في العلاقات السياسية الدولية، ومنسق مشروعات بمركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر.

(١) يُستخدم مفهوم "الأطراف الثالثة" Third Parties في سياق هذا التقرير للإشارة إلى كافة الفاعلين من الدول المؤثرين في العلاقات بين المثلث: باكستان – أفغانستان – إيران، ويمكن أن يكون لهم دورًا في توجيه العلاقات بين الدول الثلاثة سلبًا وإيجابًا، ومنهم على سبيل المثال: الصين، والولايات المتحدة، والهند، وروسيا.

بباكستان، أما تنامي علاقات الصين وإيران فيصب في صالح توطيد العلاقات بين طهران وإسلام أباد.

وكذلك يمكن أن تلعب **العوامل "الإدراكية"**: النفسية والتاريخية والإيديولوجية، والعوامل المتعلقة بصناع القرار، دورًا مهمًا في توجيه العلاقات بين أضلاع المثلث، فإيران لها ذاكرة سلبية مع طالبان عندما جاءت إلى السلطة عام ١٩٩٦، وكذلك لديها تحفظات على أيديولوجية طالبان السنية، في المقابل لدى باكستان رؤية معينة لطالبان، وأجندة مُحددة تجاه أفغانستان ترغب في تحقيقها، وهو ما قد يؤثر على علاقتهما سلبًا وإيجابًا حسب رؤية صناع القرار لمدى تحقق هذه الرؤية. وفي الجانب المقابل لحركة طالبان ذاكرة هي الأخرى بشأن العلاقات مع باكستان وإيران؛ ففي حين دعمتها باكستان منذ نشأتها، لعبت دورًا مزدوجًا في الفترة التي أعقبت ٢٠٠١ في إطار ما عُرف بالحرب على الإرهاب، كما شاركت إيران هي الأخرى في هذه الحرب ضدها.

وعلى هذا الأساس، تراكمت مجموعة من القضايا -تقريبًا نفسها- في العلاقات بين كلٍ من باكستان وإيران من جانب وأفغانستان من جانب آخر، بعضها كان مُحددًا للموقف من التواجد ثمَّ الانحساب الأمريكي من أفغانستان، منها ما كان متصلا بالعلاقات الدبلوماسية والسياسية بين أضلاع المثلث والجهات الفاعلة في أفغانستان وعلى رأسها حركة طالبان، وبعضها كان محفزًا أو مثبطًا للعلاقات الاقتصادية بين الأطراف، وبعضها الآخر كان مُهيئًا لعلاقات جيوسياسية وأمنية مُحددة، في حين كان جانب من القضايا مرتبطًا بأدوار وعلاقات الأطراف الثالثة المتداخلة في أفغانستان ومجمل الإقليم. ويستعرض هذا التقرير بشيءٍ من التفصيل هذه التداخلات بين القضايا والمحددات وأدوارها في رسم المواقف الباكستانية والإيرانية من التطورات في أفغانستان موضحين اتجاهات هذه التقاطعات في الآجال القصيرة والمتوسطة وبعيدة المدى بناءً على رصيد العلاقات التاريخية بين الأطراف.

أولًا- المو اقف السياسية والدبلوماسية بعد الانسحاب الأمريكي:

منذ إعلان أوباما خطة الانسحاب الأمريكي من أفغانستان عام ٢٠١١، وتخطط باكستان وإيران لسيناريوهات ما بعد هذا الانسحاب، وتقيمان آثاره على الأمن القومي لكلٍ منهما. ولكن هذه الخطة أخذت مراحل طويلة مذ ذلك الوقت، ليجري اتخاذ القرار في عهد أوباما، والترتيب له في عهد ترامب، ثمَّ جاءت المرحلة الأخيرة من التنفيذ في ظل رئاسة بايدن. **ورغم أن الانسحاب كان مرحبًا به في كلٍ من إسلام أباد وطهران إلا أن ذلك كان من وجهات نظر متباينة تجلت في المو اقف من المشهد النهائي لانسحاب القوات الأمريكية في أواخر أغسطس ٢٠٢١، والتطورات التي تر افقت معه خاصةً سيطرة طالبان، وهو ما نرصده في النقاط التالية:**

كانت باكستان ثاني الدول التي ترسل ممثلين عنها لكابول بعد سيطرة طالبان عليها –كانت الزيارة الأولى من قبل مدير الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA)- فأرسلت وفدًا "رفيع المستوى" على قمته مدير جهاز مخابراتها (ISI) فايز حميد في الرابع من سبتمبر ٢٠٢١ بعد سقوط العاصة بـ٢٠ يوم تقريبًا. ما نُشر عن هذه الزيارة يشير إلى أنها كانت بناءً على دعوة من طالبان نفسها[٢]. وقد شهدت الزيارة لقاءً بين مدير جهاز المخابرات والسفير الباكستاني في أفغانستان، ويُعتقد –بخلاف تصريح فايز- أنها شملت أيضًا لقاء عدد من كبار القادة في طالبان للوقوف على عددٍ من المسائل الأمنية والسياسية المتعلقة بالحدود وتشكيل الحكومة القادمة[٣]. وفي فيديو قصير

(٢) وزير خارجية باكستان يزور كابول للمرة الأولى منذ استيلاء طالبان على أفغانستان، النهار، ٢١ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع١١ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3FATKah

(3) Pakistan's Intelligence Chief Visits Afghanistan's Capital, Anadolu Agency, 4 September 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://bit.ly/3DOzX6R.

عن الزيارة صرح فايز –بابتسامة- أن "كل شيء سيكون على ما يرام"[٤] في رسالة منه إلى العالم أن الأمور تسير بخير في أفغانستان، معبرًا بذلك عن ارتياح بلاده لما يحدث في أفغانستان؛ أي سيطرة طالبان على الحكم في البلاد.

أتبع هذه الزيارة، زيارة وزير الخارجية الباكستاني شاه محمود قريشي برفقة مدير المخابرات في ٢١ أكتوبر ٢٠٢١، وحسب بيان الخارجية الباكستانية ناقش اللقاء كافة القضايا ذات الصلة بالعلاقات الثنائية مع أفغانستان بدءً من تحقيق السلام والاستقرار على أراضيها مرورًا بقضايا الحدود والتبادل التجاري، والعلاقات بين شعبي البلدين[٥]. بعدها بأقل من عشر أيام أرسلت طالبان مبعوثها لتولي مسؤولية السفارة الأفغانية في إسلام أباد إلى جانب ثلاثة آخرين لتسيير أعمال القنصليات الثلاث الأخرى في باكستان[٦]. تلاها زيارة القائم بأعمال وزارة الخارجية الأفغانية أمير خان متقي التي استمرت لثلاثة أيام من ١٠ إلى ١٢ نوفمبر ٢٠٢١ لزيادة التشاور بشأن القضايا السياسية والاقتصادية المتعلقة بتعزيز التبادل التجاري، وتسهيل التنقل عبر الحدود، والتكامل الإقليمي[٧]، وبحثًا عن الاعتراف الدولي بحكومة طالبان[٨].

أما عن العلاقات الدبلوماسية بين إيران و أفغانستان طالبان، فلم تكن بنفس الزخم رفيع المستوى، ومع ذلك فقد قررت الخارجية الإيرانية في ١٧ أغسطس ٢٠٢١ استمرار سفارتها في كابول وقنصليتها في هرات للعمل في أفغانستان بعد سيطرة طالبان[٩]، في حين جاءت أول زيارة في ٣ أكتوبر ٢٠٢١ من قبل حاكم خراسان لنظيره محافظ هرات الذي عينته طالبان في وقتٍ سابق[١٠]؛ وذلك "لدراسة وحل المشكلات التي تعترض تنمية التجارة بين خراسان وأفغانستان"، ومعه شحنات بمعدات طبية إيرانية لمجابهة انتشار فيروس كورونا في أفغانستان[١١]. بعدها بيومين التقى المسؤول نفسه وفدًا من طالبان في كابول، وقد شمل اللقاء بنودًا واضحة للتعاون التجاري والاقتصادي والصحي بين البلدين[١٢].

Isl Chief Visits Kabul to Meet Taliban Leadership, Tribune, 5 September 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://bit.ly/3qWq7Mf.

(4) 'Don't Worry, Everything Will Be Okay': ISI Chief During Kabul Visit, Dawn, 4 September 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://cutt.us/eDB5v

(5) Curtain Raiser: Visit of Foreign Minister Makhdoom Shah Mahmood Qureshi to Kabul, 21 October 2021, Minister of Foreign Affairs Government of Pakistan, 21 October 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://bit.ly/3cx2BgM

Pakistan Foreign Minister Makes First Trip to Kabul since Taliban Takeover, Reuters, 21 October 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://reut.rs/3cwCmXx.

(٦) مبعوث من حركة طالبان في سفارة أفغانستان بإسلام أباد، العربي، ٣٠ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3FxRCjm

(7) Visit of the Afghan Delegation, Minister of Foreign Affairs Government of Pakistan, 9 November 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://cutt.us/66X7B

(٨) وزير خارجية أفغانستان يزور باكستان وسط مساعي طالبان لنيل الاعتراف الدولي، يورونيوز، ١٠ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3ldzd3V.

(٩) الخارجية الإيرانية: ممثلياتنا في أفغانستان مفتوحة، وكالة الأناضول، ١٧ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3qPEwKk.

انظر أيضًا: إيران تعلن أن جميع دبلوماسييها في "هرات" الأفغانية بخير، وكالة الأناضول، ١٣ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3cukP2d.

(١٠)إيران تغازل طالبان بـ"عيون بيضاء" وتواصل "على استحياء"، العين الإخبارية، ٤ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/dUNhU

(١١) أول مسؤول إيراني يزور كابول بعد سيطرة طالبان على أفغانستان، إرم نيوز، ٤ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3lfvoLA.

(١٢)انظر التالي:

عكست سرعة التحرك ومستوى العلاقات الثنائية مبدئيًا مو اقف الدولتين من التطورات في أفغانستان بين مرحبٍ بشدة ومتحمس لوصول طالبان إلى قمة السلطة في دولة الجوار (باكستان)، وبين حذرٍ مازال يَقيم تداعيات تشكيل حكومة طالبانية على مصالحه في أفغانستان ومجمل الإقليم (إيران)؛ ولذلك لا يُستغرب أن يكون مدير جهاز الاستخبارات الباكستاني من أوائل الواصلين إلى كابول، في حين أن مجمل الدبلوماسية الثنائية الإيرانية قادها مسؤول في مستوى متواضع نوعًا ما. **ولكن بخلاف الدبلوماسية الثنائية الخافتة، كانت إيران أكثر انخراطًا عبر الآليات الإقليمية مُتعددة الأطراف، ونشاطًا في التحاور مع الأطراف الأخرى المعنية، وعلى رأسها: باكستان، وقطر، وروسيا، والصين، ودول من آسيا الوسطى.**

انطلقت **أولى لقاءات** "دول جوار أفغانستان" افتراضيًا بمبادرة من الحكومة الباكستانية في ٨ سبتمبر ٢٠٢١ بحضور وزراء خارجية كلٍ من: باكستان، والصين، وإيران، وطاجكستان، وتركمنستان، وأوزباكستان، وقد أكد هذا اللقاء على ما يلي[١٣]:

١- ضرورة أن يكون مستقبل أفغانستان موجه من قبل الأفغان أنفسهم ولصالحهم " Afghan-led, Afghan-Owned Process".

٢- أهمية تمثيل كافة الفئات والمجموعات العرقية في العملية السياسية.

٣- الحاجة إلى أن يضطلع مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بدروه المنوط به لإحلال السلام في أفغانستان.

٤- ضرورة العمل الجماعي من قبل كافة دول جوار أفغانستان والمجتمع الدولي للتصدي للأخطار والتحديات المشتركة لجلب الاستقرار إلى أفغانستان والمنطقة.

أما **اللقاء الثاني**، الذي يأتي ضمن ما أطلق عليه "صيغة موسكو"[١٤]، فاستضافته روسيا في ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، وحضره ممثلون عن طالبان، وناقش "وفاء طالبان بحقوق الإنسان والمساواة، وتعزيز الجهود الدولية لمنع أزمة إنسانية، ومنع عودة عناصر تنظيم داعش، والدفع لتشكيل حكومة جامعة"[١٥]. أما **اللقاء الثالث** فُعقد في طهران في ٢٧ أكتوبر ٢٠٢١ بحضور كافة الدول التي دأبت على حضور الاجتماعات السابقة، مع مشاركة وزراء خارجية الصين وروسيا افتراضيًا، بالإضافة إلى وفدٍ من طالبان، ودعا المؤتمر في بيانه الختامي إلى: "تحقيق المصالحة الوطنية، وتشكيل حكومة شاملة، ومكافحة الإرهاب في

- مسؤول إيراني يلتقي وزراء في حكومة "طالبان" ويتوصل إلى "اتفاقات بناءة"، روسيا اليوم، ٥ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Fv2gax
- طالبان: إيران وأفغانستان تتفقان على تسهيل التجارة الثنائية، وكالة الأناضول، ٥ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3281H8g

(13) Joint Statement issued at the Conclusion of the Foreign Ministers' Meeting on the Afghan Issue Among the Neighboring Countries of Afghanistan, Minister of Foreign Affairs Government of Pakistan, 8 September 2021, available at: https://bit.ly/3FC5x7Y

(١٤) إطار جماعي (مؤتمر) دُشن عام ٢٠١٧، يناقش الأوضاع في أفغانستان، وينخرط فيه ممثلون عن الدول المهتمة، بالإضافة إلى ممثلين عن أفغانستان بما فيهم طالبان، ولكن الأخير حضره أعضاء حكومة طالبان فقط كممثلين عن أفغانستان، وكان هذا اللقاء هو الثالث في إطار صيغة موسكو، للمزيد انظر:

- محادثات موسكو بشأن أفغانستان.. رسائل متقاطعة وفوائد لطالبان وغياب قوى فاعلة، الجزيرة. نت، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3ny73lG

(١٥) "صيغة موسكو".. ملفات بارزة ولا اعتراف بطالبان، سكاي نيوز عربية، ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3DuiyQx

أفغانستان"[١٦]. أما المؤتمر أو **اللقاء الرابع**، الذي حضرته إيران وغابت عنه باكستان واعتذرت عنه الصين، فكان في نيودلهي في ١٠ نوفمبر ٢٠٢١[١٧]، وأكدت فيه إيران نفس ما أكدت عليه في اللقاءات السابقة بشأن "الحكومة الشاملة" في أفغانستان[١٨].

أما أحد اللقاءات الأخرى المهمة التي كانت في باكستان، وأحجمت إيران عن حضوره، فيُطلق عليه "**الترويكا بلس** Troika Plus"[١٩]، وضم كل من الولايات المتحدة والصين وروسيا وباكستان في اجتماع موسع بشأن أفغانستان، والتقى المجتمعون على هامشه مع قادة من طالبان. وقد شمل البيان الصحفي النهائي للترويكا بنودًا كثيرة معظمها لا يتبنى نهج هجومي تجاه طالبان، وإنما فيها ترحيب بجهود طالبان فيما يخص "السماح بالمرور الآمن لكافة الراغبين بالسفر من أفغانستان وإليها"، كما حث البيان على مواصلة طالبان العملية السياسية لتشكيل حكومة شاملة، وإدماج النساء في التعليم وفي قطاعات المجتمع كافة[٢٠].

على مستوى آخر، خصصت لقاءات و اتصالات ثنائية بين إيران وباكستان حيز كبير لنقاش الشأن الأفغاني، فاستقبل وزير الخارجية الباكستاني نائب وزير الخارجية الإيراني في ٥ أكتوبر ٢٠٢١[٢١] ضمن ما يُعرف بالجلسة ١١ للتشاور السياسي الثنائي بين البلدين[٢٢]. ثمَّ زيارة رئيس هيئة الأركان الإيرانية في ١٢ أكتوبر ٢٠٢١[٢٣]. هذا فضلًا عن لقاء آخر أُجري في باكستان على مستوى يندرج ضمن الدبلوماسية البرلمانية بين البرلمانين الباكستاني والإيراني[٢٤].

إجمالًا يشير الرصد السابق إلى عدة أمور:

أولا: كثافة الدبلوماسية الثنائية ومتعددة الأطراف الباكستانية، ويبدو هذا منطقيًا ومتسقًا مع الدور الدبلوماسي التاريخي الذي أرادت باكستان لعبه في أفغاستان، وتحديدًا تجاه

---

(١٦) دول جوار أفغانستان تدعوها لمصالحة وطنية، وكالة الأناضول، ٢٨ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3x23kQt

(١٧) حضور ومقاطعة واعتذار.. دول جوار أفغانستان تلتقي في الهند، العين الإخبارية، ١٠ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/kYPwc

(18) Nsa Meet in Delhi: Iran Calls for Inclusive Govt in Afghanistan, ANI, 10 November 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://bit.ly/3Hzb4yd

(١٩) كانت روسيا هي من دعا سابقًا إلى هذه الصيغة الموسعة للترويكا لتضم ٤ دول بالإضافة إلى روسيا هي: الولايات المتحدة، والصين، وباكستان، وإيران.

- Taliban Foreign Minister Meets with Us, Russian, Chinese, Pakistani Special Representatives, VOA, 11 November 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://bit.ly/3FECzER

(٢٠) بيان مشترك بشأن اجتماع الترويكا الموسعة بتاريخ ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢١ في إسلام آباد، مكتب المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية، ١١ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/30Giwag.

(21) Foreign Minister Receives Iran's Deputy Foreign Minister, Minister of Foreign Affairs Government of Pakistan, 5 October 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://2u.pw/Ajo0h

(22) 11th Session of Pakistan-Iran Bilateral Political Consultations, Minister of Foreign Affairs Government of Pakistan, 5 October 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://2u.pw/borG4

(٢٣) للمزيد، انظر:

- رئيس هيئة الأركان الإيرانية يزور باكستان: سياقات الزيارة وأجندتها، العربي الجديد، ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Ct5byR.
- توافق باكستاني إيراني لتعزيز التعاون العسكري، وكالة الأناضول، ١٣ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Dv6WwC

(٢٤) وفد برلماني إيراني في باكستان للتباحث حول توطيد العلاقات، وكالة أنباء فارس، ١١ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/mFSe1

حركة طالبان، إذ سعت تاريخيًا للعب دور مبعوث طالبان للعالم، خاصةً لدى القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية[٢٥]. ولا يشذ مجمل الخطاب الدبلوماسي الحالي عن ضرورة تقديم الدعم لطالبان، والانخراط مع الحركة دبلوماسيًا، ومساعدتها للسيطرة على الأوضاع الإنسانية في أفغانستان تدعيمًا لتحقيق الاستقرار فيها[٢٦].

ثانيًا: عَكَسَ مستوى الانخراط الدبلوماسي الإيراني وتفضيله للأطر مُتعددة الأطراف طبيعة الاقتراب التقييمي "الحذر" من وصول طالبان إلى السلطة في كابول، فإيران عمقت حوارها الدبلوماسي مع الأطراف الإقليمية بعد الانسحاب الأمريكي بغية تقييم الوضع وعدم التسرع آخذةً في الاعتبار الخلفيات التاريخية للعلاقات الإيرانية – الطالبانية خاصةً في الفترة من ١٩٩٦ حتى ٢٠٠١ حين سيطرت طالبان على السلطة، وقامت بقتل دبلوماسيين إيرانيين في قنصلية بلادهم، كما أومأ –هذا الاقتراب- إلى الصراع على مستوى صنع القرار في طهران بشأن الانخراط مع طالبان بين مؤيد ومتحفظ (وربما معارض)، وهو ما يصيب صنع القرار الإيراني بالازدواجية، ويفقده وحدته إزاء أفغانستان[٢٧].

ثالثًا: تشهد العلاقات بين باكستان و إيران رواجًا كبيرًا في الأيام التي أعقبت الانسحاب الأمريكي؛ اقتناعًا من جانب إيران بأهيمة الدور الباكستاني وقدرته على التأثير في طالبان، ومن جانب باكستان بمحورية إيران كقوة إقليمية، ولاعب أساسي في التنمية الاقتصادية في أفغانستان، فضلًا عن محاولتها لخلخلة التعاون الهندي – الإيراني، وهو ما نعود له في المحور القادم من هذا التقرير.

لكن لم تحسم هذه اللقاءات الدبلوماسية المتكررة الملفات السياسية العالقة بين الثلاثي، ولم تقرب وجهات النظر إلى درجة التوحد بشأن الملف الأفغاني في شقه السياسي على الأقل، فإيران موقفها واضح من حكومة طالبان، فهي لا تقبل إلا بحكومة شاملة -لا تُهمين عليها طالبان- يُمثل فيها جميع العرقيات ومن ضمنهم الأقليات الشيعية رغبةً منها في التأكد من وجود حكومة تحفظ مصالحها الاستراتيجية في أفغانستان، وللحد من احتمالات توظيف الاختلافات الأيديولوجية والسياسية من حركة سنية "وهابية" -وفق تصور بعض الجهات في إيران– ضدها[٢٨]. لذا تشكل الموازنة بين الاعتراف بالحكومة الجديدة[٢٩]، ومصالح العرقيات المختلفة

(25) Ijaz Khan, Pakistan's Strategic Culture and Foreign Policy Making: A Study of Pakistan's Post 9/11 Afghan Policy Change, (New York: Nova Science Pub Incorporated, 2007), pp. 53-54, 57.

(26) Foreign Minister's Remarks at 2nd Ministerial Meeting of Neighboring Countries of Afghanistan (Tehran, 27 October 2021), Minister of Foreign Affairs Government of Pakistan, 27 October 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://bit.ly/3nxeUzQ.

(٢٧) الموقف الإيراني في أفغانستان بعد انسحاب القوات الأمريكية، مركز الإمارات للسياسيات، ١٤ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3oOPE7L.

(٢٨) لتتبع هذه السياسية تاريخيًا، يُنظر:

- Kayhan Barzegar, Iran's Foreign Policy in Post-Taliban Afghanistan, The Washington Quarterly, Vol. 37, No. 2, 2014, pp. 127-129.

(٢٩) عبرت الخارجية الإيرانية، مع تشكل حكومة طالبان في أوائل سبتمبر ٢٠٢١، عن استيائها الضمني من شكل الحكومة، معبرة عن ضرورة الوصول لحكومة شاملة "تعكس التركيبة العرقية والديغرافية"، في حين أن الرد من أفغانستان كان واضحًا بأن "حكومتهم لن تقوم على أساس العرق"، وأنهم لن يسمحوا بهذا النوع من السياسية. ثمَّ أكدت في سياقٍ آخر على أنه "من السابق لأوانه الاعتراف بحكومة طالبان"، للمزيد انظر:

- إيران تحذّر طالبان بعد إعلان الأخيرة عن حكومتها، عربي ٢١، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3kU6qky.
- إيران: الحديث عن الاعتراف بحكومة أفغانية مستقبلية أمر "سابق لأوانه"، شينخوا، ١٤ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3p3fbKz.
- إيران تلمح للاعتراف بحكومة طالبان، إرم نيوز، ٢٧ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3p0xzDG.

التي تدعمها إيران التحدي الأهم للسياسة الإيرانية في ظل وجود طالبان[٣٠].

من جانب باكستان، في حين تدعو لأهمية التواصل مع طالبان بغض النظر عن الاعتراف بحكومتها، تتريث هي ذاتها في الاعتراف الرسمي بحكومة طالبان، إذ ترى أن "الاعتراف بإدارة طالبان سيكون قرارًا إقليميًا يُتخذ بعد مشاورات مع القوى الإقليمية والدولية"[٣١]؛ وربما يرجع ذلك إلى عاملين؛ **الأول**: تجنب لتكرار سناريو التسعينيات حينما استولت طالبان على الحكم، وتُركت باكستان الدولة الوحيدة المعترفة بها بعد أن سحبت كل من السعودية والإمارات اعترافهما بها، **والثاني**: وربما الأهم هو أنها لم تصل بعد لاتفاقات واضحة بصدد الملفات الأكثر أهمية في علاقتها مع أفغانستان بشأن اعتراف الأخيرة بالخط الحدودي الفاصل بينهما، وحركة طالبان باكستان (TTP) وقضايا المياه، والعلاقة مع الهند. ومع ذلك تقدر باكستان خطورة أن تبقى أفغانستان في ظل عزلة دبلوماسية، وعرضة للعقوبات الدولية، ما قد يؤدى لسلوك عدواني من قبل طالبان يؤثر في استقرار الإقليم والداخل الباكستاني، ويضر أيضًا بسمعة باكستان الدولية كداعم أساسي لطالبان[٣٢]، فضلًا عن احتمالات تدهور الأوضاع الإنسانية في أفغانستان ما يؤدي إلى زيادة التوتر على الحدود، وتدفق اللاجئين إليها[٣٣].

وعليه، يُظهر الرصد السابق أن اتجاهات المستقبل القريب –خلال الأشهر القادمة- سيهيمن عليها القضايا الآنية المتمثلة في: الاعتراف الرسمي بحكومة طالبان، وإدارة الحدود بطريقة فعالة، وعدم استخدام أراضي طالبان لتوجيه أي ضربات أو أعمال إرهابية تجاه دول الجوار أو الدول الأخرى، ويؤكد أيضًا هذا الرصد على أن إحراز التقدم في هذه القضايا مجتمعةً يتوقف على سلوك طالبان من ناحية، ومجمل السلوك الإقليمي والدولي من ناحيةٍ أخرى، إذ يتضح أن أية دولة –بما فيها باكستان الأوثق علاقة مع طالبان– لن تُقدم على عمل أحادي يخرجها عن سياق أو محددات التوافق الإقليمي والدولي تجاه طالبان. ومن ثمَّ يمكن القول إن الاعتراف بحكومة طالبان سابق لأوانه ويرتبط بسياقات متداخلة، لا يُمكن التكهن بها بفحص العلاقات بين الأطراف المختلفة في بعدها الدبلوماسي وحسب، بل يقتضي الأمر تمحيص هذه العلاقات من أبعاد مُتعددة مع عدم الاقتصار على اللحظة الراهنة، وهو ما يسعى إليه التقرير فيما هو قادم.

ثانيًا- من الآني إلى الاستراتيجي: قضايا مستقبل العلاقات الباكستانية – الأفغانية – الإيرانية:

يرتبط فهم الاتجاهات المستقبلية للعلاقات بين أضلاع المثلث بفهم المصالح العامة والقضايا الكبرى في سياق العلاقات فيما بينهم. ويمكن تقسيم هذه المصالح والقضايا إلى: أبعاد اقتصادية، وأبعاد أمنية وجيوسياسية، وأبعاد تتعلق بأدوار الأطراف الثالثة (الأطراف الإقليمية والدولية الأخرى)، وذلك على النحو التالي:

١- البُعد الاقتصادي-الاجتماعي:

ولَّد الارتباط الجغرافي ارتباطًا اقتصاديًا واجتماعيًا بين كلٍ من باكستان وأفغانستان من ناحية، وإيران وأفغانستان من ناحية أخرى. بالنسبة لباكستان، فعلى الصعيد الاجتماعي تُمثل العلاقات بين عرقية البشتون التي تشكل ٤٨% من سكان أفغانستان وغالبية سكان باكستان حجر زاوية في العلاقات بين

(٣٠) طالبان وتأثيراتها في الشرق الأوسط، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، موقع اليوتيوب، ١٧ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/kZXnB.

(31) Afghanistan: What Taliban Takeover Means for the Region, DW, 19 August 2021, Accessed: 20 November 2021,available at: https://bit.ly/3HPzFPs

(32) Aqil Shah, Pakistan's "Moderate Taliban" Strategy Won't Hold up—for Anyone, Carnegie Endowment for International Peace, 30 September 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://bit.ly/3nzRkT2

(33) Pakistan, the Taliban, and the Future of Afghanistan, Carnegie India, 3 September 2021, Youtube, Accessed: 20 November 2021, available at: https://2u.pw/22Ywh

الدولتين، حيث عاش عدد كبير من الأفغانيين البشتون ومنهم أعضاء من طالبان في مخيمات اللاجئين في باكستان، كما تلقى هؤلاء تعليهم في "مدارس الديوبندية"[٣٤]. ليس هذا فحسب بل اختلط معظم اللاجئين البشتون بالسكان المحليين في باكستان، وتنلقوا في معظم أرجاء الدولة بين كراتشي وإسلام أباد وبلوشستان[٣٥]، ولذلك كانت باكستان أكثر الدول التي يعيش فيها لاجئون أفغان، إذ يتجاوز عددهم الثلاثة ملايين لاجئ. كما ساعدت باكستان في توفير ملاذات آمنة لقيادات وأعضاء طالبان وأسرهم في الأوقات العصيبة، أيضًا وفرت لهم الرعاية الصحية، بل وسمحت لهم بامتلاك وتأسيس شركات تدر عليهم أرباح[٣٦].

كما ولَّد هذا الارتباط العرقي والاجتماعي رغبة (مصلحة) مزدوجة لدى باكستان في أفغانستان، فهي تسعى من جانب إلى أن تكون على رأس الحكومة الموالية لها في أفغانستان عرقية البشتون (حكومة يُهيمن عليها البشتون)[٣٧]، ومن جانب آخر تمنع أي محاولات للتوحد بغرض الانفصال بين العائلات البشتونية على جانبي الشريط الحدودي بينها وبين أفغانستان، والتي ظهرت مع تشكل حركات ذات نزعة انفصالية –من الممكن أن يلعب الغريم التقليدي لباكستان: "الهند" دورًا في توظيفها ضدها- تطالب بمساءلة حكومة إسلام أباد عن انتهاكات حقوق الإنسان التي يرتكبها جيشها ضد المدنيين البشتون في خضم معركته ضد الإرهاب أو ما يُعرف بـ"طالبان الباكستانية"[٣٨].

اقتصاديًا، عززت الروابط السابقة حركة التبادل التجاري والاعتماد الاقتصادي بين البلدين، وظلت باكستان الشريك الاقتصادي الأكبر لأفغانستان لمدة طويلة، إذ كانت باكستان أكبر الدول التي استوردت سلع من أفغانستان لعدة سنوات آخرها كان عام ٢٠١٨، بعده أخذت الهند الصدارة، وحتى آخر إحصائيات في عام ٢٠١٩ فإن باكستان هي ثالث أكبر دولة تستورد منها أفغانستان -سلعًا- بعد إيران والصين، ووفقًا للاتفاقيات الثنائية تعتمد أفغانستان على موانئ: كراتشي، وجودار، وقاسم لتصدير سلعها للدول الأخرى[٣٩].

(34) Brenda Shaffer (ed.), The Limits of Culture: Islam and Foreign Policy, (Massachusetts: MIT press, 2006), p. 315.

- وبالنسبة إلى "مدارس الديوبندية"، فهي مدارس أصلها الفكر الإسلامي الذي شجعت جامعة دار العلوم التي تأسست في الهند عام ١٨٥٧ على انتشاره، وهي تتبنى المذهب الحنفي من مذاهب أهل السنة والجماعة، ولا تعتبر نفسها مذهب أو طائفة إسلامية وإنما مؤسسة تعليمية، وانتشر فكرها في كافة أنحاء شبه القارة الهندية، وأُنشأت لها مدارس عدة في باكستان، كما تلقى اللاجئون الأفغان وأعضاء طالبان تعليمهم في هذه المدارس في باكستان. للمزيد، انظر:

- حسن الرشيدي، كيف تفكر طالبان؟!، البيان، ١٧ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3kSO57y

(35) Executive Summary and Key Finds, (in) Muhammad Amir Rana (ed), Conflict and Peace Studies, Pakistan Institute for Peace Studies (PIPS), Vol. 8, No. 1, (Jan-Jun 2016), p 14.

(36) Elizabeth Threlkeld and Grace Easterly, Afghanistan-Pakistan Ties and Future Stability in Afghanistan, (Washington: United States Institute of Peace, August 2021), p. 2.

(37) Afganistan as Seen from Pakistan (in): Umer Farooq (ed.), PIPS Paper Series, (Islamabad: Pakistan Institute for Peace Studies (PIPS), Jul-Sep 2021), p.1-2.

(38) Aqil Shah, What Will Happen to Afghanistan and Pakistan's Uneasy Border?, Carnegie Endowment for International Peace, 13 August 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://bit.ly/3HCDK9r

(39) Look at:

- Leveraging International Relationships for Afghan Peace: Addressing Afghan-Pakistan Economic Relations, Swedish International Development Cooperation Agency, BAHAM 4 Peace, 2021, p. 5, available at: https://2u.pw/8DAxg
- Afghanistan Trade, World Integrated Trade Solution, 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://2u.pw/oI9r6

أما فيما يتعلق بإيران فترتبط أكثر بمجموعات الأقلية الدينية والعرقية في أفغانستان، وبخاصة الشيعة الإثنا عشرية (الهزارة)، وأقليات الطاجيك، التي تعيش في الأجزاء الوسطى والغربية من أفغانستان، وكلاهما يتحدث الفارسية، وله روابط رمزية مع الدولة الإيرانية، كما طورت إيران مع هذه الأجزاء علاقات تبادل اقتصادي وبشري وثيقة[٤٠]. ولذلك تعتبر هذه المجموعات مفتاح مهم يضمن لها أوراق يمكنها استخدامها للتأثير في أفغانستان[٤١]. ومع ذلك تحاول إيران أيضًا التواصل مع المجموعات العرقية صاحبة الأغلبية في أفغانستان (البشتون)، عبر لعب دور الأخ الأكبر مستعينةً بالتقارب الثقافي واللغوي، إذ سهلت اللغة الدارية Dari (القريبة من الفارسية) التواصل بين الإيرانيين والنخب البشتونية، إلا أن هذا الدور – رغم قبول بعض البشتون به– ظل مرفوضًا بصفةٍ عامة داخل مجتمع البشتون ذي الغالبية السنية[٤٢].

إلى جانب ذلك، تستضيف إيران عددًا ضخمًا من اللاجئين منذ ثمانينيات القرن العشرين، القليل منهم لديه أوراق رسمية، يصل عددهم إلى ٨٠٠ ألف لاجئ، في حين يعيش ما يقرب من ٢ مليون لاجئ داخل إيران دون أوراق قانونية. ويشكل هذا العدد الضخم ضغطًا على الاقتصاد الإيراني المُثقل بالعقوبات الدولية[٤٣]، وهو ما يدفع إيران أحيانًا لاستخدام هذا الأمر كورقة ضغط سياسية على أفغانستان بالتهديد بترحيل اللاجئين تارة[٤٤] أو في سياق تعاملها مع المجتمع الدولي بالدعوة لرفع العقوبات عليها تارةً أخرى[٤٥].

يُعد هذا البعد -المتصل باللاجئين- واحد من أهم الملفات الذي سيكون له تأثير على العلاقات بين البلدان الثلاثة في الآجال: القريبة والمتوسطة والبعيدة. في الأجل القريب ستطلب حكومة طالبان بقاء الوضع على ما هو عليه فيما يخص اللاجئين، وعدم تصدير أي لاجئين من دولتي الجوار إلى حين تحقق الاستقرار الاقتصادي داخليًا، وهو ما يتطلب موازنة أكثر في علاقتها مع باكستان وإيران والأطراف الثالثة ذات الصلة، وهو ما أكده الرصد السابق في المحور الأول من هذا التقرير. في حين ستكون هذه القضية مثار جدل في الأجلين المتوسط والبعيد معتمدةً على مجمل العلاقات بين الدول الثلاث؛ فإذا وجدت إيران أو باكستان العلاقات تسير في اتجاهٍ لا تقبله فعادةً ما سترفع هذه الورقة في وجه طالبان للإنذار من أجل تنسيق السياسات، كما سيتوقف تأثير شدتها على مستوى النمو التي ستحققه أفغانستان في ظل حكم طالبان.

٢-من الجيو-سياسي إلى الجيو-اقتصادي:

تقع أفغانستان في مفترق طرق بين مناطق عدة من العالم في الشرق الأوسط، وجنوب وغرب آسيا، وتُعد مفتاح كلٍ من باكستان وإيران لآسيا الوسطى، كما تربطها قضايا حدودية

(40) Srinjoy Bose, Nishank Motwani, and WilliamMaley(eds), Afghanistan:Challenges and Prospects, (UK: Routledge, 2017), p. 211.

(41) Sumitha Narayanan Kutty, Iran's Continuing Interests in Afghanistan, The Washington Quarterly, Vol. 37, No. 2, 2014, p. 143.

(42) Srinjoy Bose, Nishank Motwani, and William Maley, Afghanistan–Challenges and Prospects, Op. cit., pp. 213, 216.

(43) Sumitha Narayanan Kutty, Iran's Continuing Interests in Afghanistan, Op. cit., p. 145.

(٤٤)عليرظا نادر، علي ج. سكوتن، أحمد إدريس رحماني، روبرت ستيوارت، ليلى مهند، النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المُترتبة على الانسحاب الأمريكي، (واشنطن: مؤسسة راند، ٢٠١٤)، ص ٢٢.

(٤٥) انظر:

- مهاجرون أفغان رحّلتهم السلطات الإيرانية يتّهمونها بإساءة المعاملة، فرانس ٢٤، ١١ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3kU99L0.
- اللاجئون والمهاجرون الأفغان أمام مستقبلٍ قاتم في إيران، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، ١٠ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3xatznF

وأمنية عميقة معهما، على نحو ما أُشير[٤٦]. وذلك على النحو التالي:

فالمناطق الحدودية الباكستانية –الأفغانية، والإيرانية - الأفغانية تمثل موطن الاقتصاد غير المشروع والاتجار في المخدرات. ومن ثمَّ طُرح موضوع "الإدارة الفعالة للحدود" لمكافحة المخدرات، وأعمال التهريب عبر الحدود كقضايا محل اهتمام مشترك بين الدول الثلاث، كما أضحت هذه الحدود مواقع تدريبية، ومناطق عمليات لتنظيمات مثل تنظيم الدولة الإسلامية في أفغانستان، وطالبان الباكستانية[٤٧]، التي نشطت بصورة ملحوظة في الوقت الذي سيطرت فيه طالبان على كابول، وتخشى باكستان من امتداد الروابط بين طالبان باكستان وطالبان أفغانستان بما يوفر ملاذات آمنة لأعضاء الحركة[٤٨]، أو أن يبعث انتصار الأخيرة الروح في طالبان الباكستانية، بما يُحْيِي أمل الحركة في تكوين إمارة إسلامية في باكستان على غرار الإمارة الإسلامية في أفغانستان[٤٩]، ويبدو الحل الوحيد في أفغانستان مستقرة وسلمية تعمل جنبًا إلى جنب مع الحكومة الباكستانية[٥٠].

وتشاطر إيران باكستان الاهتمام نفسه بذات القضايا، إذ تعاني إيران من ارتفاع معدلات تعاطي المخدرات –التي مصدرها بالأساس الحدود المشتركة مع أفغانستان- بين سكانها، كما تزدهر تجارة تهريبها عبر حدود إيران إلى أوربا، وبسبب الأوضاع الاقتصادية الإيرانية بات استهلاك المخدرات وبيعه شائعًا في إيران[٥١]. ولذلك عملت إيران، خلال السنوات التي أعقبت أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١، على إقامة منطقة عازلة في هرات، إذ أضحت "مجال النفوذ الاقتصادي لإيران في أفغانستان، فركزت إيران الجزء الأكبر من استثماراتها هناك بإقامة مشاريع البنية التحتية والطرق وإنشاء الجسور والتعليم والزراعة وتوليد الطاقة ومشاريع الاتصالات، كما أُقيمت غرفة تجارة إيرانية أفغانية مشتركة في هرات عام ٢٠٠٩"[٥٢]. فضلًا عن ذلك يعمل أكثر من ٢٠٠٠ شركة إيرانية في أفغانستان في المجالات المختلفة، أهمها مجال البنية التحتية، الذي انخرطت فيه إيران بكثافة ما بعد ٢٠٠١، كما توفر إيران ما يزيد عن ٥٠% من احتياجات أفغانستان من النفط[٥٣]، وهو ما دفع حركة طالبان للدعوة لإعادة استئناف تصدير النفط الإيراني في ٢٤ أغسطس ٢٠٢١ بعد ما كان قد تم تعليقه في ٦ أغسطس من العام نفسه[٥٤].

كما يشكل الخط الحدودي "دوراند" النزاع التاريخي بين باكستان و أفغانستان، إذ رُسمت هذه الحدود عام ١٨٩٣ بيد السلطات البريطانية في الهند، ولطالما اعتبرت أفغانستان أن

(46) Iba Karachi Huma Baqai, Nausheen Wasi, Pakistan-Afghanistan Relations: Pitfalls and the Way Forward, (Islam Abad: The Institute of Strategic Studies Islamabad (ISSI) and Friedrich-Ebert-Stiftung (FES), Pakistan, 2021), p. 34.

(47) Executive Summary and Key Finds, (in) Muhammad Amir Rana (ed), Op. cit., pp. 14, 16.

(48) Madiha Afzal, An Uneasy Limbo for Us-Pakistan Relations Amidst the Withdrawal from Afghanistan, Brookings Institution, 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://brook.gs/3x60hql

(49) Aqil Shah, Pakistan's "Moderate Taliban" Strategy Won't Hold up—for Anyone, Op. cit.

(50) Panel Discussion on "Conversations on the Afghan Peace Process: Pakistan's Role in Afghanistan", Institute of Strategic Studies Islamabad ISSI, 2 November 2021, Youtube, Accessed: 20 November 2021: available at: https://2u.pw/jLiJQ

(٥١)عليرظا نادر، علي ج. سكوتن، أحمد إدريس رحماني، روبرت ستيوارت، ليلى مهند، النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المُترتبة على الانسحاب الأمريكي، مرجع سابق، ص ١٩.

(52) Sumitha Narayanan Kutty, Iran's Continuing Interests in Afghanistan, Op. cit., p. 148.

(53) Srinjoy Bose, Nishank Motwani, and William Maley, Afghanistan—Challenges and Prospects, Op. cit., p. 210.

(٥٤) تلبية لـ"طالبان".. إيران تستأنف تصدير الوقود إلى أفغانستان، وكالة الأناضول، ٢٤ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3nxOE8w.

هذا الترسيم غير عادل، في المقابل تسعى باكستان إلى حكومة في كابول تعترف به رسميًا نزعًا لفتيل أي خلافات مستقبلية بشأنه[٥٥].

من ناحية أخرى، طفت مؤخرًا قضايا استمرار تدفق المياه من أفغانستان إلى باكستان بعدما استثمرت الهند أموالها عام ٢٠١٨ لبناء سد الشحتوت على نهر كابول، ما أثار مخاوف باكستانية من أن تمارس الهند دورًا في تقييد إمدادات المياه إلى باكستان في أوقات الأزمات أو توتر العلاقات بينهما[٥٦].

وكما تخشى إيران تفاقم قضايا انتشار الجماعات الإرهابية المضادة لها على حدودها مع أفغانستان، وموجات هجرة جديدة إلى أراضيها عبر الحدود[٥٧]، تخشى كذلك أي نقصٍ في تدفقات المياه القادمة من أفغانستان –لكن من منطلق مغاير للمنطلق الباكستاني– بسبب شح المياه في الأقاليم الإيرانية الشرقية الملاصقة لأفغانستان؛ إذ يُعد نهر هلمند، الذي تقيم عليه أفغانستان مجموعة سدود لأغراض تنموية، مصدرًا رئيسًا للمياه لإقليمي سيستان وبلوشستان الإيرانيين[٥٨]، ولذلك تُعد هذه القضية من أهم القضايا الخلافية بين أفغانستان وإيران في ظل تلميحات من الحكومة الأفغانية السابقة على طالبان بأن "المياه مقابل النفط"، وهو منطق يُعقد التفاوض في هذا الموضوع، ويجعله من الأمور التي ستكون محل نظر في إدارة قضايا مستقبل العلاقات بين البلدين[٥٩].

على جانب آخر، تنظر باكستان إلى أفغانستان كمحطة مهمة في الوصول إلى جمهوريات آسيا الوسطى[٦٠]، إذ ترغب في أن تعمل أفغانستان كممر تجاري، ومحور لضمان تأثير إسلام أباد في هذه الجمهوريات؛ لتحقيق مصالح اقتصادية ونفطية بالأساس (جيو-اقتصادية)[٦١]، تمثلت في محاولات إبرام اتفاقيات إنشاء خطوط أنابيب نفط تبدأ من تركمنستان وتمر عبر أفغانستان إلى باكستان وإيران، وخط نقل الطاقة بين آسيا الوسطى وجنوب آسيا (CASA-1000)[٦٢]، وكل هذه الخطوط تمثل "أفغانستان مستقرة صديقة لإسلام أباد" عنصر الربط فيها مع باكستان[٦٣]. **ومع ذلك يدخل هذا المنظور باكستان في علاقة تنافس مع قوى إقليمية أخرى، على رأسها إيران خاصةً في مجال الموانئ البحرية**، و"ذلك على خلفية الدور الهندي في تطوير ميناء تشابهار الإيراني، والدور المناظر للصين في تطوير ميناء جوادر الباكستاني، مع سعي الهند لدفع أفغانستان إلى استخدام تشابهار منفذًا لتجارتها إلى دول الجوار تجاوزًا للموانئ والمعابر الباكستانية"[٦٤].

ومن المتوقع أن تشغل هذه القضايا أجندة صناع القرار في الدول الثلاث في المديين المتوسط والبعيد، إذ لا زالت هذه

(55) Ghulam Ali, China–Pakistan Cooperation on Afghanistan: Assessing Key Interests and Implementing Strategies, The Pacific Review, 2020, p. 7.

(56) Elizabeth Threlkeld and Grace Easterly, Afghanistan-Pakistan Ties and Future Stability in Afghanistan, Op. cit., p. 9.

(57) Kayhan Barzegar, Iran's Foreign Policy in Post-Taliban Afghanistan, Op. cit., p. 214.

(٥٨) عليرظا نادر، علي ج. سكوتن، أحمد إدريس رحماني، روبرت ستيوارت، ليلى مهند، النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المُترتبة على الانسحاب الأمريكي، مرجع سابق، ص ص ١٧-١٨.

(٥٩) الموقف الإيراني في أفغانستان بعد انسحاب القوات الأمريكية، مركز الإمارات للسياسيات، مرجع سابق.

(60) Ghulam Ali, China–Pakistan Cooperation on Afghanistan: Assessing Key Interests and Implementing Strategies, Op. cit., p. 3.

(61) Brenda Shaffer, The Limits of Culture: Islam and Foreign Policy, Op. cit., p. 315.

(٦٢) للمزيد بشأن مشروع casa 1000، راجع موقعه، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/fSFx7

(63) Elizabeth Threlkeld and Grace Easterly, Afghanistan-Pakistan Ties and Future Stability in Afghanistan, Op. cit., pp. 12, 14.

(٦٤) سياسة باكستان في أفغانستان بعد انسحاب القوات الأجنبية، مركز الإمارات للسياسيات، ٢٧ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3oKEukc

القضايا على أهميتها وارتباطها بمصالح حيوية للدول الثلاث مؤجلة لحين استقرار الأوضاع في أفغانستان أو حدوث تطورات تستدعي إحدى هذه القضايا على نحو ما ظهر في استئناف وارادت النفط الإيرانية إلى أفغانستان، ومع ذلك تظهر إشارات بين حينٍ وآخر لهذه القضايا، فإيران ألمحت، عقب حدوث هجمات من داعش على مساجد الهزارة في أكتوبر ٢٠٢١، إلى رغبتها في مساعدة طالبان للقضاء على تنظيم الدولة عبر التدخل باستخدام ميليشيات لواء فاطميون[٦٥]، وردت طالبان بالرفض القاطع على هذا العرض[٦٦] في ظل تأكيدها على أن طالبان لا تسمح باستخدام أراضيها لشن أي هجمات ضد أي دولة أخرى بما فيها إيران[٦٧].

٣-الأطراف الثالثة الأخرى (المثلث الموازي): الولايات المتحدة – الهند – الصين:

لن تتحدد العلاقة بين المثلث: الباكستاني – الأفغاني – الإيراني منفصلة عن المثلث الموازي لها: الصين – الهند – الولايات المتحدة، إذ تتشابك علاقات الدول الثلاث الأولى بالدول الثلاث الأخيرة، وتُسهم علاقات كل طرف فيها بتشكيل علاقات الأطراف الأخرى فيما بينها. فبينما يصب خروج الولايات المتحدة من أفغانستان في ناحية تحقيق الهدف الاستراتيجي لإيران المتمثل في رغبتها في إخراج القوات الأمريكية من المنطقة[٦٨]، بما يخفف عنها ضغوط وجود قوات معادية لها (أمريكية) إلى جوارها، ويقلل احتمالات استخدمها ضدها، فإن الخروج الأمريكي ليس له نفس الدلالة بالنسبة لباكستان، إذ كان الملف الأفغاني هو ما يضفي الزخم على العلاقات بينها وبين الولايات المتحدة، ويجعل الأخيرة تقدم لها المساعدات، ما يُمَّكن باكستان لأن توازن الحضور الهندي في أجندة واشنطن. ومن ثمَّ –حسب بعض التعليقات– يمكن أن يقلل الانسحاب الأمريكي من أهمية باكستان في مقابل الهند لدى الولايات المتحدة بصفةٍ عامة في ظل عزم الإدارة الأمريكية بقيادة بايدن على قصر الاهتمام بينها وبين إدارة عمران خان على الملف الأفغاني[٦٩].

ومع ذلك ترد تعليقات أخرى باحتمالات أن يعلي الانسحاب من شأن باكستان في لعبة التوازنات الإقليمية في ظل وجود طالبان المقربة منها في الحكم، وذلك إذا أخذنا في الاعتبار أن الولايات المتحدة هي من كانت تشجع الهند على لعب دور الموازن لباكستان في أفغانستان من مدخل إعادة الإعمار[٧٠]، وأن ما يحفظ لباكستان أهميتها لدى واشنطن هو إمكانية استخدام الجيش الأمريكي المجال الجوي الباكستاني؛ إذ يوفر تواجد القواعد الجوية الأمريكية في باكستان فرصة لمكافحة الإرهاب في أفغانستان بما يحول دون أن تصبح أفغانستان مرة أخرى مركزًا للجماعات الإرهابية العابرة للحدود الوطنية مثل القاعدة وداعش[٧١]. كما يبقى لدى الولايات المتحدة اهتمام قائم

(٦٥) مجموعة مقاتلين أفغان يعتنقون المذهب الشيعي جندتهم إيران لصالحها، ووظفتهم في الصراع في سوريا. ولكن مع وصول طالبان للسلطة، وانسحاب القوات الأمريكية، عاد ذكر لواء فاطميون في المشهد الأفغاني واحتمالات عودتهم واستخدامها في الداخل الأفغاني، في حين مازالت تؤكد إيران وقادة اللواء عدم وجود نية حالية في العودة لأفغانستان بمهمة عسكرية. للمزيد، انظر:

- «لواء فاطميون» المدعوم من إيران يتفادى بحذر الاشتباك مع «طالبان»، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، ٢ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3qRM5QN.

(٦٦) محمد مجيد، «طالبان» ترفض عرض إيران مساعدتها ضد «داعش»، القبس الدولية، ٢١ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/2Z7AVvN.

(٦٧) طالبان: لن نسمح لداعش بالاعتداء على ايران انطلاقًا من اراضي أفغانستان، ميدل إيست نيوز، ٦ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3FCU2gT

(٦٨) طالبان وتأثيراتها في الشرق الأوسط، مركز كارنيجي الشرق الأوسط، مرجع سابق.

(69) Post Afghanistan, Us-Pakistan Relations Stand on the Edge of a Precipice, Brooking Institute, 13 October 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://brook.gs/3DElha2.

(70) Umer Farooq, Afganistan as Seen from Pakistan, Op. cit., p. 1-2.

(71) Afghanistan: What Taliban Takeover Means for the Region, DW, 19 August 2021, Accessed: 20 November 2021, available at:https://bit.ly/3HPzFPs.

بباكستان بسبب سياستها النووية في ظل وضع أمني غير مستقر، إذ تخشى من وقوع أسلحة نووية في يد جماعات إرهابية[٧٢].

وبذلك يُعد العامل الهندي من أهم مرتكزات السياسة الباكستانية في أفغانستان، فمع سيطرة طالبان يُنظر إلى أن باكستان قد أضحت على مقربة من تحقيق "العمق الاستراتيجي"[٧٣] المأمول في أفغانستان، الذي يعني إنهاء أي نفوذ حقيقي للهند في أفغانستان أو على الأقل فيما يتصل بصنع القرار في كابول بشكل خاص، ووقف دعمها للجماعات المناهضة لباكستان عن طريق أفغانستان[٧٤]. وهو ما دفع باكستان -كما سبق وأشرنا- إلى الاعتراض على مشروع السد الذي تموله الهند، ويجعلها تعترض على تطوير الهند لميناء تشابهار الإيراني.

وهو ما يدفع باكستان من جانب آخر إلى تطوير علاقتها بالصين، فانضمت لمبادرة الحزام والطريق، ودعمت انضمام أفغانستان لها[٧٥]. كما رأت في الصين القدرة على تقديم ما لا تستطيع باكستان تقديمه لأفغانستان، ما يمكنها أن تلعب على أقل تقدير دور الموازن في مقابل الهند[٧٦].

أما إيران فنمت علاقات وثيقة بينها وبين الهند خاصةً في ظل تطوير الأولى للميناء الإيراني، الذي يرغب البلدان في أن يكون محطة نقل البضائع بينهما عبر أفغانستان إلى آسيا الوسطى[٧٧]، كما نمت علاقات بينها وبين الصين أيضًا، إذ وقعت اتفاق لتعزيز التعاون الاستراتيجي مع الصين لمدة ٢٥ عام، وستلعب أفغانستان صديقة طهران دورًا كبيرًا في دفع تنفيذ بنود الشراكة مع الصين[٧٨].

خاتمة: إطلالة على سيناريوهات المستقبل

بناءً على هذه القراءة الأولية، يمكن القول إن وضع إيران الإقليمي يمكن أن يأخذ دفعةً كبيرة في ظل التطورات التي شهدتها أفغانستان إذا ما استمرت في التشاور مع حكومة طالبان، وتنسيق سياساتها مع القوى الإقليمية؛ عزز ذلك رصيد العلاقات الإيرانية الإقليمية الودية مع كل القوى الرئيسية الفاعلة في أفغانستان، وقدرتها على التحاور معها، في المقابل، وعلى الرغم من أن وصول طالبان للحكم يسبب ارتياح لإسلام أباد إلا أن استمرار الصراع الباكستاني –الهندي يحد من خياراتها الإقليمية، ويجعلها تنظر بحذر لتطوير علاقات الأطراف الأخرى ومنها حكومة طالبان وإيران بالهند. وفي هذا الإطار يمكن وضع ثلاثة سيناريوهات أو مشاهد لمستقبل العلاقات بين المثلث: باكستان – أفغانستان - إيران.

السيناريو الأول: التقارب الباكستاني – الإيراني – الصيني

يفترض هذا السيناريو نمو الدور الصيني في أفغانستان وفي المنطقة ليصبح محور ربط بين الدول الثلاث، فيزيد دوره في باكستان، وتُفعل شراكته مع إيران، ويدخل شريك أساسي

(72) Marvin Kalb, The Agonizing Problem of Pakistan's Nukes, Brooking Institute, 28 September 2021, Accessed: 20 November 2021, available at: https://brook.gs/3qWzwni.

(73) Ijaz Khan, Pakistan's Strategic Culture and Foreign Policy Making: A Study of Pakistan's Post 9/11 Afghan Policy Change, Op. cit., pp. 27-28.

(74) Iba Karachi Huma Baqai, Nausheen Wasi, Pakistan-Afghanistan Relations: Pitfalls and the Way Forward, Op. cit., pp. xii, 118.

(75) Ghulam Ali, China–Pakistan Cooperation on Afghanistan: Assessing Key Interests and Implementing Strategies, Op. cit. pp. 11-12.

(76) Executive Summary and Key Finds, Op. cit., p. 13.

(٧٧) عليرظا نادر، علي ج. سكوتن، أحمد إدريس رحماني، روبرت ستيوارت، ليلى مهند، النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المُترتبة على الانسحاب الأمريكي، مرجع سابق، ص٢٧.

(78) Ali Fathollah-Nejad, Hamidreza Azizi, Iran and the Taliban after the US fiasco in Afghanistan, Middle East Institute, 22 September 2021, Accessed: 28 November 2021, available at: https://bit.ly/2Zuokmn.

لحكومة طالبان في إعادة الإعمار، وبذلك تقترب حكومة إيران من باكستان بقدر بعدها عن الهند، مع الإبقاء على الصلات الاقتصادية بينهما، وبذلك تجد حكومة طالبان نفسها مضطرة للتنسيق القوي مع كلٍ من: باكستان، وإيران، والصين، في ظل علاقات هامشية مع حكومة نيودلهي. يفترض هذا السيناريو أيضًا اقتناع الأطراف المعنية بأهمية دور باكستان –في مقابل الهند- في التأثير على طالبان، ويمكن أن يؤدي هذا التقارب إلى تسريع الاعتراف بحكومة طالبان، وحل الكثير من القضايا العالقة في الأجل المتوسط كالحدود، وتدفق اللاجئين، والتبادل التجاري.

السيناريو الثاني: التباعد الباكستاني – الإيراني في ظل علاقة الأخيرة مع الهند

يعتمد هذا السيناريو -على النقيض من الأول- على نمو الدور الهندي، وعلى تطورات سلوك حكومة طالبان، وعلاقاتها بالقوى الإقليمية وعلى رأسها الهند، وفيه يميل سلوك طالبان إلى الابتعاد عن التنسيق مع باكستان، وتتخذ قرارات بعدم تخلها عن الحركات المسلحة الموجهة ضد باكستان أو غضها الطرف عن نشاطها، في إطار هذا السيناريو تميل طالبان أيضًا لموازنة علاقتها مع الهند، والقبول بدور أكبر لها، في الوقت الذي توسع فيه طهران علاقتها مع نيودلهي (وهو أمر يصب تجاه تباعد باكستاني إيراني)، وتزيد فيه التنسيق معها في أفغانستان، هذا في مقابل تراجع للدور الصيني في أفغانستان والإقليم، وهامشيته كمنظم للعلاقات بين المثلث: باكستان – أفغانستان - إيرن. بالإضافة إلى ذلك، لا تستطيع حكومة طالبان إيقاف هجمات تنظيم القاعدة ضد مجموعات الشيعة الهزارة، ما يُصعد الاختلافات المذهبية بين إيران وطالبان إلى مستوى الخلاف، ويزيد العداء بين الدولتين، وبين كل أضلاع المثلث بصفة عامة. يقلل هذا السيناريو من فرص الاعتراف بحكومة طالبان في الأجل القصير، بل يدفع ناحية الانهيار وعدم الاستقرار في أفغانستان ومجمل الإقليم.

السيناريو الثالث: التوازن الصعب

ينبني هذا السيناريو على "تحقيق مصلحة الإقليم ككل"، ويقوم على مفهوم التوازن بصورة أساسية بين كل الأطراف، فالصين تدخل لموازنة قوة الهند الاقتصادية في أفغانستان، كما تقوم حكومة طالبان بموازنة علاقاتها بين الهند وباكستان، وبالمثل تفعل إيران، في المقابل تجد باكستان نفسها مجبرة على التخلي عن عقيدة "العمق الاستراتيجي"، وتتعاطى مع الأطراف المختلفة، مع تحول طالبان من عقلية الإمارة أو الحركة إلى عقلية الدولة، ما يدعم ظهور اتجاهات مستقلة للسياسة الخارجية الأفغانية بعيدة عن إملاءات دولة بعينها. ورغم أن هذا لا يسرع بالاعتراف بحكومة طالبان إلا أنه يضمن تحقيقه على الأقل في الأجل المتوسط، وبنطاق أوسع من السيناريو الأول، كما يمكن أن يحقق على المدى الطويل استقرار أفغانستان، حين تستطيع طالبان أن تلعب دور حيادي في إقليم مضطرب.

وفي المجمل لا يمكن التحقق من أي السيناريوهات أقرب للوقوع في الأجلين المتوسط والبعيد، وإن كان السيناريو الثاني لا يجد شواهده في المدى القصير؛ لأنها ترتبط بالأساس بحسابات الدول الإقليمية والمجاورة لأفغانستان، وبعقليات صناع القرار: هل ستُرَجِح عوامل "الرشد" في صنع القرار، أم سيكون للعوامل النفسية دور ما في قراءة السياقات المُعقدة أصلًا؟ وهل ستُرَجِح الآني على حساب الاستراتيجي؟ وكيف ستتعامل مع القضايا العالقة؟ وماذا ستستدعي من الذاكرة التاريخية؟ كما يرتبط أيضًا الأمر برؤية أجهزة صنع القرار في هذه الدول، واتجاهات الجهات التي تستطيع إنفاذ رؤيتها مدنيةً كانت أو عسكرية.

*****

الانسحاب الأمريكي من أفغانستان: مواقف وتداعيات قطر والسعودية وتركيا[*]

محمود عاشور مؤمن[**]

مقدمة:

أدَّت سيطرة حركة طالبان على العاصمة الأفغانية منتصف شهر أغسطس ٢٠٢١، وفرار الرئيس الأفغاني أشرف غني إلى طاجيكستان ثم إلى الإمارات العربية المتحدة بعد انهيار الحكومة الأفغانية وانهيار القوات الأمنية الأفغانية ذات التدريب الأمريكي، إلى إرباك المشهد السياسي في منطقة الشرق الأوسط شديدة التعقيد أصلًا. فاتَّسمت مشاهد الإجلاء من مطار كابول الدولي بالفوضى مما أدَّى إلى المزيد من حالة الضبابية وعدم اليقين بعد الانسحاب الأمريكي من أفغانسان، على الرغم من الإعداد لتلك اللحظة والإعلان عنها قبل حدوثها بأشهر، بعد توقيع اتفاق السلام بين حركة طالبان والولايات المتحدة في ٢٩ فبراير ٢٠٢٠ في العاصمة القطرية الدوحة[(١)].

ومنذ توقيع الاتفاق، أخذت الدول ترتِّب أوضاعها ما بعد الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، خاصَّةً وأن هذا الانسحاب -وبالطريقة التي تمَّ بها لاحقًا- يدلِّل على فشل الولايات المتحدة في إنجاز انتصار حاسم ضد حركة طالبان على مدى ١٩ عامًا من القتال العسكري بين الولايات المتحدة وحلف الناتو من جهة، وبين الحركة المسلحة التي سيطرت على حكم أفغانستان لعدة سنوات سابقة من جهة أخرى. وهو ما يسلط الضوء على محدودية القوة العسكرية والتدخلات القسرية ومدى نجاعتها في تحقيق أهدافها من جانب. ومن جانب آخر، يساهم في تصوير الولايات المتحدة على أنها حليف غير موثوق به، وأنها تتراجع عن الاضطلاع بمسئولياتها العالمية[(٢)]. ومن ثم، أخذت دول المنطقة زمام المبادرة وبدأت حراكًا إقليميًّا يسعى لتغيير خريطة تحالفات الشرق الأوسط بهدف التأقلم مع الوضع الجديد بعد انحسار الدور الأمريكي في المنطقة.

وعليه، يركِّز هذا التقرير على مواقف ومصالح وردود أفعال كل من قطر والسعودية وتركيا على الانسحاب الأمريكي من أفغانستان وسيطرة حركة طالبان على العاصمة الأفغانية كابول.

أولًا- قطر: من الحياد للوساطة للتأثير المباشر

على الرغم من عدم اعتراف دولة قطر بحكومة طالبان إبان سيطرتها على أفغانستان وإعلان الإمارة الإسلامية ١٩٩٦-٢٠٠١ أو إقامة علاقات دبلوماسية معها، إلا أنها لم تشارك في الحرب الأمريكية على أفغانستان ٢٠٠١[(٣)]، ومن جانب آخر فقد احتفظت الدوحة باتصالات مع الحركة خلال تلك الفترة، وقد تزايد أن الدور القطري بالنسبة للأحداث في أفغانستان منذ العام ٢٠١٣، حيث افتتحت الحركة مكتبًا سياسيًّا لها في الدوحة بالتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية، وأصبحت الدوحة منذ ذلك الحين مقر المفاوضات المباشرة بين الولايات المتحدة وحركة طالبان، وتكلَّلت جهود الدوحة أخيرًا بعد سبع

---

* يتقدم الباحث بالشكر والعرفان للزميل أحمد سعيد الخليفة على ما قدمه من عون وما بذله من مجهود في جمع الكثير من المادة الأولية لهذا التقرير.

** باحث في العلوم السياسية.

(١) للمزيد حول الاتفاق وبنوده الرئيسية، انظر: واشنطن وطالبان توقعان اتفاقا تاريخيًّا في الدوحة، DW، ٢٩ فبراير ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://p.dw.com/p/3Yea9

(2) Ari Heistein and Others, A Deal with the Devil? Terms, Implications, and Risks of the US-Taliban Accord, INSS Insights, Institute for National Security Studies, No. 1270, 8 March 2020, p. 3.

(٣) أرسلت الإمارات العربية المتحدة فرقة عسكرية تحت رعاية بعثة الناتو التابعة للقوة الدولية للمساعدة الأمنية، وشاركت في مهام التدريب والدعم، وبعض المهام القتالية خلال الفترة ٢٠٠٣-٢٠١٤، أثناء التدخل العسكري الغربي في أفغانستان.

سنوات من المفاوضات بتوقيع اتفاق سلام بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية وحركة طالبان في ٢٩ فبراير ٢٠٢٠.

وبفضل هذا الدور المحوري الذي استطاع تخليص الولايات المتحدة من أطول حروبها في الخارج، فقد حصلت قطر على موقف دبلوماسي متميز في النظام الدولي عمومًا، وبالنسبة للولايات المتحدة بشكل خاص. حيث أصبحت بذلك أقرب حلفاء الولايات المتحدة علاقةً بطالبان من جهة، وأقرب حلفاء طالبان علاقةً بالولايات المتحدة من جهة أخرى. وبالنظر لقائمة الدول ذات العلاقة مع طالبان (التي تضم قطر وتركيا وروسيا والصين وباكستان)، فقطر هي الحليف الأكثر موثوقية بالنسبة لواشنطن من بين تلك الدول[٤].

وعلى الرغم من الدور الذي لعبته قطر في إنجاح تلك المهمة، إلا أنها اتخذت موقفًا معتدلًا إزاء الأحداث في أفغانستان، حيث لم ترحب بسيطرة طالبان على الحكم في منتصف أغسطس، ودعا بيان الخارجية القطرية لوقف فوري وشامل ودائم لإطلاق النار، ودعت لانتقال سلمي للسلطة في أفغانستان يستوعب كافة الأطراف الأفغانية. وعلى الجانب الآخر، فإن قطر ما زالت تحشد الدعم الدولي لحكومة طالبان الجديدة، عبر إبرازها أخطار التهديد الإرهابي الذي قد ينجم من عزل أفغانستان؛ فالمقاربة القطرية في ذلك تقوم على أن الانخراط والتعامل مع الحركة والحكومة الجديدة في أفغانستان سيساعد الأصوات المعتدلة في الحركة "على توفير حافز لتكون أكثر نفوذًا وفعالية في حكومتها"[٥].

ويمكن إرجاع عدم الاعتراف القطري بالحكومة الجديدة، على الرغم من استمرار التعاون بينهما، لسببين رئيسين، **الأول**: هو عدم المبادرة بمثل تلك الخطوة بعيدًا عن التنسيق مع الولايات المتحدة، مثل باقي دول المنطقة. و**الثاني**: هو رغبة صانع القرار القطري في التمهُّل والحكم على طالبان بناء على سلوكها وعلى الوضع على الأرض؛ تجنُّبًا لزيادة الصدْع في المنطقة، حيث تبدو الدوحة أقل اندافعًا في تأييد حركة طالبان ذات الخلفية الإسلامية، بسبب موقفها السابق من القوى الإسلامية إبان ثورات الربيع العربي، وما ترتَّب عليه من توتُّر متكرِّر مع قوى إقليمية، مثل مصر والسعودية والإمارات، التي تنظر بعين العداء لتلك الجماعات[٦].

على الجانب الآخر، فإن قطر تعد المستفيد الأكبر من الوضع الحالي لأفغانستان على عدة جوانب:

- **أولها**- أن سيطرة الحركة على كابول يساعد الدوحة في استثمار علاقتها السابقة معها منذ ٢٠١٣ للحصول على نفوذ أكبر في أفغانستان، كما يمكنها من القيام بدور بارز في ملف إعادة إعمار أفغانستان، حيث أتاح فرار الحكومة الأفغانية السابقة الفرصة أمام حركة طالبان لتولِّي إدارة البلاد منفردة بحكم ما تتمتَّع به من قوة على الأرض.

- **وثانيها**- أن الدوحة استطاعت أخيرًا جني ثمار طموحها ذي الثلاثة عقود في لعب دور خارجي مستقل عن القطبين الإقليميين: إيران والسعودية[٧].

- **وثالثها**- زيادة الدور القطري على المستوى الدولي واعتماد الدول الأجنبية على قطر بوصفها وسيطًا موثوقًا فيه. حيث لم ينتهِ الدور القطري عند توقيع اتفاق السلام بين طالبان والولايات المتحدة في فبراير ٢٠٢٠، كما أنه لم يفشل بفشل المفاوضات الأفغانية - الأفغانية عقب سيطرة الحركة على العاصمة، بل ازداد الدور الدبلوماسي للدوحة؛ إذ نقلت عدَّة دول سفاراتها من كابول إلى الدوحة، على رأسها الولايات

(4) Kirsten Fontenrose, What the Arab Gulf is thinking after the Afghanistan withdrawal, Atlantic Council, 23 September 2021, Accessed: 2 November 2021, available at: https://bit.ly/3GhzIlx

(5) Ibid.

(٦) توم بيتمان، أفغانستان: قطر وتركيا تمثلان حبل نجاة لحركة طالبان وحلقة وصل لها بالعالم الخارجي، بي بي سي عربي، ٢ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bbc.in/3lmmcEZ

(٧) المرجع السابق.

المتحدة والمملكة المتحدة[٨]. كما شهدت الدوحة في شهر أكتوبر ٢٠٢١ محادثات بين حكومة طالبان من جهة، وبين دبلوماسيين أمريكيين وممثلين لنحو ١٠ دول أوروبية والاتحاد الأوروبي من جهة أخرى، وهي المحادثات الأولى وجهًا لوجه منذ سيطرة طالبان على العاصمة الأفغانية[٩]، فضلًا عن عدة جولات أخرى في الدوحة مع ممثلين عن حكومات الصين وألمانيا وغيرهما.

وليس أدلّ على المكانة التي حظيت بها قطر على خلفية دورها في إنجاح مفاوضات السلام بين الحركة وواشنطن، ودورها في إجلاء الأجانب والأفغان الفارين بعد سيطرة طالبان على البلاد، وتقديم الرعاية لهم، من زيارة وزيري الخارجية والدفاع الأمريكيين إلى الدوحة تقديرًا للدور القطري، معربين عن امتنان بلادهما لهذا الدور من جهة، وعن متانة الشراكة بينها وبين قطر من جهة أخرى؛ وقد عبر عن ذلك وزير الخارجية الأمريكي بقوله: "لن ينسى الرجال والنساء والأطفال الذين مرُّوا من هنا حُسن صنيعكم معهم في لحظة محورية في حياتهم، ولن ننسى ذلك نحن أيضًا"[١٠].

ومن أجل تحقيق أقصى استفادة قطرية من الوضع الحالي، فإن عليها التأكُّد دائمًا من التزام طالبان بتعهداتها، سواء على الجانب السياسي في إدارة البلاد وتوسيع رقعة المشاركة السياسية لمختلف أطياف المجتمع الأفغاني متعدِّد العرقيات، أو على الجانب الأمني وعدم تمثيل أفغانستان أي تهديد لأي بلد خارجي، سواء للولايات المتحدة أو لجيرانها الإقليميين. أما عن الاعتراف القطري بحكومة طالبان فإنه يظل مرهونًا بالمقاربة الدولية للتعامل مع الحكومة الجديدة في كابول، والذي ينتظر بدوره من طالبان إثبات أنها تتبع نهجًا أكثر انفتاحًا من ذي قبل، واحترامها لحقوق المرأة ولحقوق الأقليات، وأن طالبان ٢٠٢١ مختلفة عن طالبان ١٩٩٦، وهو ما يؤكده دائمًا قادة حركة طالبان أنفسهم.

ثانيًا- تركيا: التعاطي مع الأحداث والبحث عن النفوذ

على عكس قطر، شاركت تركيا قوات حلف الناتو في حربها على حركة طالبان ٢٠٠١، إلا أنها امتنعت عن المشاركة في الحملات العسكرية ضد الحركة، واكتفت بخدمات عسكرية غير قتالية تمثَّلت في الدعم اللوجستي والأمني، مثل تأمين مطار كابول، وتبادل المعلومات الاستخباراتية، والمشاركة في التمويل والتدريب في المدارس العسكرية الأفغانية، كما أنها رعت التواصل السياسي لمختلف العرقيات التركية في أفغانستان[١١]، وقدمت مساعدات واستثمارات اقتصادية لتعزيز القطاع الخاص[١٢]، وهو ما يبرر ما تتمتع به تركيا من سمعة طيبة بين صفوف الشعب الأفغاني، وبعلاقات متوازنة مع حركة طالبان.

وقد انخرطت تركيا بفعالية في النشاط الدبلوماسي في عملية السلام الأفغانية، حيث كان من المقرَّر أن تستضيف مؤتمر سلام أفغاني في أبريل ٢٠٢١ قبل انتهاء مهلة انسحاب القوات الأمريكية "لوضع اللمسات الأخيرة على اتفاق سلام" بين حكومة كابول وحركة طالبان، وبحضور ممثلين عن كل من

---

(٨) دول أجنبية تنقل سفاراتها من كابول إلى الدوحة، العربي الجديد، ١ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/31BHqHR

(٩) أميركا تتحدث عن "مناقشات مثمرة" مع طالبان بالدوحة وقمة الـ٢٠ تتعهد بمساعدات إنسانية، الجزيرة، ١٣ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3dq5yjE

(10) Secretary Antony J. Blinken and Secretary of Defense Lloyd J. Austin, Qatari Deputy Prime Minister and Foreign Minister Mohammed bin Abdulrahman Al Thani, and Qatari Deputy Prime Minister and Defense Minister Dr. Khalid bin Mohammed Al Attiyah at a Joint Press Availability, US Department of State, 7 September 2021, Accessed: 5 November 2021, available at: https://bit.ly/3xWWoo4

(١١) مثل الأوزبك والهزارة والتركمان. للمزيد حول التركيبة السكانية في أفغانستان، انظر: أفغانستان: ما التركيبة القومية والدينية لهذا البلد الذي لم يعرف الاستقرار منذ نصف قرن؟، بي بي سي عربي، ٢٧ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bbc.in/3xXbTw9

(12) Ezgi Yazici and Others, Turkey Aims to Play Stabilizing Role in Afghanistan after NATO Withdrawal, Institute for The Study of War, 3 September 2021, Accessed on: 9 November 2021, available at: https://bit.ly/3lyAj43

روسيا والصين وباكستان وإيران والهند والولايات المتحدة، وذلك بالتنسيق مع الدوحة[١٣]؛ غير أن رفض حضور طالبان لهذا الاجتماع حال دون انعقاده؛ ما دفع تركيا لاستضافة لقاء افتراضي بين وزراء خارجية كل من تركيا وباكستان وأفغانستان لتأكيد الالتزام بدعم قيام أفغانستان ذات سيادة ومستقلة وديمقراطية وموحدة، وتجديد الدعوة لوقف إطلاق النار الفوري وتوفير المناخ المناسب لمحادثات السلام، وحثَّ حركة طالبان على الالتزام بمصالحة شاملة تتم عبر المفاوضات[١٤].

وقد اتخذت أنقرة موقفًا إيجابيًّا من حركة طالبان، وبدأت مباشرة في استثمار علاقاتهما الجيدة عبر الانخراط المباشر في محادثات بينهما، فبعد أقل من أسبوعين من سيطرة الحركة على العاصمة، بدأت أنقرة محادثات مباشرة معها حول إدارة مطار كابول، حيث أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أن بلاده أجرت محادثات مع الحركة استغرقت ثلاث ساعات ونصف، في الجزء العسكري من مطار كابول، حيث تتمركز السفارة التركية في أفغانستان، ويقع الخلاف بين الجانبين في تحمُّل مسئولية تأمين المطار، ففي حين تريد طالبان قصر الدور التركي على الإدارة اللوجيستية للمطار، تسعى تركيا أيضًا إدارة تأمين المطار، وهو ما اكتسب أهمية كبيرة للجانب التركي بعد التفجير الذي وقع أمام المطار قرب انتهاء عمليات الإجلاء وأدَّى لوفاة عشرات الأشخاص بينهم جنود أمريكيون[١٥].

حيث أصرَّت الحركة على خروج كل القوات الأجنبية من كامل الأراضي الأفغانية، كما اعتبرت الحركة أن أي وجود أجنبي هو بمثابة احتلال، ولهذا قوبل الطلب التركي بتأمين المطار بالرفض. ومع ذلك، فإن الحركة تعاطت بإيجابية مع العرض التركي بتقديم المساعدة الفنية. كما طلب المتحدث باسم طالبان محمد نعيم الدعم التركي في عدد من المجالات، مثل إعادة الإعمار، والاقتصاد، والرعاية الصحية، والتعليم[١٦].

وعقب تشكيل الحكومة الجديدة في أفغانستان، التقى وزير الخارجية التركي نظيره الأفغاني في الحكومة المؤقَّتة في أنقرة منتصف شهر أكتوبر، معربًا عن استعداد بلاده لمساعدة طالبان في تجاوز الأزمة الإنسانية التي تعيشها أفغانستان، وداعيًا المجتمع الدولي إلى "الانخراط" مع حكومة طالبان بهدف حماية الاقتصاد الأفغاني، مؤكِّدًا في نفس الوقت على أنه "يختلف الاعتراف عن الانخراط"، وقد انتهت الزيارة من دون التوصُّل لأي اتفاق فيما يتعلَّق بكيفية إدارة وتشغيل مطار كابول الدولي[١٧].

تحاول تركيا من هذا التقارب مع حركة طالبان استغلال الوضع الإقليمي الجديد لزيادة نفوذها في محيطها الإقليمي، حيث أفسحت واشنطن المجال أمام تركيا للعب دور أقوى في أفغانستان ما بعد الانسحاب الأمريكي، من خلال دعوة الرئيس الأمريكي جو بايدن في خطاب ألقاه في ١٤ أبريل ٢٠٢١ دول المنطقة لـ"بذل المزيد من الجهود لدعم أفغانستان، وخاصة باكستان، وكذلك روسيا والصين والهند وتركيا"[١٨].

كما أن تركيا تمتلك عدَّة عوامل تمكِّنها من لعب دور في أفغانستان، حيث يمكن لهذا الدور أن يضمن تحقيق مكاسب لكل من تركيا ولحركة طالبان على السواء. فتركيا من جهة هي

(١٣) تركيا تعتزم استضافة مؤتمر سلام أفغاني في أبريل، العربية.نت، ١٢ مارس ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://ara.tv/jfxyf

(١٤) تركيا وباكستان وأفغانستان تدعو "طالبان" للالتزام بمصالحة شاملة، وكالة الأناضول، ٢٣ إبريل ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3lfxFpL

(١٥) تركيا تجري أول محادثات مع طالبان.. وأردوغان يكشف التفاصيل، سكاي نيوز عربية، ٢٧ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط: https://bit.ly/3pesul6

(١٦) زاهر البيك، تركيا وطالبان.. ما نقاط الاختلاف والالتقاء؟، الجزيرة، ١٤ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٨ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/31wtor6

(١٧) تركيا مستعدّة لمساعدة «طالبان» دون اعتراف بحكمها، جريدة الشرق الأوسط، ١٤ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3rqlH0K

(18) Remarks by President Biden on the Way Forward in Afghanistan, The White House, 14 April 2021, Accessed: 18 November 2021, available at: https://bit.ly/3nZ7gyh

الدولة المسلمة الوحيدة في حلف شمال الأطلسي، وهي الدولة العضو الوحيدة في الناتو التي لها وجود كبير في أفغانستان، وهو ما يعني أن لها نفوذًا على الجانبين لضمان تحقيق مصالح كافة الأطراف، ويمكن لتركيا حصد الكثير من المميزات والفوائد من دورها في أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي، مثل[١٩]:

- **تعزيز الدور الأمني التركي:** حيث تقدِّم تركيا تدريبًا عسكريًا وصفقات تعاون أمني لعدد متزايد من الدول النامية، فقد استضافت القوات التركية قوات الأمن الأفغانية والصومالية والأذربيجانية والباكستانية والليبية وغيرها من أجل تدريبات بناء القدرات كجزء من مهام الناتو أو خارجها. ومن المرجَّح أن تواصل تركيا تدريباتها مع أفغانستان وتقدِّم فرصًا جديدة للتعاون التقني والعسكري لحكومة طالبان، وهو ما يتماشى مع أهداف الناتو في الحفاظ على أمن واستقرار أفغانستان.

- **إدخال شركات تركية إلى أفغانستان ضمن جهود إعادة الإعمار:** حيث ستعمل تركيا على توفير فرص بناء واستثمار في أفغانستان من أجل الربح ولإفادة الاقتصاد التركي، خصوصًا مع وجود ٧٦ شركة تركية عاملة في أفغانستان، حقَّقت ٧٠١ مشروعًا بقيمة ٦,٦ مليار دولار أمريكي تقريبًا بين عامي ٢٠٠٣ و ٢٠١٨[٢٠].

- **تحسين مكانة تركيا داخل الناتو:** تركيا هي واحدة من دول الناتو القليلة التي ستحتفظ بتمثيل دبلوماسي في أفغانستان، كما أنها على اتصال دائم بالعديد من أصحاب المصلحة لمناقشة التطورات في أفغانستان والمطالبة بالدعم المالي، وهو ما يعني أن أنقرة ستسعى لاستخدام موقعها المتميز في أفغانستان والوصول إليها لتحسين العلاقات مع حلفاء الناتو، ولا سيما الولايات المتحدة، وضمان حصولها على تنازلات من دول الناتو.

أما على المستوى المحلي التركي، فإن تعميق علاقات تركية أفغانية "يُتيح للرئيس أردوغان توسيع رقعة الشطرنج الخاصة بسياسته الخارجية"، وزيادة الدعم الشعبي من القواعد المؤيدة لحزب العدالة والتنمية، خصوًصا أولئك الذين يستحضرون تاريخ تركيا العثماني في علاقاتها مع الدول الإسلامية[٢١].

وبالنسبة لحركة طالبان، فإن علاقاتها مع تركيا سوف تضمن لها إضفاء الشرعية الدولية على حكومتها وتسهيل وصولها إلى الأنظمة المالية العالمية، بفضل ما تتمتَّع به أنقرة من علاقات دولية جيدة مع دول حلف شمال الأطلسي، والدول الغربية بشكل عام.

وعلى الرغم من الحوافز لدى كلٍّ من تركيا وطالبان لتعزيز العلاقات بينهما، فإن تركيا لم تعترف بعدُ بحركة طالبان، كما أنه توجد عدَّة عوائق تقلِّل من حماسة أنقرة بالترحيب بحركة طالبان، منها: ١) الانغماس التركي في أحداث كل من سوريا وليبيا والحرب الأذرية الأرمينية خصوصًا مع قلة حلفاء أنقرة. ٢) التكلفة الدبلوماسية والسياسية المتزايدة على حكومة أردوغان، خصوصًا مع اقتراب الانتخابات التركية ٢٠٢٣. ٣) الانتظار للتعرُّف على سلوك طالبان لتجنُّب أن تكون تركيا دولة راعية لنظام سياسي موسوم بالإرهاب ويتبع سياسة قاسية بناء على فهمه للشريعة. ٤) رفض الجمهور التركي الوجود الدائم لقوات بلادهم في أفغانستان؛ ما قد يدفع أنقرة لإعطاء الأولوية للأدوار السياسية والدبلوماسية على حساب الأدوار الأمنية والعسكرية[٢٢].

كل تلك الأسباب تجعل حكومة حزب العدالة والتنمية في تركيا تتحسَّسُ مواضع قدميها في علاقتها مع طالبان، وعدم التسرُّع في الاعتراف بحكومتها الحالية، وهو ما يمكن اعتباره

(19) Ezgi Yazici and Others, Turkey Aims to Play Stabilizing Role in Afghanistan after NATO Withdrawal, Op. cit., p. 2.

(٢٠) توم بيتمان، أفغانستان: قطر وتركيا تمثلان حبل نجاة لحركة طالبان، مرجع سابق.

(٢١) المرجع السابق.

(22) Iain Macgillivray, Turbulence, the Taliban, and Turkey's role in Afghanistan's future, The Interpreter - Lowy Institute, 6 September 2021, Accessed: 18 November 2021, available at: https://bit.ly/3pfOXEx

درسًا تعلَّمته أنقرة من مواقفها السابقة إزاء الثورات العربية ٢٠١١.

بجانب ما سبق من أسباب تجعل تركيا غير مستعدَّة الآن للاعتراف بحركة طالبان، فإن تعامل حركة طالبان مع العرقيات التركية في أفغانستان سيكون أحد محددات العلاقة بين تركيا وطالبان، حيث عملت تركيا على تنمية علاقاتها مع العرقيات التركية في أفغانستان، وهي عرقيات تاريخيًّا في خصومة ميدانية مع حركة طالبان ذات الغالبية البشتونية[٢٣]. ومن ثم فإن تركيا ترى أن الدفاع عن حقوق تلك العرقيات واجب عليها إذا ما تعرَّضت للخطر من قبل طالبان؛ ولهذا فقد دعت تركيا لإنشاء حكومة أفغانية "تضم جميع الأطراف السياسية والعرقية في البلاد"[٢٤]. من جهة أخرى، فإن تطوير تركيا لعلاقات مع تلك العرقيات بما يهدد سلطة طالبان قد يمثل تهديدًا لعلاقة تركيا بالحركة[٢٥]، خصوصًا في ضوء العلاقات التاريخية بين أنقرة وبين القائد الميداني الأوزبكي عبد الرشيد دوستم[٢٦]. وستسعى تركيا لبناء علاقات متوازنة مع كافة أطياف الشعب الأفغاني حتى لا تضيع فرصة زيادة نفوذها في محيطها الإقليمي بخسارتها علاقتها مع طالبان.

ونظرًا لسيطرة طالبان على الوضع في أفغانستان وتبديد الخطط الأمريكية لإدارة البلاد ما بعد الانسحاب الأمريكي، فإن هذا الوضع يدفع بتركيا للعمل بشكل منفرد للبحث عن نفوذ لها هناك، وهو ما يضعها في منافسة مع دول أخرى لها علاقات طيبة مع طالبان وتسعى للحصول على نفوذ في أفغانستان، وعلى رأس تلك الدول روسيا والصين، وهو ما يزيد من حساسية خيارات صانع القرار التركي في تحديد مساحات التأثير التي يمكن أن تلعب بها تركيا حتى لا تتأثر علاقاتها بموسكو وبيكين. من جهة أخرى، فإن هكذا وضعًا يدفع تركيا للتنسيق مع موسكو على حساب الولايات المتحدة سوف يعزز من علاقة التحالف التي تجمع بين موسكو وأنقرة على مختلف الأصعدة[٢٧]، بعد التنسيق التركي الروسي في روسيا، وشراء تركيا منظومة الصواريخ الروسية إس-٤٠٠؛ وهو ما يزيد من تآكل دور الولايات المتحدة في المنطقة.

ونظرًا للعلاقات الوثيقة بين قطر وتركيا، والدور القطري البارز في أفغانستان، فقد يساعد ذلك تركيا في تحقيق المزيد من المكاسب وكسب النفوذ في أفغانستان بناء على علاقاتها مع الدوحة، وهو ما قد ظهر في التعاون القطري التركي في تشغيل مطار كابول وإدارته فنِّيًّا عقب الانسحاب الأمريكي. وعلى الرغم من البحث القطري والتركي عن النفوذ في أفغانستان، فسوف يتم ذلك من خلال التنسيق والتعاون بين البلدين، وليس من خلال المنافسة بينهما، فهما دولتان متحالفتان في الكثير من قضايا الشرق الأوسط، وفي نفس الوقت تجمعهما علاقات طيبة مع الولايات المتحدة والعواصم الغربية بشكل عام.

ثالثًا- السعودية: بين التحديث السياسي والخطر الإيراني

على عكس كل من قطر وتركيا، كانت المملكة العربية السعودية، بجانب الإمارات العربية المتحدة وباكستان فقط، معترفة بحكومة طالبان خلال فترة إمارة أفغانستان الإسلامية

(٢٣) للمزيد حول علاقة المجموعات الإثنية في أفغانستان بطالبان، انظر: من البشتون إلى الهزارة.. عرقيات أفغانية في قلب السياسة والصراع، موقع الحرة، ٢٣ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٣ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://arbne.ws/3lElNOj

(٢٤) سعيد الحاج، تركيا وطالبان.. نقاط الخلاف ومسارات الالتقاء، عربي٢١، ٣٠ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3ll9tmc

(25) Ezgi Yazici and Others, Turkey Aims to Play Stabilizing Role in Afghanistan after NATO Withdrawal, Op. cit., p. 3.

(٢٦) يعد عبد الرشيد دوستم أحد أمراء الحرب في أفغانستان، وأحد الخصوم الميدانيين لحركة طالبان منذ الحرب الأهلية في التسعينيات قبل سيطرة الحركة على البلاد، وبعد الحرب الأمريكية على الحركة ٢٠٠١. وقد زار دوستم تركيا مرارًا وتكرارًا. وقد التقى في أبريل ٢٠٢١ بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان، انظر: الرئيس أردوغان يلتقي "دوستم" في إسطنبول، وكالة أنباء الأناضول، ٢٤ إبريل ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٣ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3DwErh7

(27) Joe Macaron, What will the Taliban takeover mean for the Middle East?, Aljazeera, 19 August 2021, Accessed: 18 November 2021, https://bit.ly/32LQ3Ar

(١٩٩٦-٢٠٠١)، بل إن المملكة مثَّلت داعمًا رئيسيًّا لحركة طالبان بوساطة باكستانية، خصوصًا بالدعم المالي، وقد كان ذلك بفضل الدور السعودي التقليدي في رعاية الإسلام السني من جهة، ولما تمثله الحركة من ثقل سني يحول دون هيمنة جارتها إيران الشيعية من جهة أخرى، والذي مثَّل هدفًا مشتركًا لكلٍّ من السعودية والولايات المتحدة آنذاك[٢٨]. غير أن هذا الدعم كان دعمًا براجماتيًّا وبدرجة أقل حماسة أيديولوجية من الدعم السعودي للمجاهدين في ثمانينيات القرن الماضي، حيث مثلت طالبان بالنسبة للسعودية الفصيل الأكثر قدرة على حفظ استقرار أفغانستان[٢٩]. مع ذلك، فلم يكن ثمة تطابق فكري بين الإمارة الإسلامية والرياض، وهو ما أدَّى لطلب المملكة العربية السعودية من القائم بأعمال طالبان مغادرة المملكة في العام ١٩٩٨، وذلك بعد أن رفضت طالبان تسليم أسامة بن لادن للرياض، وذلك قبل أن تسحب المملكة اعترافها بحكومة طالبان بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وبدء الحرب الأمريكية عليها.

غير أن تلك العلاقة "الباردة" التي جمعت حركة طالبان بالرياض لم تعد موجودة حاليًّا، بسبب التطورات السياسية التي شهدتها المملكة العربية السعودية، ممثلة في دور ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في إعادة المملكة إلى "الإسلام المنفتح والمعتدل" والبعد عن دعم الحركات الإسلامية الأصولية (وهو ما يعد أحد الركائز التي تعتمد عليها الرياض في نيل ثقة المجتمع الدولي من أجل تحقيق هدفها في بناء مشاريع اقتصادية متنوعة ومستدامة)، فمع بداية الرحيل الأمريكي عن أفغانستان، لم تُبْدِ الرياض أي اهتمام بالتطورات في أفغانستان[٣٠].

وبعد سيطرة الحركة على كابول، أصدرت الحكومة السعودية بيانًا عبَّرت فيه عن متابعة التطورات في أفغانستان الشقيقة، كما دعت حركةَ طالبان إلى حفظ الأمن والأرواح والاستقرار انطلاقًا من "المبادئ الإسلامية السمحة، وعملًا بقول الله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة"[٣١]. كما أعلنت السعودية في ذات اليوم سحب بعثتها الدبلوماسية من كابول وإعادة طاقم البعثة إلى السعودية، بسبب الاضطرابات الأمنية الناتجة عن انسحاب قوات الأمن (دون إعلان قطع للعلاقات الدبلوماسية بين البلدين)، لتعيد في ٣٠ نوفمبر افتتاح القسم القنصلي في السفارة؛ "انطلاقًا من حرص حكومة المملكة العربية السعودية على تقديم كافة الخدمات القنصلية للشعب الأفغاني"[٣٢]. وبعد أقل من شهرين من سيطرة طالبان على كابول، سمحت المملكة العربية السعودية لشركة الخطوط الجوية الوطنية الأفغانية بتسيير رحلات استثنائية من المملكة إلى العاصمة الأفغانية، بداية من السابع من أكتوبر ٢٠٢١[٣٣].

(28) Fayaz Hussain, Implications of the Enigmatic Rise of Taliban: A Historical Perspective, Global Regional Review, Vol. 6, No. 1, Winter 2021, p. 231.

(29) Thomas Hegghammer, Small and Middle Powers: Gulf States, (in): David G. Lewis and Aniseh Bassiri Tabrizi (ed.), Regional Powers and Post-NATO Afghanistan, (Rome: NATO Defense College, No. 20, June 2021), p. 57.

(30) Vaishali Basu Sharma, As Change Continues in Afghanistan, Middle Eastern Nations Aim for Diplomatic Edge, The Wire, 8 August 2021, Accessed: 19 November 2021, available at: https://bit.ly/3I5077S

(٣١) بيان وزارة الخارجية السعودية، تويتر، ١٦ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3dyp2mg

(٣٢) الخارجية السعودية تعيد افتتاح القسم القنصلي بسفارتها في كابول، العربية.نت، ٣٠ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://ara.tv/v2xxy

(٣٣) الإعلان عن أول رحلة طيران من السعودية إلى أفغانستان منذ استيلاء "طالبان" على الحكم، روسيا اليوم، ٢ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٢ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3pFBl5V

وعقب تشكيل طالبان حكومتها المؤقتة، أبدت السعودية تفاؤلها[٣٤] بتشكيل الحكومة الأفغانية على لسان وزير خارجيتها الأمير فيصل بن فرحان، حيث عبر عن أمله في أن يكون تشكيل الحكومة خطوة للاسقرار ونبذ العنف والتطرف، مؤكدًا على "دعم المملكة للشعب الأفغاني والخيارات التي يتخذها فيما يتعلق بمستقبل بلادهم، بعيدا عن التدخل الخارجي"[٣٥].

وعلى الرغم من تلك الإيجابية في التعاطي السعودي مع حركة طالبان، فإن الحركة لم توجّه دعوة إلى السعودية لحضور مراسم تنصيب الحكومة الجديدة المؤقَّتة، في حين دعت الحركة كلًّا من روسيا والصين وقطر وتركيا وباكستان وإيران[٣٦]. وهو ما يعني أن الحركة نفسها أقل حماسة في التعامل مع السعودية، ولا تعوّل عليها كثيرًا في المرحلة المقبلة بسبب تحديثات ولي العهد السعودي وموقف المملكة من الحركات الإسلامية بشكل عام.

من جهة أخرى، فإن الرياض لا تريد توريط نفسها في مأزق إقليمي جديد والتعامل مع طالبان دون التعرُّف على حقيقة سلوكها، فهي أصلًا مثقلة بالمشاكل الإقليمية، سواء في اليمن، أو سوريا، أو لبنان، فضلًا عمَّا تعانيه السعودية من تحديات داخلية أبرزها الوضع المالي غير الجيد بسبب تقلب أسعار النفط بعد جائحة كورونا[٣٧].

ويمكن القول إن السعودية تتعاطى بـ"إيجابية حذرة" مع حركة طالبان، ويمكن إرجاع هذه الإيجابية إلى أجندة الجهاز البيروقراطي السعودي الذي يميل للانخراط في ملفات الدول الإسلامية بسبب وجود الحرمين الشريفين بالسعودية وما يحمله ذلك من رمزية دينية، وعدم إتاحة الفرصة لإيران لملء الفرغ السعودي في أفغانستان. وذلك على الرغم من توجُّهات ولي العهد السعودي البعيدة عن التعامل مع الحركات الإسلامية، وهو ما يبرّر إصدار البيانات الرسمية على مستوى وزارة الخارجية السعودية من دون أي إعلان من العاهل السعودي أو ولي عهده، اللهم إلا بيان من ولي العهد عقب اتصال هاتفي بينه وبين رئيس وزراء باكستان في ٥ سبتمبر، بحثا خلاله التطورات في أفغانستان[٣٨].

وتعدُّ السعودية هي أكثر الدول تضرُّرًا وحيرة من الوضع الجديد في أفغانستان والانسحاب الأمريكي، فعلى الرغم من العلاقات التاريخية بين السعودية وطالبان، إلَّا أن انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان بهذا الشكل يمثل مصدر قلق للرياض، فليس من مصلحتها -كباقي عواصم الخليج- تقويض السلطة الأمريكية في المنطقة، خصوصًا مع جهود إدارة بايدن إعادة إحياء الاتفاق النووي مع إيران، حيث يمكن لهذا الوضع أن يزيد من ثقة طهران وويقوّي موقفها التفاوضي بناء على

(٣٤) وتتضح إيجابية الموقف السعودي عند مقارنته بالموقف الإماراتي إزاء حكومة طالبان، ففي حين وصفت الصحف السعودية حكومة طالبان الجديدة بأنها "أكثر مرونة وبراغماتية من السابق" وأن الحركة تتبنى "خطابًا سياسيًّا معتدلًا"، (انظر: الملالي وطالبان.. تاريخ متقلب ومستقبل ملغوم، جريدة الرياض، ٩سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3onerR9)، وصفت جريدة الخليج الإماراتية الحكومة الأفغانية الجديدة بالـ"بتراء غير المكتملة"، وأنها حكومة اللون الواحد: لون حركة طالبان. (انظر: حكومة «طالبان» الأولى، جريدة الخليج، ٩ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3InMVe8).

(٣٥) السعودية: نأمل في أن تسهم حكومة أفغانستان الجديدة في تحقيق الاستقرار، روسيا اليوم، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3G02Eyg

(٣٦) طالبان تكشف عن الدول التي دعتها لحضور تنصيب الحكومة الجديدة لأفغانستان، روسيا اليوم، ٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٣ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/315btbj

(٣٧) الملعب الأفغاني" . ساحة تنافس محتملة بين قطر والسعودية؟، DW، ٢٧ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٣ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://p.dw.com/p/3zWtH

(٣٨) ولي العهد ورئيس الوزراء الباكستاني يستعرضان هاتفيًّا العلاقات الثنائية وتطورات الأحداث في أفغانستان، جريدة مكة المكرمة، ٥ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3rG4bWe

إيمانها بقدرتها على انتزاع أكبر قدر من التنازلات الأمريكية في المفاوضات مثلما فعلت طالبان في مفاوضاتها في الدوحة[٣٩].

وفي الوقت الذي تتعارض فيه أفكار وتوجهات كل من الرياض وطالبان على الكثير من الأصعدة وفي مختلف المجالات، ليس أقلها الاجتماعية والسياسية والدينية، فعلى السعودية أن تتفاعل مع حركة طالبان بطابع برجماتي بعيدًا عن الدوافع الأيديولوجية، حيث يضمن هذا التفاعل تحقيق مجموعة من الأهداف للرياض، مثل مواجهة النفوذ الإيراني في أفغانستان - خصوصًا مع محاولات إحياء الاتفاق النووي مع الولايات المتحدة واحتمال رفع العقوبات عن طهران-، ومزاحمة قطر في دورها في أفغانستان، وتعزيز العلاقة الخاصة مع باكستان والحفاظ عليها[٤٠]. وفي نفس الوقت، فإن الحذر السعودي في التعامل مع طالبان سوف يشجع على مزيد من التعاون بين إيران وطالبان، وهو ما يمثل تهديدًا إيرانيًّا -آخر- للسعودية في محيطها الإقليمي، ولمنطقة نفوذ محتملة، فضلًا عن العلاقات التاريخية بين الرياض وطالبان، خصوصًا مع وجود علاقات أمنية سرية إيرانية مع طالبان منذ عام ٢٠١٥، واستضافة إيران لمحادثات بين حكومة كابول وبين طالبان في ٢٠١٨[٤١].

ويبدو أن السعودية أدركت ذلك التعقيد مبكرًا، حيث أعلنت وكالة أنباء رويترز عن احتمال إجراء لقاء بين الأمير محمد بن سلمان وبين ممثلين عن حركة طالبان الأفغانية على هامش زيارة ولي العهد السعودي لباكستان في فبراير ٢٠١٩، وهو ما لم يرد بشأنه إثبات أو نفي من الرياض أو إسلام آباد آنذاك (وإلى الآن)، ووفقًا لرويترز، فإن اللقاء يأتي بدعوة سعودية، حيث صرح أحد قادة طالبان لرويترز بـ"أنه لم يتم اتخاذ قرار حول ما إذا كانوا سيلتقون بولي العهد السعودي"[٤٢].

وهكذا، فعلى صانع القرار السعودي الإسراع في مقاربته في التعاطي مع حركة طالبان، والاختيار بين التعامل مع حركة إسلامية تجمع السياسي والعسكري، أو بين ترك أفغانستان مفتوحة للنفوذ الإيراني، لتنضمَّ بذلك كابول لقائمة عواصم الشرق الأوسط الحليفة لطهران، وذلك على الرغم من الاختلاف العقيدي والسياسي بين حركة طالبان وإيران، فإن التعويل على ذلك الاختلاف لا يضمن شيئًا في عالم السياسة الذي تحكمه المصلحة والبرجماتية، وهو ما أثبتت حركة طالبان الاستجابة له من خلال علاقاتها مع موسكو وبيكين.

ويزداد الوضع ضبابية بالنسبة للسعودية بعد الانسحاب الأمريكي في افتقادها القدرة على الاعتماد على واشنطن في تزويد المملكة بما تريده من معلومات حول أنشطة طالبان، وهو ما دفع في صالح العلاقات الروسية السعودية، حيث التقى نائب وزير الدفاع السعودي مع نظيره الروسي لتوقيع اتفاقية تعاون عسكري بعد شهر من سيطرة طالبان، حيث يمكن استثمار تلك العلاقات بين البلدين لصالح المملكة، من خلال تزويد موسكو الرياضَ بمعلومات استخباراتية عن نشاط طالبان على الأرض بسبب علاقة روسيا الطيبة مع الحركة. كما تسعى الرياض لاستثمار علاقتها مع إسلام آباد (والضغط عليها أحيانا) في التواصل مع حركة طالبان والتعرُّف على أنشطتها، ومع ذلك كله، فإن هذا التقارب تقارب برجماتي في الأساس، حيث افتقدت واشنطن قدرتها الاستخباراتية مقارنة بروسيا وباكستان[٤٣].

(39) Tony Walker, As Afghanistan falls, what does it mean for the Middle East?, The Conversation, 16 August 2021, Accessed: 22 November 2021,available at: https://bit.ly/317HW0G

(40) Thomas Hegghammer, Small and Middle Powers: Gulf States, Op. cit., p. 59.

(41) Sabena Siddiqui, Saudi Arabia seeks low key influence in Afghanistan, Al-Monitor.com, 14 September 2021, Accessed: 23 November 2021, available at: https://bit.ly/3G4M5kK

(٤٢) مصادر: طالبان الأفغانية ستلتقي على الأرجح بولي العهد السعودي في باكستان، رويترز، ١٦ فبراير ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ٢٢ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://reut.rs/3oj10lm

(43) Kirsten Fontenrose, Op. cit.

سيطرة طالبان والهاجس الأمني

بجانب ما سبق من نتائج ومصالح للدول -محل الدراسة- إزاء الانسحاب الأمريكي من أفغانستان وسيطرة طالبان عليها، يعدُّ الهاجس الأمني هو المحدِّد الأول لتصرُّفات دول المنطقة ولرسم خريطة تحالفاتها، فالتنسيق الأمني بين دول منطقة الشرق الأوسط اليوم هو الحافز الأكبر وراء تغيُّر خريطة الأحلاف في المنطقة، حيث شهد عام ٢٠٢١ مجموعة من المصالحات والصفقات التي "سترسخ النظرة الأمنية المشتركة من دون أن تنهي المنافسة السياسية والاقتصادية" بين دول المنطقة، والهدف الأخير من هذا التنسيق الأمني هو منع أي ميليشيات من أن تحذو حذو طالبان، وتعلن في رغبتها الصعود السياسي خليجيًّا وإقليميًّا[٤٤]. ومن ضمن تلك الصفقات اتفاق العلا الموقع بين الدول الخليجية ويُنهي حالة المقاطعة الخليجية المصرية لدولة قطر، أو الجولة التي قام بها الشيخ طحنون بن زايد، مستشار الأمن القومي الإماراتي، والتي التقى خلالها الأمير القطري في الدوحة، والرئيس التركي في أنقرة، بجانب الرئيسين المصري في القاهرة، والأردني في عمّان. وصولًا لتطبيع العلاقات بين أنقرة وأبو ظبي بزيارة ولي عهد أبو ظبي لأنقرة ولقائه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، والإعلان عن إنشاء صندوق استثمارات إماراتي بقيمة عشرة مليارات دولار لدعم الاقتصاد التركي، وتأكيد الرئيس أردوغان نية بلاده التقارب مع مصر والسعودية على غرار تقاربها مع الإمارات.

وعلى الرغم من عدم وجود حواضن شعبية لحركة طالبان خارج حدود أفغانستان، إلا أن نجاحها في بسط سيطرتها على أفغانستان قد يداعب خيال حركات مسلحة في منطقة الشرق الأوسط، مثل داعش وجيوبها المنتشرة في المنطقة من جهة، أو يعيد إحياء حلم الثورات العربية من جهة أخرى بعدما فشل في كل الدول العربية تقريبًا، من باب أن التغيير أمر ممكن! هذا فضلًا عن "ضبابية الدور" الذي من المفترض أن تضلع به حركة طالبان في مكافحة التهديدات الأمنية لأمن الولايات المتحدة وحلفائها[٤٥]. كل تلك العوامل دفعت الدول إلى الحفاظ على أمنها ومواجهة أي تهديد محتمل بالاعتماد على ذاتها بعيدًا عن الولايات المتحدة التي نفضت يدها من المنطقة، وأدارت وجهها للصعود الصيني على حساب أمن حلفائها في الشرق الأوسط.

خاتمة:

حاولت تلك الورقة رسم صورة عن مواقف كل من قطر والسعودية وتركيا حول الانسحاب الأمريكي من أفغانستان وسيطرة حركة طالبان على مقاليد الحكم للمرة الثانية بعد ٢٠ عامًا من عزلها القسري بسبب الحرب الأمريكية بعد أحداث ١١ ستمبر. وعلى الرغم من التقارب القطري والتركي تجاه طالبان مقارنة بالموقف السعودي منها، يظل الغموض وعدم اليقين ممثليْن للحالة العامة التي تسيطر على صنَّاع السياسة الخارجية في الدول الثلاث، بل في مختلف دول العالم. إذ لم تقم أي دولة حتى الآن بالاعتراف بحكومة طالبان بشكل رسمي، وهو الأمر الذي سوف يتوقَّف على المقاربة الدولية للتعاطي مع حركة طالبان، ومواقف الدول الكبرى من الوضع الأفغاني الجديد، وهي تنتظر مراقبة سلوك طالبان في الحكم، ومدى المرونة التي سوف تظهرها الحركة من جهة، وضمان الإجابة على تخوفات المجتمع الدولي من جهة أخرى.

وبافتراض عدم حدوث تغيرات دراماتيكية في أوضاع أفغانستان والشرق الأوسط، فإنه توجد الكثير من العوامل التي تدفع دول الخليج لتكون أول الدول العربية تطبيعًا للعلاقات مع حركة طالبان بوصفها حاكمة أفغانستان، ومن تلك العوامل: القرب الجغرافي بين دول الخليج وبين أفغانستان، بالإضافة لوجود علاقات تجارية واجتماعية تاريخية مع أفغانستان، يمكن تلمُّسها في إقامة نحو ١٥٠ ألف أفغاني في

(٤٤) جويس كرم، موسم الصفقات الإقليمية بعد أفغانستان، موقع الحرة، ٣ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٣ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://arbne.ws/3FMBN8K

(٤٥) Ari Heistein and Others, Op. cit., p. 2.

دول الخليج، بالإضافة إلى اعتماد أفغانستان على مطارات وموانئ ومصارف دول الخليج للتواصل مع العالم الخارجي[٤٦].

لقد استطاعت قطر حصد الكثير من الإيجابيات بفضل ما قامت به من وساطة بين طالبان والولايات المتحدة، وما أظهرته من قدرة على تسيير وتيسير المفاوضات بشكل مهني وجاد، ما جعلها محط أنظار العالم، والبوابة الأكثر فعالية للولوج إلى أفغانستان. كما فتح الانسحاب الأمريكي الكثير من الفرص أمام أنقرة للعب دور فعَّال في أفغانستان، مستفيدة من علاقاتها مع دول حلف الناتو من جهة، وعلاقاتها التاريخية مع طالبان من جهة ثانية، ورعايتها للعرقيات التركية في أفغانستان من جهة ثالثة، وعلاقاتها مع كل من روسيا والصين أيضًا من جهة رابعة. وأخيرًا، تعد السعودية هي الدولة الأكثر حيرة في التعامل مع الملف الأفغاني، فبعد استثمار الكثير من الوقت والجهد في نبْذ حركات الإسلام السياسي والتحديث الاجتماعي والسياسي الذي يقوم به ولي العهد، وجدت الرياض نفسها فجأة أمام إحدى خيارين أحلاهما مُر: إما التعامل مع حركة طالبان بشكل برجماتي لضمان النفوذ السعودي في أفغانستان، أو إفساح المجال أمام طهران لضم كابول لحظيرتها.

على مستوى الإقليم، فقد أدَّى انسحاب الولايات المتحدة بهذا الشكل الفوضوي من مطار كابول إلى دفع دول الشرق الأوسط للاعتماد على ذاتها في حماية أمنها واستقرارها، وتجاوز خلافاتها البينية، أو على الأقل تحييد السياسي منها، من أجل تأمين الهاجس الأمني الذي يمثل التهديد الأكبر أمام تلك الدول، حيث يتم ترتيب الأوضاع لما بعد الخروج الأمريكي من الشرق الأوسط.

*****

(٤٦) محللون: الدول العربية "تنتظر وتراقب" أداء طالبان قبل قرار الاعتراف بها، موقع الحرة، ٢٠ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://arbne.ws/3Emn1oH

قضايا

عالمية وإقليمية

عام على إدارة بايدن: تحليل وتقييم السياسات تجاه العالم الإسلامي

يارا عبد الجواد(*)

مقدمة:

يشهد العالم تغيرات كلما شهد البيت الأبيض إدارة أمريكية جديدة، فهذا عام من إدارة الرئيس الديمقراطي جو بايدن، تخللته أحداث كثيرة شهدتها الساحة الدولية وصراعات في أكثر من بقعة في العالم، فضلا عن تنافس حادٍّ بين القوى العالمية على الهيمنة الدولية تجعل الولايات المتحدة تترصَّد ذلك وتسخِّر له كافة الأدوات. لقد أتى الرئيس بايدن إلى البيت الابيض حاملا معه خطة ووعودا شهدتها حملته الانتخابية على مرأى ومسمع العالم، رافعًا شعار "لقد عادت أمريكا"، في إشارة إلى أن سياسة "أمريكا أولا" الذي رفع شعارها سلفه الرئيس دونالد ترامب قد ولَّت، وأن القيادة الأمريكية للعالم سوف تستعيد قواها من جديد، وفي هذا السياق تمثل أحداث هذا العام والتفاعل الأمريكى معها مادة بحث لتقييم سياسات بايدن ومدى تنفيذه لخطته وتبنيه لشعاره.

ومن ثم يأتي هذا التقرير ليسلط الضوء على سياسات بايدن نحو العالم الإسلامى خاصة، والذي تتعامل معه الولايات المتحدة الامريكية وفق ركائز وأسس وعقيدة معينة؛ حيث يسعى هذا التقرير للإجابة عن مجموعة من الأسئلة تدور حول موقع العالم الإسلامي من أجندة بايدن، وهل يمثل أولوية عليها؟ وما هي أولويات بايدن نحو العالم الإسلامي؟ وما التغيرات التي ستطرأ على سياسة الولايات الخارجية في التعامل مع العالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط في ظل مستجدات الواقع المتمثلة في جائحة كورونا والقضايا الداخلية الأمريكية، وصعود الصين وروسيا كقوى دولية تنافس على الهيمنة العالمية ورغبة الولايات المتحدة في تحجيم حجم التدخل العسكري المباشر وتداعيات ذلك على استراتيجية مكافحة الإرهاب ودعم التحول الديمقراطي في العالم الإسلامي؟

أولا- تراجع موقع العالم الإسلامي لدى إدارة بايدن

في الغالب يسعى كل رئيس أمريكي جديد مع بداية إدارته إلى إحداث تحولات في السياسة الخارجية لإدارته، لا سيما إذا كان من حزب مختلف لسلفه. ومن هنا كانت حملة بايدن الانتخابية تنبئ عن إحداث تغييرات في مقاربات السياسة الخارجية الأمريكية؛ بالعودة مرة أخرى إلى المحددات والرؤى التقليدية للسياسة الخارجية الأمريكية بعد أربع سنوات من تبني إدارة ترامب سياسة خارجية تتعارض مع القيم والمبادئ التي حكمت السياسة الخارجية الأمريكية لقرابة سبعة عقود. وفى هذا السياق جاء في خطة بايدن التي أعلنها أثناء حملته الانتخابية أنه سوف يعمل على إنهاء أربع سنوات من السياسة الانعزالية للولايات المتحدة خلال إدارة ترامب تحت شعار "استعادة القيادة الأمريكية"؛ إذ يرى بايدن أن استراتيجية "أمريكا أولًا" التي حكمت السياسة الخارجية لإدارة ترامب جعلت "أمريكا وحدها"، خاصة بعد رفض ترامب للتعددية الدولية وإضعافه للتحالفات والشراكات الأمريكية، وتقويضه معايير حقوق الإنسان، وشنِّه حربًا على مؤسسة السياسة الخارجية داخل حكومته، ومهاجمة إجماع الحزبين السابق على أن الولايات المتحدة لديها واجبٌ فريد لقيادة نظام دولي قائم على تعزيز الحرية وحقوق الإنسان وحكم القانون(١).

وفى هذا السياق يتبين من رؤية بايدن أن هناك اختلافا في السياسة الخارجية الأمريكية المتبناة نحو العالم الإسلامى عن تلك التي شهدتها خلال إدارة الرئيس ترامب لكونها حسب رؤية

(*) باحثة في العلوم السياسية.

(١) عمرو عبدالعاطى، السياسة الخارجية للمرشح الديمقراطي جو بايدن تجاه الشرق الأوسط: الرؤى والتوقعات، مركز الإمارات للسياسات، نوفمبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/y4Dig

الديمقراطيين مثلت قطيعة مع السياسات الأمريكية التقليدية تجاه المنطقة، فضلًا عن أنها -بحسب تقديرهم- أخفقت في حماية الأمن القومي والمصالح الأمريكية بالمنطقة، وزادت من حدة انعدام الاستقرار والأمن الإقليمي بالشرق الأوسط، وتعقيد أزماته وتحدياته.

على الرغم من هذه الخلفية التي تشكل رؤية إدارة بايدن فإن هناك تراجعا لأهمية منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامى بالنسبة للولايات المتحدة بشكل أو بآخر ويرجع ذلك لمجموعة من الأسباب، يأتي في مقدمتها انخفاض أهمية نفط المنطقة لواشنطن، وتراجع مركزية الشرق الأوسط في منظومة الأمن القومي الأمريكي، وذلك في ضوء إعادة ترتيب أولويات ومصالح الولايات المتحدة عالميا؛ التركيز على التحدي الذي تمثله كل من روسيا والصين باعتبارهما خصمين استراتيجيين للولايات المتحدة، يسعيان لإحداث تحول في الوضع الدولي الراهن لخدمة مصالحهما وأهدافهما الاستراتيجية، هذا إلى جانب تحالفهما لتحدي الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي الحالي[٢]. هذا بالإضافة إلى أن واحدة من أهم المصالح الأمريكية المحركة لسياستها الخارجية نحو العالم الإسلامى والشرق الأوسط وهو ضمان أمن إسرائيل، لم تعد مهددة بشكل كبير من قبل أي دولة عربية أو إسلامية لها تفوق عسكري نوعي على كل جوارها، خاصة أن إسرائيل أبرمت معاهدات سلام مع العديد من الدول العربية وهناك درجة من التنسيق الأمني بينها[٣].

هذا التراجع الذي يشهده العالم الإسلامى على أجندة الإدارة الديمقراطية الجديدة، يتجلى في صور متعددة؛ يتمثل أولها في أن أول خطاب شامل للرئيس جو بايدن عن أولويات السياسة الخارجية لإدارته بوزارة الخارجية الأمريكية في ٤ فبراير الماضي، لم تتصدر محاوره قضية من قضايا العالم الإسلامي العديدة، اللهم إلا قضية الحرب في اليمن، والتعهد الأمريكى بإنهاء الدعم لقوات التحالف العربي، وثانيها أن الرئيس جو بايدن خلال أول شهر له في البيت الأبيض لم يُجرِ اتصالاتٍ هاتفية بأي من أبرز قادة وزعماء حلفاء الولايات المتحدة من دول العالم الإسلامي[٤]؛ وذلك بعكس أوباما الذي اختار الحديث إلى العالم الإسلامي في أشهره الأولى من الحكم من قلب القاهرة في يونيو عام ٢٠٠٩[٥]. ويتعلق ثالثها بتراجع اهتمام مؤسسات صنع القرار الأمريكى بأزمات العالم الإسلامى، حيث قلّص مستشار الأمن القومى جيك سوليفان حجم الفريق المخصص للشرق الأوسط بمجلس الأمن القومى وعزز في المقابل الفريق الذي ينسق السياسة الأمريكية تجاه منطقة المحيطين الهندى والهادئ، كما أن اختيارات وزير الدفاع الأمريكي، الذي تعهد بمراجعة القوات الأمريكية المنتشرة حول العالم ومنها الموجودة في المنطقة، تكشف عن أن العالم الإسلامى لم يكن من أولويات بايدن القصوى عندما عين ثلاثة مستشارين خاصين في قضايا رئيسية تمثلت في: الصين، وفيروس كوفيد-١٩، والمناخ.

وهذا يعكس تحول بوصلة الاهتمام الأمريكى خارجيًا، إلى مناطق استراتيجية أخرى حول العالم أكثر أهمية للمصالح والأمن القومي الأمريكي؛ لتأتي منطقة الشرق الأوسط في مرتبة تالية لآسيا الباسفيك ضمن استراتيجية "التحول نحو آسيا"، نظرًا لتراجع المصالح الأمريكية في المنطقة، خاصة في ظل توافق الحزبين الجمهوري والديمقراطي ومؤسسات صنع القرار الأمريكى على أن القضايا التي تتطلب الاهتمام الأمريكى قد تغيرت مع عودة المنافسة الاستراتيجية مع الصين وروسيا، هذا بالإضافة إلى الرغبة الأمريكية، الرسمية والشعبية، في عدم الانجرار بشدة في قضايا وأزمات تستنزف الطاقات والموارد

(٢) المرجع السابق.

(3) Mohamed Yaghi, What drives president Biden Middle East policies, Konrad Adenauer Stiftung, No.22, May 2021, available at: https://cutt.us/LlK0v

(٤) عمرو عبد العاطى، هل لا يزال الشرق الأوسط يتقدم أجندة بايدن، الأهرام، ٣ مارس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/LORuy

(٥) أحمد عبد الحكيم، لماذا لم يتواصل بايدن بعد مع حلفاء بلاده في الشرق الأوسط؟، الإندبندنت، ١٤ فبراير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Z2Nqi

الأمريكية، وإعادة تخصيصها لقضايا وتحديات عالمية أكثر إلحاحًا[٦].

ولا يعني تراجع أهمية العالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط على سلم أولويات إدارة بايدن الإغفال التام لقضايا المنطقة؛ حيث كشفت تصريحات مستشاري الرئيس الأمريكي جو بايدن أن أهم أولويات الإدارة الأمريكية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط، تتمثل في: إيران وبرنامجها النووي وإنهاء الحروب في اليمن وليبيا، وتعزيز وضع حقوق الإنسان.

إيران وبرنامجها النووي

يضع بايدن التهديد التي تمثله إيران وبرنامجها النووي وإنتاجها للصواريخ الباليستية ضمن أولوياته، فمنع إيران من امتلاك سلاح نووي هو جزء من سياسة الولايات المتحدة لمنع الانتشار النووي في العالم؛ حيث ترى الولايات المتحدة أن امتلاك إيران للسلاح النووي سيفتح الباب للتسلح النووي في المنطقة، كما أنه سيزيد من احتمالات نشوب صراعٍ مسلَّح بين القوى الإقليمية؛ ومن ثم يحاول بايدن استعادة الاتفاق النووي الذي تم توقيعه بين الولايات المتحدة وطهران في ٢٠١٥ في ظل إدارة الرئيس السابق باراك أوباما والذي قوَّضته إدارة الرئيس ترامب. وفي هذا السياق يستخدم بايدن الأدوات الدبلوماسية مع طهران على عكس سلفه الذي اعتمد سياسة الضغوط القصوى بدلا من الدبلوماسية بعد الانسحاب الأمريكى من الاتفاق في مايو ٢٠١٨ وما ارتبط بذلك من عقوبات اقتصادية على إيران فشلت في أن تخضعها للإرادة الأميريكية؛ حيث تحملت إيران العقوبات ولم ينعكس ذلك على سياساتها، وهذا ما يعيه بايدن جيدًا؛ ومن ثم فهو يحاول المواءمة بين الدبلوماسية والحفاظ على قدر من العقوبات الاقتصادية أيضا.

وفي هذا السياق يعمل بايدن في اتجاهيْن، حيث يحاول أن يستمر في التفاوض، وفى هذا الإطار جرت سلسة من المفاوضات فى فيينا وعلى الرغم من الرفض الإسرائيلي لهذه المفاوضات حيث ترى إسرائيل أن طهران سوف تسعى بشكل حثيث للوصول للسلاح النووي، وتستخدم مظلة المفاوضات للتضليل والخداع حتى تحقق أهدافها العدوانية ومن ثم يجب وقف هذه المفاوضات واتخاذ إجراءات صارمة إلا أن بايدن مازال يستأنف المفاوضات بهدف العودة للإتفاق النووى من جديد[٧]، كما انه يسعى لإرسال بعض الرسائل الإيجابية لطهران مثل: إلغاء تصنيف ميليشيات الحوثي منظمة إرهابية مما يدعم التفاوض معها، ولكن على الصعيد الآخر، قامت إدارته بقصف مواقع لميليشيات المدعومة من إيران في سوريا، وذلك في إطار الردّ على هجمات وكلاء إيران على القواعد الأمريكية في العراق، وأوضحت الإدارة الأمريكية أنه على الرغم من نهجها الدبلوماسي إلا أنها لن تتردد في استخدام القوة عندما يكون هناك اعتداءات، ومن ثم يمزج بايدن بين دبلوماسية أوباما وسياسة الضغط التي تبناها ترامب في هذا الشأن[٨].

اليمن وسوريا وليبيا

أما فيما يتعلق باليمن فقد قامت إدارة بايدن بتعيين الدبلوماسي تيم ليندركينغ مبعوثًا خاصًا لليمن وصرحت علنًا أنها تنهي دعم الولايات المتحدة لـ"العمليات الهجومية" التي ينفذها التحالف الذي تقوده السعودية في اليمن، وفي هذا السياق قام ليندركينغ بعدة زيارات إلى اليمن في إطار جهوده لإنهاء القتال، ومع ذلك، فإن هذه الجهود السياسية لم تحقق جدوى حقيقية في إنهاء الصراع. وكذلك الأمر في سوريا؛ ففضلا عن قيام الولايات المتحدة ببعض الجهد الدبلوماسي لتجديد آلية المساعدة الإنسانية عبر الحدود لسوريا لمدة عامٍ إضافي، إلا

---

(٦) عمرو عبدالعاطى، هل لا يزال الشرق الأوسط يتقدم أجندة بايدن، مرجع سابق.

(٧) محمد بدر الدين، دراما الملف النووي الإيراني في سياق تاريخي،الاندبندت العربية، ١١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/0uenP

(٨) خالد هاشم، سياسة بايدن في الشرق الأسط بين المثالية الواقعية، مرجع سابق.

أنه لم يحدث أي تغير استراتيجي حقيقي فما زال الانقسام قائما. وعلى الصعيد الليبي عينت إدارة بايدن السفير الأمريكي لدى ليبيا ريتشارد نورلاند مبعوثًا خاصًا لليبيا، بينما شارك وزير الخارجية أنطوني بلينكين في مؤتمر برلين الثاني حول ليبيا، حيث أعاد المؤتمر والمناقشات الثنائية اللاحقة التأكيد على الدعم الأمريكي والدولي للانتخابات الوطنية التي يفترض أن تجري في حين أن المرتزقة الأجانب لم يغادروا البلاد بعد، على النحو المنصوص عليه في شروط اتفاق وقف اطلاق النار لعام ٢٠٢٠، فإن عناصر أخرى -مثل إعادة فتح الطريق الساحلي بين مدينتي مصراتة وسرت- قد مضت قدمًا[٩].

إن هذه السياسة التى تتبعها إدارة الرئيس جو بايدن نحو الملفات الثلاث وتحجيم التدخل تدل على غلبة المرونة –وربما قلة العناية- على التصلب أو الإصرار في الموقف الأمريكي في الملفات حتى الآن، فرغم الموقف الأمريكي فقد تجاوزه الطرفان في اليمن ولم يقفا عنده واستمر التحالف في ضرباته مع تبريرها والحرص خطابيا على مشروعه وفق الاتفاق مع الحكومة الشرعية، وكذلك رغم الموقف المبدئي الرافض لاستمرار بشار الأسد رئيسا أو الانفتاح عليه، فإن الموقف الأمريكي من الانفتاح الإماراتي والأردني كان ضعيفا؛ ما يدل على عدم أولوية هذا الملف. ويمكن تطبيق الأمر ذاته على الملف الليبي، خاصة مع عدم الإشارة الأمريكية إلى الحضور الروسي في الملفين السوري والليبي وعدم ظهور محاولة لإخراج روسيا منهما؛ بينما تتصاعد الضغوط الأمريكية على الوجود الروسي في البحر الأسود وفي حدود أوروبا الشرقية سواء في موضوع اللاجئين بين بيلاروسيا وبولندا، أو الأزمة الأوكرانية، مما يجعلنا نطرح سؤالا حول ما إن كانت الأوضاع الجيواستراتيجية في مناطق معينة تحيط بالعالم الإسلامي هي المحرك الأبرز حتى الآن للسياسة الأمريكية الجادة وذات الأولوية؟. وعلى الرغم من هذا الانخراط البسيط والنسبي في قضايا المنطقة يظل هناك تساؤلات حول سياسة بايدن في التعامل مع بعض القضايا الأساسية الكلية التي تمثل ركائز في السياسة الأمريكية الخارجية نحو العالم الإسلامي؛ كالاستمرار في مكافحة الإرهاب وكيفيته، ودعم الولايات المتحدة للتحول الديمقراطي وكذلك التدخل العسكري في المنطقة ونسبته خاصة بعد الانسحاب النهائي من أفغانستان أغسطس الماضي.

ثانيا- أولويات إدارة بايدن تجاه العالم الإسلامي

١- بايدن وقضية التحول الديمقراطي في العالم الإسلامي

برز موضوع الإصلاح الديمقراطى في العالم الإسلامى بعد أحداث ١١ سبتمبر بوصفه إحدى الأولويات التي تسعى الولايات المتحدة تحقيقها في المنطقة؛ حيث جعله الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن أحد أهداف سياسته الخارجية؛ انطلاقًا من فكرة أن التحول الديمقراطي سيجفف منابع الإرهاب والتطرف وأن الإرهاب نتيجةٌ لغياب الديمقراطية في العالم الإسلامي، وفي هذا السياق تزايدت التصريحات من قبل المسئولين الأمريكيين حول قضية الديمقراطية في الوقت الذي بدأت فيه الإدارة الأمريكية عام ٢٠٠٢ بالاستعداد لغزو العراق؛ مبرّرة ذلك بأنها تهدف إلى بناء نظام ديمقراطي على أنقاض نظام صدام حسين ضمن تأكيد الإدارة الأمريكية على حرصها على تحرير العالم العربي والإسلامي من الأنظمة الديكتاتورية ونشر الديمقراطية والحرية فيهما[١٠].

وفي هذا السياق تتوالى الإدارات الأمريكية على السقوط في تناقضات يعكسها الواقع بصور شتّى بعضها يتمثل في فساد الأدوات والوسائل التي تتبعها الولايات المتحدة لدعم الديمقراطية، والبعض الآخر يتمثل في استمرار دعمها للحكومات الديكتاتورية بالتعاون معها وهو ما ظهر بتجلٍّ في ظل إدارة الرئيس ترامب الذي عكست إدارته سياسة واقعية براغماتية لا تعرف إلا لغة المصالح؛ مما أدى إلى تشوه الصورة

(9) Brian Katulis and Peter Juul, Seeking a New Balance for U.S. Policy in the Middle East, Center for American progress, 7 September 2021, available at: https://cutt.us/67alw

(١٠) وائل محمد إسماعيل، الولايات المتحدة الأمريكية وموقفها من الديمقراطية في الوطن العربى، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد.٣٣، ٢٠١١، ص ص ٤٩-٥١.

الأمريكية المروّج لها. وفى هذا الإطار يأتي بايدن رافعًا من جديد شعار "أمريكا قد عادت" معلنا في حملته الانتخابية أن الديمقراطية وتعزيز حقوق الإنسان ستكون على رأس أولويات سياسته الخارجية. وفي هذا الصدد، يقول الرئيس الأمريكي جو بايدن إن العالم أمام خيارين: إما التحلّي بالقيم الديمقراطية التي يتبناها الغرب، أو تجاهلها لصالح الحكومات الاستبدادية؛ مؤكِّدا أن الولايات المتحدة تتجه نحو حقبة جديدة من الدبلوماسية لدعم قضايا الحريات وحقوق الإنسان حول العالم، وقبل ذلك وخلافا لنهج سلفه دونالد ترامب، أكد بايدن -في حملته الانتخابية وفى خطاب تنصيبه- أن ملفات حقوق الإنسان ودعم عملية الانتقال الديمقراطي حول العالم ستصبح محور السياسة الخارجية لإدارته.

وفي هذا الإطار يحاول بايدن تحقيق أحد وعوده الانتخابية بعقد قمة من أجل الديمقراطية تضم أكثر من ١٠٠ دولة للمساعدة في وقف التراجع الديمقراطي وانحسار الحقوق والحريات في مختلف أنحاء العالم، وباستثناء العراق تغيب جميع الدول العربية والإسلامية عن هذا المؤتمر العالمي، وقد تم الإعلان عنه في ١١ أغسطس الماضي؛ حيث أعلنت الإدارة الأمريكية عن عقد قمة افتراضية حول الديمقراطية والتي عقدت في ٩ و١٠ ديسمبر؛ حيث أعلن بايدن أن القمة تستهدف تعزيز ثلاثة مبادئ أساسية؛ وهي: مكافحة السلطوية، ومحاربة الفساد، وتعزيز احترام حقوق الإنسان حول العالم، إلا أنه لم يمرّ سوى أربعة أيام بعد هذا الإعلان حتى حدث الانسحاب الفوضوي للقوات الأمريكية من أفغانستان، والذي وضع صورة الولايات المتحدة ومكانتها على المحكّ، خاصة أن خطاب الرئيس بايدن في ١٦ أغسطس الماضي، قد فاجأ العالم بأن الولايات المتحدة لم تكن معنية ببناء الديمقراطية في أفغانستان؛ وذلك على خلاف الحقائق التي عبرت عنها الإدارات الأمريكية السابقة[١١].

وقد واجه المؤتمر نقدا واسعا وتنديدا من قبل روسيا والصين اللتين يعتبرهما بايدن أبرز الدول السلطوية حيث تم استبعادهما من القمة، ومن ثم وجهتا نقدا للولايات المتحدة بسبب لائحة المدعوين حيث كتب سفيرا روسيا والصين في مقالة مشتركة ما ينتقدان به الولايات المتحدة بأنها تسمح لنفسها بتحديد أي دولة تعد ديمقراطية وأي دولة ليست مؤهلة لهذا؛ رافضين فكرة وجود نموذج واحد للديمقراطية[١٢]، خاصة أن الدول المدعوة لم تكن جميعها دولا ليبرالية تنطلق من القيم الأمريكية في نمط الحكومة أو شكل الحكم مثل العراق، وهذا مما يثير التساؤل حول أهداف بايدن الحقيقية من هذه القمة التي تعرضت لنقد كثير، خاصة بسبب ما تعرضت له الديمقراطية الأمريكية من تشوه فى ظل إدارة ترامب وبالأخص بعد اقتحام الكونجرس ووجود انقسام فى الداخل الأمريكى حول القيم الديمقراطية، مما يجعل الولايات المتحدة فى موقف لا يسمح لها بالحديث عن الديمقراطية على المستوى الدولي[١٣].

وفي هذا السياق، إذا أردنا اختبار حقيقة التوجه الديمقراطي للسياسة الخارجية الأمريكية نحو العالم الإسلامي في ظل إدارة بايدن، نجد أن الواقع لديه تجليات أخرى تجعل المصلحة الأمريكية ذات ثقل كبير على حساب الخطاب الديمقراطي؛ فبإعمال النظر في الدور الأمريكي تجاه ما يجري في السودان على سبيل المثال من قيام الجيش بتغييرٍ لترتيبات العملية السياسية في بلاده واعتقاله لقادة الحكومة المدنية الانتقالية وبدء العمل بقانون الطوارئ. لم يتحدث الرئيس

(١١) محمود عبدالعزيز، قراءة في مستقبل مشروع نشر الديمقراطية الأمريكية حول العالم، المركز الديمقراطى العربى، ٤ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/F4nFU

(١٢) بايدن يجمع حوالي مئة دولة في "قمة من أجل الديمقراطية" أثارت استياء الصين وروسيا، فرانس ٢٤، ٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/nZ153

(١٣) طارق فهمى، قمة بايدن الديمقراطية رسالة خاطئة للعالم، العين الإخبارية، ٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/1DLP5

الأمريكى جو بايدن ولا وزير خارجيته توني بلينكن ولا مستشاره للأمن القومي جيك سوليفان على الهواء حول ما حدث، ولم يوجِّه الرئيس حديثًا للأمة الأمريكية أو للشعب السوداني، واستغرق الأمر خمسة أيام كاملة كي يخرج بيان رئاسي من البيت الأبيض يدعو فيه بايدن إلى إعادة الحكومة بقيادة المدنيين في السودان، وعلى الرغم من أن السودان لا يشكِّل أولوية جيو-استراتيجية لواشنطن مثل غيره من البلاد العربية والإسلامية المنتهكة لحقوق الإنسان كالمملكة العربية السعودية، والتي يعتبر فرض العقوبات عليها ذا تكلفة سياسية عالية بالنسبة لواشنطن؛ بالرغم من هذا فقد كان السودان فرصة بالنسبة لبايدن يستطيع من خلالها أن يتخذ إجراءات أكثر صرامة تعلي من شأن توجهه الديمقراطي بأن يفرض مثلا عقوبات قاسية تشمل حظر دخول قادة السودان العسكريين للأراضي الأمريكية ووقف المساعدات للسودان بكل أشكالها، وعرقلة ومنع تعامل صندوق النقد والبنك الدوليين مع الخرطوم[١٤]، ولكنه لم يفعل؛ مما يشير إلى أن هناك سياسة تمزج بين المثالية والواقعية السياسية تتبعها إدارة بايدن في تعاملها مع العالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط.

ويتجلى ذلك أيضا في موقفها من حرب اليمن وعلاقتها بالسعودية حيث سعت إدارة بايدن لانتهاج مقاربة في التعامل مع المملكة العربية السعودية وحربها في اليمن، تختلف عن ما اتبعته إدارة ترامب السابقة، وتقوم على أساس إعادة صوغ العلاقة مع المملكة بحيث تقوم على موازنة بين القيم والمصالح الأمريكية، وفى سبيل ذلك اتّخذ بايدن مجموعة من الخطوات والإجراءات، فقد صرح بايدن بشأن الحرب في اليمن أن "هذه الحرب يجب أن تنتهي، ولتأكيد التزامنا، فإننا ننهي الدعم الأمريكى كله للعمليات الهجومية في الحرب في اليمن، بما في ذلك مبيعات الأسلحة ذات الصلة"؛ أي الأسلحة التي تستخدم في الهجوم مع استمرار تصدير الأسلحة الدفاعية، وفى هذا السياق أيضا تم إزالة الحوثيين من قوائم الإرهاب، وتم تبرير ذلك من قبل الإدارة الأمريكية بأن هذا الإجراء تم بدواعٍ إنسانية، لكن على الرغم من هذا التنديد بالحرب، إلا أن بايدن أكَّد على دعمه للسعودية التي أشار إلى أنها تتعرض لهجمات صاروخية من فصائل مدعومة إيرانيًّا. وفيما يتعلق بقضية مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي اتهم تقرير الاستخبارات الأمريكية ولي العهد السعودي محمد بن سلمان بالتورط في جريمة قتله، لكن -وعلى الرغم من ذلك- لم تفرض أية عقوبات عليه، وتم تبرير ذلك من قبل الولايات المتحدة بأنها لا تفرض عقوبات على دولة تجمعها بها علاقات دبلوماسية[١٥].

في هذا الإطار تتضح محاولة إدارة بايدن المواءمة بين مصالحها وبين القيم التي تزعم الولايات المتحدة أنها تمثلها، فعلى الرغم من انتقاد إدارة بايدن الحرب التي تقودها السعودية في اليمن ضد الحوثيين، أكدت تعهدها بحماية الأراضي السعودية لا سيما من الهجمات التي يشنها الحوثيون عليها، وذلك لحماية دور السعودية في تحقيق مصالح الولايات المتحدة في المنطقة وحفاظا على أمنها القومي[١٦]؛ لتبقى القيم الديمقراطية حاضرة في الخطاب الأمريكى غير أن لغة المصالح تبقى هي المحرك لما يجري حقيقة في أرض الواقع، فبعض الدول قد تشهد خطابا أمريكيا ديمقراطيا يختلف في قوته وحدته عما تستقبله دولة أخرى وذلك حسب ما تقتضيه المصالح المشتركة[١٧].

٢- كيفية الاستمرار في مكافحة الإرهاب: دلالة الانسحاب من أفغانستان

(١٤) محمد المنشاوي، محاولة لفهم موقف بايدن من السودان، الشروق، ٤ نوفمبر ٢٠٢١، متاح الرابط التالي:https://cutt.us/W9yaW

(١٥) خالد هاشم، سياسة جو بايدن في الشرق الأسط بين المثالية الواقعية، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٥ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/rakmd

(١٦) المرجع السابق.

(17) President Biden's Mixed Policies for the Middle East, Arab center Washington DC, 21 September 2021, available at: https://cutt.us/Sik12

إنه على الرغم من ارتكاز الاستراتيجية الأمريكية نحو العالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط على مجموعة من الثوابت تتمثل بالتحكم بالنفط والحفاظ على أمن إسرائيل وحماية المصالح الأمريكية الأخرى، إلا أن عالم ما بعد ١١ سبتمبر أفرز استراتيجية جديدة يمكن تسميتها "بالحرب على الإرهاب"[١٨]، إلا أن النهج الذي اعتمدته الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب على مدى السنوات العشرين الماضية بالتدخل العسكري المباشر لم يعد مستدامًا اليوم؛ ذلك لأن قضايا الأمن الوطني والدولي الأخرى، من جائحة "كوفيد-١٩" إلى الاقتصاد وتغير المناخ، فرضت على الولايات المتحدة أن تولي اهتماما كبيرا لهذه القضايا وتتحمل مسئوليتها المالية(؟ أم العالمية؟). وفي هذا السياق يقول ماثيو ليفيت مدير برنامج ستاين لمكافحة الإرهاب والاستخبارات في معهد واشنطن إنه يجب على الولايات المتحدة إيجاد طريقة لتبرير نهجها في مكافحة الإرهاب، ففي ظل التزامن مع المنافسة التي تخوضها واشنطن مع القوى العظمى بقيت مسألة مكافحة الإرهاب أولوية قصوى، ولكن تم وضعها في مرتبة أدنى من الأهداف الأخرى، وهي: المنافسة الاستراتيجية مع الصين وروسيا، والتهديدات الإقليمية من إيران وكوريا الشمالية. وفي حين يعتقد البعض أن الولايات المتحدة لا تستطيع الانخراط في صراعات "هامشية" متأصلة في مكافحة الإرهاب (على سبيل المثال سوريا واليمن) ومنافسة القوى العظمى في الوقت نفسه، إلا أن هذه الجهود لم يكمل بعضها البعض، ومن هنا يتم الانتقال من مهمات مكافحة الإرهاب العسكرية التي تقودها الولايات المتحدة ويُمكنها الشركاء إلى المهام التي يقودها الشركاء وتمكنها الولايات المتحدة[١٩].

إن قرار الرئيس جو بايدن بالانسحاب من أفغانستان في أغسطس الماضي بعد عشرين عامًا من الوجود العسكري الأمريكي بالبلاد يعكس استراتيجية أمريكية جديدة في كيفية الاستمرار في الحرب الإرهاب في ظل إدارة جو بايدن كما تعكس اختلافًا في الرؤية بينه وبين الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن، الذي صاغ عبارة "الحرب العالمية على الإرهاب" وذلك في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ حيث صاغ المعركة - ليس فقط بوصفها تحديا لإنفاذ القانون أو لمكافحة الإرهاب ولكن بوصفها صراعا بين الخير والشر، بين دعاة الديمقراطية والحرية والمساواة وبين أعدائها. ولكن هذه الصياغة لم تعد مستساغة الآن، فلقد عرف جو بايدن أن التحدي الآن يتمثل في المنافسة بين المجتمعات المفتوحة والمجتمعات المستبدة المتمثلة في بكين وموسكو، إلا أن هذا الاختلاف في التوجهات الأمريكية لا يعني التوقف عن محاربة الإرهاب، وإنما الاستمرار سيكون على منوال آخر مختلف عن التدخل المباشر[٢٠].

وفي هذا السياق صرح الرئيس جو بايدن في ٣١ أغسطس ٢٠٢١ "سنواصل مكافحة الإرهاب في أفغانستان ودول أخرى دون حروب برية"؛ مؤكدا على أهمية الاعتماد على استراتيجية "العمليات عبر الأفق" أو ما تعرف بـ(over the horizon) والتي تقوم على التقنية العسكرية المتطورة وعلى رأسها الطائرات المسيرة (drones)، وهناك محاولات لتطوير الطائرات المسيرة بحيث تستطيع التعرف على الأفراد المستهدفين، من خلال ملامحهم الشخصية؛ ومن ثم قتلهم اعتمادًا على برامج حاسوبية تلقائية القرار، وليس اعتمادًا على أوامر المشغلين الجالسين خلف شاشات الحواسيب في أماكن تبعد عشرات آلاف الكيلومترات عن مواقع العمليات الحربية، وهذا ما حدث بعد تفجير مطار كابل عندما اغتيل المخطِّط للهجوم على المطار وكان أحد العناصر القيادية في تنظيم داعش، كما قد تشمل

(١٨) حارث قحطان، الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط بعد أحداث ١١ سبتمبر، مجلة جامعة كريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد.٦، مجلد.٢، ٢٠١٠، ص ٣٠٨.

(١٩) ماثيو ليفيت، إعادة النظر في النهج الأمريكي لمكافحة الإرهاب بعد عقدين على أحداث ١١ أيلول/سبتمبر، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ١٧ مارس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/IGGsG

(20) Mark Landler, 20 Years On, the War on Terror Grinds Along, With No End in Sight, The New York Times, 21 September 2021, available at: https://cutt.us/Wb0aZ

استراتيجية العمليات عبر الافق أيضا ضرب المواقع الاستراتيجية.

ولا يقتصر هذا التوجه على الولايات المتحدة؛ إذ يصرح بها أقرب حلفائها. ففي هذا السياق قال رئيس الأركان العامة البريطاني الجنرال مارك كارلتون سميث في ٢ يونيو ٢٠٢١ خلال مؤتمر الحرب البرية التابع لمعهد الخدمات المتحدة الملكية: "إن الجيش المعاصر سيكون أكثر تشابكًا، وأكثر سرعة في الانتشار، وأكثر ارتباطا رقميا، مع ارتباط الجندي بالأقمار الصناعية، وهذا يعني حتما اعتمادا أكبر على التكنولوجيا الرقمية المتطورة، بما في ذلك الذكاء الاصطناعي، والطائرات المسيرة (Drones) في إشارة واضحة، إلى أن الاتجاهات الناشئة عن الصراعات الأخيرة دفعت لإعادة التفكير جذريا في الأولويات الاستراتيجية.

إن الحروب الأمريكية في العراق وسوريا وأفغانستان أظهرت تراجع أهمية الحروب البرية، في ظل تزايد الاهتمام بالأنظمة السيبرانية، والطائرات بدون طيار، وغيرها من الأسلحة التي لا تحتاج إلى قوة بشرية تديرها؛ وهي الأمور التي أسهمت في طرح استراتيجية العمليات "عبر الأفق"، وفى هذا السياق وعقب انتهاء الانسحاب الأمريكي من أفغانستان صرح الرئيس جو بايدن في الأول من سبتمبر ٢٠٢١، أن عصر التدخل العسكري لتشكيل دول أخرى قد انتهى كما أكد على ذلك وزير الدفاع الأميركي الحالي لويد أوستن، في أول خطاب له عقب بدء الانسحاب الأميركي غير المشروط من أفغانستان- أن "الحروب التقليدية استنزفت وزارة الدفاع وقد ولى عهدها"، وتعكس هذه التصريحات بدورها أن هناك اتجاهًا حقيقيًّا لمغادرة عصر التدخلات العسكرية الكبيرة في مناطق الحرب البعيدة، بالنظر إلى عدم نجاح العديد من العمليات العسكرية الكبرى؛ بما في ذلك في أفغانستان، وفي العراق الذي تشكل تجربة غزوّه سببًا كافيًا لمنع السياسيين من القيام بأي تدخُّل عسكريٍّ واسع في الشرق الأوسط لجيل كامل أو أكثر. فقد كانت عمليات الانتشار الواسعة النطاق والطويلة الأجل ذات تكلفة بشرية واقتصادية وذات ثمن سياسي كبير في الداخل الأمريكي[٢١].

٣- الانسحاب من أفغانستان وتداعياته على التدخل العسكري

إن الوجود العسكري الكبير للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي جاء إثر دخولها ثلاث حروب خلال العشرين سنة الماضية، وجاء هذا الوجود العسكرى في سياق مصاحب لعمليات التعزيز الاقتصادي والإنساني التي زعمت الولايات المتحدة أنها تهدف إليها. الأولى كانت في أفغانستان ردًا على هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، والثانية كانت في العراق في ٢٠٠٣ بحجة امتلاك بغداد أسلحة نووية، وبعد الفشل في إيجاد هذه الأسلحة انقلبت المهمة لإقامة دولة ديمقراطية جديدة في بلاد الرافدين، والثالثة كانت ضد الإرهاب في عمومه، خاصة ضد دولة "تنظيم الدولة الإسلامية" على الحدود السورية العراقية. وفى العام الحالي وفي ظل إدارة الرئيس الامريكى الجديد جو بايدن عزمت الدولة الأمريكية على استكمال الانسحاب من الشرق الأوسط[٢٢]، وكان من شواهد ذلك ضعف التدخل الأمريكي في الحرب الفلسطينية الإسرائيلية الأخيرة، حيث سعت للتواصل مع قوى إقليمية لتلعب دور الوسيط للتهدئة ووقف الحرب، مرورًا بقرار الانسحاب من العراق واقتصار تواجد قوات للقيام بمهام استشارية وتدريبية للقوات العراقية، ثم الانسحاب الكلي من أفغانستان الذي تم

(٢١) عماد علو، مكافحة الإرهاب إستراتيجية العمليات عبر الأفق، المركز الأوروبى لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/2sGEf

(٢٢) عبدالمنعم سعيد، ماذا بعد الخروج الأمريكى من الشرق الأوسط، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات، ١١ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/iKdKW

في أغسطس ٢٠٢١؛ حيث يأتي هذا في السياق الرغبة الأمريكية لتقليص الوجود العسكري في المنطقة[٢٣].

ومن خلال تبني نظرية "القيادة من الخلف" ينتهج بايدن ما كان يؤسس له الرئيس السابق باراك أوباما بتقليل التدخل العسكري في منطقة الشرق الأوسط وذلك تجنبا لتكرار مأزق العراق وأفغانستان، وفي هذا السياق نجد بايدن يتحرك نحو ترحيل إبقاء مسألة مكافحة الإرهاب في مقدمة الأهداف الأمريكية بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط، وللعالم الإسلامي مقابل أولويات أخرى مثل طمأنة واشنطن للحلفاء بالإقليم، ودعم الديمقراطية، وخفض التكاليف، هذا بجانب الهدف الرئيسي والمتمثل في تحرير الموارد اللازمة من أجل التحول الاستراتيجي للإدارة الأمريكية إلى منافس للقوى العظمى وفى مقدمتها روسيا والصين.

لقد أعلن وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن في الرابع من فبراير الماضي أن وزارته ستقوم بمراجعة وضع القوة العالمية للبصمة العسكرية الأمريكية ومواردها واستراتيجيتها ومهامها. إذ بالسابق، ركزت "الاستراتيجية الأمريكية للدفاع الوطني" لإدارة ترامب عام ٢٠١٨ على التنافس مع الصين وروسيا كأولوية قصوى؛ وهو ما يعاد طرحه الآن بالنسبة للعالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط في ظل رغبة بايدن في تحويل التركيز بعيدًا عن المنطقة، حيث تحاول إدارة بايدن المواءمة بين تحديات مكافحة الإرهاب ودعم الاقتصاد الأمريكي وذلك لمواجهة تحدي صعود الصين وروسيا كقوى دولية؛ مستندا في ذلك لمجموعة من المؤشرات؛ أهمها: انحسار تنظيم الدولة "داعش" في سوريا والعراق، وشرعنة التعاون الأمني العربي-الإسرائيلي في ظل ما عُرف بـ"الإتفاقات الإبراهيمية"، هذا بالإضافة إلى رغبة الرئيس بايدن في تخفيف التوترات مع إيران والعودة لمباحثات الاتفاق النووي؛ إذ جميعها مؤشرات تدفع الإدارة الأمريكية الحالية إلى إعادة النظر في التدخل العسكري في منطقة الشرق الأوسط وذلك بالانسحاب من مناطق الارتكاز به مع الاحتفاظ بنخبة من القوات الخاصة لدعم عمليات التدخل السريع، والاعتماد على أنظمة المراقبة والسيطرة الجوية "طائرات بدون طيار"، ودعم الحلفاء المحليين والإقليميين لموازنة تداعيات الانسحاب، ودفع القوى الدولية الأخرى لتحمل مسئولياتها بالإقليم -جنبا إلى جنب- مع الاعتماد على سياسات مرنة ترتكز على جهود زيادة الخيارات غير العسكرية لواشنطن، مثل تعزيز الأداة الدبلوماسية، وإصلاح العلاقات مع الشركاء، وإعادة تأكيد التزام الولايات المتحدة بالمنظمات الدولية.

ومن الآليات البديلة المطروحة أيضا لتحجيم التدخل العسكري الأمريكي: إعادة النظر في استبدال البحرية الأمريكية لعمليات "الانتشار المستمر" بعمليات انتشار أقصر وأقل توقعا، وكذلك بحث إمكانية تحويل أصول "الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع" بعيدًا عن الوجود الدائم في منطقة الشرق الأوسط، والاستعانة بالقوات الأمريكية المتمركزة في أوروبا بتوسيع النطاق الاستخباراتي لها، فضلا عن موازنة الخروج الأمريكي من المنطقة وخفض عمليات الانتشار الدائمة في الشرق الأوسط واستبدالها بتمارين قتالية متكررة ومتعددة الأطراف، وهو ما يستلزم بناء برامج شراكة وتدريب ومساعدة، خاصة مع الشركاء بالمنطقة؛ مثل: العراق وشمال سوريا، وبما يخدم مصالح متعددة؛ أهمها: ردع العدوان، وزيادة التعاون الإقليمي، وطمأنة الحكومات المحلية، وتعزيز قدرتها على حماية حدودها، وبالتالي تخفيف العبء الأمريكي وتحجيم الإنتشار العسكري[٢٤].

خاتمة:

يتبين لنا مما سبق عرضه أن هناك نقاط تحول تشهدها الاستراتيجيات الأمريكية في التعامل مع العالم، ومع العالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط خصوصا، فبعد سنوات من

(٢٣) عمار ياسر، تداعيات الإنسحاب الأمريكى من الشرق الأوسط، المركز الديمقراطى العربى، ١٢ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/fgJmN

(٢٤) إيمان زهران، ماذا بعد الخروج الأمريكى من الشرق الأوسط؟، مجلة السياسة الدولية، ١٣ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Hbkux

التدخل العسكري الأمريكي في المنطقة لنشر الديمقراطية ومحاربة الإرهاب حسب المزاعم الأمريكية، يشهد العالم الإسلامي سياسات متغيرة مع ثبات بعض الأهداف واختلاف بعض الوسائل؛ وذلك في ظل ما شهدته الولايات المتحدة من خسائر بشرية واقتصادية وسياسية نتيجة لما تبنته من سياسات التدخل المباشر، وفي ظل صعود قضايا أخرى على سلم الأولويات الأمريكية، كالتنافس المحتدم مع الصين وروسيا، والعمل على بناء أنظمة ديمقراطية مع إغفال وسائل تحقيق ذلك ومع إغفال السياقات الاجتماعية والسياسية ذات الطبيعة المختلفة للمجتمعات الإسلامية.

ومن هنا يرسم لنا هذا العام في ظل إدارة جو بايدن مؤشرات أولية لكن هامة لما ستكون عليه السياسة الخارجية الأمريكية نحو العالم الإسلامي خاصة بعد الانسحاب الأمريكي الكامل من أفغانستان بعد تدخل دام عشرين عاما، حيث يتم تحجيم التدخل العسكري، مع الاستمرار في محاربة الإرهاب لكن بوسائل جديدة، والسعي إلى تقويض قوة إيران النووية؛ وذلك في ظل استراتيجية توجه قوي نحو قارة آسيا؛ مما يبقي التساؤلات قائمة ومتجددة حول ما يحمله المستقبل للنظام العالمي وأقطابه.

*****

من الاختراقات إلى الحروب الإلكترونية عبر العالم

بيجاسوس الإسرائيلي نموذجًا

مروة يوسف(*)

مقدمة:

يعد الفضاء الإلكتروني ساحة كبرى للتفاعلات الفردية والمحلية والدولية؛ حيث أصبح صورة افتراضية للواقع بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ من حيث التفاعل بين الأفراد والمجتمعات والدول؛ السلبي منه والإيجابي، العلني أو الخفي، تفاعلا قائما على التعاون أو الصراع أو حتى قد يصل الأمر إلى الحروب والإرهاب الإلكتروني(١).

ومن أهم التفاعلات التي تشغل العديد في الوقت الراهن التجسس الإلكتروني؛ سواء من قبل الدول أو الشركات أو الأفراد؛ حيث أصبح التجسس الإلكتروني من أبرز التهديدات الأمنية الحديثة التي تتعرض لها الحكومات والمواطنون من طرف استخبارات خارجية أو أخرى داخلية تجاه مواطنيها على حد سواء. وقد تضاعفت عمليات التجسس الإلكتروني مع التطور التكنولوجي، حتى إن هناك من الحكومات من شرّعت بشكل غير مباشر التجسس الإلكتروني داخليا وخارجيا على المؤسسات والمواطنين. وقد شهد مجال التجسس الإلكتروني تطورا هائلا في السنوات القليلة الماضية، حيث يمكن تعددت طرقه وأساليبه وأدواته؛ ومنها على سبيل المثال:

ساعات الحائط: حيث تحتوي على كاميرا مخفية، مزودة ببطارية ذات عمر طويل، ويمكن الاتصال بها عبر شريحة مزودة بها والاستماع إلى التسجيلات، كما يمكن أن تستقبل رسائل نصية لتفعيل عملها وبدء التسجيل أو الإيقاف، إضافة إلى أنه من الممكن بث تسجيل مباشر واستقباله بواسطة هاتف محمول.

أقمار التجسس: تعتبر الأقمار الصناعية من أهم أساليب التجسس الإلكتروني؛ حيث إنها تتطور كل عام مع تطور التكنولوجيا في العالم، ويوجد نحو ٥٠٠٠ قمر صناعي في سماء العالم وظيفتها مراقبة الدولة لسكانها ومراقبة الدول الأخرى التي من شأنها أن تقع صراعات معها.

تطبيقات الجاسوسية الإلكترونية: يستخدم هذا الأسلوب بالاعتماد على التنقل الجغرافي للشخص مع الربط على مواقع التواصل الاجتماعي ومتابعة المنشورات التي يقوم الشخص بنشرها والتفاعل معها، استخدمت هذه التطبيقات والبرامج مع المتهمين بالإرهاب عبر دول العالم، الذين كانوا ينتمون إلى جهات مشكوك بأمرها، حيث يقوم البرنامج بمراقبة نشاط الفرد على المنصات الإلكترونية وتتبع انتقاله وتسجيل الجهات التي يلتقي معها على أرض الواقع مع تسجيل صوتي للحديث الذي يدور بين تلك الأطراف.

نظارات التجسس الاستخباراتية: تعتبر هذه النظارات أداة تجسس حكومي؛ إذ يشتهر بها رجال الشرطة في الموانئ والمطارات، وهي عبارة عن نظارة شمسية تعطي الملف الجنائي الكامل لأي أحد يقع نظر الشرطي عليه، هذه النظارات وظيفتها

(*) باحثة بمركز الحضارة للدراسات والبحوث.

(١) للمزيد حول هذا الموضوع، انظر:

- الأعداد الحادي والعشرين أبريل ٢٠٢١، والثالث والعشرين أكتوبر ٢٠٢١ من فصلية قضايا ونظرات، على موقع مركز الحضارة للدراسات والبحوث، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/qhKa5

الإمساك بالمجرم والتعرف عليه حتى لو كان بين عشرات الآلاف من الناس.

الحشرات التجسسية: اليعسوب والصرصار والذبابة هي ثلاثة أنواع من الحشرات تم تطوير أجهزة تجسس تشبهها تماما، ولكل واحد منهم تقنيات ومميزات تختلف عن الآخر بغرض جمع المعلومات الاستتخباراتية[٢].

ومما سبق، قد يظهر للعيان أن التجسس الإلكتروني تقوم به دول بغرض حماية مصالحها، وهذا ما ظهر في عدة فضائح ووثائق مسربة حول تجسس دول على بعضها البعض وعلى مواطنيها[٣]؛ مثل تسريبات عميل الاستخبارات الأمريكي إدوارد سنودن[٤]. إلا ان التطور التكنولوجي أتاح وسهل من عمليات التجسس الإلكتروني على آخرين؛ سواء من قبل الدول أو الشركات أو حتى الأفراد، ولعل برنامج بيجاسوس الذي تظهر أخباره من فترة لأخرى في الآونة الأخيرة حول عمليات تجسسه على الهواتف الذكية وأصحابها من رؤساء دول وسياسيين ورجال أعمال ومشاهير يجعلنا نتساءل: هل بات أحد في مأمن من التجسس عليه في ظل طغيان التطور التكنولوجي والإلكتروني في حياة الأفراد والكيانات الجماعية في الوقت الراهن؟

وعليه يركز هذا التقرير على تتبع قصة برنامج بيجاسوس وتطوره على مدار أعوام خمسة أو عشرة ماضية، من حيث ماهيته وتطوره وضحاياه، ونوعية التهديد الذي يمثله، وردود الفعل العالمية عليه، ثم نختم بتأمل حول مستقبل التجسس الإلكتروني في وأثره على التفاعلات بين الأفراد والدول في ظل عالم شديد التعقيد والتغير.

أولًا- ماهية برنامج بيجاسوس وتطوره:

تم اكتشاف برنامج بيجاسوس أول مرة في أغسطس ٢٠١٦ بعد محاولة فاشلة لتنصيبه على هاتف آيفون لناشط في حقوق الإنسان في الإمارات العربية يدعى أحمد منصور، من خلال رابط مشبوه في رسالة نصية. وفي ٢٠١٨ تم اكتشاف أن بيجاسوس اخترق نحو ٢٠٠ جهاز عندما قام فريق بحثي من معهد Citizen Lab الأمني في كندا، بإجراء عملية تتبع ورصد لانتشار البرمجية الخبيثة على مستوى مشهد الاختراقات الإلكترونية وعمليات التجسس، ولكن في نهاية ٢٠١٨، تبين أن قصة بيجاسوس تعود إلى عام ٢٠١٣، عندما قامت الشركة الإسرائيلية المطورة NSO Group ببيع برمجيتها إلى بعض عملائها الجدد، إلا أنه لم يتم معرفة متى بدأت عمليات بيع البرنامج على وجه الدقة[٥].

وقد طور برنامج بيجاسوس شركة "إن.إس.أو N.S.O "؛ وهي شركة إسرائيلية متخصصة في تطوير أدوات التجسس السيبراني، تأسست عام ٢٠١٠ ويعمل فيها نحو ٥٠٠ شخص ومركزها قرب تل أبيب[٦]، ومؤسسNSO Group هو ضابط سابق في وحدة "Unit 8200" المسئولة عن عمليات التجسس الإلكتروني بالجيش الإسرائيلي، وتلزم موافقة وزارة الدفاع الإسرائيلية على برمجيات التجسس التي تبيعها الشركة الإسرائيلية، وذلك قبل عرضها للبيع على العملاء الأجانب. وبحسب القانون الإسرائيلي

(٢) ما هو التجسس الإلكتروني وماهي اساليبه وطرق مكافحتها؟، سايبر وان، ٣ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٣٠ نوفمبر٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/v83zx

(٣) التجسس الإلكتروني.. كيف تقوم الإستخبارات باختراق الهواتف وأجهزة الكمبيوتر؟، وحدة الدراسات والتقارير، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، ٣ أكتوبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع ٣٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/dXgZ2

(٤) إدوارد سنودن هو خبير كمبيوتر محترف أميركي الأصل، وعميلٌ سابق في الوكالة المركزية للاستخبارات الأمريكية، وكشف تورط وكالة الأمن القومي في بعض ممارسات المراقبة المحلية، التي كان يعتقد أنها تنتهك الخصوصية، نشر الأدلة التي وصل إليها وكانت من أكبر فضائح التجسس على المستوي العالمي.

(٥) محمد عادل، برنامج التجسس "بيغاسوس" تحت المجهر، موقع الشرق، ٢٣ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٥ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/3UmGO

(٦) بعد فضيحة بيغاسوس.. شركة إسرائيلية طورت أداة تمكنها من اختراق هواتف آيفون، موقع الجزيرة، ١٣ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٥ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/LQicJ

فإن بيجاسوس تتم معاملته كسلاح حربي؛ إذ لا يمكن بيعه إلى أي جهة أو حكومة إلا بعد موافقة وزارة الدفاع الإسرائيلية[٧].

ويعتبر بيجاسوس من أخطر برامج التجسس وأكثرها تعقيدًا؛ إذ هدفه الأساسي هو إصابة الهواتف العاملة بأنظمة "Android" و"IOS"، وعادة ما تختلف النسخة التي تهاجم نظام "أي أو إس" عن التي تهاجم نظام أندرويد. وتكمن قوة هذا البرنامج وخطورته في ضخامة كمية البيانات التي يجمعها وقدرته العالية على جمع البيانات حتى في أوضاع عدم الاتصال بالإنترنت؛ حيث يستغل هذا البرنامج من تغلغل الهواتف الذكية في حياة الأفراد؛ فيحول الهاتف إلى جهاز مراقبة على صاحبه[٨]، وعادة ما يستهدف الثغرات الموجودة في الهواتف الذكية[٩].

وبيجاسوس من نوع "البرامج الضارة المعيارية" (modular malware)؛ أي إنه مؤلف من وحدات؛ حيث يقوم أولا بـ"مسح" (Scan) الجهاز المستهدف، ثم يثبت الوحدة الضرورية لقراءة رسائل المستخدم وبريده الإلكتروني، والاستماع إلى المكالمات، والتقاط صور للشاشة، وتسجيل نقرات المفاتيح، وسحب سجل متصفح الإنترنت، وجهات الاتصال، كما أن بإمكانه الاستماع إلى ملفات الصوت المشفرة، وقراءة الرسائل المشفرة بفضل قدراته في تسجيل نقرات المفاتيح وتسجيل الصوت؛ حيث يسرق الرسائل الصادرة قبل تشفيرها، والرسائل الواردة بعد فك تشفيرها. وبهذا فالبرنامج يمكنه فعل أي شيء يمكن للمستخدمين القيام به؛ بما في ذلك قراءة الرسائل النصية، وتشغيل الكاميرا والميكروفون، وإضافة وإزالة الملفات، ومعالجة البيانات[١٠].

مع اكتشاف بيجاسوس عام ٢٠١٦ تبين أن اختراق الهواتف يحدث من خلال ما يسمى "التصيد الاحتيالي"؛ أي بإرسال الرسائل النصية أو رسائل البريد الإلكتروني التي تدفع الهدف للنقر على رابط اختراق. ولكن من بعدها، ازدادت قدرات برنامج بيجاسوس تقدمًا، وأصبح بإمكانه الوصول إلى أهدافه عن طريق ما يسمى "الهجمات الخالية من النقر" zero-click، التي لا تتطلب أي تفاعل من مالك الهاتف ليتمكن من البرنامج اختراقه. وغالبًا ما تستغل هذه الهجمات ثغرات "الهجمات دون انتظار" zero day؛ وهي عيوب أو أخطاء في نظام التشغيل لا تكون الشركة المصنعة للهاتف المحمول قد اكتشفتها قبل تسويق الهاتف وبيعه؛ وبالتالي لا تتمكن من إصلاحها[١١].

ولا تختلف نسخة أندرويد كثيرا عن نسخة آي أو إس، لكنها لا تعتمد على ثغرات "زيرو- داي" لاختراق الجهاز وإنما تعتمد على أسلوب معروف جدا لكسر حماية الجهاز يدعى "فراماروت" Framaroot، بالإضافة إلى اختلاف آخر هو أنه في حال فشل بيجاسوس في كسر حماية نسخة "آي أو إس" فإن الهجوم بأكمله يفشل، لكن في حالة نسخة أندرويد فإنه حتى لو فشل الفيروس في الوصول إلى جذر الهاتف لتثبيت برامج التجسس فإنه سيظل يحاول الطلب من المستخدم الحصول على الأذونات اللازمة لاستجلاب بعض البيانات على الأقل[١٢].

وعيوب أو أخطاء نظام التشغيل أو Zero Day عادة ما تركز عليها شركة آبل؛ لأنها تروج لهاتفها الأحدث "آي فون" على أنه غير قابل للاختراق؛ حيث تستثمر شركات التكنولوجيا العملاقة مبالغ طائلة سنويا للتأكد من أنها ليست عرضة لقرصنة قد تعطل أنظمتها، وتعرض تلك الشركات "مكافآت صيد ثغر"

(٧) محمد عادل، برنامج التجسس "بيغاسوس" تحت المجهر، مرجع سابق.

(٨) قاتل بلا أثر.. من هو الجاسوس الإسرائيلي بيغاسوس الذي يثير الفوضى في العالم؟، موقع ميدان، ١٤ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٥ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ZzyjY

(٩) كيف يعمل برنامج التجسس بيجاسوس وهل فعلا أغلقته الشركة الإسرائيلية؟، موقع الجزيرة،٢١ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/GcJEK

(١٠) المرجع السابق.

(١١) ما هو برنامج "بيجاسوس" الإسرائيلي للتجسس.. ولماذا يعد أقوى نظام لاختراق الهواتف في العالم؟، عربي بوست، بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/QNfSC

(١٢) كيف يعمل برنامج التجسس بيجاسوس وهل فعلا أغلقته الشركة الإسرائيلية؟، ٢١ يوليو ٢٠٢١، موقع الجزيرة، تاريخ الاطلاع ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/GcJEK

لخبراء المعلوماتية في حال حذروها من عيوب في برامجها قبل أن يتم استخدامها، وخاصة عيوب شن الهجوم، وعادة ما يراقب العاملون في شركة NSO الإسرائيلية شبكة الإنترنت المظلم؛ حيث يتداول ويتفاوض قراصنة معلومات حول الثغرات الأمنية التي اكتشفوها، أو يكتشفها العاملون بالشركة بأنفسهم ليقوموا هم باستغلالها(١٣).

وفي تطور آخر لبيجاسوس بدأ البرنامج في استخدام التطبيقات المثبتة على الهاتف من أجل اختراقه، فعلى سبيل المثال في عام ٢٠١٩، رفع تطبيق المراسلة "واتساب" دعوى قضائية ضد الشركة الإسرائيلية قال فيها إنها استخدمت إحدى الثغرات في نظام التشغيل الخاص به لتثبيت برامج التجسس لنحو ١٤٠٠ هاتف، وبمجرد الاتصال بالشخص المستهدف عبر "واتساب"، يمكن أن يتم تحميل بيجاسوس سرًّا على هاتفه حتى لو لم يرد على المكالمة، وبدأت NSO في استغلال الثغرات الأمنية في برنامج iMessage المثبّت على هواتف آبل؛ وهو ما مكّنها من اختراق أجهزة آيفون بكل سهولة.

وترى شركات التجسس -مثل NSO- أن استغلال البرامج المثبّتة على الأجهزة افتراضيًا مثل iMessage، أو المستخدمة على نطاق واسع مثل واتساب، أفضل كثيرًا؛ لأنها تزيد من أعداد الهواتف المحمولة التي يتمكن برنامج التجسس من اختراقها بنجاح. ويبدو مما سبق أن المطورين والمبرمجين في الشركة الإسرائيلية يعملون من أجل إيجاد ثغرات واستغلال تطبيقات جديدة يمكن من خلالها اختراق أجهزة الهواتف الذكية. ويمكن أيضًا تثبيت بيجاسوس عبر جهاز إرسال واستقبال لاسلكي يوضع قريبًا من الهدف، أو وفقًا لكتيب NSO، يمكن تثبيته يدويًا بسباطة إذا تمكن أحد العملاء من سرقة هاتف الهدف. ويفتح هذا سباقًا أمنيًا قد لا يستطيع الأفراد والشركات المنتجة لتكنولوجيا الاتصال اللحاق به(١٤).

وبذلت شركة NSO -وما زالت تبذل- جهودًا كبيرة حتى تجعل برنامجها صعب الكشف، ويعتقد الباحثون في مجال الأمن أن الإصدارات الأحدث من بيجاسوس تعمل في ذاكرة الهاتف المؤقتة فقط، وليس في قرصه الصلب، وهو ما يعني أنه فور إيقاف تشغيل الهاتف، يختفي كل أثر للبرنامج تقريبًا، مما يعني أنه إذا تم الكشف على جهاز ولم يظهر أثر لبيجاسوس فإن هذا لا يعني أنه لم يتم اختراق الجهاز من قبل أو أنه لن يخترق في المستقبل(١٥)؛ حيث يختفي مفهوم الأمان. وبالفعل أصبح من الصعب جدًا التعرف على هجمات بيجاسوس قبل وقوعها وأثناءه.

وبيجاسوس ليس هو البرنامج الوحيد الذي يمكنه اختراق الهواتف الذكية، فهناك ما يقرب من ستة برامج تملكها شركات أخرى حول العالم، ولكن بيجاسوس وشركته الإسرائيلية الأكثر شهرة عالميا؛ نظرا إلى امتلاك الأخيرة أكبر عدد من الزبائن حول العالم وأنها الأكثر ترويجًا لقدراتها علنيًّا (١٦). ومع تزايد التطور التكنولوجي فإن المزيد من تلك البرامج سيتم طرحه في الأسواق وهناك دائما من يرغب في الشراء، مع ما يصاحب ذلك من أسئلة ومشكلات عن الأبعاد الأخلاقية والقانونية والاجتماعية التي تتعلق بالخصوصية والأبعاد السياسية والاقتصادية المتعلقة بالأمان وتأثر المصالح ليس على مستوى الأفراد فحسب بل على مستويات الدول والكيانات الكبيرة من ضحايا مثل هذه البرامج أيضًا.

---

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) شيماء عبد المنعم، ما هو برنامج التجسس الإسرائيلي "بيجاسوس"؟ وكيف يخترق الهواتف الذكية؟، صدي البلد، بتاريخ، ٢١ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/yNWRR

(١٥) خبير لDW عربية: برنامج "بيجاسوس" التجسسي ذكي جدا وكشفه صعب، موقع DW، بتاريخ ٢١ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/g1gwm

(١٦) بيغاسوس" ليس البرنامج الوحيد الذي تستعين به الحكومات للتجسس.. هناك غابة شاسعة لسوق التجسس، عربي بوست، ٢٣ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٣ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/tY8yk

ثانيًا- أهم ضحايا برنامج بيجاسوس:

بدأت فضيحة برنامج بيجاسوس الإسرائيلي الأخيرة مع حصول كل من "فوربيدن ستوريز" ومنظمة العفو الدولية على قائمة بخمسين ألف رقم هاتف اختارها زبائن لمجموعة "إن اس أو" الإسرائيلية منذ ٢٠١٦ بهدف القيام بعمليات تجسّس محتملة، وأرسلت المنظمتان القائمة إلى مجموعة من ١٧ وسيلة إعلامية؛ بينها صحف مثل واشنطن بوست وذي غارديان ولوموند وذلك في يوليو ٢٠٢١[١٧]؛ إلا أن تلك القائمة لم تكن الأولى ولم يكن معروفًا ما الذي يفعله بيجاسوس في الهواتف الذكية.

وعلى مدار السنوات القليلة الماضية زاد الجدل حول البرنامج مع المزيد من الاكتشافات والفضائح الناتجة عن ظهور أسماء لشخصيات شهيرة تم اختراق هواتفها عن طريق هذا البرنامج، أو معرفة بعض الشخصيات والدول التي قامت بشرائه وكيف استخدمته، وقائمة من ضحاياه[١٨].

فالقائمة سابقة الذكر ذات الخمسين ألف رقم لهاتف توضح أن معظم الهواتف لصحفيين، ولكن بعضها يعود أيضًا لساسة ونشطاء حقوقيين ومدراء شركات وآخرين، ومن بين المستهدفين بالبرنامج ساسة أوروبيون بارزون كرئيس وزراء بلجيكا السابق ورئيس المجلس الأوروبي الحالي شارل ميشيل. كما تم استهداف رقم والده، لويس ميشيل، الذي كان عضوًا في البرلمان الأوروبي حتى عام ٢٠١٩[١٩].

الاسم الآخر البارز في تلك القائمة هو الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون؛ حيث عثر على رقم هاتف يستخدمه منذ عام ٢٠١٧ من بين الأرقام المستهدفة، كما عثر على أرقام تعود لأحد حراسه الشخصيين السابقين ورقم وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان، ورئيس الوزراء الأسبق إدوار فيليب[٢٠].

وثمة حوالي ١٥ ألف رقم من اللائحة المنشورة تعود لأشخاص من المكسيك؛ من بينهم الرئيس أندريس مانويل لوبيس أوبرادور، وبعض أفراد أسرته وآخرين من معارفه، وكانت المكسيك أول دولة تمتلك برنامج "بيجاسوس" عام٢٠١١. وتم ربط البرنامج بمقتل صحفي مكسيكي؛ حيث اغتيل سيسيليو بينيدا بيرتو بالرصاص عام ٢٠١٧ بعد أن نشر تقارير لسنوات عن الفساد ومافيا المخدرات، بالإضافة إلى وجود أرقام ٢٦ صحفيًا مكسيكيًا، من بينهم رئيس مكتب صحيفة "نيويورك تايمز" في العاصمة المكسيكية ورقم إحدى معدات التقارير في العاصمة لصالح قناة "سي إن إن" الأمريكية[٢١].

---

(١٧) فضيحة بيغاسوس: دعاوى قضائية وتحقيقات ونفي اتهامات، فرانس ٢٤، ٢٣ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ALlLi

(١٨) للمزيد حول ضحايا برنامج بيجاسوس، انظر:

- الولايات المتحدة تدرج NSO الإسرائيلية مصممة برنامج بيجاسوس على القائمة السوداء، الخليج الجديد، ٣ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/CLavy
- ما الذي نعرفه عن برنامج التجسس الإسرائيلي "بيجاسوس" حتى الآن؟، يورونيوز، ١٩يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/S8B28

(١٩) من يتجسس على من.. كيف استعان زعماء ببرنامج "بيجاسوس" الإسرائيلي لمراقبة خصومهم وحتى عائلاتهم؟، عربي بوست، ١٨ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/BWXdq

(٢٠) قضية برنامج التجسس بيغاسوس: فرنسا تندد بوقائع "صادمة وخطيرة للغاية"، فرانس ٢٤، ١٧ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/BeUba

(٢١) للمزيد حول استخدام بيجاسوس في المكسيك، انظر:

- مسؤول: حكومة المكسيك الحالية لم توقع عقود شراء برنامج التجسس بيجاسوس ، يورونيوز، ٢١ يوليو٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/YENaH
- النيابة المكسيكية تفتح تحقيقًا في استخدام محتمل لبرنامج "بيغاسوس" داخل الحكومة، مونت كارلو العربية، ٢١ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/0JpRK

وفي المجر تم استهداف الصحفيين سزابولكس باني وأندراس زابو، اللذين يعملان في Direk36 الاستقصائية المعارضة[٢٢]، ومن بين من تعرض للتجسس إحدى أشهر الصحفيات الاستقصائيات في أذربيجان، خديجة إسماعيلوفا، هذا بالإضافة لعديد كبير من الصحفيين والنشطاء الحقوقيين في البلاد، وعُثر في هواتفهم على آثار لبرنامج التجسس بيجاسوس، وفي القائمة السابقة ظهرت أسماء نحو ألف شخص من أذربيجان استخدمت الحكومة البرنامج للتجسس عليهم[٢٣].

وفي إلى الهند أوضحت القائمة السابقة أن حكومتها تجسست على أكثر من ٥٠٠ رقم من بينهم معارضون ووزراء[٢٤]، واتهمت باكستان الهند أنها استخدمت البرنامج للتجسس على رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان[٢٥].

وتجسست راوندا على المعارضة وعلى هاتف رئيس جنوب أفريقيا سيريل رامافوزا، وبشكل عام يعتقد أن راوندا تجسست على ما يقارب ٣٥٠٠ هاتف ذكي[٢٦].

وتستخدم إسرائيل نفسها البرنامج كما تشاء، وقد ظهرت تقارير تفيد تجسس إسرائيل على مسئولين ونشطاء ومنظمات فلسطينية، ومن ضمنهم مؤسسة "الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان" و"الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال - فلسطين"، و"الحق" و"اتحاد لجان العمل الزراعي"، و"اتحاد لجان المرأة العربية"، و"مركز بيسان للبحوث والإنماء"؛ حيث صنفت إسرائيل تلك المنظمات على أنها منظمات إرهابية[٢٧]، وأشارت بعض التقارير إلى أن إسرائيل تقوم بتجربة مدى فاعلية النسخ المطورة من البرنامج على الناشطين الفلسطينيين.

واتضح أيضا استخدام معظم الدول العربية للبرنامج، فهناك ١٦ دولة عربية استخدمت برنامج بيجاسوس؛ حيث تبين أن هناك ١٦ مشغلا للبرنامج في الدول العربية، وتتصدر الإمارات قائمة الدول العربية المستهدفة بالبرنامج ب(٦) مشغلين، تليها قطر (٥)، فالأردن (٣)، ثم البحرين ولبنان وفلسطين والمغرب وتونس (٢)، فالسعودية والجزائر والعراق ومصر وسلطنة عمان وليبيا والكويت واليمن (مشغل واحد). استخدِم البرنامج في الدول العربية للتجسس على الأمراء والصحفيين والناشطين، لكن من المثير معرفته أن البعض تجسس به على أطفاله وزوجاته[٢٨]، بالإضافة إلى ذلك فقد تم ربط البرنامج بمقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي في

(٢٢) قضية بيغاسوس: النيابة العامة المجرية تحقق في الاتّهامات الموجّهة إلى الحكومة، يورونيوز، ٢٢ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/HdH0y

(٢٣) ميراندا باتروسيك وكيلي بلوس، تسريبات "بيغاسوس"- آذربيجان: صندوق حديد ربما يحمي خديجة من التجسس، موقع درج، ١٩ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٦ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/nXDMd

(٢٤) بيغاسوس: محكمة هندية تحقق في استخدام برنامج التجسس الإسرائيلي لاختراق هواتف مسؤولين، بي بي سي عربي، ٢٧ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٦ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/drjQL

(٢٥) باكستان تطالب بالتحقيق في تجسس الهند عليها عبر "بيغاسوس"، وكالة الأناضول، ٢٣ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٦ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/K12aF

(٢٦) أبرز الدول التي كانت ضحية فضيحة "بيجاسوس"، موقع DW، بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢١ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/SyCpV

(٢٧) للمزيد حول تجسس إسرائيل على الفلسطينيين، انظر:

- "إسرائيل" استخدمت "بيغاسوس" للتجسس على منظمات فلسطينية، موقع الميدان، ٨ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٧ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/vJh3M
- منظمات: اختراق أجهزة نشطاء فلسطينيين ببرنامج "بيغاسوس"، موقع DW، ٨ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٧ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/KTl4f

(٢٨) ١٦ دولة عربية شملها التجسس ببرنامج "بيغاسوس".. ما التفاصيل؟، موقع الجزيرة، ١٥ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٧ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/wwkXq

القنصلية السعودية في إسطنبول عام ٢٠١٨، حيث تم اختراق هاتف كل من خطيبته وصديقه[٢٩].

ثالثًا- ردود الفعل العالمية:

أثارت القائمة السابقة ردود فعل متباينة في دول العالم كله، حيث مثلت فضيحة عالمية ليس لاكتشاف البرنامج في حد ذاته؛ ولكن لنوعية الأسماء الموجودة في القائمة من صحفيين ونشطاء وأمراء ووزراء ورؤساء وزراء وحتى رؤساء جمهوريات، وتراوحت ردود الأفعال بين التالي:

أعلنت الجزائر، أنها تحتفظ بحق الرد، على ما وصفته "الاعتداء الممنهج على حقوق الإنسان"، عبر استخدام برنامج التجسس بيجاسوس، ضد بعض مسئوليها، وقالت الخارجية الجزائرية في بيان: "الجزائر تعرب عن قلقها العميق بعد كشف مجموعة من المؤسسات الإعلامية ذات السمعة المهنية العالية، عن قيام سلطات بعض الدول وخاصة المغرب، باستخدام واسع النطاق لبرنامج التجسس بيجاسوس ضد مسئولين ومواطنين جزائريين"[٣٠]. وقد أشير في هذا السياق إلى اتهام الجزائر للمملكة المغربية حيث تتوتر العلاقات بينهما في الفترة الأخيرة.

ومن جانبها رفضت المملكة المغربية ما وصفته "بالادعاءات الزائفة"، ونددت بها جملة وتفصيلا، وأكدت عدم ارتكازها على أساس من الواقع، وأنها على غرار ما سبقها من ادعاءات مشابهة لمنظمة العفو الدولية بهذا الخصوص؛ سواء في التجسس على مسئولين جزائريين أو التجسس على الرئيس الفرنسي أو حتى التجسس على ملك المغرب نفسه الملك محمد السادس[٣١].

وأعلنت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل في تعليق على برنامج التجسس الإسرائيلي بيجاسوس أن من المهم ألا تقع هذه البرامج في الأيدي الخطأ(!)، إنه يجب ألا تملكه دول ليس فيها أي إشراف قضائي على كيفية استخدام برمجيات التجسس[٣٢].

وبالنسبة لباقي الدول التي ظهرت أسماؤها كدول استخدمت بيجاسوس في التجسس على آخرين، فقد فتحت كل من الهند والمجر والمكسيك تحقيقات بهذا الشأن لمعرفة من المتورطون في تلك الفضيحة، وإن بدت تحقيقات صورية لن تصل إلى شيء غير تهدئة الرأي العام المحلي والعالمي حول تلك الفضيحة، أما الدول العربية التي ظهر تورطها في استخدام البرنامج فاكتفت بالنفي دون إجراء أي تحقيقات[٣٣].

ولم تكن الدول هي الكيانات الوحيدة التي قامت باتخاذ رد فعل على تلك الفضيحة، فقد أعلنت شركة أمازون العالمية أنها قررت قطع شبكة الإنترنت عن برامج تجسسية لشركة NSO الإسرائيلية؛ حيث صرحت أمازون عبر رسالة إلكترونية إن شركة الإنترنت التابعة لها AWS، قطعت خطوط الإنترنت عن بعض الخدمات التي تقدمها شركة NSO، وذلك عقب اكتشاف أن جيف بيزوس رئيس شركة أمازون كان أحد ضحايا برنامج بيجاسوس[٣٤].

أما فيما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية، فقد أدرجت وزارة التجارة الأمريكية شركتي (إن.إس.أو) وكانديرو

(٢٩) إسرائيل تؤكد لفرنسا أنّها تتعامل "بجدية" مع قضية بيجاسوس، مصراوي، ٢٩ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/qEkub

(٣٠) ردود أفعال دولية متباينة على فضيحة بيغاسوس.. دعاوى تشهير وتحقيقات، موقع DW، ٢٣ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ZFouc

(٣١) ملف "بيغاسوس": هل تجسست الأجهزة المغربية على الملك محمد السادس وعائلته؟، مونت كارلو الدولية، ٢٠ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/cpAJK

(٣٢) برنامج تجسس لشركة إسرائيلية يثير ردود فعل دولية، بي نيوز، ٢٢ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ltv6r

(٣٣) المرجع السابق.

(٣٤) أول رد فعل عملي على فضيحة "بيغاسوس".. "أمازون" تفصل خوادم الشركة الإسرائيلية صاحبة برنامج التجسس، موقع لكم، ٢١ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/coZMd

الإسرائيليتين على قائمتها السوداء للمعاملات التجارية، وقالت الوزارة إنهما باعتا برامج تجسس لحكومات أجنبية استخدمتها في استهداف مسئولين حكوميين وصحفيين وغيرهم.

وتم أيضا إدراج "بوزيتيف تكنولوجيز" الروسية وشركة استشارات "مبادرة أمن الكمبيوتر" في سنغافورة على نفس القائمة. وقالت الإدارة إن هذه الشركات تاجرت بالأدوات الإلكترونية المُستخدمة في الدخول غير المصرح به لشبكات الكمبيوتر، وجاء إدراج تلك الشركات في هذه القائمة لضلوعها في أنشطة تتعارض مع الأمن القومي الأمريكي أو مصالح السياسة الخارجية، وفرض قيود على بيع منتجات لها من نظيراتها في الولايات المتحدة[٣٥].

أما رد فعل شركة NSO نفسها فقد نفت ما أطلقت عليه "ادعاءات لا أساس لها من الصحة"، وقالت إن تكنولوجيا بيجاسوس تستخدم من قبل دول لمحاربة الإرهاب والجريمة المنظمة، وإنها لا تستخدم في غير ذلك، وإنها تقوم بالتأكد من الدول قبل بيعها تلك البرمجيات[٣٦].

خاتمة:

إن الفضاء السيبراني يتيح للعالم معلومات وقدرات لم تكن متاحة للأفراد أو الشركات أو التنظيمات أو الدول من قبل، إلا أن تلك الإتاحة لها جانب آخر. فملفات تعريف الارتباط (الكوكيز Cookies)، وبرمجيات الرصد monitoring software، والبرمجيات الخبيثة malware (البرامج الضارة، مثل برامج التجسس spyware) جعلت المزيد والمزيد منا يدرك أن الشاشة التي أمامنا ليست درعًا واقية لخصوصيتنا، ولكنها نافذة على حياتنا عبر الإنترنت، يمكن من خلالها رؤية وتتبع أي وكل شيء تقريبًا مما يدخل في اختراق وغزو واحتلال الخصوصيات الشخصية والخاصة والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

وأنواع غزو الخصوصية هي أيضًا متنوعة تمامًا، ففي المجتمع الصغير الضيق ما قبل كل هذا التطور التكنولوجي، كان انتهاك الخصوصية قد يجلب على المرء العار أو تشويه السُّمعة، أما في مجتمع المعلومات، مثل هذه الانتهاكات تتضمن جمع المعلومات غير لمصرح به، وليس بالضرورة نشرها، ولا يلزم أن الأشياء الخاصة ستصبح عامة؛ فقط يمكن الوصول إليها واستخدامها بواسطة آخرين ذوي امتيازات؛ سواء لنشرها أو التهديد به أو غير ذلك[٣٧].

وكشفت فضيحة بيجاسوس عن أن إنتاج وبيع برمجيات المراقبة الإلكترونية يقعان اليوم بالكامل في أيدي شركات خاصة؛ ما يعني أن الأمن والمراقبة باتا منتجات تجارية، وأن تجارة الأسلحة السيبرانية وبرامج المراقبة الإلكترونية، مثلها مثل شركات الأمن والحماية الخاصة، لا تكاد تخضع لأي رقابة تذكر، وعليه فالشركات الخاصة، التي تضع الربح على رأس سلم أولوياتها، ولا تخضع لرقابة حقيقية من أي جهة وتعمل خارج إطار المؤسسات الديمقراطية، قد أصبحت تلك الشركات منذ

(٣٥) للمزيد حول رد الفعل الأمريكي على فضيحة بيجاسوس، انظر:

- أمريكا تدرج شركة إسرائيلية على القائمة السوداء، موقع البصيرة العربية، ٤ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/EQRj9
- لعنة بيجاسوس.. إدراج شركتين إسرائيليتين على القائمة السوداء الأمريكية، العين الإخبارية، ٣ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٨ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/eyAtM

(٣٦) واشنطن تضيف الشركة الإسرائيلية المصممة لبرنامج بيغاسوس للتجسس إلى لائحتها السوداء، فرانس ٢٤، ٣ نوفمبر ٢٠٢١،تاريخ الاطلاع ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/dYeN3

(٣٧) لوتشيانو فلوريدي، الثورة الرابعة: كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني، ترجمة: لؤي عبد لمجيد السيد، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سبتمبر ٢٠١٧)، ص ص ١٤٥-١٤٧.

فترة طويلة لاعبًا دوليًّا هامًا؛ وقادرا على تحقيق مصالح لأطراف وإصابة آخرين بأضرار بالغة[٣٨].

يطرح ما سبق أسئلة عدة عن مستقبل التفاعلات عبر الساحة العالمية وفي دواخل الدول والمجتمعات؛ لعل أولها هو: كيف أصبحت حياتنا هكذا خارج الخصوصية وقابلة لأن تكون تحت المراقبة الدائمة من الآخرين؟ وثانيها- من الذي يملك هذه القدرة على مراقبتنا وما هي أهدافه؟ وثالثها بالطبع- هو ما الذي يجب عمله إزاء هذه الحالة التي تدخل في سمات ما أسماه زيجمونت باومان بالعالم السائل؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ليست بالسهلة، خاصة في عالم التكنولوجيا المفتوح بغير حدود حاليا؛ حيث أصبحت حياتنا مرتبطة ارتباطا متزايدا ومعقدا بالعالم الافتراضي، ويزيد بيجاسوس -وغيره من برمجيات التجسس الأمور تعقيدًا- لأنه يضع حياة الأفراد في أيدي الآخرين دون وعي منهم، وعلى غير رغبتهم، ويدفع ثمن ذلك في الأغلب غير القادرين، بينما تلك المعلومات متاحة لأصحاب الامتيازات؛ فهم من يستطيع الدفع.

ففي عالم التجسس الإلكتروني والذي يتطور يوما بعد يوم، وحتى بحظر شركاته الست العاملة حاليًّا، فإن ذلك لا يعني القضاء على برمجيات التجسس، بل على الأكثر إخفاءها عن الأعين مرة أخرى، وكلما زادت تلك البرمجيات في الانتشار وزادت أنواعها فذلك يعني رخص ثمنها، وما يعنيه ذلك انتقال استخدام تلك البرمجيات من الدول؛ سواء أكانت قمعية أو ديمقراطية تحترم حكم القانون؛ وسواء تهدف إلى محاربة ما تسميه هي بالإرهاب أو القضاء على المعارضة السياسية، انتقالها إلى الأفراد حيث يتمكن الفرد من التجسس على مديره وزميله في العمل وأفراد أسرته، وصولا إلى وزارات ومؤسسات دولته والدول الأخرى.

إن سؤال كيف أصبحت حياتنا تحت المراقبة الدائمة؛ إنما يعبر عما أسماه أستاذنا د.عبد الوهاب المسيري رحمه الله "ثمن التقدم"؛ فهو الثمن المدفوع لكل ذلك التطور التكنولوجي، الثمن الذي يدفعه رجل الشارع العادي لأنه يحمل هاتفا يوصف بالذكي ويجلس أمام حاسب آلي، ثمن أن يكون هو جزءا صغيرًا من بيانات تباع لشركات أخرى، الثمن هو بكل بساطة أن يفقد خصوصيته عن وعي وعدم وعي، وعن إرادة وعدم إرادة؛ بل أن يبقي أثره على الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعية بعد موته؛ سواء أراد هذا أو لم يُرد، وإذا كان شخصٌ يحارب الفساد أو الجريمة المنظمة أو يدافع عن أرضه فمن الممكن أن يفقد حياته كما حدث في المكسيك أو في فلسطين كما تقدم أعلاه.

أما من الذي يراقب وما هو هدفه وما مستقبل ذلك؟ فالبادي أنه في المستقبل القريب لن يستطيع أحد الإجابة عن هذا السؤال؛ ففضيحة بيجاسوس أكدت ما هو معلوم مسبقًا من أن الدول القمعية ستستخدم كل الوسائل للحفاظ على الأنظمة، وأن الشركات ستبيع لمن يستطيع الدفع دون البحث في أخلاقيات هذا الأمر، وأن غير هذين الفاعلين سيستخدمون هذه البرامج لمختلف الأهداف: الخيِّرة والشريرة.

لكن خطورة بيجاسوس وأمثاله فيما يتعلق بسؤال في المستقبل هي في تصور حالة "الكل يتجسس على الكل"، كتلك التي وصفها توماس هوبز من قبل بحرب الكل ضد الكل؛ حيث لا يستطيع أحد حماية نفسه أيا كانت وظيفته أو مكانته الاجتماعية أو ثروته أو دولته أو منصبه.

أما ماذا نحن فاعلون؟ فإنه أصعب أسئلة الموقف العالمي والحضاري الحالي وأولاها بالعناية. هل ننخرط في معركة التجسس والتجسس المضاد؟ هل ندعو إلى العناية بمضادات التجسس وحاميات الخصوصية من عالم السيبرانية نفسه؟ هل نجدد خطاب الأخلاق الإنسانية والعالمية ونضمنها حقوق

(٣٨) فضيحة "بيغاسوس": لا يوجد نظام آمن!، موقع DW، ٣ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/rKYWW

الإنسان والقوانين المحلية والدولية ونشدد العقوبات على انتهاكها؟ هل نراجع فكرة الانخراط المفتوح في العالم السيبراني بسعته ونعمل على تحديدها وتقييدها؟... كل هذا مما يجب فتح المجال للتفكير الحر والمنظم فيه لا سيما من منظور حضاري يجتهد في الجمع بن ثنائيات القضية بين الحرية والأمن، والخصوصية والانفتاح، والفاعلية والأخلاق.

*****

ماذا بعد العدوان الإسرائيلي وسيف القدس؟

مسارات الداخل والخارج في فلسطين

طارق جلال(*)

مقدمة:

تعيش القضية الفلسطينية حالة من الترقب بين أملٍ حذر وتشاؤم مرتبك، فقد دخلت القضية مرحلة جديدة بفضل صمود أبنائها في حي الشيخ جراح والداخل المحتل وقطاع غزة، أمام اعتداءات الاحتلال في القدس وعدوانهم في غزة.

فقد حدثت مجموعة من التحولات الاستراتيجية في المشهد الفلسطيني على كلٍ من المستويات الداخلية والإقليمية والدولية، أبرزها تحقيق المقاومة لعددٍ من المكاسب بعد معركة سيف القدس، واستمرار تدهور العلاقة بين السلطة الفلسطينية والمواطن. كما شهد الوضع الإقليمي عددًا من التغيرات: على جانب ما يتصل بمسار التطبيع بعدما تحسنت العلاقات بين الأردن وإسرائيل فضلا عن مآلات العلاقة بين المغرب العربي وإسرائيل عقب دخول دولة المغرب في قطار التطبيع مع الكيان الصهيوني، وعلى الجانب المقابل تقارب مصر وقطر وزيادة التفاهم بينهما حول غزة.

تلك متغيرات سيبحثها التقرير، فضلا عن التحولات على صعيد المشهد الدولي، وتبادل الأدوار الذي حدث بعد رحيل ترامب في مقابل زيادة قوة التيار المحافظ اليميني في بريطانيا، ذلك حيث التساؤل: كيف تُسهم هذه الأوضاع في مستقبل الأحداث الجارية في القضية الفلسطينية، بعد تراجع واشنطن خطوات للخلف، عقب نجاح جو بايدن، في مقابل التصعيد الذي قامت به لندن ضد فلسطين بعد تصنيف لندن لحماس ووضعها على قوائم الإرهاب، وكيف يؤثر ذلك على الوجود الفلسطيني في بريطانيا؟ وسنبحث في الأخير تقديم مسارات مستقبلية مقترحة على المستوى الاستراتيجي لصالح القضية الفلسطينية.

أولًا- قراءة في الحالة الفلسطينية الداخلية:

اندلعت معركة سيف القدس الأخيرة في وقتٍ شعر فيه الجميع بأن الأمور قد استقرت تمامًا لإسرائيل، جاءت لتعيد الحديث حول حلم التحرير الكامل لفلسطين، وليس الحل المرحلي الذي فرضه مسار التسوية. لقد جاء التغيير في أفغانستان والانسحاب الأمريكي، ليؤكد بأن استمرار المعطيات الحالية ليس حتميًا، وأن الوضع قد يتغير بتغير سياقاته. هذا شريطة وجود استراتيجية متكاملة، ترتكز على أهداف واضحة، وأدوات محددة متكاملة تقوم على تكتيكات واقعية وقابلة للقياس والتقييم والتقويم. بالإضافة إلى الجمع بين صلابة المبدأ والهدف النهائي، وبين التكتيكات المتحولة، وتوظيف التكتيك بما يخدم الاستراتيجية. ولكن كان واضحًا برصد التجربة الفلسطينية سرعة تحولها عن هدف التحرير إلى الحل المرحليّ، بناءً على الأطروحة والمبادرة السياسية، لا بناءً على دفع الاحتلال لتقديم مبادرته، فما بين الانطلاقة الرسمية لحركة "فتح" وبرنامج الحل المرحلي أقل من عشرة سنوات، في بيئةٍ تاريخيةٍ ربما كانت أفضل من البيئة التي عملت فيها "طالبان"[١].

لقد أنتجت اتفاقية أوسلو حاجزًا أمام فاعلية الحراك الفلسطيني وقدرته على الإبداع، من خلال تأسيس السلطة الفلسطينية، التي نقلت مستوى الصراع من الجماهير

---

* باحث ماجستير في العلوم السياسية.

(١) ساري عرابي، هل في تجربة "طالبان" ما يُستفاد منه للمقاومة الفلسطينية؟، متراس، ٢٠٢١/٨/١٧، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/NZCB7

الفلسطينية ضد الاحتلال، إلى مستوى نخبوي سلطوي، حيث تنوب السلطة الحديث باسم الجماهير الفلسطينية، بل وتحجم كافة أنواع الأصوات الناشزة عن توجهاتها ومسئوليها، إلى أن جاءت احتجاجات حي الشيخ جراح، ثم معركة سيف القدس، لتعيد الفاعلية للجهود الجماهيرية وما يمثلها من فصائل المقاومة، التي تحركت بصورة مستقلة عن حراك السلطة.

ونقوم في هذا الجزء بقراءة مختصرة لأبعاد وتداعيات معركة سيف القدس، ثم الطريقة التي استجابت بها السلطة الفلسطينية لتلك الأحداث، وتكتيكاتها في التعامل معها.

١- سيف القدس تعيد البوصلة:

لم تكن اتفاقية أوسلو سوى أداة من ضمن أدوات عديدة استخدمتها إسرائيل في حصار وعزل المجموعات الفلسطينية، وتحديدًا عزل المقدسيين عن القدس، وحدث ذلك من خلال استثناء حل أزمة المقدسيين من الموضوعات التي سيناقشها المفاوضون في أوسلو، فتم ترحيل قضية المقدسيين، لتكون ضمن ملفات الحل الدائم النهائي الذي سينتج عن المفاوضات المباشرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

لم تدرك حركة الفتح بأن الاحتلال الاستيطاني سيتلاعب بها في ظل هذا الوضع بإتاحة الظروف والوقت أمامه للمضي قدمًا في تنفيذ مؤامراته، فكان الفخ أن أصبح المقدسيين مساحة عارية ومستباحة لانتهاكات الاحتلال، لذلك لم يكن غريبًا أن تقرأ خبر اعتقال محافظ القدس عدنان غيث من منزله، دون أي سبب أو حتى مسوغ قانوني يسمح لسلطات الاحتلال باعتقال ممثل للسلطة الفلسطينية للمرة السابعة عشرة[٢]. فتلك المنطقة وما تحويه من أشخاص ومؤسسات وكيانات رهن للقمع الإسرائيلي، دون حسيب أو رقيب.

خلق هذا الوضع شعورًا لدى المقدسيين بأنهم معزولون وأن عليهم مهمة حماية القدس بمفردهم، بحيث أضحت قضية الرباط داخله قضية مصير، لن تساعدهم بها سلطة أو منظمة أو حتى فصيل مقاوم، لاسيما مع اعتياد ممارسات الاحتلال الممنهجة في مساعدة المستوطنين والحاخامات الصهاينة على اقتحام القدس من جهة، وفرض الاحتلال لخطط ومؤامرات لتصفية الوجود الفلسطيني في القدس، ومحو الهوية الفلسطينية بتحويل القدس لعاصمة للكيان الصهيوني من جهةٍ أخرى.

مرت سنوات صعبة على المقدسيين منذ عام ١٩٦٧، وماتزال محاولات الاحتلال في كسب ولائهم مستمرة، إلا أن قضية تهجير أهالي حي الشيخ جراح، أعادت للأذهان الشعور بالخطر الوجودي على مستقبل القدس، في حال تمكن الاحتلال من تهجير أهالي الحي، ثم جاءت قضية اقتحام الأقصى، لتزيد من حدة الغضب، حيث تجاهل الاحتلال تحذيرات المقدسيين، وضرب بها عرض الحائط، منتشيًا بمكاسب التطبيع الأخيرة مع عدد من الدول العربية، غافلًا أنه من المعتاد تاريخيًا، أن تواجه موجات التطبيع بردات فعل عكسية لدى الشعوب العربية، خاصةً لدى المقدسيين الذين هم في صدارة المشهد، ولذلك كانت حماية القدس من الاقتحام في تلك المرة مختلفةً عما سبق، فكانت ردة فعلهم تشي بكثيرٍ من الغضب من الجميع من احتلال وسلطة وحتى فصائل المقاومة، وتجاهل الجميع تلك الرسائل، فيما عدا المقاومة، التي أدركت الأمر جيدًا، وبالفعل وجهت حماس عدد من التحذيرات للاحتلال وطالبته بالتوقف عن ممارساته القمعية وانتهاكاته غير الإنسانية بحق المقدسيين.

لقد أدركت حماس وفصائل المقاومة بحسها الاستراتيجي أن الفرصة سانحة لإعادة البوصلة للقدس من جديد، وإعادة المرجعية للقضية الأم، وهي القدس، فكانت معركة سيف القدس، التي لم تكن مجرد تصعيد عسكري اندلع بين الاحتلال

(٢) داود كتاب، القدس وسؤال المرجعية، العربي الجديد، ٢٠٢١/١١/٢٩، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/1Xngq

والمقاومة، بل أنه كان إعادة صياغة كاملة للمشهد الفلسطيني وما يعبر عن صوت الجماهير بصفةٍ عامة، ودعم صمود المقدسيين باعتبارهم رأس الحربة الحقيقية في المعركة ضد الاحتلال بصفةٍ خاصة.

ثم كان اتساع دائرة الاحتجاجات أحد أبرز العوامل التي شجعت المقاومة على التصعيد العسكري، وليس هناك أدل من مدينة اللد التي لم تشهد احتجاجات فعالة منذ عام ١٩٦٦، ومع ذلك حوّل شبابها ورجالها المدينة لحرب شوارع طاحنة مع قوات الاحتلال، للدرجة التي خرجت معها المدينة عن سيطرة الاحتلال، حيث هاجم المتظاهرون مراكز الشرطة الإسرائيلية بالحجارة وصولًا إلى استهدافها بالرصاص في بعض البلدات والمدن، مثل رهط وبئر السبع. كما أحرق كل من متظاهري مدن وبلدات عكا وكفر قاسم والطيرة وأم الفحم والرينة وكفرمندا وغيرها نقاط ومراكز الشرطة فيها، فضلًا عن مهاجمة مركباتها على الطرقات في سائر نقاط الاحتجاج. فعلى الرغم من أن تلك المراكز تأسست لقمع الفلسطينيين اجتماعيًا وسياسيًا بتعريتهم أمام سلطة الاحتلال، إلا أن وجودها بهذه الكثافة كان أحد عوامل تغذية الشعور بالغضب، والشعور بأنها نقاط سهلة الاستهداف[٣].

كما أجبرت فصائل المقاومة في غزة الأهالي في الضفة الغربية على الانضمام للاحتجاجات، بعدما ألهبت مشاعرهم للدخول في الهبة الشعبية للدفاع عن القدس.

الجدير بالذكر، أنه إذا كانت الهبّة في قرى وبلدات الـ١٩٤٨ الداخلية قد اتخذت شكل المواجهة مع شرطة الاحتلال، فإن شكلها في مدن الساحل والمركز المستعمرة (المدن المختلطة)، مثل عكّا وحيفا، وتحديدًا يافا واللد، قد اتخذّ منحى المواجهة مع المستوطنين أيضًا، الذين اعتدت جماعاتهم المنظمة على الفلسطينيين في أحيائهم، وليست العناصر الأمنية فقط. لم يكن تعبير "المستوطن" في قاموس فلسطيني الـ٤٨ يُحيل إلا إلى أولئك اليهود الذين استوطنوا مناطق الضفة بما فيها القدس. غير أن هذه التطورات قد أعادت الوعي لدى فلسطينيّ الـ٤٨ بفكرة الاستيطان والمستوطن، إذ لم يعد اليهودي المستوطن فقط ذلك المقيم في مستوطنة "كريات أربع" في الخليل، أو في سلوان من أحياء القدس، إنما هو أيضًا ذلك المقيم في اللّد والرملة ويافا وحيفا وعكّا كذلك. كما هبّ شمالًا، ولأول مرةٍ أبناء قرى مثل عرب الشبلي وبير المكسور وطوبا الزنغرية، وهي قرى بدوية، أي من تلك الفئة الاجتماعيّة التي عملت أجهزة الاحتلال على سلخها عن هويتها العربيّة الفلسطينيّة وتحويلها إلى "أقلية" ذات مميزات خاصة. هكذا، غسلت المواجهة في تلك المدن كلّ ندوب الأسرلة ولغة التعايش والجوار، وكشفت عن حقيقة وجود اليهود كمستوطنين، والصراع معهم على الأرض والحيّز والفضاء. وهكذا أصبح كل يهودي هو مستوطن، وكل مدينة أو بلدة هو فيها هي مستوطنة، وعلى هذا يجب تكثيف الوعي[٤].

المحصلة أن التصعيد العسكري الذي قادته غزة، بجانب الاحتجاجات التي اشتعلت في كل مكان، قد حوّلا القضية إلى قضية رأي عام عالمي، وأعاد التفاعل العربي والإسلامي معها، كما أحرج الدعاية الانهزامية التي يقودها المطبعون لجعلها في مرتبة دنيا، بعدما ارتفعت المعنويات إلى السماء، بوصول القوة العسكرية للمقاومة لمناطق غير مسبوقة في تاريخ الصراع، وهو ما أعاد الثقة بإمكانية تحقق التحرير بالفعل، إذ إن الحصار الشامل على غزة، لم يمنعها من تطوير صناعة عسكرية محلية اخترقت أنظمة دفاع تكنولوجية على أحدث طراز، فكيف لو حصلت على قليل من الدعم.

ومن هنا أعاد سيف القدس الأهمية لفكرة المقاومة المسلحة، وضرورة استكمال جهود القوة المادية، واستمرار التدافع لإشعال الروح الكفاحية لدى الفلسطينيين بعدم السكون والانهزام للاحتلال، رغم كل ما يُنفق على استراتيجيات التدجين وإعادة الهندسة الاجتماعية.

(٣) (٣) على حبيب الله، الهبّة في أراضي الـ٤٨... ملامحُ من الالتحاق والالتحام، متراس، ٢٠٢١/٥/٢٠، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/١٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/loKCf

(٤) المرجع السابق.

٢- السلطة الفلسطينية ومسلسل القمع المتزايد:

يبدو أن ارتفاع الحالة المعنوية للفلسطينيين، وعودة المطالبة بحلم تحرير كامل فلسطين، لم يلق قناعة من جانب السلطة الفلسطينية وحركة فتح، اللذان شعرا أنه للمرة الأولى منذ انتفاضة الأقصى، تمكنت فصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة من السيطرة على الشارع الفلسطيني من القطاع إلى الضفة وحتى أراضي ٤٨، وبدلا من العمل على تصحيح مسار التسوية السياسية، والعودة للاستماع لمطالب الشارع الفلسطيني، قررت السلطة الاستمرار على تحقيق أهداف اتفاقية أوسلو في ردع كافة الأصوات الفلسطينية المعارضة، وجاء الدور هذه المرة على نزار بنات، وهو ناشط وسياسي فلسطيني معارض لسياسات السلطة واستراتيجيات حركة فتح، حيث يحاول استغلال كافة الطرق السلمية في الضغط على السياسيين الفلسطينيين المنادين بمسار التسوية، وهو ما عرّضه للاعتقال والتعذيب أكثر من مره على أيدي السلطة، إلى أن استيقظ الشارع الفلسطيني على خبر صادم، تمثّل فيما أُعتُبر اغتيال لبنات على أيدي عناصر الأمن الوقائي التابعة للسلطة، عقب ساعات قليلة من اعتقاله، حيث إن ما تم أقرب للاغتيال والإعداد المسبق للتنفيذ وليس مجرد حادث خطأ، هذا وفقًا لعائلة بنات التي أكدت على وجود آثار تعذيب شديدة في مناطق عديدة بجسمه، وهي ما أدت إلى وفاته، لذلك أعلنت عائلته عن تدويل قضية اغتياله أمام المحاكم الأوربية، وقدمت طلب رسمي إلى الشرطة البريطانية بفتح تحقيق في حيثيات اغتيال بنات[٥].

لقد أظهرت الطريقة التي تم بها التعامل مع بنات العنف الذي وصلت إليه السلطة الفلسطينية، التي تعاني من أزمات بنيوية حادة، أبرزها أن السلطة جاءت باعتبارها ممثل للفلسطينيين، والطرف الذي سيخاطبه الاحتلال في حال تعرّض لهجمات من جانب الفلسطينيين، أي أن الوظيفة الأساسية للسلطة تضمنت حماية الاحتلال من أي هجمات عشوائية غير منظمة، وعلى هذا الأساس جاءت اتفاقيات التنسيق الأمني والتعاون الاستخباراتي، مقابل دعم اقتصادي سيقدمه الاحتلال للسلطة، للقيام بهذا الدور، فكانت النتيجة أن تشكلت نخبة سياسية رأسمالية، تدافع وتقمع للحفاظ على مكاسبها الاقتصادية. شعرت السلطة بالخوف من فقدان مكاسبها بعدما عجزت عن القيام بدورها كسلطة تحول بين الجماهير والاحتلال، فأضحت قد تمارس أي قمع في مقابل الحفاظ على وضعها الاقتصادي ومنافع التنسيق الأمني مع الاحتلال[٦].

ما زاد المشكلة، أن السلطة تعاملت بعنفٍ مفرط وربما غير مسبوق تجاه الاحتجاجات التي خرجت ضد الطريقة التي مات بها بنات، حيث تحاول السلطة التأكيد على أن الكلمة الأولى والأخيرة في السيطرة على الأوضاع تقع في يدها وحدها، وأن ما حدث من نزول الاحتجاجات لمناطق الاشتباك مع الاحتلال لن يمر مرور الكرام، ويبدو أن السلطة تعرضت لمضايقات شديدة من جانب الاحتلال لفشلها في مساعدته على قمع الاحتجاجات، لذلك سعى أبو مازن على التأكيد على أن يده مازالت طويلة، وقادرة على ترهيب الفلسطينيين.

في الواقع، لعل كثافة القمع وبعض أساليبه كانت غير مسبوقة، لكن فعل القمع بحد ذاته أسلوب وظفته السلطة الفلسطينية منذ أيامها الأولى، واستهدفت به شرائح مختلفة بذرائع وأدواتٍ متفاوتة، وبنظرةٍ بانورامية على حوادث القمع عبر أكثر من ٢٥ عامًا من عمر السلطة الفلسطينية، يمكن فهم الكثير حول "الخطوط الحمراء" للسلطة، وكيف تزداد هشاشة

(٥) عائلة معارض السلطة الفلسطينية نزار بنات تدوّل "اغتياله"، موقع DW، ٢٠٢١/٨/٢٦، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/٢٧، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/V2dD1

(٦) وفاة نزار بنات "أظهرت وحشية" السلطة الفلسطينية – الغارديان، بي بي سي عربي، ٢٠٢١/٩/١، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/yA0TJ

بنيتها مع الوقت وفي المقابل تتسع شريحة الفئات المستهدفة بقمعها[٧].

لقد فقدت السلطة الفلسطينية وحركة فتح -ولاتزال تفقد- الثقة في تعويل الفلسطينيين على تحقيق أي نجاحات باستمرار المسار السياسي الذي تروج له سلطة أوسلو. ذلك حاصةً أنه على الرغم من الانتقادات الشديدة التي وجهها الشارع الفلسطيني للسلطة، بعد عدم مشاركتها في احتجاجات القدس، وعدم ضغطها على الاحتلال للتوقف عن ضرب المنشآت المدنية في غزة، إلا أن السلطة قررت العودة للمشهد من بوابة الدور المنوط لها من اتفاقية أوسلو، وهو قمع الفلسطينيين لتكرّس بذلك أزمتها البنيوية في كونها ليست سلطة تحرير، بل كيان وظيفي يتلاقى مع رغبة الاحتلال في فرض الهدوء والاستقرار، فضلا عن أن أنصار السلطة يعتقدون أن ما تفعله فصائل المقاومة هو ما سيُضيع فلسطين. ولكنها تتجاهل الحقيقة التاريخية، بأن هذا العالم لا يعترف سوى بالقوي، ولا يسمع إلا صوت المقاوم، ولذلك حملت الخارجية الأمريكية إسرائيل المسئولية عن التصعيد، نتيجة ممارساتها تجاه حي الشيخ جراح، وهذا بفضل نتائج سيف القدس، رغم أن هناك قطاع ثانٍ تقوده حركة فتح وما يواليها من فصائل ترى أن المقاومة الشعبية السلمية وحدها، هي ما يمكنها تحقيق الاستقلال، وفي ذلك تغافل للنتائج النهائية التي توصلت إليها اتفاقية أوسلو ذروة ميراث هذا الاتجاه، فقد تمكن الاحتلال بفضل المقاومة الناعمة من إطباق الحصار على القدس وضمه لمعظمها، وإعادة هندسة الضفة الغربية وضم أجزاء واسعة منها، وخلق واقع اجتماعي واقتصادي وسياسي في تلك المناطق، عجز عن فعل القليل منه في غزة بفضل وجود مقاومة مسلحة.

نعي أن هناك فرق بين الواقعين، ولكن المشكلة عندما يحمّل أصحاب توجه التسوية السياسية، وما آلت إليه الأوضاع، نتائج مسارهم على عاتق الفصائل المقاومة، بدلًا من الشجاعة التاريخية والقول بأن مسار التسوية على النحو الذي جاء عليه شهد العديد من الأخطاء البالغة، ذلك بما مثل الأرضية التي أُسست لقمع الفلسطينيين واستباحة حقوقهم.

ناهيك عن ضرورة دعم صمود تلك الفصائل، ومحاولات إعادة إنتاجها في مناطقهم، إلا أن هذا التيار (المتمسك بمسار التسوية فقط) يعتقد أن المقاومة المسلحة توفر ذرائع البطش الهائل للاحتلال الإسرائيلي. بغض النظر عن دراسة تاريخ هذا الاحتلال وطبائعه وسماته، ونزعات الإبادة الكامنة في أيديولوجيته، فإن بطشه المتفاقم من انتفاضة الأقصى فصاعدًا، مرتبط بوجود سلطة فلسطينية، لا بالمقاومة المسلحة، بمعنى أنه يفسر أي عملٍ مقاومٍ قادمٍ إليه من أراضي السلطة، سواء كان شعبيًا أم مسلحًا بأنه قادم من أرض معادية محكومة بسلطة منفصلة. ولا نحتاج لإثبات ذلك، سوى التذكير بأعداد الشهداء العزل الذين كان يقتلهم الاحتلال يوميًا على الحواجز في مطلع الانتفاضة الثانية. هذا المشهد، بالإضافة إلى صعوبة الاستمرار في الزحف للحواجز للموت بالرصاص الإسرائيلي، كان من أهم أسباب تحول تلك الانتفاضة إلى مسلحة، فقد قُتل في أول عشرة أيام فقط منها أكثر من تسعين شهيدًا، واستشهد في عام واحد فقط في مسيرات العودة في غزة -وهي شعبية بالكامل- ٢٨١ شهيدًا، فضلًا عمّا يقارب العشرين ألف إصابة، واستشهد في يوم التحاق الضفّة بالهبّة الأخيرة أحد عشر شهيدًا في يومٍ واحد. لذلك، فإنّ التصوّر بأنّ المقاومة السلمية قادرة على امتصاص البطش الإسرائيلي تدحضه الوقائع الصلبة، مهما تفاوتت نسبةُ البطش بين الاحتجاجات المسلحة والسلمية، بحكم طبائع الأشياء"[٨].

في الحقيقة، هناك حالة تخبط كبيرة تعيشها حركة فتح، وهو ما دفع السلطة لتأجيل الانتخابات البرلمانية التي كان مقرر لها الانعقاد في ٢٠٢١ إذ شعرت أنها في أضعف حالاتها، وأنها ستخسر تلك الانتخابات، في ظل الشعبية الكبيرة التي حصلت

(٧) جمانة غانم، السّلطة في مواجهة النَّاس: موجزُ سيرة القمع، متراس، ٢٠٢١/٩/٢، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/vRJ4f

(٨) ساري عرابي، من القدس إلى غزّة.. أصالة المقاومة وراهنية الدور، متراس، ٢٠٢١/٥/١٨، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٥، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.us/vxvGY

عليها المقاومة والقوى السياسية التي دعمت الاحتجاجات ضد الاحتلال.

إلا أن ما لا تدركه السلطة، أن ممارساتها تدفع بقوة نحو اندلاع اقتتال أهلي حاد بين مؤيديها ومعارضيها، لذلك فالواجب التاريخي يحتم عليها التوقف عن التوسع في ممارسة العنف، وإعادة صوت العقل، وعدم تحولها لسوط في يد الاحتلال لكتم الأصوات الفلسطينية الحرة[٩].

ثانيًا- إقليم يتشكل واستمرارية محورية القضية الفلسطينية:

شهد عام ٢٠٢١ حالة من الهرولة من جانب عدد من الدول العربية نحو تطبيع علاقاتها مع إسرائيل بصورة علنية، متخلية بذلك عن الخطاب التقليدي العربي المناوئ لإسرائيل.

وسنقتصر هنا على الإشارة إلى أبرز التطورات التي حدثت وتؤثر بصورة مباشرة على مسار القضية الفلسطينية، وتحديدًا العلاقات الأردنية الإسرائيلية، ثم دخول أحد أطراف الاتحاد المغاربي –الذي يضم المغرب والجزائر وتونس وليبيا- إلى قطار التطبيع ونقصد هنا المغرب، وعلى جانب آخر سنشير إلى الموقف المصري الأخير من الأحداث في فلسطين، وقطاع غزة بصفةٍ خاصة، وملامح محور هناك من يرى أنه يتشكل بهدوء يتكون من مصر وقطر وتركيا، وكيف دعّم التفاهم المصري القطري غزة مؤخرًا.

١- الطاقة مقابل المياه: ومصير العلاقات الأردنية الصهيونية:

دخلت العلاقات الأردنية الصهيونية مرحلة جديدة بعد توقيع ما يعرف باتفاقية "الكهرباء مقابل المياه" في نوفمبر الماضي، وهو مشروع تم برعاية أمريكية وتمويل إماراتي لصالح إسرائيل. وتأتي أهمية الاتفاقية من طبيعة الموضوع الذي تم التعاون بصدده، حيث قامت الإمارات بتمويل برنامج يُعرف بالإزدهار الأخضر، ويتضمن تطوير محطات طاقة شمسية كهروضوئية في عمّان بقدرة إنتاجية تصل إلى ٦٠٠ ميجاواط، ولكن يتم تصدير إنتاجها بالكامل لإنارة إسرائيل، في مقابل استفادة الأردن من تكنولوجيا تحلية المياه الصهيونية، في دعم برنامج الازدهار الأزرق، الذي سيوفر للأردن ٢٠٠ مليون متر مكعب سنويًا.

هذا يعني أن ثمة تعاون استراتيجي يتم بناؤه على قدمٍ وساق برعاية أمريكية -إماراتية، لإذابة الخلافات التي حدثت بين رئيس الوزراء السابق بنيامين نتنياهو والملك عبد الله الثاني حاكم الأردن، وهو تعاون من شأنه أن يحل عدد كبير من القضايا العالقة، وكلها عوامل تصب بصورة سلبية في مصير القضية الفلسطينية[١٠]. الغريب في الأمر أن شركة أبو ظبي لطاقة المستقبل "مصدر"، هي من ستقوم بتحمل نفقات محطات الطاقة التي ستحصل عليها إسرائيل[١١].

من جانبه، اشتعل الشارع الأردني غضبًا ضد السلطات لرفض هذه الاتفاقية، رغم إعلان المسئولين أنها لم تصل لمستوى اتفاقية، وأنها مجرد مذكرة تفاهم وإعلان نيات، وأن المشاورات حولها مستمرة، إلا أن ذلك زاد حدة التظاهرات. **هناك اتجاه كبير في الأردن يُقيم الوضع بأن هذه الخطوة الجديدة ومعها مسلسل التطبيع المتسارع، والذي دخل مرحلة التحالف؛ تمثّل تمهيدًا لما هو أسوأ من "صفقة القرن"، ولا نعني حيثياتها، بل مجمل القضية؛** لجهة الخطورة وإمكانية التمرير. نقول ذلك، لأن "صفقة القرن" كانت طاعنة

(٩) وسام أبو شمالة، دوافع مقتل نزار بنات وتداعياته، الميادين، ٢٠٢١/٦/٢٥، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/zxi31

(١٠) اتفاق بين الأردن وإسرائيل للتعاون في الطاقة والمياه، الشرق الأوسط، ٢٠٢١/١١/٢٣، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٧، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.us/lB4a0

(١١) إسرائيل والإمارات والأردن.. توقيع صفقة "الكهرباء مقابل الماء، الحرة، ٢٠٢١/١١/٢٢، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٣٠، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.us/Muoln

في الظلم (إذ تعني توقيعًا على حل بلا قدس ولا سيادة، وبمساحة عيش بائسة ومقطعة الأوصال لا تتجاوز نصف الضفة الغربية)؛ ولم يكن أحد ليجرؤ على تمريرها، بل كان المؤمل أن تفجّر الانتفاضة رغم أنف عباس؛ تمامًا كما حدث بعد قمة كامب ديفيد، صيف العام ٢٠٠٠، والتي جاءت "انتفاضة الأقصى" بعدها مباشرةً، حين تبين للجميع أن ما يعرضه المحتل على القيادة الفلسطينية، لا يمكن أن يقبل به أي طرف مهما كان توجهه.

المسار الذي يمثّل الاتفاق الثلاثي أحد أهم تجلّياته، بجانب اتفاقات أخرى تتسارع، هو مسار **"الحل الإقليمي"**، ويسمّيه نتنياهو وآخرون "السلام الاقتصادي". إنه يتلخّص في فتح أبواب التطبيع العربي على مصاريعها، مع تحسين وضع السلطة في الضفة (اقتصاديًا على وجه التحديد)، من دون حلّ سياسي، بل من دون تفاوض. "الحل الإقليمي" أو "السلام الاقتصادي"، لا يحتاج إلى توقيع لن يتجرأ عليه أحد، بل يعني تصفيةً ناعمة للقضية، عبر تحويل المؤقت إلى دائم. حين يحدث ذلك، ويتحوّل المؤقت إلى دائم، فإن "التوطين" ربما يصبح حقيقة في الأردن، لكن الأسوأ أن عملية تهجير متدرج ستتم لسكان الضفة في سياق الحدود المفتوحة والعلاقات الثنائية، وليكون الطرح القادم على شاكلة ما كتبه رجل الأعمال (حسن اسميك) في "فورين بوليسي"؛ أي ربط الديمغرافيا الفلسطينية بالأردن، دون سيادة على الأرض، بمسمى "فيدرالية" أو "كونفدرالية"، وهذا هو مشروع "الوطن البديل"[١٢].

ووصلت الاتهامات إلى الحد الذي دفع الملك الأردني عبد الله الثاني للغضب والرد على المشككين في التزام الأردن بموقفه التاريخي من دعم حقوق الشعب الفلسطيني، مؤكدًا أن مواقف بلاده لازالت ثابتة، ولم تتغير كما يقول البعض، إلا أنه أكد أن مشكلة المياه وجودية ولا بد لها من حل، وقد أعاد الحديث حول مشروع الناقل الوطني لتحلية المياه من خليج العقبة، إلا أن الجميع يعلم أن هذا المشروع شبه مستحيل حاليًا لأنه يحتاج أكثر من ٢,٥ مليار دولار، لإعداد البنية التحتية التي يحتاجها، ناهيك أن الأردن لا تملك رفاهية في الوقت، حيث تعد واحدة من أكثر بلدان المنطقة جفافًا[١٣]؛ لذلك يدرك الجميع أن الاتفاقية ستنفذ لا محالة.

ومع ذلك، فالأمر في الأردن مازال مشتعلًا ولم ينته، والشارع في حالة رفض خشية تحول الأردن إلى نموذج جديد للإمارات.

٢- المغرب العربي ومخاوف من استمرار مسار التطبيع:

تطورت العلاقات المغربية الصهيونية في الفترة الأخيرة بقوة، إلى الحد الذي سمح للرباط باستضافة وزير الحرب الصهيوني بيني غانتس في نوفمبر الماضي، وهي سابقة لم تحدث من قبل في تاريخ البلاد، أن تستضيف شخصية متورطة بشكلٍ مباشر في التخطيط والتنفيذ لقتل الفلسطينيين، بل وتأكيده على أن زيارته جاءت لأهداف أمنية مستقبلية، وبذلك تحولت الاتصالات السرية السابقة بين البلدين، إلى شراكة علنية، وهي نقطة قد تسهم في حلحلة موقف الدول المغاربية عامةً في علاقاتها مع إسرائيل.

وفي هذا الإطار، ينبغي على الفصائل المقاومة والمقدسيين العمل على توعية الرأي العام المغاربي بضرورة عدم الانسياق وراء قطار التطبيع، وعدم تخلي بلادهم عن الموقف الداعم لحقوق الفلسطينيين، وعدم استغلال التطبيع مع إسرائيل في حل الأزمات الداخلية والإقليمية، حيث كانت تهدف المغرب من تلك الزيارة تحقيق مكاسب سياسية واستراتيجية في صراعها مع الجزائر، بعدما حققت المغرب انتصارًا تاريخيًا من التطبيع العلني الذي رعته واشنطن بين تل أبيب والرباط، واعترفت بعده واشنطن بسيادة المغرب على الصحراء الكبرى، وهو ما دفع الجزائر لقطع علاقاتها مع المغرب.

(١٢) ياسر الزعاترة، عن اتفاق "الطاقة مقابل الماء" ودلالاته ومخاطره، عربي ٢١، ٢٠٢١/١١/٢٨، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٣٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/j0TEu

(١٣) طارق ديلواني، ملك الأردن يرفض التشكيك بمواقف بلاده حيال اتفاقية "الطاقة مقابل المياه، اندبندنت عربية، ٢٠٢١/١٢/٨، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/١١، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.us/NAT0V

قد تتجه الجزائر غدًا للتعاون مع إسرائيل لكسب الدعم الأمريكي في الصراع حول الصحراء الكبرى، وهذا ما تتمناه إسرائيل، لأنها ستكون قد امتلكت الجزء الأكبر من أوراق بلاد المغرب العربي.

٣- تفاهم مصري قطري يعزز المكاسب:

يُسهم التفاهم المصري القطري في إفساد إحدى استراتيجيات إسرائيل الأساسية، كيف؟ تتبنى إسرائيل استراتيجية وضعها الجنرال الأمريكي جون ووردن خلال سبعينيات القرن الماضي، في طريقة التعامل مع البؤر المتمردة عن السيادة الأمريكية، فقد قسم مكونات تلك البؤر/ المجتمعات إلى خمسة أقسام: الأولى هي القيادة المحركة للجماهير، والثانية؛ هي الاحتياجات العضوية الأساسية لاستمرار الحياة، والثالثة؛ هي البنى التحتية وبالتحديد مناطق توليد الطاقة والمياه والطرقات بصفةٍ عامة، والرابعة؛ هي الجماهير أو المدنيين، وأخيرًا؛ الجسم العسكري ومقاتلي تلك البؤر، وهم الحلقة الأضعف نظرًا لبدائية الأسلحة التي يستخدمونها. وتنطلق تلك النظرية من فرضية أن إجهاد المنظومة المجتمعية والحياتية للبؤر المتمردة؛ هي البوابة الرئيسية لتصفيتها، ويحدث هذا عندما تركز آلة الحرب على القسم الثالث وهو الخاص بالبنية التحتية، وذلك تطبيقًا لمبدأ اقصفه الآن، ليموت غدًا، لذلك تركز إسرائيل دومًا في ضرب معظم منشآت البنية التحتية، ويظهر ذلك بجلاء عند توجيه الاحتلال ضرباته نحو منشآت القطاع الصحي بصفةٍ خاصة، ومنشآت إمداد المجتمع بالحياة والطاقة بصفةٍ عامة، وبالتالي تظل أعداد الموتى في صعود حتى بعد توقف الحرب، لتجعل الحياة في غزة كابوس يحلم أصحابه بالزوال، لكي لا يكون أمامهم سوى الموت البطيء، أو الرضوخ للمحتل الغازي[١٤].

ومن نتائج هذه الاستراتيجية، أنها تؤدي إلى انشغال قيادة المقاومة بمحاولة إعادة بناء البنية التحتية، بجانب الاحتياجات العضوية الأساسية، ما يزيد من أعباء المقاومة على الفصائل ذاتها، ويضعها في مأزق حقيقي أمام جماهيرها ومدى قدرتها على الصمود في تلك الأوضاع، لأن الجماهير تحمّلها مسئولية توفير تلك الحاجات العضوية، وهو ما يحرف تركيزها عن القضية الأساسية كأداة مقاومة للاستقلال، إلى سلطة تنفيذية تهتم باحتياجات الناس اليومية.

في عام ٢٠١٨ وتحديدًا شهر أكتوبر، نتج عن تفاهمات تمت بين حماس والاحتلال برعاية الحكومة المصرية، أن تقوم قطر بتقديم منحة مالية شهرية تقدر بقيمة ٣٠ مليون دولار، لتخفيف حدة الحصار عن مواطني غزة، مقابل توقف مسيرات العودة التي قادتها حماس، وأحدثت خسائر اقتصادية وعسكرية وسياسية للكيان الصهيوني، حيث تخصص ١٠ مليون دولار لدفع رواتب موظفي حكومة غزة، و١٠ مليون أخرى لتشغيل محطة الكهرباء، و١٠ مليون أخيرة لدعم الأسر الفقيرة، بواقع ١٠٠ دولار شهريًا لكل أسرة. هذا إضافةً إلى مشاريع أخرى تصرف عليها قطر مثل قروض الزواج، ودعم الأندية الرياضيّة، وسدّ ديون الطلاب الجامعيين للجامعات وأعمال أخرى[١٥].

خلال عامين من صرفها، صارت المنحة تشكّل رافدًا مهمًا من روافد العجلة التجاريّة في القطاع، إذ يستفيد منها حوالي ٣٧% من أسر قطاع غزّة، وتُقدّر مساهمتها بحوالي ٢٠% من الاستهلاك السلعيّ في غزّة الذي يبلغ مجموعه تقريبًا ٥٠ مليون دولار شهريًا. وبالنظر لمستوى الأجور الشهريّ في غزّة والذي يقترب من ٢٠٠ دولار، فإنّ المنحة توفر ٥٠% منه، ولذلك بقيت ضمن دائرة اهتمام الناس طوال الفترة الماضية. يُذكر أنّ ٦٥%

(١٤) آمنة الأشقر، قصفُ الاحتلال لغزة: "أقصف الآن، ليموتَ لاحقًا"، متراس، ٢٠٢١/٦/٢٣، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٧، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/TLjll

(١٥) خالد ابو عامر، المنْحَة القَطَرِيّة.. "السيرُ" على حبلٍ دقيق، متراس، ٢٠٢١/٨/٢٥، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٦، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/reTr8

من سكان القطاع يعانون الفقر، ويعتمد ٨٠% منهم على المساعدات الدوليّة[١٦].

من ثم تساهم المنحة القطرية التي توصلت إليها التفاهمات، في تهدئة حالة الاحتقان الناتج عن الحصار الإسرائيلي ضد حماس، وبالتالي فتل أبيب مستفيدة أيضًا من تلك الحالة، التي يمكن أن تتحول إلى قنبلة تنفجر في وجهها.

لم يكن من السهل الوصول إلي هذا الأمر، دون دعم ضمني من الحكومة المصرية الراعية لتلك التفاهمات، ولذا فإن القراءات الأيديولوجية والسياسية للموقف المصري الداعم لفلسطين وقطاع غزة في الفترة الأخيرة، والذي وصل لذروته في قضية حي الشيخ جراح ومعركة سيف القدس بعده، والتي تقول بأنه مجرد نكاية من النظام المصري للصهاينة الداعمين للنظام الأثيوبي، تلك القراءات لن تخدمنا هنا في تحليل السياق الاستراتيجي للقضية الفلسطينية. حيث إن التقليل من شأن موقف الخارجية المصرية من تحميل الاحتلال مسئولية التصعيد الذي حدث في الأقصى، ثم غزة، لن يخدم فلسطين[١٧]. ناهيك عن المبادرة المقدّرة بنصف مليار دولار والتي قدمها الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي لدعم إعادة الإعمار[١٨].

وبناءً على ما سبق، تظهر أهمية الدور الذي يمكن أن تقدمه مصر لمستقبل القضية الفلسطينية، في حال حققت خطوات إيجابية في ملف إعمار غزة، الذي سيعيد الروح المعنوية للفلسطينيين، لأن ذلك يضرب صميم الاستراتيجية الإسرائيلية في تصفية القضية، إذ إن إعادة الإعمار ستعزز صمود المستضعفين في غزة، وبالتالي سيمنح فصائل المقاومة هدنة من التركيز على تلك القضايا والتفرغ أكثر لتطوير الترسانة العسكرية.

علاوة على ذلك، فالقضية الفلسطينية اليوم قد تصبح بابًا لتطوير وتحسين العلاقات القطرية المصرية إلى مستوى لم يحدث خلال السنوات الماضية، من منطلق وجود أرضية مشتركة بين البلدين حول تناول الأوضاع في القدس وغزة، وهو الأمر الذي قد يسهم في تحول تلك العلاقة إلى محور داعم لفلسطين، لاسيما في ظل تحسن الأوضاع بين مصر وتركيا، وهو أمر من شأنه إحداث تغييرات جذرية في المشهد الإقليمي عامةً، والفلسطيني خاصةً.

ثالثًا- خلاصة المشهد الدولي: تغيير في الأدوار

شهد الوضع الدولي حدوث عدد من التحولات في الدور الذي يقوم به كل طرف، نتيجة تغيير في الأحداث، حيث مثّل نجاح الرئيس الأمريكي جو بايدن عودة لنبرة التفاؤل مجددًا بمسار التسوية السياسية، بعدما أعاد الحديث حول ملف حل الدولتين. وفي المقابل شهدت القضية الفلسطينية صعود متزايد للدور البريطاني لكن في اتجاه تعاونه مع إسرائيل وعدائه لبعض الفصائل الفلسطينية وعلى رأسها حماس، يبحث هذا الجزء من التقرير تقييم للدور الأمريكي المتوقع وكذا البريطاني.

١- جو بايدن وعودة العلاقات مع السلطة الفلسطينية:

"إذا لم تكن هناك إسرائيل، ربما كنا سنضطر لاختراعها لحماية المصالح الأمريكية"، ينسب هذا التصريح لجو بايدن عندما كان نائبًا للرئيس الأسبق باراك أوباما[١٩]، وكان من الضروري البدء به لتهدئة سقف التوقعات الذي هللّ له داعمو مسار التسوية السياسية. فقد صرح بايدن أثناء الحملة

(١٦) المرجع السابق

(١٧) رفض وتنديد وغضب.. هكذا تفاعل العالم مع أحداث القدس، الجزيرة، ٢٠٢١/٥/١٠، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/١٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/eJhOb

(١٨) بعد قرار السيسي.. تحرك مصري فوري لإعمار غزة، سكاي نيوز عربية، ٢٠٢١/٥/٢٠، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/١٧، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/BExsz

(١٩) محمود الرنتيسي، ما الذي ينتظر القضية الفلسطينية في عهد بايدن؟، رؤية تركية، ٢٠٢١/٤/٢٦، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٧، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/OKpVV

الانتخابية بأن مساعدة بلاده لإسرائيل مستمرة من منطلق واجبها التاريخي الأخلاقي، الذي سيجبرها دومًا على الحفاظ على التفوق النوعي الإسرائيلي على بلدان المنطقة.

لقد نجح جو بايدن في إعادة ثقة الفلسطينيين في أهمية الدور الأمريكي كوسيط لعملية السلام، عندما أكد أنه سيبذل جهودًا كبيرة لعودة مسار حل الدولتين، وإعلان إدارته أنه سيتم مد الفلسطينيين بـ ١٥ مليون دولار مساعدات إنسانية لمكافحة السلالة الجديدة من فيروس كورونا، وقرارها في السابع من أبريل الماضي إرسال مساعدات تقدر بـ ٧٥ مليون دولار من أجل تنمية قطاع غزة والضفة الغربية و ١٥٠ مليون دولار أخرى من أجل برامج الأونروا، كل ذلك يمكن اعتباره خطوات على طريق تطبيع العلاقات الثنائية. وعن تصريح وزارة الخارجية الأمريكية بأن احتلال إسرائيل للضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان هو حقيقة تاريخية الذي ورد في تقريرها لعام ٢٠٢٠، فيمكن تقييمه على أنه جزء من عملية التطبيع[٢٠].

وذلك بهدف إعادة الاتصالات مع السلطة الفلسطينية، بعدما تعرض دور الوساطة للانهيار بعد قرارات الرئيس السابق ترامب المعادية للفلسطينيين والعرب، بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس والاعتراف بها عاصمة أبدية لليهود في عام ٢٠١٧، ثم قطع كامل المساعدات الأمريكية المقدمة للحكومة الفلسطينية ثم قطع المساعدات المقدمة لمنظمة الأونروا، ووقف دعم مستشفيات القدس، وإغلاق مكتب منظمة التحرير في واشنطن في عام ٢٠١٨، والاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على مرتفعات الجولان، وشرعنة الاستيطان بعدما أعلن وزير خارجيته بأن بلاده لا تعتبر المستوطنات مخالفة للقانون الدولي في عام ٢٠١٩، وأخيرًا بالإعلان عن مؤامرة تصفية القضية الفلسطينية، المعروفة إعلاميًا باسم صفقة القرن ثم تأييد خطة الضم الإسرائيلية في عام ٢٠٢٠[٢١].

(٢٠) المرجع السابق

إن نجاح جو بايدن سيحمل وضعًا أفضل للفلسطينيين، ولكن لن يعيد الوضع كما كان قبل ترامب، الذي اتخذ خطوات غير مسبوقة من قبل، فوزير خارجية بايدن أكد أن بلاده ستواصل الاعتراف بالقدس كعاصمة أبدية لليهود، كما أعلن اعتراض بلاده على نتائج المحكمة الجنائية الدولية فيما يخص الجرائم الصهيونية المرتكبة ضد المدنيين في غزة والقدس والضفة.

لذلك فمازال هناك ضرورة لفرض ضغوط كبيرة على إدارة بايدن للتراجع عن كثير من قرارات سلفه ترامب، وبالتالي مازال لم يحدث تقدم حقيقي يسمح بهذا الاحتفاء المقدم لبايدن.

٢- بريطانيا بلفور تعود من جديد:

عادت بريطانيا للظهور مجددًا في القضية الفلسطينية بقوة، مستعيدة روح وعد بلفور الذي ظلم الفلسطينيين في الماضي. في حقيقة الأمر، منذ قررت بريطانيا الخروج عن الاتحاد الأوربي، ودخول اتفاق بريكست حيز التنفيذ، وهناك مجموعة من التحولات الاستراتيجية والجيوسياسية التي تقوم بها لندن بصورة جذرية، وتعد أبرز تلك التحولات هي التقارب الاستراتيجي الكامل الذي يحدث على قدمٍ وساق كل يوم مع الولايات المتحدة الأمريكية، والذي أخذ منحنى تصاعدي واضح إبان فترة حكم الرئيس العنصري السابق دونالد ترامب، الذي توافقت رؤيته مع رئيس الوزراء البريطاني جونسون.

لم يكن الخروج سهلًا؛ بعد الهزة العنيفة التي أحدثتها لندن في عواصم اليورو، وفي اقتصادها نفسه، ولذلك بحثت عن بديل قوي؛ ليعوّضها عن الخسائر التي ستتعرض لها من الخروج. كما أن واشنطن بحاجة ماسة لحليف بحجم بريطانيا يساعدها في مواجهة الصعود الصيني المستمر، وتهديده للهيمنة الأمريكية. وبعيدًا عن الدخول في تفاصيل هذا الملف، سنركز هنا على إبراز الشواهد على انعكاس تلك التحولات السابقة

(٢١) في ١٤ نقطة.. هذه تركة ترامب الثقيلة على القضية الفلسطينية، الجزيرة، ٢٠٢١/١١/٩، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/7aXu2

بالتأثير على القضية الفلسطينية، وبالتحديد على طبيعة العلاقة بين تل أبيب ولندن في الأونة الأخيرة. فقد وقعت لندن وتل أبيب مذكرة تعاون استراتيجي، تمهد الطريق لاتفاقية تجارة حرة كاملة بين البلدين في نوفمبر الماضي.

جاءت هذه الاتفاقية كنتاج للتقارب المتزايد الذي حدث في الشهور الماضية، والذي وصل ذروته عندما أقر البرلمان البريطاني بوضع حركة حماس ككل على قوائم الإرهاب، بعدما كانت تفرق بين جناحها العسكري كتائب الشهيد عز الدين القسام وبين الجناح السياسي. بررت وزيرة الداخلية التي قدمت القانون للبرلمان أن التصنيف الجديد لحماس يأتي في إطار ما أسمته؛ جهود مكافحة معاداة السامية، وضمان أمن المجتمع المحلي البريطاني[٢٢].

وفي حقيقة الأمر، لا يوجد نشاط فعلي لحركة حماس على الأراضي البريطانية، ولكن هناك أهداف أخرى جراء هذا القرار الذي من أهم تداعياته ما يلي: على الصعيد الإنساني هناك الأمر المتعلق بالمساعدات التي تقدمها المملكة المتحدة لقطاع غزة والتي لا يمكن إيصالها دون التنسيق مع حماس التي تسيطر على القطاع، بالإضافة إلى القيود التي قد يضعها القرار على الجالية الفلسطينية في بريطانيا، خاصةً وأن الحركة تتمتع بتأييدٍ كبيرٍ في قطاع غزة الذي ينحدر منه جزء كبير من أبناء الجالية في بريطانيا[٢٣].

ولكن الأمر الذي دفع بقوة نحو اتخاذ القرار، يمكن إعادته بالتحديد إلى أحداث وقعت أثناء معركة سيف القدس، فقد خرجت مظاهرات بعشرات الآلاف في شوارع وضواحي لندن تندد بالإرهاب الصهيوني، ضد المدنيين في قطاع غزة، وهو الأمر الذي أربك حسابات الساسة في تل ابيب، التي شعرت بالتهديد الحقيقي من تحول الرأي العام العالمي ضد إسرائيل، وذلك بعدما فقدت قضية الهولوكوست بريقها، خاصةٍ في ظل ما يُنشر في وسائل التواصل الاجتماعي من مذابح صهيونية ضد الأطفال والنساء والشيوخ. كما ساهمت الحملات الفلسطينية المنظمة بتغيير الرأي العام حول فلسطين، إذ أظهر استطلاع للرأي أجرته "خدمة بي بي سي العالمية" عام ٢٠١٤، أن ٧٢ في المئة من البريطانيين لديهم آراء "سلبية في الغالب" تجاه إسرائيل[٢٤]. لكن عقب القرار البريطاني فإن هذه الأنشطة (تظاهرات داعمة للقضية الفلسطينية، أو استطلاعات رأي) ستكون محل تدقيق ورقابة، وأي مظهر يرتبط بحركة حماس، حتى لو اقتصر على رفع رايتها الخضراء، سيعرض أصحابه لعقوبات كبيرة ربما تصل للسجن مدة قد تصل لعشرة أعوام[٢٥].

هناك بعد آخر يجب الإشارة إليه، حيث إن تصنيف بريطانيا لحركة حماس منظمة إرهابية قد جاء استكمالًا لعملية إعادة بناء المنطقة في سياق توحيد المنظورات الإمبريالية؛ ببناء سردية موحدة منسجمة حول الإرهاب بدمج الأبعاد السياسية والعسكرية[٢٦] من خلال وضع تنظيمات الإسلام السياسي جنبًا إلى جنب مع جماعات السلفية الجهادية، بحيث يتم التعامل معهم جميعًا من منطلق استراتيجي وتنفيذي موحد، لإقصائهم معًا، إذ يعيش النظام الاقليمي العربي مرحلة إعادة تأسيس ترتكز على مجموعة من الأهداف الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية، أبرزها دعم الجهود الاقتصادية التنموية على حساب القضايا السياسية. وتقود الإمارات هذا المشروع، تحت حلم تحولها لقوة إقليمية تأتي خلف الوجود الصهيوني في المنطقة، وتكمل جوانب النقص لديه، حيث تقدم نفسها للمجتمع الدولي، باعتبارها دولة يمكن الوثوق بها والتعامل معها ودعمها كما يتم التعامل مع إسرائيل، وعلى هذا الأمر، يمكننا

(٢٢) إسرائيل ترحّب والحركة تندد.. وزيرة الداخلية البريطانية: اتخذت إجراءات لحظر حماس، الجزيرة، ٢٠٢١/١١/١٩، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/dobz9

(٢٣) فراس كيلاني، حماس: عزلة الحركة في تزايد بعد القرار البريطاني بحظرها، بي بي سي عربي، ٢٠٢١/١١/٢٨، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/١٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/gllDZ

(٢٤) حسن أبو هنية، بؤس التصنيف البريطاني لحركة "حماس" منظمة إرهابية، عربي ٢١، ٢٠٢١/١١/٢٨، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/٧، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/YAmxO

(٢٥) فراس كيلاني، مرجع سابق

(٢٦) حسن أبو هنية، مرجع سابق.

فهم أسباب الهرولة والاحتفاء الذي تقوم به الإمارات في تأكيد علاقتها بإسرائيل، التي تحاول استنساخ تجربتها كحارس جديد للنفوذ الغربي في المنطقة[٢٧].

في نهاية الأمر، ليس من المتوقع أن يؤثر القرار كثيرًا على حركة "حماس" التي لا تملك حضورًا (سياسيًا) في بريطانيا. لكن بكل تأكيد سيؤثر القرار على قدرة بريطانيا في الانخراط في مساراتٍ سياسيةٍ مع الحركة، مثل اتفاقات التهدئة أو مفاوضات تبادل الأسرى، بالإضافة للانخراط في مساراتٍ مدنية إنسانية في قطاع غزة الذي تحكمه حماس فعليًا، كما سيؤثر القرار على طبيعة الاحتجاجات التي ستخرج في الشارع البريطاني في حالة اندلاع حرب، بالإضافة إلى أن القانون قد يُستخدم كعقبة في وجه الاستبيانات التي تُجرى لقياس موقف الناس من الفصائل المقاومة في فلسطين، لأن اليهود بارعون في توسيع دائرة القوانين الخاصة بهم، فمثلما فعلوا مع قانون معاداة السامية الذي جعلوه سوطًا مسلطًا على أي شخص ينتقدهم، قد يكون تصنيف حماس كتنظيم إرهابي بداية لأمور أوسع تأثيرًا[٢٨].

رابعًا- مسارات استراتيجية مستقبلية:

في هذا الجزء سنلقي نظرة على التطور النوعي العسكري الذي حدث في الترسانة العسكرية لفصائل المقاومة، وتأثير هذا الأمر على التطور الذي ستشهده العلاقة بين الاحتلال والمقاومة. كما سنشير إلى أداة المقاطعة، باعتبارها أحد المسارات الممكنة في المرحلة الجديدة من عمر القضية، وكيف تؤثر تلك الأداة على مجريات الأحداث، في حال أُخذت بالاهتمام الكافي.

١- مُسيّرات حماس ومستقبل التطور النوعي العسكري:

شهدت معركة سيف القدس تطورًا نوعيًا على الصعيد العسكري من جانب فصائل المقاومة، وتحديدًا في قدرتها على الوصول إلى أهداف محددة في عمق الأراضي المحتلة، ففي الليلة الأولى للحرب، تمكنت حماس من قصف صهريج نفط إسرائيلي جنوب عسقلان (أربعة كيلومترات شمال شرقي السياج الأمني مع قطاع غزة) بالقرب من الساحل، ورغم سخرية الاحتلال وأذنابه من كون ما حدث مجرد صدفة عابرة، إذ إن الصواريخ التي تطلقها حماس غير مزودة بأجهزة تحديد المواقع، حيث تُطلق بهدف الدخول في عمق الأراضي المحتلة، دون تحديد أهداف معينة، إلا أن ما حدث في تلك الليلة مثل تغييرًا محوريًا في قواعد الاشتباك وقوانين الحرب بين المقاومة والاحتلال، إذا طورت حماس طائرات مسيرة تعرف باسم "شهاب"، وهي طائرات دون طيار محلية الصنع، مزودة بأجهزة تحديد مواقع وتقدر على حمل رأس حربي يزن ٣٠ كيلوجرام.

ساعدت طائرات حماس في الوصول لاستراتيجيات جديدة في توجيه ضرباتها، لتعميق تأثيرها على المحتل، بالصورة التي دفعت الصحفي الصهيوني سفي هندلر للقول بأن: "حماس ألحقت بنا الهزيمة الأكبر في تاريخ المواجهة معها، لم تنجم الهزيمة عن عدد صواريخ حماس، بل بنجاحها في رهبة الوعي الإسرائيلي، لقد جعلت حماس إسرائيل في نظر قاطنيها مكانًا غير آمن، عنيفًا، متفككًا، وهذه ضربة قوية للأمة الإسرائيلية". وكذلك ما قاله الباحث الإسرائيلي أوري غولدبرغ: "عندما يزداد عدد الصواريخ التي تطلقها حماس في كل جولة قتال عن الجولة التي سبقتها، فهذا يدل على أننا فشلنا في ردعها، مع أننا في كل مرة نقتل ونجرح أكثر... نحن نقتل الآلاف، لكن هذا لا ينجح"[٢٩].

---

(٢٧) ساري عرابي، لماذا تستمر الحماسة التطبيعية؟ نظرة في الرؤية الإماراتية، عربي ٢١، ٢٠٢١/١١/٢٣، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٦، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/HCfkT

(٢٨) حسن أبو هنية، مرجع سابق.

(٢٩) شروق مستور، هل تعتبر معركة سيف القدس نقطة تحول في مسار المقاومة الفلسطينية؟، عربي بوست، ٢٠٢١/٥/١٩، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/wwVlg

لقد عملت فصائل المقاومة منذ اندلاع الانتفاضة الأولى على تراكم الخبرة العسكرية حتى وصلت قدرتها على إرسال عشرات بل ومئات الصواريخ دون توقف، بعدما كان الصاروخ لا يتجاوز الـ٥٠٠ متر قبل سقوطه، في حين نجد أن الاحتلال قد غير خططه العسكرية ورؤيته الاستراتيجية خلال السنوات العشرين الماضية فقط، أكثر من خمس مرات، بداية من خطة "كيلع" (٢٠٠٣-٢٠٠٦) التي ركزت على سلاح الجو وأهملت سلاح المشاة، ثم منيت بهزيمة من حزب الله في لبنان. ثم جاءت الخطة الثانية "تيفين" (٢٠٠٨-٢٠١٢)؛ التي أعادت التركيز على تطوير سلاح المشاة كمًا وكيفًا، بجانب تطوير أنظمة التجسس وسلاح الجو، إلا أن صواريخ المقاومة قصيرة المدى، أظهرت أن ثمة خللًا في مواجهتها. ثم ظهرت الخطة الثالثة وهي خطة "عوز" (٢٠١٢-٢٠١٤)، التي يمكن اعتبارها استعادة للخطة الأولى، فقد عمدت تقليل فرق البر، لصالح تطوير سلاح الجو وسلاح البحر، والتركيز على تطوير الأسلحة المتعلقة بالحرب السيبرانية، ونتيجة هذه الخطة أنها أهدرت كافة الجهود التي بُذلت في السنوات التي سبقتها، لاسيما بعد محاولة إسرائيل اجتياح غزة، وتعرض عناصرها لمقاومة غير مسبوقة، جعلتهم أهدافًا سهلة في يد عناصر المقاومة، قبل أن يتراجع الاحتلال سريعًا ويُلغي عملية الاجتياح البري. في حين حاولت الخطة الرابعة "جدعون" (٢٠١٥-٢٠١٩) تجاوز مساوئ الخطط السابقة، فقررت توحيد ذراع العمليات البرية والسيبرانية والجوية، عبر تشكيل مركز للتنسيق بينهم. وأخيرًا؛ خطة "تينوفا" (٢٠٢٠-٢٠٢٥)، التي حاولت أن تركز على البعد النوعي أكثر من الكمي، فركزت على أدوات الحرب السيبرانية والتكنولوجية، بجانب تطوير عناصر الجيش الصهيوني نوعيًا وبصورةٍ أكثر احترافية، مع التركيز على ضرورة تقوية دفاعاتهم، بعدما كان يدعي ساسة إسرائيل أن سياساتهم ضد خصومهم دائمًا استباقية وهجومية، فقد أجبرتهم فصائل المقاومة على الدفاع[٣٠].

إن أبرز ما في الرؤية الاستخباراتية الإسرائيلية الراهنة هو عدم قدرة الاستخبارات العسكرية على ادعاء الوضوح في استشراف مجريات الأمور، والسبب في ذلك التغييرات المتسارعة في خريطة التهديدات في المنطقة التي من شأنها أن تؤدي إلى أخطاء في التقديرات الاستخباراتية، فلا رؤية بعيدة المدى والحسابات رهن التطورات. وبالتالي فكل محاولات إسرائيل إدعاء انتصارها النهائي على فلسطين، هو محض وهم، يتداعى مع كل خسارة تحدث لها أمام المقاومة.

وليس هناك أدل من احتفال بيني غانتس ببناء جدار العزل الذكي بين الأراضي المحتلة وقطاع غزة بطول يتجاوز ٦٥ كم، ويمتد العائق أو "الجدار الذكي" الذي شارك في بنائه نحو ١٢٠٠ عامل تحت الأرض لمسافة ١٠ أقدام من الخرسانة مع أجهزة استشعار متطورة تكشف أيضًا عن أي عمليات حفر قريبة. وتم استقدام معظم العمال في المشروع من الخارج، وخاصةً من الدول الأوربية، وذلك بسبب المهارة الفريدة في تشغيل وسائل الحفر الهندسية في باطن الأرض. وقد استخدمت الأطقم أكثر من ١,٢ مليون متر مكعب من الخرسانة و١٤٠ ألف طن من الحديد والصلب في إقامة العائق. وتشير وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى أن كمية الخرسانة المستثمرة في المشروع كافية "لشق طريق من إسرائيل إلى بلغاريا"، في حين أن كمية الحديد والصلب تعادل طول مقطع فولاذي من إسرائيل إلى أستراليا[٣١]. ولذلك وصلت تكلفته لما يزيد عن ٣,٥ مليار شيكل، وكل ذلك لحماية الأمن القومي الصهيوني من أنفاق المقاومة التي أصبحت تمثل ذعرًا للجميع في إسرائيل، وباتوا يشعرون أنها قد تصل قريبًا إلى تل أبيب.

وإجمالا: لماذا يُعد التطور الأخير في أسلحة المقاومة (الطائرات المسيرة) بمثابة تغيير لقواعد الاشتباك وتطور نوعي استراتيجي سيكون له تبعات عدة؟ والاجابة؛ **أولًا:** لأن امتلاك المقاومة لسلاح قادر على تحديد المواقع، سيعني قدرة أعلى على

(٣٠) رامي أبو زبيدة، كيف أجبرت المقاومة الفلسطينية الجيش الإسرائيلي على تغيير خططه الحربية؟، عربي بوست، ٢٠٢١/١١/٢٩، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/q0Uhq

(٣١) إسرائيل تنهي بناء "الجدار الذكي" مع غزة...غانتس يوجه رسالة لـ"حماس"... صور، سبوتنك عربي، ٢٠٢١/١٢/٧، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/١٥، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/i11dN

استهداف المناطق الرخوة، وبالتالي خسائر أكبر، وتهديد أعلى للاحتلال، ومزيد من الانهيار لأسطورة الجيش الذي لا يُقهر.
ثانيًا: لن تكون إسرائيل مكانًا أمنًا للمحتلين وكل مستوطن يستحل حق غيره، ويراه فرصة لفردوس متوهَّم استمراره.

ثالثًا: لقد تمكنت المقاومة من تطوير ترسانة عسكرية في ظل ظروف حصار غير مسبوقة من قبل، وبالتالي فخبرتها في تطوير الأسلحة رغم التضييق ستمكنها من تطوير طائراتها الجديدة، بالقدرة التي ستجعلها في المستقبل قادرة على حمل رأس حربي يزن ١٠٠ و٢٠٠ كيلوجرام، وحينها ستكون غلّة الأهداف أكبر وأوسع وأقدر على التأثير.

٢- المقاطعة كسلاح متعدد الأهداف:

إن سلاح المقاطعة يمكنه أن يكون مسار استراتيجي مستقبلي مُكمل لجهود الشعب الفلسطيني، فعلى الرغم من حالة الرواج التي شهدتها دعوات المقاطعة في المرحلة التي واكبت وتلت معركة سيف القدس، وانتشار فيديوهات تشجع على مقاطعة المنتج الصهيوني على وسائل التواصل الاجتماعي، إلا أنه مازال سلاح مقاطعة المنتج الإسرائيلي واحدًا من أبرز المساحات المهملة في قضية الصراع مع الكيان الصهيوني، بحجة أن المنتج سعره أرخص من المنتج المحلي، وأن الاقتصاد الإسرائيلي لن يتأثر بنتائج المقاطعة، وغيرها من التبريرات، **رغم أن هذه الأداة يجب أن تحصل على الاهتمام الكافي، كالذي توجهه فصائل المقاومة لعملية تسليحها، وذلك لأنه يحقق عددًا من الأهداف وهي:**

أ- الضغط على الاقتصاد الإسرائيلي:

يسهم سلاح المقاطعة في وضع الاقتصاد الإسرائيلي في وضع خانق، يؤدي لخلق أزمات متعددة لدى حكومة الكيان الصهيوني والشركات الاستيطانية التي تنمو وتزدهر على حساب أموال الفلسطينيين، "ففي عام ٢٠١٤، ووفقًا لتقريرٍ صادر عن الأمم المتحدة، تسببت حركة المقاطعة في انخفاض الاستثمار الأجنبي المباشر في الاقتصاد الإسرائيلي بنسبة ٤٦%. وفي حال استمرار حركة المقاطعة، فإنّ مؤسسة راند الأمريكية تتوقع إلحاق خسارةٍ بإجمالي الناتج المحلي الإسرائيلي تتراوح بين ١ و٢%، أي ما بين ٢٨ و٥٦ مليار دولار خلال السنوات العشر المقبلة"[٣٢].

ب- تعزيز صمود التجار المقدسيين:

في حروب الأجيال المتعاقبة أو ما تسمى **حروب المدى الطويل**، تظل لكل مساحة قيمة مهما صغرت، ويبقى لكل انتصار قيمة ولو كان معنويًا. إلا أن سلاح المقاطعة ليس معنويًا فقط، بل أنه جزء رئيسي في معركة تعزيز صمود المقدسيين بصفةٍ خاصة والفلسطينيين بصفةٍ عامة، في الدفاع عن هوية القضية الفلسطينية حية في نفوس الجميع.

ولذلك فإذا كانت المقاطعة تؤثر سلبًا على الإسرائيليين، فإن تأثيرها على الفلسطينيين مصيري ووجودي، وبالتالي يجب أن يكون هناك توعية مستمرة، بضرورة دعم المنتج الفلسطيني، حتى لو كانت جودته أقل وسعره أعلى. كي لا يكون هناك تأثيرات حادة على عائلات التجار الفلسطينيين، تجبرهم على الهجرة وترك بلادهم للمحتل.

ج- حماية الفلسطينيين من الأمراض:

بالإضافة إلى الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمقاطعة، فهناك بعدًا آخر، يتمثل في عدم اهتمام الشركات الصهيونية، بالمعايير الصحية العالمية في صناعة المنتج الذي يقدم للمستهلك الفلسطيني، وهو ما يؤكده كثير من الفلسطينيين الذين استخدموا نفس المنتج عند مقارنة النسخة التي تباع في الأسواق الفلسطينية، بالنسخة التي تقدم في الأراضي المحتلة للمستوطن الصهيوني[٣٣].

(٣٢) أمل نزار، هل المُقاطعة ناجعة؟ ٥ ردودٍ على المُشكّكين، متراس، ٢٠٢١/٦/٨، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١٢/١٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/rlwEf

(٣٣) المرجع السابق

من ثم فعوامل عدة تدفع نحو دعم مشروع المقاطعة، وتحويله لأحد المسارات الاستراتيجية في معركة استعادة فلسطين، كل فلسطين.

د- إعادة الزخم للشارع العربي:

لا بد أن تقوم الكيانات الداعمة لفلسطين بنشر ثقافة المقاطعة ضد كافة الشركات الداعمة لإسرائيل، حيث يحقق هذا الأمر عددًا من المكاسب، أهمها؛ حدوث زخم حول القضايا التي تمس الشأن الفلسطيني، وبالتالي تشكل رأي عام عربي ضاغط على سياسات الحكومات المتحالفة مع إسرائيل، وعدم الركون لحالة الخرس فيما يخص القضية الفلسطينية، وبالتالي تصعيد حالة الاحتجاج ضد الاتفاقيات الضارة بالقضية الفلسطينية، كما أن اتساع قاعدة المقاطعة واستمرارها سيجبر الشركات العالمية المتحالفة مع إسرائيل على مطالبتها بتهدئة الأوضاع، وهذا سيضغط أكثر على الحكومة الإسرائيلية لتخفيف انتهاكاتها القمعية، وهو أمر سيسهم بالطبع في دعم صمود الشعب الفلسطيني.

خاتمة- القضية الفلسطينية بعد مكاسب سيف القدس:

يمكننا اختصار مكاسب معركة سيف القدس في أنها مهدت الطريق لفرض و اقع جديد يتسم بعدد من السمات وهي:

أولًا: أن فصائل المقاومة لم تعد مسئولة عن حماية قطاع غزة فقط، بل أن لها صوت ويد للتأثير على الأحداث التي ستشتعل في المسجد الأقصى، وهذا انتصار استراتيجي سيكون له تداعيات كبرى في مسارات المستقبل.

ثانيًا: لم تعد إسرائيل وحدها القادرة على ضرب كافة مناطق فلسطين، فقد وصلت الصواريخ والطائرات الفلسطينية لأهداف لم يسبق حدوثها من قبل، بحيث أصبح الآن هناك توازن رعب جديد بين المقاومة والاحتلال، ولم يعد بإمكان الأخير التمادي في أدواته الحربية كما كان يفعل في السابق عندما استخدم قنابله الفوسفورية، لأن الرد سيكون حاضرًا.

ثالثًا: لقد غضبت فلسطين وتحركت كلها، ونظمت نفسها في مسارات احتجاجية وتصعيدية غير مسبوقة، مع إزاحة شاملة لأي وجود للسلطة الفلسطينية، ولامبالاة كاملة لاتفاقاتها وتنسيقاتها الأمنية مع الاحتلال، وهذا يعني أن الفلسطينيين أدركوا أن حلم التحرير قائم وممكن الحدوث حتي مع استمرار وجود وقمع السلطة الفلسطينية، وبالتالي لم تعد مقولة "استحالة توحيد الموقف الفلسطيني" صحيحة، بل على العكس، فقد توحدوا (على مستوى الشعب) بسهولة ودون جهد، وأصبحت الخلافات السياسية بين الفصائل الفلسطينية، مجرد صراع نخبوي لا يعبر عن السواد الأعظم من الشعب[٣٤].

رابعًا: بث الرعب في نفوس المستوطنين وشعورهم بعدم الأمان، وتحول حركة حماس لأيقونة الخوف بمدينتها تحت الأنفاق، حتى أخذ المستوطنون يشعرون بأن الأنفاق قد تكون أسفل منازلهم، وهي أمور تضع سلطة الاحتلال في أزمات اجتماعية وسياسية، وحتى اقتصادية، لأن الشركات التي ستشعر بقدرة صواريخ المقاومة على الوصول لأهداف بعيدة المدى، لن تجد فائدة من البقاء في إسرائيل، وستشعر بأن تكلفة بقائها أكبر بكثير من الفوائد العائدة عليها.

خامسًا: انهيار المقولات الكبرى التي روج لها الاحتلال لسنوات، وهي تماسك جبهته الداخلية، وامتلاكه وحده القدرة على الردع وقرار الحرب الاستباقية الهجومية، وأسطورة التنبؤ والسيطرة الكلية على كل ما فوق أرض وتحت سماء فلسطين. ففصائل المقاومة هي من بدأت بالهجوم هذه المرة.

(٣٤) محمد عايش، هذه نتائج معركة "سيف القدس"، عربي ٢١، ٢٠٢١/٥/٢١، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/١٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/l7eit

سادسًا: لم يتحقق حلم إسرائيل في تدجين الأجيال الجديدة التي وُلدت في الأراضي المحتلة، وكذلك في الضفة الغربية والقدس، فكل محاولات التصهين باءت بنتائج كارثية، رغم التقديرات التي كانت تؤكدها تقارير الأجهزة الأمنية، والخطط الاستخباراتية، لأن من يقوم بطعن الجنود وقذفهم بالحجارة والطوب هم أولئك الذين أنفق الاحتلال على تدجينهم الملايين والملايين، فقد أنفقوها وكانت حسرةً عليهم.

سابعًا: إن دعم المجتمعات العربية والإسلامية لفلسطين أمر غير قابل للمساس، وأن مراهنة الاحتلال على تغيير الوعي، أمر يتنافى مع الواقع والتاريخ.

ثامنًا: لقد أهانت معركة سيف القدس الصورة التي صدرتها تل أبيب عن نفسها في السياق الإقليمي والدولي، رغم الكم الهائل من المنافع التي حصلت عليها من فترة الرئيس اليميني ترامب، ولكنها في النهاية، ظهرت في موقف العاجز عن المبادرة، الفاقد للرؤية وتقدير الموقف[٣٥].

تاسعًا: رهان الأنظمة التطبيعية على بقاء الكيان الصهيوني باعتباره أمر مُسلّم، ومحاولاتها تأسيس نظام إقليمي يرتكز على محورية وجود هذا الكيان، سيظل أمر رهين للفشل والسقوط المدوي، مع تكرار خسائر الاحتلال وتطور ترسانة المقاومة، واستمرار الوعي الجمعي العربي بماهية الاحتلال، واعتقاد جزء كبير منه أن سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، يعود لأسباب بقاء الكيان الصهيوني في المنطقة، وأن أحلام التحرير تبدأ من القدس.

عاشرًا: إن الرسائل التي تأتينا كل يوم عن مرض وضعف سردية المظلومية التي زرعتها إسرائيل في الوعي الغربي خاصةً والعالمي عامةً، توضح أهمية استكمال الدور الذي يقوم به الفلسطينيون في الشتات، ويزيد من أعباء الضريبة التي تدفعها الأحزاب السياسية وجماعات الضغط الداعمة لإسرائيل، ولذلك فخروج المظاهرات والاحتجاجات المستمرة ضد ممارسات إسرائيل، ستؤدي يومًا إلى تحولها لكيان منبوذ.

*****

(٣٥) عبدالله العقرباوي، إنجازات غير مسبوقة لـ"سيف القدس".. ما هي وكيف يستثمرها الفلسطينيون؟، الجزيرة، ٢٠٢١/٥/٢٣، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/١١/١٣، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Tdbyd

تجربة ديمقراطية على الحافة

مآلات قرارات الرئيس التونسي في ٢٥ يوليو وسيناريوهات الإنقاذ

رجب السيد عز الدين(*)

تمهيد:

أثارت الإجراءات الاستثنائية التي فرضها الرئيس التونسى قيس سعيد في ٢٥ يوليو ٢٠٢١ مستعينا بقوى الأمن والجيش، مخاوف عديدة على أكثر من مستوى، بعضها يتعلق بالخوف على مستقبل مسار الديمقراطية الوليد في تونس، وبعضها يخشى من اشتعال صراعات داخلية أهلية بين المؤيدين للرئيس والمعارضين له في ظل وضع أمني داخلي هش وأزمة اقتصادية حادة وتوابع جائحة صحية لم تنتهِ بعد، بينما يخشى آخرون من تعاظم حالة الاستقطاب الإسلامي العلماني، وإمكانية دخول الخارج (الإقليمي والدولي) على خط الأزمة لمزيد من التأزيم في ظل وضع سياسي وأمني آخر هش تعيشه الجارة الرئيسية (ليبيا) ؛الأمر الذي يضع تونس وتجربتها على حافة مأزق مفتوح على كافة الاحتمالات. تركز هذه الورقة على رصد مواقف القوى الداخلية والخارجية من الأزمة خلال الفترة من ٢٦ يوليو إلى أواخر نوفمبر ٢٠٢١، مع تحليل المخاطر التي تحيط بالتجربة التونسية ومآلاتها، في ظل وضع إقليمي أكثر هشاشة قابل للاشتعال في أي لحظة خاصة في ليبيا (أهم دولة مجاورة لتونس).

وتنقسم الورقة إلى خمسة محاور رئيسية، يركز الأول منها على تحليل الجدل الدائر حول قرارات الرئيس في ٢٥ يوليو وتوصيفها من بين مُعارض يراها انقلابا، ومؤيد يراها من صميم صلاحيات الرئيس الدستورية، بينما يركز المحوران الثاني والثالث على رصد المواقف الداخلية والخارجية من قرارات الرئيس. ويختص المحور الرابع، برصد المخاطر المحيطة بالتجربة التونسية وتحليل مآلاتها، أما المحور الأخير فيركز على سيناريوهات إنقاذ المشهد وإمكانية حدوثها من عدمه في ظل المؤشرات والمعطيات المتاحة.

المحور الأول- ماذا فعل الرئيس؟ وصف تحليلي للأحداث

يستدعى فهم ما يجرى على الساحة التونسية منذ قرارات الرئيس في ٢٥ يوليو ٢٠٢١، وصفا دقيقا لما حدث في الواقع استنادا إلى الخطابات الرسمية والقرارات الرئاسية والإجراءات التنفيذية اللاحقة،كما يلزم إيضاح طبيعة النظام البرلمانى في تونس، وحدود صلاحيات الرئيس وفقا لدستور ٢٠١٤، الذي جرى تعليقه لحين تعديله. (سيتم التركيز على رصد الأحداث في العنصر الأول، بينما سيجرى تضمين طبيعة النظام البرلمانى في العنصرين اللاحقين أثناء تحليل الجدل حول قرارات الرئيس ووصفها).

أ- رصد الواقع: تسلسل زمني بالأحداث والقرارات والإجراءات

انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي (خلال الاسبوع السابق لقرارات الرئيس)، دعوات للتظاهر على مستوى الجمهورية يوم ٢٥ يوليو تحت شعار" الخروج لانقاذ الجمهورية". تبنى الدعوة كيان جديد لم يعرف وجوده على الساحة قبلها يسمى "المجلس الأعلى للشباب"(١)، وأصدر بيانا،

(*) باحث في العلوم السياسية.

(١) راجع في تفاصيل الكيان شبه المجهول الداعي لمظاهرات ٢٥ يوليو، الآتي:

دعا فيه إلى تولي الجيش مقاليد البلاد واعتقال جميع السياسين والمستشارين ورؤساء الحكومات والوزراء والنواب، وكتاب الدولة، والمعتمدين، وحل جميع الأحزاب. اختلفت ردود الأفعال على تلك الدعوة، ما بين ساخرين مقللين من أهميتها خاصة وأن الداعين لها شبه مجهولين، بينما تساءلت بعض القيادات الحزبية (نبيل حجي القيادي في حزب التيار الديمقراطي)، عن ماهية هذا الكيان، وما إذا كان حزبا أو جميعة أو منظمة أو لجنة شعبية[٢]، كما دعت قيادات حزبية أخرى (عصام الشابي الأمين العام للحزب الجمهوري) إلى فتح تحقيق عاجل من قبل النيابة العامة في هذه الدعوات ومصدرها ومن يقف وراءها باعتبارها دعوات تحرِّض على الانقلاب العسكري[٣]. كان من اللافت للنظر عدم صدور بيانات تأييد لتلك الدعوات من قبل الأحزاب الرافضة للمشهد السياسي (التيار الديمقراطي، الدستوري الحر، حركة الشعب)، إلا أن بعض قيادات هذه الأحزاب ظهرت مشاركة في يوم الأحداث فيما بعد.

خرجت تظاهرات ضعيفة العدد يوم ٢٥ يوليو (قدَّرتها وكالة الأنباء التونسة بالمئات[٤])، وتركَّز أغلبها في العاصمة، وصاحبها أعمال عنف وشغب وتخريب وحرق لعدد من المنشآت العامة والخاصة أبرزها عدَّة مقرَّات تابعة لحركة النهضة، مع تغطية إعلامية كثيفة، ودعوات مجهولة بمزيد من التصعيد، ومطالب من بعض قيادات الأحزاب المؤيدة للرئيس بالتدخل لمنع الفوضى والاقتتال والاحتراب الأهلي. في هذه الأجواء دعا الرئيس لاجتماع طارئ لمجلس الأمن القومي ليلة ٢٥ يوليو (استبعد منه رئيس البرلمان والحكومة ووزيري الدفاع والعدل)، ثم أعلن في فيديو مسجل بحضور قيادة عسكرية وأمنية تجميد عمل واختصاصات البرلمان لمدة ثلاثين يومًا، ورفع الحصانة عن كافة نوابه، وإعفاء رئيس الحكومة هشام المشيشي من منصبه، وتولّي رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية بمساعدة رئيس حكومة يعينه بنفسه وتكون مسؤولة أمامه[٥]. (أصدر قيس سعيد سلسلة قرارات لاحقة، شملت إعفاء وزير الدفاع إبراهيم البرتاجي، ووزيرة العدل بالنيابة حسناء بن سليمان من مناصبهم، إلى جانب المشيشي مع الإبقاء على بقية الوزراء لتسيير الأعمال لحين تكليف آخرين).

عقب هذه الإجراءات مباشرة، انتشرت قوات الجيش بمحيط البرلمان وأغلقته بالدبابات، ولم تسمح لرئيس البرلمان ونائبته وبعض النواب بالدخول في تلك الليلة،كما أحاطت مدرعات أخرى بمقر الحكومة، كما اقتحمت قوات أمنية مقر قناة الجزيرة بالعاصمة، وصادرت أجهزة البث، وطلبت من المراسين المغادرة. أصدر سعيد سلسلة قرارات لاحقة نشرت على الصفحة الرسمية لرئاسة الجمهورية، بتعطيل العمل في المؤسسات الحكومية لمدة يومين باستثناء الجيش والشرطة والفرق الصحية، إضافة إلى فرض حظر تجوال ليلي في البلاد من الساعة السابعة مساء إلى الساعة السادسة صباحًا لمدة شهر اعتبارًا من ٢٦ يوليو ٢٠٢١ (نص قرار الحظر على منع كل تجمع يزيد على ٣ أشخاص في الطرق والساحات العامة).

- شبح "المجلس الأعلى للشباب" وراء تحركات ٢٥ جويلية، موقع صحيفة الأحد التونسية، ٢٤ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/AY9zuSK
- الأوضاع في تونس..دعوة للتظاهر للضغط على السياسيين، موقع قناة الحرة الأمريكية، ١٩ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/vY9lyMB

(٢) راجع في ردود الأفعال على الكيان المجهول: "المجلس الأعلى للشباب" في تونس.. سخرية وجدل واتهامات بالانتهازية"، موقع ألترا تونس، ٨ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/zY9zAcI

(٣) راجع: الشابي يدعو النيابة العمومية لفتح تحقيق حول المجلس الأعلى للشباب، موقع كيبتاليس التونسي، ١٨ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/fY9mOTG

(٤) راجع في عدد المظاهرات: مظاهرات مناهضة للحكومة والبرلمان في تونس.. وحركة النهضة تنتقد "اعتداءات إجرامية" على مقارها، سي إن إن بالعربية، ٢٥ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/laiOU

(٥) راجع في قرارات قيس سعيد يوم ٢٥ يوليو: منها تجميد المجلس النيابي.. رئيس تونس يعلن عن ٤ قرارات وسط مظاهرات، سي إن إن بالعربية، ٢٥ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/UY9lnM5

في اليوم الثالث (٢٧ يوليو) أصدر سعيد سلسة قرارات تختص بإعفاء مسؤولين في مناصب عليا بالدولة من مهامهم. شملت الإعفاءات كلا من المعز لدين الله المقدم مدير ديوان رئيس الحكومة المقال (المشيشي)، والكاتب العام للحكومة وليد الذهبي.كما شملت كل مستشاري رئيس الحكومة المقال، وهم: رشاد بن رمضان وسليم التيساوي ومفدي المسدي، ورئيس الهيئة العامة لشهداء وجرحى الثورة والعمليات الإرهابية عبد الرزاق الكيلان، كما تقرر في اليوم الرابع (٢٨ يوليو) إعفاء المدير العام للتلفزيون الوطني في تونس محمد لسعد الداهش من منصبه، وتكليف عواطف الدالي بتسيير المؤسسة مؤقتا. توالت بعد ذلك قرارات الوضع تحت الإقامة الجبرية (خلال نحو شهرين، تم وضع حوالي ٧٠ شخصية تحت الإقامة الجبرية بينهم قاضيان وقيادي أمني ونائبان بالبرلمان والرئيس الأسبق لهيئة مكافحة الفساد شوقي الطبيب، ووزير النقل السابق والقيادي في حركة النهضة أنور معروف، كما صدرت ١٩ إقالة لوزراء ومحافظين مقابل تعيين ١١ مسؤولا جديدا[٦]). كما تحرك القضاء العسكرى في إلقاء القبض على أربعة نواب من كتلة ائتلاف الكرامة، ومحاكمتهم بتهم خارج الاختصاص هم: (سيف الدين مخلوف، وعبد اللطيف العلوي، ومحمد العفاس، وماهر زيد) على ذمة قضية منظورة بحقِّهم أمام القضاء المدني، كما جرى القبض على صديقهم المحامي مهدي زقروبة على ذمة نفس القضية. كذلك اعتقل النائب ياسين العياري (مستقل) على ذمة حكم عسكري جدلى صادر بحقِّه في عام ٢٠١٨.

في ٢٣ أغسطس، أعلن الرئيس تمديد التدابير الاستثنائية الخاصة بتعليق عمل البرلمان، ورفع الحصانة عن أعضائه إلى أجل غير مسمى، ثم صدرت تصريحات لاحقة (٩ سبتمبر) على لسان وليد الحجام مستشار رئيس الجمهورية تفيد بوجود اتجاه لتعليق العمل بالدستور وتغيير النظام السياسي إلى أن قرَّر قيس سعيد ذلك بنفسه في خطاب محوري بعد خمسة أشهر (١٣ ديسمبر ٢٠٢١)، أعلن فيه تنظيم استشارة شعبية حول تعديل الدستور عبر منصَّات إلكترونية بداية من يناير إلى ٢٠ مارس المقبل، على أن تتولى لجنة قانونية يعينها الرئيس جمع مختلف المقترحات والتوليف بينها في غضون ثلاثة أشهر، ثم عرضها على الاستفتاء في ٢٥ يوليو ٢٠٢٢. كما قرر الرئيس استمرار تعليق أعمال البرلمان لحين إجراء انتخابات جديدة بعد عام (حدد موعدها في ١٣ ديسمبر ٢٠٢١)، وذلك بعد تعديل القانون الانتخابى ومنع الأحزاب والشخصيات التي تلقت أموالا من الخارج في الانتخابات البرلمانية الماضية[٧].

ب- تحليل قرارات ٢٥ يوليو: كيف يراها الرئيس؟

اختلفت الآراء في توصيف قرارات ٢٥ يوليو، ما بين مؤيد يراها من صلاحيات الرئيس الدستورية، ومعارض يراها انقلابًا ليس على الدستور فحسب، وإنما على النظام السياسى برمَّته. تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن وصف الانقلاب في هذه الحالة لا يزال إشكاليًّا، أو ربما تصنف حالة تونس باعتبارها نمطا انقلابيا جديدا يستدعى إعادة تعريف الانقلاب في أدبيات عالم السياسة والقانون ليتسع إلى أشكال وصور جديدة لم تعهد من قبل. إذ الغالب في حالات الانقلاب، أن يطيح الجيش أو قوة مسلحة برئيس أو حكومة منتخبة، ثم يتولَّى زمام الأمور بعدها (بطريقة مباشرة أو غير مباشرة)، ويظل وصف الانقلاب ساريًا على الحالات إلى حين تنظيم انتخابات حرة جديدة يتراجع فيها الجيش إلى موقعه (ولو ظاهريًّا)، ويسلم القيادة إلى الرئيس المنتخب (مدنيًّا كان أو عسكريًّا، المهم أن يأتي بانتخابات)، أما في حالة التونسية، فقد أطاح رئيس منتخب (محدد الصلاحيات في ظل نظام شبه برلماني)، بمجلس نيابي منتخب مثله، وحكومة حائزة على ثقة نواب منتخبين، ودستور جرى التصويت عليه بأغلبية هيئة تأسيسية منتخبة أيضًا (هذه أول نقطة إشكالية). أما النقطة الثانية، فتتعلَّق بوضع الجيش الذي لا يزال مختفيًا تحت إمرة رئيس منتخب ينفِّذ قراراته بالتعاون مع الشرطة في

(٦) مسار الأحداث في تونس من قرارات قيس سعيد إلى المظاهرات ضدها، موقع الجزيرة نت، ١٩ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/qY9GtTB

(٧) كلمة رئيس الجمهورية قيس سعيد ليوم ١٣ - ١٢ - ٢٠٢١، قناة الوطنية على موقع يوتيوب، ١٣ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/3Y7wKlq

ظلِّ إجراءات استثنائية تقع ضمن صلاحيات الرئيس القانونية والدستورية (وفقًا لتفسير الرئيس وبعض مؤيديه من أساتذة القانون الدستوري).

يتمسَّك قيس سعيد بأحقيته الدستورية في اتخاذ قرارات ٢٥ يوليو الاستثنائية وما بعدها، استنادًا إلى الفصل (٨٠) من الدستور الذي يخوِّل له ذلك حسب تفسيره. يكرِّر الرئيس هذا التمسُّك في أغلب خطاباته التي لا تخلو من السخرية والاستهزاء بمن يصفونه بالمنقلب قائلا: "من يقولون إنه انقلاب، عليهم أن يراجعوا دروسهم في القانون - في أي مدرسة تعلَّموا، وعلى أي صفر تحصَّلوا؟ - كيف يكون الانقلاب على الدستور بالدستور؟ - أنا أبعد الناس عن الانقلابات - استخدمت صلاحياتي في الفصل ٨٠ من الدستور بعد توجيه الإنذار تلو الإنذار"[٨]. كما يبرِّر الرئيس لجوءه إلى تلك الإجراءات الاستثنائية بما أسماه "إنقاذ الدولة والمجتمع" من خطر الفوضى والاقتتال الأهلي وتعطُّل المرافق العمومية، مستشهدًا بمشاهد الحرق والتخريب التي حصلت في الساعات السابقة لقراراته، إضافة إلى مشاهد تعطيل سابقة للبرلمان، واشتباكات بعض أعضائه على مدى الشهور السابقة[٩]، كذلك يكثر الرئيس من اتهام نواب البرلمان (جميهم دون تسمية أحد ودون أدلة يظهرها)، بتمرير القوانين بطريقة الابتزاز والرشوة في جنح الليل عبر صفقات تتم في الغرف المغلقة على حد تعبيراته.

جدير بالملاحظة أن الرئيس لم يحقق أو يطلب تحقيقًا في مشاهد تخريب ٢٥ يوليو لبيان أطرافها ومن يقف وراءهم، كما لم يحقِّق في مشاهد تعطيل البرلمان من حزب أقلية تقوده سيدة تحوم حولها شبهات لا يغفلها مؤيد أو معارض في المشهد (عبير موسي[١٠])، كذلك لم يقدِّم الرئيس أدلة على اتهاماته الخطيرة لنواب البرلمان بتمرير التشريعات بالابتزاز والرشوة، ولم يعلن للرأى العام أي تفاصيل بخصوص هذه الوقائع المحورية التي استند عليها في قرارات أخرجت البلاد من وضع طبيعي إلى حالة استثنائية ذات تكاليف باهظة على الدولة والمجتمع، (لم يذكر الرئيس أيضًا عدم استجابته لطلبات رئيس البرلمان المتكررة لتدخل الأمن الرئاسي للتعامل مع عبير موسى وحزبها

(٨) قيس سعيد يرد على من يتهمه بتنفيذ انقلاب: راجعوا دروسكم في الدستور، موقع إذاعة مونت كارلو الفرنسية، ٢٧ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/NYHsPit

(٩) راجع استشهاد الرئيس بصور مشاحنات البرلمان،فيديو منشور على الصفحة الرسمية لرئاسية الجمهورية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، ١١ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/ZYGCxZl

(١٠) راجع في تعطيل عبير موسى لجلسات البرلمان الآتي:

- النهضة تتهمها بتنفيذ مخطط انقلابي.. عبير موسى تحتل منصة البرلمان التونسى، موقع الجزيرة نت، ١٦ يوليو ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/OhCKy6D
- عبير موسي تعطل الجلسة والغنوشي يتهمها بالسعي لإسقاط البرلمان، موقع يوتيوب، ٨ ديسمبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/5hCKjbt
- رجب السيد، أزمة الثورة في تونس: مواجهات البرلمان، فصلية قضايا ونظرات، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، العدد العشرون، يناير ٢٠٢١، ص ص ١٢١-١٢٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/sYHirph

المعطِّل[١١]، كما لم ينتبه إلى أن مشاحنات البرلمان ظاهرة موجودة في أغلب بلدان العالم التي لو فكَّرت بطريقته لما بقي برلمان منعقدًا على وجه البسيطة)[١٢].

ج- الفصل (٨٠) من الدستور: كيف خرج الرئيس عليه؟

ينص الفصل (٨٠)[١٣] الذي استند عليه قيس سعيد على أن "لرئيس الجمهورية في حالة خطر داهم مهدِّد لكيان الوطن وأمن البلاد واستقلالها، يتعذَّر مع السير العادي لدواليب الدولة، أن يتَّخذ التدابير التي تحتَّمها تلك الحالة الاستثنائية، وذلك بعد استشارة رئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب وإعلام رئيس المحكمة الدستورية، ويعلن عن التدابير في بيان إلى الشعب، ويجب أن تهدف هذه التدابير إلى تأمين عودة السير العادي لدواليب الدولة في أقرب الآجال، ويعتبر مجلس نواب الشعب في حالة انعقاد دائم طيلة هذه الفترة. وفي هذه الحالة لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس نواب الشعب كما لا يجوز تقديم لائحة لوم ضد الحكومة، وبعد مضي ثلاثين يوما على سريان هذه التدابير وفي كل وقت بعد ذلك، يعهد إلى المحكمة الدستورية بطلب من رئيس مجلس نواب الشعب أو ثلاثين من أعضائه البت في استمرار الحالة الاستثنائية من عدمه، وتصرّح المحكمة بقرارها علانية في أجلٍ أقصاه خمسة عشر يومًا، وينهى العمل بتلك التدابير بزوال أسبابها، ويوجِّه رئيس الجمهورية بيانًا في ذلك إلى الشعب".

يبدو واضحًا أن هذا الفصل، لا يجيز للرئيس في حالة إعلان الاجراءات الاستثنائية أن يقيل الحكومة أو يحلَّ البرلمان،كما يبدو واضحًا دور المحكمة الدستورية في تمديد الحالة من عدمه، بما يعني في نهاية المطاف أن الرئيس قد ذهب بعيدًا في اعتبار البرلمان نفسه هو الخطر الداهم على الوطن (جاثما في أحد تعبيراته)، كما ذهب إلى أبعد في إطاحته بالحكومة مباشرة مخالفا بذلك نص مادة الاستثناء نفسها، وكذلك قواعد النظام شبه البرلماني في البلاد، والذي لا يجيز للرئيس تشكيل أو إقالة حكومة، بل يمنح هذا الحق للبرلمان ونوابه مع دور خفيف للرئيس إذا تنازعت الأحزاب ولم تفلح في تشكيل حكومة. (تجدر الإشارة إلى أن الرئيس هو من عطل إرساء المحكمة الدستورية قبل إجراءاته بشهور رغم حصول قانونها على أغلبية برلمانية مريحة لأول مرة منذ سبع سنوات، فقد رفض ختم القانون، كما رفض قبلها أداء اليمين لوزراء التعديل الحكومي الذين حصلا على ثقة أغلبية البرلمان، الأمر الذي جعله شريكًا واضحًا في تأزيم الوضع العام قبل ٢٥ يوليو ٢٠٢١ إلى حد يصل إلى القول بأنه

---

(١١) رفيق عبد السلام: قيس سعيد هو سبب الأزمة وهو وقودها ومحركها الرئيسي، بزنس نيوز عربي، ١١ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/CYHwvG0

- راجع أيضا في مطالبات رئيس البرلمان لوزارة الداخلية والأمن الرئاسي والنيابة العامة التحرك ضد عبير موسى:
- الغنوشي يطالب الأمن بالتدخل لفض اعتصام عبير موسي بالقوة، قناة العربية، ١٧ يوليو ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/hYHwMQ0
- الداخلية التونسية ترفض طلب الغنوشي فض اعتصام "الدستوري الحر" بالقوة، وكالة سبوتنك الروسية، ١٩ يوليو ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/fYHeq4M
- نائبة تونسية: طلب الغنوشي فض اعتصام البرلمان "سابقة خطيرة"، قناة العربية، ١٧ يوليو ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.ly/5YHeIkb
- الغنوشي يقاضي نواب «الدستوري الحر» بتهمة «تعطيل البرلمان»، منشور على موقع صحيفة الشرق الأوسط، ٣ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/NYHezWl
- اتحاد الشغل يتضامن مع موسي ويدعو النيابة الى التعهد، موقع جريدة الشروق التونسية، ٣٠ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.ly/HYHrvYi

(١٢) شاهد.. مشاجرات حامية في أروقة برلمانات العالم، قناة العربية على موقع يوتيوب، ١ أبريل ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/2YHhCUo

(١٣) راجع نص الدستور التونسي كاملا على الرابط التالي: https://cutt.ly/lYRmZVp

وراجع المادة (٨٠) منفردة على الرابط التالي: https://cutt.ly/aYRm3ZK

خطط لذلك مستغلًا ما يدور من أحداث تعطيل داخل البرلمان وتهييج إعلامي حاد[١٤]).

كذلك يبدو واضحًا من نصّ المادة أن الإجراءات الاستثنائية لا تتم إلا بعد مشاورة رئيس الحكومة والبرلمان، وهو ما لم يحدث[١٥]، ولا الحوار القائم على حجج قوية ووقائع فاصلة، تستدعى الاضطرار إلى إجراءات ذات تكاليف باهظة تُخرج البلاد من وضع طبيعي إلى حالة استثنائية غير مأمونة العواقب، في ظل وضع اقتصادي متردٍّ، وجائحة صحية لم تنته تداعياتها بعد، وظروف إقليمية هشة في الجارة الحساسة ليبيا.

أخيرًا يبدو منطق الفصل (٨٠) واضحًا في الحفاظ على كافة مؤسسات الدولة قائمة متعاضدة لمواجهة أخطار تبدو محل اتفاق، كما في حالات الجوائح الصحية أو الفيضانات والسيول العارمة أو ظروف الحرب أو العدوان الخارجي... إلخ، ولهذا نص الفصل على عدم المساس بالحكومة والبرلمان واستشارة رئيسيهما؛ إضافة إلى إشراك المحكمة الدستورية بدور رقابى لضمان عودة الدولة إلى مسارها الطبيعي في أقرب وقت نظرًا لخطورة حالة الاستثناء على الدولة والمجتمع. أما الرئيس فقد اتخذ قرارات لم تصب في نهاية المطاف إلا في تفريغ المشهد من أي مؤسسة قائمة (حكومة - برلمان - دستور - محكمة دستورية - ثم هيئة مراقبة القوانين المؤقَّتة)[١٦]، بما جعل مصير البلاد بأكملها مرهونًا بشخص الرئيس، كما ذهب إلى تحديد الخطر الداهم بطريقة تصل إلى حدِّ اعتباره سلطة تشريعية منتخبة خطرًا داهمًا بل وجاثمًا على الدولة (على حد تعبيره)[١٧]. فهل يعقل اعتبار برلمان منتخب من الشعب خطرًا داهمًا على الدولة لمجرد وجود مشاحنات بين نوابه أو لمجرد وجود بعض من يتعمَّدون تعطيل أعماله من داخله؟ أيكون الحل في تلك الحالة بإزالة أسباب التعطيل والحزم مع متعمِّديه أم بإغلاق البرلمان وحل الحكومة ووضع البلاد بأكملها على حافة هاوية مرهونة ببقاء شخص الرئيس إلى أجل غير مسمى في ظل واقع إقليمى مجاور يشهد صراعات مسلحة معقدة ذات أبعاد دولية رسمية وغير رسمية.

المحور الثاني- موقف الداخل من قرارات الرئيس:

أ. موقف القوى الحزبية:

يتكوَّن المشهد الحزبي في تونس من ثمانية أحزاب رئيسية فاعلة -وفقًا لنتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة ٢٠١٩-: (حركة النهضة - التيار الديمقراطي - قلب تونس - ائتلاف الكرامة - حركة الإصلاح الوطني - الحزب الدستوري الحر - حركة الشعب - تحيا تونس)[١٨]، ويسهل على المتابع للمشهد التونسي ملاحظة

(١٤) رجب السيد، الرئيس المعطل: مستجدات تعثر المشهد التونسى ومآلاته، فصلية قضايا ونظرات، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، العدد الثاني والعشرون، يوليو ٢٠٢١، ص ص ١٢٣-١٢٧، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/QYRWu3E

(١٥) اختفى هشام المشيشى بعد إجراءات الرئيس، وسط أنباء تحدثت عن إهانته وضربه في قصر قرطاج ليلة ٢٥ يوليو، ولم يظهر إلا بعد ١١ يومًا في مقر هيئة رقابية للتصريح بممتلكاته كإجراء روتينى بالنسبة للوزراء وغيرهم، ثم اختفى من جديد مع فقدان التواصل معه.. راجع خبرًا تحت عنوان (حقوقي: نحاول الوصول إلى معلومات عن المشيشي دون جدوى)، موقع عربي ٢١، ٣ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/VYRQiLX

(١٦) الهيئة الوقتية لمراقبة دستورية القوانين، هيئة مؤقتة أرساها دستور ٢٠١٤ لحين تشكيل المحكمة الدستورية، ألغى قيس سعيد تلك الهيئة بعد تعليق العمل بالدستور وإصداره أمرًا رئاسيًّا يحل محل الدستور بشكل غير مباشر، راجع: رئيس الدولة يقرر إلغاء الهيئة الوقتية لمراقبة دستورية القوانين، موقع إذاعة موزاييك التونسية، ٢٢ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/EYREzzC

(١٧) راجع تصريح الرئيس في اعتبار البرلمان نفسه خطرا جاثما على البلاد، فيديو منشور على صفحة الرسمية لرئاسة الجمهورية التونسية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، ٢٤ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/vYHiCkz

(١٨) لم تسفر نتائج الانتخابات البرلمانية عن حصول أي حزب على أغلبية مريحة تمكنه من تشكيل الحكومة منفردًا رغم تصدُّر حزب حركة النهضة للمركز الأول إلا أن حصته من المقاعد لم تتجاوز الربع إلا قليلا (٥٤ من أصل ٢١٧ مقعدًا)، تليه كتلة حزب التيار الديمقراطي الذي يعرف نفسه بطريقة تبدو يسارية في المركز الثانى بنحو (٣٨ مقعدًا)، تليهما كتلة حزب قلب تونس الذي يعرف نفسه بطريقة تبدو ليبرالية ويضم رجال أعمال بارزين على رأسهم نبيل القروي وشخصيات تنتمي للنظام القديم وحزب

انخراط هذه الأحزاب في تحالفين رئيسين، أحدهما يضم حركة النهضة وقلب تونس وائتلاف الكرامة، والآخر يضم التيار الديمقراطي وحركة الشعب وتحيا تونس بشكل مباشر، والدستوري الحر والإصلاح الوطني بشكل غير مباشر، كما يسهل على المتابع ملاحظة دفاع التحالف الأول عن قواعد العمل البرلماني والممارسة الديمقراطية المعروفة، بينما يبدو التحالف الثاني رافضًا لنتائج الانتخابات وقواعد العمل البرلماني وصولا إلى تحريض رئيس الجمهورية طوال عام كامل على قلب المشهد برمَّته وتعطيل البرلمان واستخدام الجيش والأمن في الإطاحة بقواعد اللعبة والخصوم المنتخبين[١٩].

انعكست هذه التحالفات على الموقف الحزبي من إجراءات الرئيس المتجاوزة للدستور برمَّته في ٢٥ يوليو ٢٠٢١، ولم يكن مفاجئًا صدور مواقف شديدة التأييد من تحالف التيار الديمقراطي (حركة الشعب والأحزاب المحيطة به)، وقد عبَّر أحدهم عن طبيعة هذا التأييد ومداه بعد ثلاثة أشهر من تخبُّط الرئيس بقوله للمنتقدين صراحة: "لن نخلع صاحبنا"[٢٠]. أما التحالف الأول المكوَّن من النهضة وقلب تونس وائتلاف الكرامة، فقد ندَّد بالإجراءات ووصفها بالانقلاب، ثم نظَّم تظاهرات خفيفة ومؤقَّتة أمام البرلمان ليلة ٢٥ يوليو في محاولة احتجاجية بدت وكأنها إثبات موقف انصرف فاعلوه إلى منازلهم بعد ساعات من حضورهم أمام البرلمان، كما هرب رجل الأعمال نبيل القروي رئيس حزب قلب تونس إلى الجزائر خشية الملاحقة من الرئيس الذي لا يطيق سماع اسمه وحزبه ويشن عليهم حملة تحت عنوان "الفاسدين واللصوص".

ب. الاتحاد العام للشغل: اختفاء الإضرابات والاعتصامات

بقيت الإشارة إلى موقف الاتحاد العام للشغل -أكبر منظمة نقابية ذات وزن سياسي في البلاد- إذ تبدو بيانات الاتحاد وتصريحات قادته مؤيِّدة لمسار الرئيس لكن على مسافة من الحذر، وبعض الانتقاد الهادئ من حين لآخر. من ناحية أخرى،

نداء تونس الذي أسَّسه الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي كامتداد لحزب التجمع الدستوري المنحل بعد الثورة. حصل قلب تونس على المركز الثالث في الانتخابات بنحو (٣٠ مقعدًا)، تليه كتلة ائتلاف الكرامة التي تعرف نفسها بطريقة تبدو ثورية محافظة في المركز الرابع بنحو (١٨ مقعدًا)، بينما جاءت كتلة الإصلاح الوطني التي تضم خليطًا من بقايا نداء تونس وغيره في المركز الخامس بنحو (١٧ نائبًا). أما المركز السادس فقد شغلته كتلة الحزب الدستوري الحر التي لا تخجل من تكرار التصريح بعدم اعترافها بالثورة بنحو (١٦ مقعدًا). كما جاءت الكتلة الوطنية (تسمى حركة الشعب أيضًا) المؤلفة من أعضاء منشقين من حزب قلب تونس في المركز السابع بنحو (١٦ مقعدًا)، بينما جاءت كتلة حزب تحيا تونس الذي أسَّسه رئيس الحكومة السابق (يوسف الشاهد) من توليفة أعضاء منشقِّين عن حزب نداء تونس في المركز الثامن بنحو (١٠ مقاعد، أما المستقلين غير المنتمين لأحزاب فقد حصلوا على (١٨ مقعدًا). تعنى هذه التركيبة الانتخابية المفتتة حتمية التفاوض بين كتل تبدو كالفرقاء المتشاكسين المفتقدين لأي رابط جامع سوى كونهم منتخبين لإقامة تحالفات ضيقة من حزبين كبيرين أو واسعة من الأحزاب المتوسطة والصغيرة لتشكيل الحكومة وتمريرها في البرلمان (تحتاج ١٠٩ أصوات) وفقًا لقواعد النظام البرلماني المختلط الذي اختارته النخبة التونسية في الدستور ليكون نظام الحكم في البلاد: للمزيد حول تركيبة البرلمان التونسي الحالي، راجع الموقع الإلكتروني للبرلمان، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/6hE44Nm

(١٩) راجع نماذج من تحريضات قادة التيار الديمقراطي على الانقلاب قبل ٢٥ يوليو بشهور:

- محمد عبو: يجب على رئيس الجمهورية أن ينشر الجيش، موقع يوتيوب، ٨ ديسمبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/VhCKKks
- محمد عبو: لم أدع لانقلاب.. ولهذا دعوتُ إلى نشر الجيش والأمن، موقع يوتيوب، ١٦ ديسمبر ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/JhCKCAX
- راجع تصريح زوجته النائبة سامية عبو عن تدخل الجيش، موقع يوتيوب، ٢٦ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/BnCNZiK

(٢٠) هيكل المكي في ٩٠ دقيقة بين مطرقة حركة الشعب وسندان الرئيس: "نحن لن نخلع صاحبنا"، موقع يوتيوب، ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/SYRWbfY

يبدو الاتحاد معترضًا على ما يطرحه الرئيس من رؤية مغايرة للدستور والنظام البرلماني وكذلك نظام التمثيل الانتخابي ذاته، وفقًا لما يطلق عليه الرئيس (نظام التمثيل القاعدي) بديلًا لنظام التمثيل البرلماني القائم على الأحزاب. يقول الطبوبي في هذا السياق (لا ديمقراطية بدون أحزاب، ولا نتفق مع الرئيس فيما يتعلق بنظام التمثيل القاعدي)[٢١]. في المقابل يدعو الاتحاد إلى انتخابات برلمانية مبكرة بعد تعديل النظام الانتخابي، للخروج مما يصفه بالغموض والتردُّد والارتباك الذي يسود المشهد منذ ٢٥ يوليو، إلا أن الرئيس لا يبدو مقتنعًا بفكرة الانتخابات مع وجود أحزاب، وكذلك لا يبدو مقتنعا بالنظام البرلماني ذاته، بما يعني أن مساحات التلاقي معه تبدو مستحيلة إلا لمن يحمل نفس أفكاره. ورغم تباين رؤى الاتحاد عن الرئيس في هذه المساحة إلا أنه يكاد يتطابق مع موقفه الرافض لعودة البرلمان لممارسة أعماله كما تطالب بعض أحزاب الداخل ودول الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة وغيرهم، ويشدِّد قادة الاتحاد على رفض العودة إلى منظومة ما قبل ٢٥ يوليو[٢٢]، رغم أن قرار الرئيس بالنسبة للبرلمان لم يتطرَّق لحله، وإنما إلى تعليق أعماله إلى حين.

المحور الثالث- مواقف الخارج من قرارات الرئيس

أ. الموقف الخليجي:

انقسمت المواقف الإقليمية والدولية من إجراءات الرئيس قيس سعيد في ٢٥ يوليو ٢٠٢١، ما بين مؤيد ومعارض ومتحفِّظ ومترقِّب لما سيجري اتخاذه من إجراءات لاحقة، إلا أن أغلب الدول اتخذت موقف الحذر في التعليق على الأحداث، وفي هذا السياق أصدرت السعودية والإمارات بيانات تأييد مختصرة بلغة حذرة تستخدم مفردات من قبيل "شأن داخلي - شأن سيادي"، كما في الموقف السعودي[٢٣]، بينما استخدم البيان الإماراتي لغة الجائحة في البداية، وأعلن تأييده للقيادة التونسية في مواجهتها[٢٤]. يشار إلى أن الدولتين الخليجيَّتين قد أعلنتا عن خطط ضخمة لإرسال مساعدات طبية عاجلة إلى تونس قبل قرارات الرئيس بأسبوعين تقريبًا (أعلنت الإمارات في ١١ يوليو عن إرسال نصف مليون جرعة[٢٥]، ثم لحقتها السعودية في ١٢ يوليو بالإعلان عن جسر جوي لإرسال مليون جرعة من لقاحات كورونا على دفعات)[٢٦]، بما دفع دولا أخرى متنافسة للمسارعة إلى إرسال مساعدات مشابهة، وإن كانت أقل حجما مثل الجزائر وتركيا وإيطاليا وفرنسا وقطر، بينما جاءت مساعدات أمريكا في وقت لاحق لإجراءات قيس سعيد[٢٧].

أرسلت السعودية والإمارات في وقت لاحق ممثلين عن وزارات الخارجية لمقابلة قيس سعيد أكثر من مرة[٢٨]، لكن دون الإعلان

(٢١) الطبوبي: الاتحاد يرفض النظام القاعدي ولا ديمقراطية بدون أحزاب، موقع إذاعة موزاييك التونسية، ١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/3YREP6j

(٢٢) تونس.. اتحاد الشغل يرفض عودة البرلمان وواشنطن تحث الحكومة على احترام الحقوق المدنية، موقع الجزيرة مباشر، ٤ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/nYRE9uC

(٢٣) ٤ نقاط في بيان السعودية حول أحداث تونس.. إليكم ما هي، سي إن إن بالعربية، ٢٨ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/eYHhsKx

(٢٤) الشيخ عبد الله بن زايد يعرب عن دعم الإمارات الكامل لتونس، موقع سكاي نيوز عربية، ٢٩ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/XYAYAqg

(٢٥) الإمارات ترسل نصف مليون جرعة من لقاحات كورونا إلى تونس، صحيفة الشرق الأوسط السعودية، ١١ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/OYAYBFF

(٢٦) مساعدات عربية تصل إلى تونس لمساعدتها على محنتها، موقع دويتشه فيله الألماني، ١٤ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/EYARWPP

(٢٧) مساعدات عربية ودولية لإنقاذ تونس من "كارثة" صحية جراء فيروس كورونا، موقع قناة فرانس ٢٤، ٢٥ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/mYAYcvD

(٢٨) راجع الآتي:

- وزير خارجية السعودية: نحترم قرارات قيس سعيد.. ونقف بجانب كل ما يدعم استقرار تونس، سى إن إن بالعربية، ٣٠

عن أي دعم مالي (منح أو قروض) رغم تدهور أوضاع تونس الاقتصادية وتعثر المالية العامة للبلاد على المستوى المحلي والدولي، أما بالنسبة لمواقف بقية دول الخليج، فقد صدر عن البحرين بيانات مماثلة للسعودية والإمارات، بينما لم تعلق الكويت على الأحداث مباشرة، أما قطر فتجنَّبت التعليق حتى على إغلاق مكتب قناة الجزيرة في تونس، واستخدمت لغة هادئة مع الرئيس التونسي حثَّته على الحوار في اتصال هاتفي دعا كافة أطراف الأزمة لتغليب صوت الحكمة وتجنُّب التصعيد لتجاوز الأزمة[٢٩]. أما بقية الدول العربية فاكتفت بالصمت (أكثر من ١٧ دولة لم تعلق على الأحداث)[٣٠].

ويبدو تأخر الدعم المالي الخليجي لتونس مرتبطًا بمسلك الرئيس فيما يتعلَّق بموقفه من حركة النهضة التي اختارت طريق الاعتراض الساكن حتى لا تمنح الرئيس فرصة للقمع إذا حاولت المقاومة، بهذه الطريقة فوَّتت النهضة على الرئيس قيس سعيد أي فرصة لقمعها أو حلها أو اعتقال قادتها أو إعلانها حركة إرهابية، رغم تهديد الرئيس الحاد ليلة ٢٥ يوليو بأن الجيش سيقابل الرصاص بوابل من الرصاص في إشارة منه على ما يبدو إلى استعدادات عنيفة في التعامل مع أي احتجاج جادٍ ضدَّ قراراته[٣١]. بدلًا من هذا المسار يحاول الرئيس الضغط على القضاء لتحريك ملفات كيدية ضد حركة النهضة منظورة أمام المحاكم منذ ست سنوات مثل قضية اغتيال شكري بلعيد ومحمد البراهمي، كما يحاول من ناحية أخرى الضغط على القضاء لتحريك ملف التقارير الرقابية حول مخالفات الانتخابات البرلمانية ٢٠١٩، لتكون ذريعة تمكِّنه من إسقاط قوائم حركة النهضة وآخرين مع حظر ممارستهم للعمل السياسي[٣٢] (لَوَّحَ مؤخرًا إلى أنه قد يلجأ إلى ذلك بنفسه من خلال مراسيم رئاسية ما لم يتحرك القضاء العادي)[٣٣].

ب. موقف دول الجوار الإقليمي:

أما بالنسبة لدول الجوار الإقليمي، فقد شهدت تباينًا في المواقف الرسمية لا سيما في ليبيا التي تشهد صراعًا ممتدًّا لعشر سنوات بين مكونات قبلية متمرِّدة في الشرق ضدَّ تكوينات أخرى مدافعة في الغرب[٣٤]. انعكس هذا الانقسام الليبي على

يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/uYAURxl

- رئيس تونس يستقبل مستشار رئيس الإمارات.. وقرقاش: نتفهم قرارات قيس سعيد التاريخية، سي إن إن بالعربية، ٧ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/aYAUAcn

(٢٩) أمير قطر يؤكد ضرورة تجاوز الأزمة السياسية في اتصال مع الرئيس التونسي، سي إن إن بالعربية، ٢٨ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/CYG0yw3

(٣٠) تطورات تونس عربيًّا.. ٤ دول "تعلق بحياد" و١٧ تلتزم الصمت (محصلة)، وكالة الأناضول التركية، ٢٧ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/KYAOqSc

(٣١) راجع خطاب الرئيس ليلة ٢٥ يوليو وتهديده بالرصاص، منشور على الصفحة الرسمية لرئاسة الجمهورية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، ٢٥ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي https://cutt.ly/4YGVHN8

(٣٢) أظهر الرئيس غضبه من عدم ترتيب الآثار القانونية لتقارير المخالفات الانتخابية في حضور رئيس محكمة المحاسبات ورؤساء الهيئات القضائية أكثر من مرة، كما أبدى نقدًا شديدًا لتأخر القضاء العادي في حسم منازعات الانتخابات، وشكَّك أيضًا في وجود أسماء قضائية مشبوهة:

- راجع في هذا الإطار فيديو لقاء الرئيس مع رئيس محكمة المحاسبات، منشور على الصفحة الرسمية لرئاسة الجمهورية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، ٣٠ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/zYGMTl6
- وراجع أيضا فيديو لقائه مع رؤساء الهيئات القضائية، منشور على نفس الصفحة، ٦ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/PYGMFXI

(٣٣) راجع تصريح الرئيس حول إمكانية لجوئه إلى إصدار أوامر بحل قوائم حزبية، فيديو منشور على الصفحة الرسمية لرئاسة الجمهورية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، ٢٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/WYGBvBO

(٣٤) يقود تحالف شرق ليبيا، اللواء المتقاعد خليفة حفتر بمساعدة جماعات قبلية مسلحة وميليشات أجنبية ودعم مصر والإمارات والسعودية وفرنسا وروسيا، بينما يقود تحالف غرب ليبيا حكومة معترف بها دوليا بمساعدة جماعات قبلية مسلحة مسنودة بدعم عسكرى من تركيا.

الموقف مما يجري في تونس، فقد سارع خليفة حفتر في تأييد قيس سعيد واصفًا ما جرى في ٢٥ يوليو بـ"انتفاضة شعب ضد إخوان تونس"[٣٥]، بينما أبدى جزء من حكومة الغرب الليبي (خالد المشري رئيس مجلس الدولة) موقفًا معارضًا لسعيد واصفًا ما فعله بـ"انقلاب يشبه تحركات حفتر في ٢٠١٤"[٣٦]، واكتفى الجزء الأكثر رسمية بالسكوت (عبد الحميد الدبيبة رئيس الحكومة) دون تصعيد خطابي[٣٧] (زار الدبيبة تونس بعدها بأسابيع تزامنًا مع اتهامات متبادلة بين الجانبين بأن كلًّا منهما صار خطرًا أمنيًّا على الآخر)[٣٨].

كذلك بدت لغة الموقف الرسمي في الجزائر والمغرب هادئة حذرة تجاه الأحداث، فلم يصدر عن ممثلي الحكومتين تصريحات إدانة أو وصف لما جرى، بل سارعت الدولتان إلى إرسال وزراء خارجيتها لمقابلة قيس سعيد بعد قراراته بأيام[٣٩]. وقد أبدى الوزراء تصريحات دبلوماسية يفهم منها رغبتهم في إبقاء وسائل التواصل الدبلوماسي مفتوحة في ظل وضع سياسي وأمني هش في ليبيا ذات الحدود المشتركة مع البلدان الثلاثة.

على غرار لغة الجزائر والمغرب، صدرت تصريحات مشابهة من الأردن. أما الموقف المصري فقد جاء داعما بشكل مطلق، وإن تأخر الإعلان عن ذلك بعض الشيء، وسط تداول معلومات عن مساندة أمنية واستخباراتية مصرية لقيس سعيد (أشار إليها الرئيس التونسي نفسه في إحدى خطاباته واصفًا من قدَّموا له هذه المساندة الأمنية بالأصدقاء الأشقاء)[٤٠]. أرسلت مصر وزير خارجيتها سامح شكري إلى تونس بعد أسبوع تقريبًا (مطلع أغسطس)، وأدلى الوزير بتصريحات مؤيِّدة بشدَّة لما وصفه بقرارات الرئيس التاريخية في تحقيق إرادة الشعب وضمان استقرار تونس[٤١].

ج. المواقف الدولية:

أما المواقف الدولية، فلم تبد روسيا (المتدخلة في ليبيا) مؤقفًا مؤيِّدًا أو معارضًا مما يجري مكتفية بالإشارة إلى أنها تراقب الوضع عن كثب ولم تصدر عنها تصريحات لافتة فيما بعد، بينما طالبت الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي أكثر من مرة بعودة الديمقراطية وضرورة اسئناف البرلمان لأعماله[٤٢]، دون

(٣٥) حفتر يعلق على أحداث تونس: نبارك انتفاضة الشعب ضد الإخوان، موقع وكالة سبوتنك الروسية، ٢٦ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/MYAykMy

(٣٦) المشري ردًّا على تطورات تونس: نرفض الانقلابات على أجسام منتخبة، وكالة الأناضول التركية، ٢٦ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/AYAoqcR

(٣٧) تونس - ألمان حائرون في فك شفرة نوايا الرئيس قيس سعيِّد، موقع دويتشه فيله، ٢٨ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/oYAsmyH

(٣٨) هل تكون زيارة رئيس الحكومة الليبية إلى تونس فرصة لإذابة الجليد بين الدولتين؟، موقع وكالة سبوتنك الروسية، ٩ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/zYAfG2K

(٣٩) التقى وزير الخارجية الجزائري رمطان لعمامرة بالرئيس التونسي بعد يومين من قراراته (٢٧ يوليو)، ونقل له رسالة من نظيره الجزائري عبد المجيد تبون، وقال لعمامرة عقب اللقاء إن "تونس حليف دائم لبلاده، وإنهما ستنتصران على الوباء مثلما انتصرتا على الاستعمار"، كما نقل وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة، رسالة شفاهية من ملك المغرب محمد السادس، إلى الرئيس التونسي، أكد فيها على التضامن والتآزر وأهمية العلاقات بين البلدين. راجع في الموقفين الجزائري والمغربي تقرير منشور على موقع وكالة سبوتنك الروسية بتاريخ ٣٠ يوليو ٢٠٢١، تحت عنوان "ما مواقف الدول العربية من تونس بعد قرارات قيس سعيد الأخيرة؟"، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/xYAzeyr

(٤٠) راجع إشارة الرئيس إلى الدول الصديقة التي ساعدته في قطاع الأمن، فيديو منشور على صفحة الرئاسة على الفيس بوك، ١ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/jYG1Q5a

(٤١) شكري لقيس سعيد: مصر تؤكد دعمها المطلق للإجراءات التاريخية التي اتخذها، موقع وكالة سبوتنك الروسية، ٣ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/8YAxXeW

(٤٢) راجع في ردود الفعل على الأزمة في تونس، الآتي:

- ردود الفعل على الأزمة في تونس.. بين القلق والترقب والإدانة!، موقع دويتشه فيله الألماني، ٢٦ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/pYAcfas

- بروكسل تحث "سعيد" على استئناف عمل البرلمان والفصل بين السلطات، وكالة دويتشه فيله الألمانية، ١٩ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.ly/lYAmFwS

تصعيد خطابي فيما يتعلق بوصف ما جرى، بل صدر عن بعض المسئولين الأمريكيين[٤٣] والألمان تصريحات تفيد بأن ما فعله الرئيس لا يمكن وصفه بالانقلاب[٤٤]، مع تكرار الزيارات الدبلوماسية والمكالمات الهاتفية مع قيس سعيد، من قبل السفير الأمريكي وسفراء دول أوربية أخرى وممثلين عن وزارات الخارجية والأمن القومي[٤٥]. أما الموقف التركي فقد عارض إجراءات قيس سعيد ووصفها بالانقلاب مع مطالبته باستئناف أعمال البرلمان ولكن دون تصعيد خطابي أيضا[٤٦]، حيث اكتفى الرئيس التركي بمكالمة هاتفية مع قيس سعيد حثَّه فيها على أهمية عودة البرلمان بالنسبة للوضع الإقليمي المحيط[٤٧]، ولم يصدر عن وزارة الخارجية أو الرئيس أردوغان تصريحات لافتة للنظر منذ ذلك الموقف. أما فرنسا صاحبة العلاقة القوية مع تونس، فلم تصدر عنها بيانات إدانة أو وصف لإجراءات الرئيس، لكن عبَّرت عن أملها في عودة المؤسسات لعملها الطبيعي في أقرب وقت ممكن[٤٨]، وطالبت فيما بعد بالحوار وسرعة تشكيل حكومة جديدة في البلاد. كذلك جاء الموقف الإيطالي هادئًا مع تمنيات بعودة سريعة للعمل المؤسَّسِي المنظَّم في تونس[٤٩].

د. موقف المنظمات الدولية:

أما بالنسبة للمنظمات الدولية، فقد امتنعت الأمم المتحدة عن وصف ما جرى بالانقلاب، مكتفية بالدعوة إلى الحوار وضبط النفس وتجنُّب العنف[٥٠]، وانتظام وظائف المؤسسات الديمقراطية (في إشارة خفيفة على ما يبدو للبرلمان)[٥١]، بينما ندَّدت منظمة العفو الدولية بإجراءات لاحقة في ملاحقة نواب ومعارضين عبر القضاء العسكري[٥٢]، إضافة إلى إغلاق بعض القنوات ومحاصرة حرية الحركة والسفر للمعارضين للرئيس[٥٣]، بينما لم يصدر عن الاتحاد الأفريقي مواقف حادَّة بتعليق عضوية تونس، واكتفى بالدعوة للحوار وتجنب العنف واستعادة المؤسسات لدورها مع التأكيد على التزام الاتحاد

---

(٤٣) البيت الأبيض: لا يمكننا حتى الآن وصف قرارات رئيس تونس بالانقلاب، موقع الجزيرة مباشر، ٢٧ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/FYAvIsd

(٤٤) ألمانيا: ما حدث في تونس ليس انقلابا، موقع وكالة سبوتنك الروسية، ٢٦ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/nYAcCSD

(٤٥) بيان من المتحدثة باسم مجلس الأمن القومي إيميلي هورن حول مكالمة مستشار الأمن القومي جيك سوليفان مع الرئيس التونسي قيس سعيد، موقع السفارة، ٣١ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/0YAv5ZP

(٤٦) استنكر إبراهيم قالن المتحدث باسم الرئاسة التركية ما جرى في تونس ليلة ٢٥ يوليو ووصف إجراءات قيس سعيد بالانقلاب مشددا على موقف بلاده الرافض للانقلابات على مستوى العالم، راجع تصريحًا منشورًا على موقع وكالة الأناضول التركية، بتاريخ ٢٦ يوليو ٢٠٢١، تحت عنوان "متحدث الرئاسة التركية يدين تعليق الديمقراطية في تونس"، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/rYG2KZH

(٤٧) أردوغان يؤكد لسعيِّد أهمية استقرار ديمقراطية تونس، وكالة الأناضول التركية، ٢ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/6YG7iT7

(٤٨) باريس تأمل بعودة المؤسسات التونسية إلى عملها الطبيعي وواشنطن قلقة جراء تطور الأحداث، موقع فرانس ٢٤، ٢٦ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/EYHdZuY

(٤٩) إيطاليا تأمل عودة سريعة للعمل المؤسسي في تونس، موقع وكالة الأناضول التركية، ١٥ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/1YHgkjI

(٥٠) تونس: الأمم المتحدة تدعو إلى ضبط النفس والامتناع عن العنف والحفاظ على الهدوء، موقع الأمم المتحدة، ٢٦ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/5YAPvxz

(٥١) الأمم المتحدة تشجِّع القادة التونسيين وأصحاب المصلحة على حلِّ الخلافات عبر الحوار، موقع الأمم المتحدة، ٢٧ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/xYAPHVR

(٥٢) تونس: ارتفاع مقلق في عدد المدنيين الذين يَمْثلون أمام محاكم عسكرية، منظمة العفو الدولية، ١٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/mYAP3h0

(٥٣) تونس: يجب على الرئيس رفع حظر السفر التعسفي، موقع الأمم المتحدة، ٢٦ أغسطس ٢٠٢١،متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/YYAAo2D

الصارم بالدستور التونسي[٥٤]. أما جامعة الدول العربية فقد صدرت عنها تصريحات مؤيّدة ولكن من بعيد وبلغة دبلوماسية تتمنَّى لتونس سرعة اجتياز مرحلة وصفها الأمين العام أحمد أبو الغيط (بالمضطربة)[٥٥].

المحور الرابع- مخاطر المشهد ومخاوفه السياسية والأمنية

تتعدَّد مصادر الخطر المحيط بالتجربة الديمقراطية الوليدة في تونس. أول هذه المصادر يأتى من أفكار الرئيس، وذلك فيما يتعلق بنظام التمثيل القاعدي الذي يطرحه بديلا عن نظام الديمقراطية الحزبية والانتخابات البرلمانية المباشرة المعروفة في العالم، بما يظهر الرئيس في حالة رفض للنظم القانونية، السياسية، والحزبية، والانتخابية، والحديثة برمَّتها، في ظل وضع اقتصادي متدهور وتداعيات جائحة صحية واسعة لم تنته بعد. هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية، فتحتاج مثل هذه الأفكار النظمية الكبرى إلى قوة ضاربة لإعادة تشكيل المشهد برمَّته والإطاحة بكل المعارضين له بكافة أشكال الإزاحة الناعمة أو الخشنة، وهو ما لا يتوفر للرئيس ولا يبدو حتى اليوم (مطلع ديسمبر ٢٠٢١) أنه على استعداد لتحمُّل مسئوليته وتكاليفه، بل على العكس من ذلك يتفاخر الرئيس كل يوم بالسماح لمعارضيه بحرية التعبير والتظاهر والنقد والحركة دون المساس بهم أو ملاحقتهم، في إشارة دفاعية منه على ما يبدو ضد من يصفون إجراءاته في ٢٥ يوليو بالانقلاب. يعني هذا في نهاية المطاف أن الرئيس قد ورَّط نفسه بين مسارين، أحدهما عطَّله بالكامل ولن يسمح بعودته، والآخر لا يقوى على فرضه، بما يضع مستقبل البلاد بأكلمها على حافة حالة من الفراغ والفوضى قد تتطور إلى حالة إفلاس مالي في ظل تدهور المالية العمومية للبلاد وإحجام المؤسسات الدولية عن منح المزيد من القروض.

ثاني هذه المصادر يأتي من حساسية الوضع الإقليمي الهش المحيط بتونس خاصة في ليبيا المجاورة التي تشهد صراعات مسلحة معقدة ذات أبعاد دولية رسمية وغير رسمية في ظل وجود ميليشات أجنبية واختراقات مخابراتية واسعة المجال؛ إذ يبدو الرئيس التونسي، وكأنه في حالة رفاهية سياسية تمكنه من إثارة مسائل نظمية كبرى دون مراعاة لظروف بلاده الاقتصادية والصحية المتدهورة، وكذلك دون مراعاة لظروف بلاده الأمنية وقدرات أجهزتها الدفاعية والاستخباراتية فيما يتعلق بالصراعات والاختراقات الإقليمية والدولية، ودون مراعاة أيضًا لخريطة تحالفات الثورات المضادة بالمنطقة وأثرها على الداخل.

ثالث مصادر الخطر يأتي من الداخل التونسي المشرذم بين أحزاب متنازعة لا يكاد يجمعها رابط ولا مصلحة مشتركة، بما يعيق إمكانية التوافق على مسار سياسي بديل لما يطرحه الرئيس؛ إذ تبدو بعض التكتُّلات الحزبية (تحالف التيار الديمقراطي - حركة الشعب) متوافقة مع الرئيس في التمرد على قواعد الممارسة السياسية برمتها، رغم ما يعنيه ذلك من فنائها حرفيًّا، فالرئيس لا يعترف بالأحزاب ولا البرلمان ولا الانتخابات نفسها، كما تبدو بعض الأحزاب في حالة صراع وجودي مع حركة النهضة لأسباب فكرية ظاهرة تكاد تعميها عن مصلحتها الذاتية في استمرار التجربة الديمقراطية على ما فيها من عيوب، وما يحيط بها من تحديات. يخشى هذا التكتل الحزبي من الدخول في انتخابات جديدة تشارك فيها حركة النهضة وقلب تونس وائتلاف الكرامة ربما لإحساسهم بأن غالبية الناخبين لن تغفر لهم تمردهم على المشهد والزج بالبلاد إلى نفق مظلم[٥٦].

(٥٤) تونس..الاتحاد الأفريقي يخرج عن صمته ويؤكد الالتزام بالاحترام الصارم للدستور وأوروبا تطالب باستئناف أعمال البرلمان، موقع الجزيرة نت، ٢٧ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/FYAO3rA

(٥٥) الجامعة العربية تحث تونس على سرعة اجتياز المرحلة المضطربة، موقع بى بى سى البريطانى، ٢٦ يوليو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/6YAAY4U

(٥٦) راجع نماذج من تحريض أحزاب التيار الديمقراطي وحركة الشعب على الانقلاب قبل ٢٥ يوليو:
- محمد عبو: يجب على رئيس الجمهورية أن ينشر الجيش، مرجع سابق.
- محمد عبو: لم أدع لانقلاب..ولهذا دعوتُ إلى نشر الجيش والأمن، مرجع سابق.
- راجع تصريح زوجته النائبة سامية عبو عن تدخل الجيش، مرجع سابق.

رابع مصادر الخطر يأتي من الجيش والأجهزة الأمنية التي خرجت عن الحياد، ودخلت إلى قلب عالم السياسة والحكم بدعمها أو استخدامها لقيس سعيد في الانقلاب على المشهد وتفريغه من المؤسسات الحيوية. يظهر الجيش حتى الآن في صورة المنفِّذ لقرارات السلطة التنفيذية، بينما يظهر الرئيس في صورة المتصدِّر المحرِّك لكافة أجهزة الدولة، ولا ندري هل سيستمر هذا الوضع طويلا أم ستتغير المعادلة ويتقدَّم الجيش للصدارة المباشرة أو يتأخَّر. تدعم هذه الاحتمالات مخاوف تتعلق بمصير الرئيس شخصيًّا في ظلِّ تداول معلومات متكرِّرة عن محاولات لاغتياله بالتسميم تارة والتفجير تارة أخرى (يكثر الرئيس من الإشارة إلى محاولات اغتياله في خطاباته دون الإفصاح عن تفاصيل أي محاولة)[٥٧].

خامس هذه المصادر يأتي من الخارج الإقليمي والدولي في ليبيا، إذ تبدو قوى مثل روسيا وفرنسا وتركيا والإمارات ومصر والسعودية ذات نفوذ أمني وعسكري واستخباراتي واسع في ليبيا، كما يبدو حضور الميليشات الأجنبية قويًّا وعلنيًّا بجوار أطراف الصراع المحلي، بما قد يفجِّر الأوضاع في أي لحظة تقرِّر فيها الفواعل المحلية والدولية التخلِّي عن المسار السياسي والانتخابي الهش والعودة إلى مسار الرصاص الممتد منذ عشر سنوات. مثل هذا الوضع قد يشكل خطرا أمنيًّا كبيرًا على تونس خاصة لو كانت هناك صلات ممتدَّة بين رجال الأمن والجيش المحيطيْن بالرئيس، وهؤلاء المحرِّكين للمشهد في ليبيا من داخلها أو خارجها (أشار قيس سعيد ذات مرة إلى دول صديقة ساعدته أمنيًّا واقتصاديًّا عقب قرارات ٢٥ يوليو!). في هذه الحالة ربما تكون ساعة الصفر في ليبيا هي ذاتها في تونس، أو ربما تتأخَّر ساعة صفر تونس أو تتقدَّم عن نظيرتها في الدولة المجاورة حسب توقيتات أصحاب القرار الإقليمي والدولي وطريقة ضبطهم لعقارب الصراع. (تبدو أوضاع المسار الانتخابي المحتمل في ليبيا غير مباشرة حتى كتابة هذا التقرير بما يهدِّد بإمكانية انقلاب الأوضاع إلى سابقتها ويفتح الاحتمالات الأمنية والعسكرية على مصراعيها في كل الدول المحيطة وليس ليبيا فحسب).

المحور الخامس- سيناريوهات الإنقاذ

السيناريو الأول: تراجع الرئيس بلا ضغوط

تشير تلك المخاطر مجتمعة إلى أن أزمة تونس الحالية أصبحت مرهونة بشخص الرئيس التونسي، الذي أدخل بلاده في مسار يفوق قدراته على إخراجها منه، بما يضع مستقبل تونس بأكملها على الحافة، ويعرِّضها لمخاطر كبرى في أي لحظة يقرِّر فيها اللاعبون الإقليميون والدوليون تحريك المشهد الإقليمي، اللهم إلا إذا توقَّف الرئيس، وقرَّر مفاجأة قوى الثورة المضادة في الداخل والخارج، بتحويل دفة سفينة البلاد إلى الاتجاه العكسي ولو على المستوى الخطابي فقط بما قد يربك حسابات تلك الأطراف، ويمنح القوى المؤيدة للثورة والديمقراطية في الداخل والخارج فرصة لتصحيح المسار.

لكن يبدو هذا السيناريو بعيدًا من حيث التوقُّع، فالتراجع عن المسار لم يعد قرارًا خاصًّا بالرئيس وحده (وإن أظهر هو عكس ذلك)، بل تشاركه قوى الأمن والجيش بشكل قوى ومباشر (وإن لم يظهروا في الصدارة)، كما تشاركه دوائر إقليمية معادية للثورات استند عليها وما زال يمتدح تعاونها معه في مساحات شديدة الحساسية (الأمن وفروعه)، بما يضعف من احتمال تراجعه عن هذا المسار. لكن يظلُّ هذا السيناريو على ضعفه، ذا تداعيات فعَّالة للغاية في ظلِّ تصدُّر قيس سعيد

- هيكل المكي في ٩٠ دقيقة بين مطرقة حركة الشعب وسندان الرئيس، مرجع سابق.

(٥٧) انظر:

- "العدل" التونسية تفتح تحقيقا حول محاولة اغتيال رئيس الجمهورية، موقع وكالة سبوتنك الروسية، ١٧ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/EYHnhkt
- محاولة تسميم قيس سعيد.. هذا ما كشفته النيابة العامة التونسية، موقع جريدة الشروق التونسية، ٢٨ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/RYHnFaR
- تونس.. جدل بشأن نتائج التحقيق في محاولات اغتيال قيس سعيد، موقع سكاي نيوز عربية، ٣ يونيو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.ly/8YHQTDw

للمشهد منفردًا، وامتلاكه غالب الصلاحيات التنفيذية والتشريعية وبعض القضائية والرقابية، وبعد نجاحه في تفريغ المشهد من الدستور والحكومة والبرلمان والمحكمة الدستورية.

السيناريو الثاني: مظاهرات ضخمة ذات تأثير

أن تستطيع القوى الداخلية المؤيدة للثورة والديمقراطية تنظيم صفوفها وتشكيل تحالفات واسعة ضاغطة على الرئيس والجيش للتراجع، عبر تنظيم مظاهرت ضخمة ذات تأثير على غرار ما حدث في عام ٢٠١٠، ويبدو هذا السيناريو ممكن الحدوث على المدى المتوسط والطويل مع ظهور حركات احتجاجية متصاعدة ومتنوعة، أبرزها حركة "مواطنون ضد الانقلاب"[٥٨]، التي استطاعت تنظيم أكثر من مظاهرة كبرى في العاصمة خلال الشهور الماضية. ربما تتطور الأمور وتصبح المظاهرات أكثر حجمًا وتأثيرًا، وربما تظلُّ حبيسة شارع الحبيب بورقيبة وساحة باردو مع تزايد المضايقات الأمنية[٥٩]، وضعف التغطية الإعلامية المتعمَّدة، وتشويه الرئيس للمشاركين فيها عبر وصفهم بالشراذم والحشرات والفيروسات والسكارى والمستأجرين[٦٠]؛ وصولا إلى وجود ظهير حزبي داعم للرئيس يسعى إلى تنظيم تجمُّعات مؤيدة ذات تغطية إعلامية جيدة.

السيناريو الثالث: ضغوط من داخل الجيش

أن تحدث حركة داخلية في أجهزة الأمن والدفاع باتجاه رفض الانخراط في عالم السياسة، وضرورة العودة إلى الحياد الوظيفي، بما قد يربك قادة الجيش والرئيس، ويمنح المعارضين لقراراته فرصة لتعديل المشهد بشكل مفاجئ. لكن يبدو هذا السيناريو بعيدًا من حيث التوقع، لأسباب كثيرة؛ أبرزها عدم ظهور أي مؤشرات على إمكانية حدوثه، فلا اعتراضات ظهرت في صفوف المنخرطين بقوى الأمن ولا تصريحات من الجنرالات المتقاعدين حصلت رغم سوابقهم في ذلك خلال السنوات الماضية[٦١]. لعل هذا يرجع إلى المسار الناعم الذي سلكه الجيش مع الرئيس في الانقلاب على المشهد، بما أعفاه من الدخول في عمليات عنيفة غالبًا ما تؤدِّي إلى قتلى وجرحى ومعتقلين بمئات وآلاف المدنيين. يعزز من ذلك اختفاء قادة الجيش وراء الرئيس

---

(٥٨) مواطنون ضد الانقلاب حركة احتجاجية تقودها شخصيات مستقلة كانت على مقربة من الرئيس قيس سعيد، من بينهم جوهر بن مبارك أستاذ القانون الدستوري، وصديقه المعروف الحبيب بوعجيلة، إضافة إلى رموز شبابية من الناشطين في ثورة تونس ٢٠١٠.. للمزيد حول هذه الحركة وفاعليتها، راجع:

- آلاف التونسيين يتظاهرون ضد التدابير الاستثنائية للرئيس سعيد، موقع دويتشه فيله الألماني، ١٤ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.ly/WYFifXB

(٥٩) تونس.. "مواطنون ضد الانقلاب" تهم السلطات بتعطيل وصول المواطنون إلى ميادين الاحتجاج، موقع وكالة الأناضول التركية، ١٣ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/6YFiTHu

(٦٠) وصف الرئيس التونسى المنخرطين في في حركة مواطنون ضد الانقلاب واحتجاجاتها بالشراذم والحشرات والفيروسات والسكارى والمستأجرين، وذلك في في خطاب علني أذاعه التلفزيون التونسي، راجع خطاب الرئيس المذكور المنشور على الصفحة الرسمية لرئاسة الجمهورية التونسية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، بتاريخ ٢١ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/nYFoe8E

(٦١) بادر عدد من العسكريين المتقاعدين (من رتب مختلفة تشمل لواءات وعقداء ورئيس أركان حرب) بتوجيه خطاب إلى رئيس الجمهورية قبل الانقلاب بشهر تقريبًا يدعونه فيها إلى كسر حالة الاحتجاب عن رئيس الحكومة والبرلمان والأحزاب الكبرى، ويقترحون عليه إلقاء خطاب جامع للتونسيين في البرلمان، ثم فتح باب الرئاسة للحوار مع كل التيارات والأحزاب والأطراف الفاعلة في البلاد لحل الأزمة السياسية المستفحلة خاصة في ظل ظروف الوباء وتدهور الأوضاع المالية والاقتصادية للبلاد. تعرضت تلك المبادرة لهجوم شديد من التيار الحزبي الداعم للرئيس.

راجع في تلك المبادرة: جنرالات تونسيون متقاعدون يطلقون مبادرة "الأمل الأخير"، موقع وكالة سبوتنك الروسية، ٢٨ مايو ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/MnZD6Iq

وراجع في تفاصيل الهجوم على العسكريين المبادرين برناج حواري على قناة التاسعة التونسية، موقع يوتيوب، ٣١ مايو ٢٠٢١، متاح على الرابط التالي: https://cutt.ly/fnZFjU5

دائمًا وعدم ظهورهم بشكل منفرد أو الحديث إلى وسائل الإعلام أو تنظيم مؤتمرات صحفية داخل مقر الجيش وخلافه، فالرئيس ما زال هو القائد المسئول وهم منفذون، هكذا تبدو الصورة أو هكذا يريدونها.

السبب الثاني في استبعاد هذا السيناريو يتعلَّق بارتفاع مخاطره من حيث احتمال تسبُّبه في نتيجة عكسية قد تؤدِّي إلى نشوب اقتتال بين قطاعات من قوى الأمن ضدَّ بعضها، لو قرَّرَ أحدُ الأطراف استخدام السلاح ضدَّ الآخر أو قرَّرَ طرفٌ ثالثٌ الضغطَ على الزناد بينهما، كما يبدو الطرف الأمني المحيط بالرئيس متَّصِلًا بقوى الأمن في تحالف دول إقليمية معادية للثورات دخلت إلى المشهد التونسي من باب الرئيس (بل وحصلت على إشادته ولكن دون تسميتهم)[٦٢]، بما قد يرفع من احتمالات سيطرتهم على مفاصل الأجهزة الأمنية منذ زمن مع كثرة التغييرات التي أُدخلت على قادة تلك الأجهزة وفروعها خلال الأسابيع الأولى من حركة ٢٥ يوليو، الأمر الذي يصعِّب من احتمالات نجاح التمرُّد عليهم من الداخل أو يجعل تكلفتَها باهظة. كذلك تبدو مخاطر هذا السيناريو عالية في حالة دخول قوى إقليمية ودولية على خط الحدث عبر اختراقات مخابراتية قد يصحبها دخول ميليشات وإفساح الطريق لجماعات مسلحة تحارب الجيش التونسي في أعالي الجبال منذ عشر سنوات وأكثر، بما يهدِّد بتحوُّل البلاد إلى المصير الليبي والسوري، وليس هذا ببعيد على قوى إقليمية ودولية نافذة وميليشات أجنبية حاضرة في الإقليم علانية.

السيناريو الرابع: هدوء المشهد الليبي

إذا نجحت ليبيا في تنظيم انتخابات سلسة، ترضي نتائجُها غالبَ الأطراف المتنازعة بشكل أو بآخر، فإن ذلك قد يفتح المجال على تسويات إقليمية جديدة تؤجِّل مخطَّطات إشعال الصراع المسلَّح مجددًا، ربما لمدة سنة أو أكثر، وهو ما سينعكس إيجابيًّا على تونس، وربما يدفع جميع أطرافها المتنازعة إلى ضرورة تهدئة الأوضاع والدخول في توافقات سياسية جديدة عبر الحوار المفتوح أو اللجوء إلى انتخابات برلمانية مبكرة (وربما رئاسية أيضًا)، أما إذا تدهورت الأوضاع في ليبيا خلال الشهور القادمة، فقد ينعكس ذلك سلبًا على وضع تونس التي ستظل في حالة الاستثناء لمدة عام جديد حتى ديسمبر ٢٠٢٢، وفقًا لقرارات جديدة صادرة عن الرئيس في (١٣ ديسمبر ٢٠٢١)، بما قد يعزِّز من وضع القوى المحلية المعادية للديمقراطية في مقابل المؤيدة لها.

*****

(٦٢) راجع في إشارة الرئيس إلى الدول الشقيقة والصديقة التي دعمته أمنيا واقتصاديا، فيديو منشور على صفحة الرئاسة على الفيس بوك، ١ أغسطس ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.ly/jYG1Q5a

التهاوي اللبناني: مسارات حل الأزمة وتأزيمها بين الداخل والخارج

محمد علي إسماعيل(*)

مقدمة:

تزداد الأزمة اللبنانية تعقيدًا، بدايةً من الشلل السياسي الناتج عن احتدام الصراع بين الفرقاء السياسيين في لبنان وعدم اتفاقهم على أجندة وطنية جامعة للخروج من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تكاد تعصف بالدولة اللبنانية والمجتمع مع فشل جميع المبادرات التي قُدمت للخروج من تلك الأزمات، مرورًا بالأزمة الاقتصادية المُتمثلة في انهيار مؤشرات الاقتصاد الكلي والمالية العامة اللبنانية والتي وصلت إلى ذروتها مع تخلف الحكومة اللبنانية عن سداد ديونها الخارجية في مارس ٢٠٢٠، بالإضافة إلى أزمات الصحة والكهرباء والنفايات، ووصولا إلى أزمات انفجار مرفأ بيروت وتفشي فيروس كورونا الذي ضاعف من الأزمات الاقتصادية والصحية.

وعلى الرغم من مرور أكثر من عامين على تظاهرات ١٧ أكتوبر ٢٠١٩، التي نادت بإسقاط كامل الطبقة السياسية، والخروج من **تلك الأزمات الشديدة والعاصفة التي تنتج من الطبيعة البنيوية للنظام السياسي والاقتصادي اللبناني الذي يقوم على ركيزتين أساسيتين هما: الطائفية السياسية، والاقتصاد الريعي**، إلا أن تلك الأزمات لم تنته بل ما لبثت في التضخم وبروز أزمات جديدة مع مرور الوقت.

نسعى في هذا التقرير إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة المتعلقة باستفحال الأزمة السياسية في لبنان في ظل عدم وجود أفق للخروج من هذا النفق: ماذا وراء استمرار واستفحال الأزمة في لبنان؟ ولماذا تتعثر محاولات إيجاد مخارج أو حلول لها سواء من الداخل والخارج؟ بل كيف نفسر دور علاقات الداخل والخارج في استمرار الأزمة اللبنانية؟ وفي ضوء المواقف الدولية والإقليمية الأخيرة، كيف يُتصور ما آلت إليه الأزمة؟

أولًا: استفحال الأزمة السياسية

عانى لبنان فراغًا حكوميًا استمر طيلة أربعة عشر شهرًا، وذلك عقب استقالة حكومة حسان دياب في ١٠ أغسطس ٢٠٢٠، التي جاءت على إثر انفجار مرفأ بيروت والانهيار المالي الذي تفاقم نتيجة الإغلاق العام الذي صاحب تفشي فيروس كورونا. هذه الأزمات الحادة والعاصفة التي يمر بها لبنان لم تثن الطبقة السياسية عن التمسك بمكتسباتها، ومن بينها حصة الحقائب الوزارية المخصصة لكل تيار سياسي والتي أدى التشبث بها إلى فشل عدة محاولات لتشكيل حكومة سياسية أو تكنوقراط أو تكنوسياسية.

منذ تفجير مرفأ بيروت واستقالة حكومة حسان دياب، استمرت محاولات تشكيل الحكومة اللبنانية، لكن هذه المحاولات الحثيثة من قبل السفير مصطفى أديب ثم رئيس الحكومة المكلف آنذاك سعد الحريري باءت جميعها بالفشل نتيجة العوائق الداخلية التي وضعها الثنائي الشيعي حزب الله وحركة أمل بالتمسك بحقيبة المالية حصرًا فضلا عن المشاركة في بقية التشكيل الحكومي من جهة، ومن جهة أخرى عوائق الرئيس اللبناني وصهره زعيم التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل والتي كان على رأسها الاحتفاظ بالثلث المعطل في الحكومة اللبنانية.

لقد أدت تلك العوائق من قبل الثنائي الشيعي –حزب الله وحركة أمل– إلى اعتذار **مصطفى أديب** عن تشكيل الحكومة، ما أدى إلى استمرار الفراغ الحكومي ما يناهز الشهر، حتى خرج الرئيس اللبناني ميشال عون في خطاب في ٢١ أكتوبر ٢٠٢٠، ألقى فيه باللوم على السياسيين الفاسدين. وفي ظل عدم وجود مرشح توافقي بين القوى السياسية اللبنانية والأطراف

(*) باحث في العلوم السياسية.

الإقليمية والدولية، كانت العودة إلى قواعد اللعبة القديمة بالاختيار من الطبقة التي ثار عليها الشارع اللبناني، وأُعلن في اليوم التالي، **تكليف سعد الحريري** بتشكيل حكومة جديدة في إعلان واضح عن فشل كامل لمطالب الحراك الشعبي[١].

عاد زعيم تيار المستقبل سعد الحريري بعد ما يناهز العام، من استقالته في ٢٩ أكتوبر ٢٠١٩، على إثر حراك ١٧ أكتوبر ٢٠١٩، الذي نادى برحيل كامل الطبقة السياسية. في ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٠، كُلف الحريري بتشكيل حكومته الثالثة منذ نوفمبر ٢٠٠٩[٢]، متعهدًا بتقديم أداء أفضل من المرات السابقة، وذلك في ظل أسوأ أزمة مالية يمر بها لبنان منذ عقود، ووباء فيروس كورونا، وانفجار مرفأ بيروت، وشلل سياسي تعاني منه لبنان منذ استقالة حكومة حسان دياب في ١٠ أغسطس ٢٠٢٠، وفقدان للدعم الإقليمي والدولي[٣].

فشل الحريري في تشكيل الحكومة طيلة ٩ أشهر، الأمر الذي دفعه في ١٥ يوليو ٢٠٢١ إلى الاعتذار عن تلك المهمة[٤]، وتتعدد أسباب فشل الحريري في تشكيل الحكومة الجديدة، ومن بينها أن الحريري كان يسعى إلى تشكيل حكومة تكنوقراط من ١٨ وزيرًا من خارج الأحزاب السياسية اللبنانية، إلا أن استمرار تمسك زعيم التيار الوطني الحر بثلث مقاعد التشكيل الحكومي حتى يحتفظ بالثلث المعطل في الحكومة، وتمسك الثنائي الشيعي بحقيبة المالية أدى إلى فشل الحريري في إنفاذ رؤيته للتشكيل الجديد الأمر الذي دفعه للاعتذار عن التشكيل.

عقب اعتذاره عن تشكيل الحكومة، قام الحريري بترشيح رئيس الحكومة الأسبق **نجيب ميقاتي** لتشكيل الحكومة الجديدة، وأيد هذا الترشيح من قبل نادي رؤساء الوزراء السابقين[٥]. حظى هذا الترشيح بدعم ٧٢ عضوًا في مجلس النواب اللبناني وهم النواب الممثلين لكتل المستقبل وحزب الله وحركة أمل والوسط المستقبل وتيار المردة والحزب التقدمي الاشتراكي (كتلة الأمل الديمقراطي) إضافةً الى أربعة نواب مستقلين. إلا أن كتلتي القوات اللبنانية والتيار الوطني الحر الذي يتزعمه جبران باسيل صهر الرئيس عون لم يقوما بتسمية أحد، علمًا أن موقف كلٍ من الكتلتين من عدم التسمية يختلف بشكلٍ جذري، ففي حين يأتي موقف القوات اللبنانية مبدئيًا برفض ترشيح أي شخص من المنظومة السياسية الحاكمة، يأتي موقف التيار الوطني الحر مصلحيًا وضاغطًا على رئيس الحكومة المكلف نجيب ميقاتي حتى يذعن لمطالب التيار الوطني الحر التي يأتي على رأسها الاحتفاظ بالثلث المعطل في الحكومة اللبنانية[٦].

في اليوم التالي لتسمية ميقاتي من قبل الحريري ونتيجة التوافق الذي حصل عليه من غالبية الكتل النبابية، قام رئيس الجمهورية ميشال عون بتكليف رئيس الوزراء الأسبق نجيب

(١) محمد علي إسماعيل، تفجير مرفأ بيروت وأزمات لبنان الاقتصادية والسياسية، قضايا ونظرات، العدد العشرون، يناير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/tdqXl

(2) Sarah Dadouch, Lebanon names Saad Hariri as prime minister, almost one year after he resigned, Washington post, 22 October 2020, Accessed, 25 November 2021 Available at: https://cutt.us/WTt47

(3) REBECCA COLLARD, Why Is Saad Hariri Back in Charge of Lebanon?, Foreign policy, 22 October 2020, Accessed, 25 November 2020, Available at: https://cutt.us/mLJjV

(٤) لبنان: الحريري يعتذر عن تشكيل الحكومة بسبب الخلاف مع عون، دويتش فيله، ١٥ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٥ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/EprFO

(٥) لبنان: نادي رؤساء الوزراء السابقين يرشح نجيب ميقاتي لتشكيل حكومة جديدة، فرانس ٢٤، ٢٥ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٦ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/aHAYN

(٦) تكليف دون غطاء مسيحي.. ميقاتي يعول على الدعم الدولي، العين الإخبارية، ٢٦ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٦ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/MzROQ

ميقاتي بتشكيل الحكومة الجديدة، في ٢٦ يوليو ٢٠٢١[٧] على الرغم من التفاؤل الكبير الذي أظهره ميقاتي عقب تكليفه بتشكيل الحكومة اللبنانية مؤكدًا بأنه سيُشكل الحكومة في أسرع وقتٍ ممكن، مستندًا في ذلك إلى ما أسماها "ضمانات داخلية وخارجية لتشكيل الحكومة المتعثرة"[٨]، إلا أن هذا التفاؤل الكبير انقلب إلى تفاؤل حذر عقب أسبوعين من تكليفه، ففي اللقاء الخامس له مع رئيس مجلس النواب نبيه بري اعتبر ميقاتي أن مسار التأليف الحكومي يسير في اتجاه إيجابي وأن "هناك تقدما ولو أنه بطيء، لكننا مثابرون ومصرون على تشكيل الحكومة"[٩].

دخل ميقاتي في مشاورات مُضنية مع الرئيس عون والقوى السياسية اللبنانية وعلى رأسها التيار الوطني الحر وحزب الله، لما يناهز السبعة أسابيع –تحديدًا ٤٧ يوم– نتج عن هذه المشاورات تشكيل حكومة جديدة، في ١٠ سبتمبر ٢٠٢١، من أربعة وعشرين وزيرًا من التكنوقراط تم تسميتهم من قبل الكتل السياسية وبعضهم جاء بطلب دولي كحالة وزير الطاقة وليد فياض الذي جاء بطلب فرنسي.

لم تختلف الصعوبات التي واجهها ميقاتي عن الصعوبات التي واجهها كل من سلفيه مصطفى أديب وسعد الحريري، حيث تمسك فريق رئيس الجمهورية بالثلث المعطل من الوزراء وتمسك الثنائي الشيعي بحقيبة المالية. في ظل ضعف الضغوط الدولية في التأثير على فريق "الثامن من آذار" الذي يهيمن على الواقع السياسي اللبناني، كان سبيل ميقاتي الوحيد هو الالتفاف على المبادرة الفرنسية (سنأتي إليها لاحقًا) وتقديم تنازلات لفريق "الثامن من آذار"، حتى يتثنى له تشكيل الحكومة. حظت هذه الخطوة بضوءٍ أخضر فرنسي إيراني، وهو ما ألمح إليه الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي عقب اتصال أجراه مع الرئيس الفرنسي ماكرون، في ٥ سبتمبر ٢٠٢١[١٠].

ثانيًا: مبادرات حل الأزمة بين الداخل والخارج

طُرحت العديد من المبادرات لحلحلة الأزمة السياسية في لبنان من قبل أطراف داخلية وخارجية، ولكن غالبية تلك المبادرات لم تلق أذانٍ صاغية من الأطراف السياسية اللبنانية خاصة فريق "الثامن من آذار" المتحكم في اللعبة السياسية في لبنان والذي لن يُقدم على تقديم أي تنازلات ولن يزعن لأي ضغوط قد تؤدي إلى كسر هيمنته على المشهد السياسي اللبناني.

انقسمت تلك المبادرات إلى مبادرات محلية قام بها عدد من الشخصيات اللبنانية الدينية والأمنية، ومبادرات خارجية من بعض الدول المعنية بالوضع في لبنان، وجاءت على النحو التالي:

أ- المبادرات الداخلية:

قام العديد من الشخصيات الدينية والأمنية اللبنانية بتقديم الكثير من المبادرات للخروج من الأزمة، ومن أبرز هذه المبادرات مبادرة **البطريرك الماروني الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي**[١١] ومبادرة اللواء **عباس إبراهيم مدير الأمن العام** في لبنان، سوف نعرض هنا لمبادرة إبراهيم كونها تم تقديمها على أنها حظيت بدعم جميع الأطراف السياسية في

(7) Former PM Najib Mikati named Lebanon's prime minister-designate, Al-Monitor, 26 July 2021, Accessed, 26 November 2021, Available at: https://2u.pw/6MFf6

(٨) أشرف كمال، تحدث عن ضمانات خارجية.. هل تحظى حكومة "ميقاتي" بدعم خليجي؟، الخليج أونلاين، ٢٧ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٦ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Wofxx

(٩) ميقاتي يتحدث عن تقدم إيجابي بطيء في مسار تشكيل الحكومة اللبنانية، الجزيرة، ٦ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٦ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/e7MGR

(١٠) الرئيس الإيراني: لن نتردد في مساعدة شعب لبنان وفرنسا قادرة على تقديم يد العون، روسيا اليوم، ٥ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٧ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/bz0Bc

(١١) مبادرة الراعي في مواجهة متاريس السلطة، النهار، ٢ مارس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٨ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/yp9nI

لبنان خاصةً فريق رئيس الجمهورية ميشال عون من جهة ورئيس الحكومة نجيب ميقاتي من جهةٍ أخرى.

- **مبادرة اللواء عباس إبراهيم**

قام اللواء عباس إبراهيم مدير الأمن العام في لبنان بتقديم مبادرة للخروج من مأزق تشكيل الحكومة اللبنانية، ففي نهاية فبراير ٢٠٢١، تقدم إبراهيم بمبادرة تتضمن تشكيل حكومة من ١٨ وزيرًا يحصل رئيس الجمهورية والتيار الوطني الحر فيها على ٦ وزراء من ضمنهم وزير لحزب الطاشناق، ويتم الإتفاق على وزير الداخلية بين الرئيسين عون ورئيس الحكومة المكلف حينذاك سعد الحريري[١٢]. لم تكلل هذه المبادرة بالنجاح وهو ما أرجعه اللواء إبراهيم في وقتٍ لاحق إلى عدم التجانس بين رئيس الحكومة المكلف سعد الحريري ورئيس الجمهورية ميشال عون[١٣].

سعى مدير الأمن العام إلى تأمين الدعم الدولي لمبادرته، ففي ١٩ يونيو ٢٠٢١، قام بزيارة إلى موسكو التقى خلالها نائب وزير الخارجية سريجي فريشينني، وتركز البحث خلال تلك الزيارة على الوضع الحكومي وأهمية تشكيل الحكومة في أسرع وقت، كما عمل على تأمين الدعم المادي للأمن العام على غرار ما يقوم به قائد الجيش في حصوله على الدعم الغربي للجيش اللبناني. أيضًا عمل على تأمين نفس الدعم من الاتحاد الأوربي وذلك خلال لقائه مع مسؤول السياسية الخارجية في الاتحاد الأوربي جوزيب بوريل[١٤].

عادت مبادرة إبراهيم مرة أخرى إلى سطح الأحداث بعد تكليف نجيب ميقاتي برئاسة الحكومة، وأُعتبرت بمثابة الفرصة الأخيرة للخروج من الفراغ الحكومي؛ وذلك لكون فشل تلك الوساطة سوف يؤدي إلى اعتذار ميقاتي عن تأليف الحكومة، وهو ما يفتح الباب واسعًا إلى استمرار الفراغ الحكومي حتى حلول الانتخابات البرلمانية في مارس ٢٠٢٢، والرئاسية في الفترة ما بين أغسطس وأكتوبر من العام نفسه[١٥].

ظاهريًا كُللت تلك المبادرة بالنجاح، وهو ما أرجعه **اللواء إبراهيم** –كما سلف الذكر- إلى التجانس الذي وُجد بين عون وميقاتي والضغوط الدولية التي أدت إلى تسريع عملية تشكيل الحكومة، ملفتًا إلى أن "الفرق بين ميقاتي والحريري، أن الأخير لم يتواصل مع الكتل النيابية، ومع أكبر كتلة نيابية التي يترأّسها الوزير السابق جبران باسيل"[١٦].

- **المبادرات الخارجية:**

انقسمت المبادرات الخارجية للخروج من الأزمة إلى مبادرات قامت بها شخصيات دينية عالمية ومبادرات جاءت من قبل الدول المعنية بالوضع في لبنان، ومن أبرز هذه المبادرات **مبادرة البابا فرانسيس بابا الفاتيكان** والذي دعا فيها ١٠ من قيادات الطوائف المسيحية في لبنان تحت عنوان "لقاء من أجل السلام في لبنان"؛ وذلك من أجل السلام والاستقرار ومستقبل أكثر هدوءً في لبنان، وهو اللقاء الذي أُستبعد منه السياسيون اللبنانيون؛ نظرًا لفشلهم في إدارة الأزمة، وشدّد البابا خلال لقائه مع رؤساء الطوائف المسيحية على وجوب عدم ترك لبنان "لمصيره تحت رحمة هؤلاء الذي يسعون دون ضمير إلى

(١٢) محمد المدني، تحرك ابراهيم لا يوصل الى حل و مبادرة روسية قد تنضج، الكلمة أونلاين، ١١ مارس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٨ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.us/DhsGq

(١٣) اللواء ابراهيم: لهذا السبب فشل الحريري في تشكيل الحكومة، الأخبار اللبنانية، ١٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٨ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/YklPA

(١٤) اللواء عباس إبراهيم العائد من روسيا: ينظر الروس إلى تأليف الحكومة كممر إلزامي لإستقرار، مجلة الأمن العام، عدد ٩٤، تموز/ يوليو ٢٠٢١، ص ص ٦ – ١٠.

(١٥) انتخابات ٢٠٢٢: الأكثريّة أوّلًا ثم رئيس الجمهورية، الأخبار اللبنانية، ٢ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/hk0tC

(١٦) اللواء ابراهيم: لهذا السبب فشل الحريري في تشكيل الحكومة، الأخبار اللبنانية، مرجع سابق.

مصالحهم الشخصية"[١٧]. كذلك **المبادرة التي طرحها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون** لإنقاذ لبنان من أزمته، والتي اشترط قبلها أن يقوم بتأليف الحكومة شخصية مستقلة من خارج الطيف السياسي اللبناني، على أن تكون حكومة مصغرة من التكنوقراط المستقلين أصحاب الكفاءات.

سوف نعرض هنا للمبادرة الفرنسية كونها قُدمت إلى السياسسيين اللبنانيين المعنيين بالأزمة الحالية.

- **المبادرة الفرنسية**

بعد يومين من انفجار مرفأ بيروت، في ٤ أغسطس ٢٠٢٠، زار الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بيروت حيث قام بزيارة رئيس الجمهورية وموقع الانفجار، فضلًا عن سكان الأحياء التي تضررت نتيجة انفجار المرفأ[١٨]. كما قاد في ٩ أغسطس، مؤتمرًا دوليًا عبر "الفيديو كونفرنس"، تعهد خلاله بتقديم ٣٠٠ مليون دولار لمساعدة لبنان على التعافي من آثار انفجار المرفأ[١٩]. بالإضافة إلى ذلك، أعلن مسؤولون فرنسيون عزمهم على تنظيم مؤتمرين متعلقين بلبنان في أكتوبر، الأول حول مساعدات إعادة الإعمار والثاني في باريس لحشد الدعم الدولي لأجندة الإصلاح في لبنان[٢٠].

وفي زيارته الثانية لبيروت، في ٣١ أغسطس ٢٠٢٠، التقى ماكرون القادة السياسيين الرئيسيين في لبنان، وأعطى لهم مهلة ١٥ يومًا لتشكيل حكومة جديدة لتحل محل حكومة تصريف الأعمال التي يترأسها حسان دياب. معللًا تلك الزيارة بقوله: "علي أن أتأكد أنه حقًا سيتم تشكيل حكومة مهمة لإنقاذ لبنان وإطلاق الإصلاحات لمكافحة الفساد وإصلاح ملف الطاقة وإعادة الإعمار"، مطالبًا بـ"الإسراع بتشكيل الحكومة وبمهمة محددة"[٢١].

وكان ماكرون قد سبق زيارته بتكليف السفير الفرنسي في لبنان "**برونو فوشيه**"، بتقدم مبادرة –أسماها "ورقة المفاهيم"– تتضمن سرعة تشكيل حكومة قادرة على الإصلاح، والانتهاء من تحقيق محايد في انفجار مرفأ بيروت، وإجراء انتخابات تشريعية مبكرة في غضون عام والقيام بإصلاحات مالية؛ حتى تقوم المؤسسات الدولية بإقراض لبنان[٢٢]. أدت الضغوط الفرنسية والدولية عقب كارثة المرفأ إلى ترشيح سفير لبنان لدى ألمانيا "**مصطفى أديب**" لمنصب رئيس الحكومة، وفي ٣٠ أغسطس ٢٠٢٠، تم تكليف أديب بتشكيل الحكومة اللبنانية من قبل الرئيس اللبناني ميشال عون، وذلك بعد أن حصل على دعم الأغلبية في مجلس النواب[٢٣].

ترك أديب المشاورات مع القوى السياسية والكتل النيابية لتشكيل حكومته، لـ "**نادي رؤساء الوزراء السابقين**" –سعد الحريري، نجيب ميقاتي، فؤاد السنيورة وتمام سلام. الأمر الذي يوضح مدى الثقة التي وضعها أديب على فاعلية الضغوط الفرنسية على الطبقة السياسية، التي رأي أنها سوف تذعن

(١٧) شارل جبور، الفاتيكان أطلق العد التنازلي، الجمهورية، ٥ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/a71X4

(١٨) بعد ٨ أشهر..ماذا بقي من المبادرة الفرنسية لحل أزمة لبنان؟، سكاي نيوز عربية، ١٢ إبريل ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٩ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/bWXIW

(19) World Powers Pledge Nearly $300 Million in Lebanon Aid in Wake of Beirut Blast, voice of America, 09 August 2020, Accessed, 30 November 2021, Available at: https://2u.pw/l5AcF

(20) Joe Macaron, The French Initiative in Lebanon: Endgame and Challenges, Arab Center Washington DC, 16 September 2020, Accessed, 30 November 2021, Available at: https://cutt.us/0D75J

(٢١) وصول ماكرون إلى لبنان في ثاني زيارة له بأقل من شهر، ٣١ أغسطس ٢٠٢٠، روسيا اليوم، تاريخ الاطلاع ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/gII8V

(22) Laila Bassam, Exclusive: France outlines reforms for crisis-ridden Lebanon, Reuters, 26 August 2020, Accessed, 01 December 2021, Available at: https://2u.pw/tXcSs

(٢٣) تكليف مصطفى أديب رسميا بتشكيل الحكومة اللبنانية، ٣١ أغسطس ٢٠٢٠، بي بي سي، تاريخ الاطلاع ١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/pTT4u

للضغوط الفرنسية[٢٤]. لكن ذهبت تلك الآمال أدراج الرياح وتم عرقلة مشاورات تشكيل الحكومة بعد أن أصر الثنائي الشيعي على المطالبة بأن تكون وزارة المالية حصرًا من نصيبهم والمشاركة في بقية التشكيل الحكومي -كما سبقت الإشارة.

أدت تلك العرقلة من قبل الثنائي الشيعي –حزب الله وحركة أمل– إلى اعتذار مصطفى أديب عن تشكيل الحكومة[٢٥]، في اليوم التالي على استقالة أديب، كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، قد عقد مؤتمرًا صحفيًا في باريس، في ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٠، اتهم خلاله القادة اللبنانيين "بخيانة" تعهداتهم وأمهلهم من ٤ إلى ٦ أسابيع إضافية لتشكيل حكومة في إطار المبادرة الفرنسية[٢٦].

استمرت المبادرة الفرنسية في المراوحة، فبعد استقالة أديب تم تكليف الحريري ولمدة ٩ أشهر لم يستطع الحريري تشكيل الحكومة التي كان يأمل أن يقوم بتأليفها ضد رغبة قوى "**الثامن من آذار**"، لكن المؤكد أن تكليف الحريري في حد ذاته كان إعلانًا واضحًا عن فشل المبادرة الفرنسية[٢٧].

فشل الحريري في تأليف حكومته نتيجة العوائق الداخلية التي وضعها فريق "**الثامن من آذار**"، الأمر الذي أدى إلى استقالته وتكليف نجيب ميقاتي بتشكيل الحكومة. نجح ميقاتي فيما لم ينجح فيه مصطفى أديب وسعد الحريري؛ وذلك يرجع إلى التنازلات التي قبل بها ميقاتي وهي التنازلات التي أطاحت ببنود جميع المبادرات سواء مبادرة عباس إبراهيم أو المبادرة الفرنسية، وهو ما يتضح من تشكيل الحكومة التي لبت أمال فريق "الثامن من آذار" وأطاحت بأي أمل في الإصلاح والخروج عن القوالب المأزومة.

جـ- تطورات إقليمية سهلت تأليف حكومة ميقاتي:

علاوة على هذه التنازلات التي قدمها رئيس الوزراء المكلف ميقاتي، فإن بعض التطورات الاقليمية ذات الصلة بالملف اللبناني سهلت عملية التأليف الحكومي، تمثل **التطور الأول** بمصادقة الولايات المتحدة الأمريكية على خطة لتوريد الغاز المصري إلى لبنان عبر الأردن وسوريا عبر "أنبوب الغاز العربي"[٢٨]. في ١٩ أغسطس ٢٠٢١، صادقت السفارة الأمريكية في بيروت بشكلٍ رسمي على نقل الغاز المصري إلى لبنان؛ وذلك عقب أيام من إعلان الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله عن قرب وصول المازوت والبنزين إلى لبنان من إيران[٢٩].

تسعى واشنطن من هذه الخطوة إلى تقويض التحركات الإيرانية في لبنان، وهي التحركات التي تستهدف دعم حزب الله بالوقود وإظهاره بمظهر المخلص الوحيد في ظل عجز الحكومة اللبنانية عن تأمين مصادر للوقود وغيرها من المشتقات البترولية. وبذلك تعمل واشنطن على إيصال رسالة إلى حزب الله ومن خلفه طهران بأنها لن تظل مكتوفة الأيدي إزاء محاولاتهم

(٢٤) فواز طرابلسي، أزمة الانفجار وانفجار الازمات اللبنانية، (في) فصلية بدايات لكل فصول التغيير، العدد السابع والعشرون، ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qTyYV

(٢٥) مصطفى أديب رئيس الوزراء اللبناني المكلف يعتذر عن تشكيل الحكومة، ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٠، بي بي سي، تاريخ الاطلاع ١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.us/9QrYE

(٢٦) ماكرون يتهم القادة اللبنانيين "بخيانة" تعهداتهم ويمهلهم ٤ إلى ٦ أسابيع إضافية لتشكيل حكومة في إطار المبادرة الفرنسية، ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٠، فرانس ٢٤، تاريخ الاطلاع ٠٢ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/oaLY3

(27) Chloe Cornish, Lebanon's Saad Hariri returns as PM a year after protests, financial times, 22 October 2020, Accessed, 02 December 2020, Available at: https://cutt.us/0ioNc

(28) Egypt to export gas to Jordan to secure electricity for Lebanon: Beirut, Egypt today, 19 August 2021, Accessed, 17 December 2020, Available at: https://2u.pw/PAIVp

(٢٩) كلمة السيد نصر الله في الليلة السابعة من عاشوراء في ١٥-٨-٢٠٢١، المنار، ١٦ أغسطس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٧ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/K44xg

الساعية إلى اعتماد لبنان على إيران في توفير واحدة من السلع الأساسية[٣٠].

أما **التطور الثاني** فيتمثل في التقارب بين باريس وطهران في الأشهر القليلة التي سبقت تأليف الحكومة اللبنانية. ففي ٥ سبتمبر ٢٠٢١، أجرى كلًا من الرئيس الفرنسي ماكرون ونظيره الإيراني إبراهيم رئيسي اتصالًا هاتفيًا اتفقا خلاله على تعزيز التعاون الإقليمي، وفيما يتعلق بلبنان، حثَّ رئيسي ماكرون على لعب دور في رفع العقوبات الاقتصادية الأمريكية، مضيفًا أن "جهود ومساعدة إيران وفرنسا وحزب الله لتشكيل حكومة قوية في لبنان يمكن أن تفيد هذا البلد"[٣١].

وإجمالًا، فإن هذه المبادرات والديناميات الإقليمية سهلت عملية تشكيل الحكومة في لبنان، ولكنها لم تكن العنصر الحاسم وهو ما يتضح من التشكيلة الحكومية الجديدة التي لبَّتْ مطالب فريق "الثامن من آذار" بتشكيل حكومة تكنوقراط تم اختيار أعضائها من قبل الطبقة السياسية.

ثالثًا: قراءة في التشكيلة الحكومية:

منذ تشكيل حكومة ميقاتي، وأثيرت الكثير من القراءات والتكهنات حول الانتماء السياسي لأفراد الحكومة، وما إذا كان الرئيس ميشال عون والتيار الوطني الحر قد حصلوا على الثلث المعطل أم لا؟ وجاءت القراءات متناقضة وتخضع للأهواء السياسية لمن يقوم بتصنيف من رُشحوا لتولي الحقائب الوزارية. ففي الوقت الذي أكد فيه كلا من نجيب ميقاتي وميشال عون على أنه لا يوجد ثلث معطل واضح أو مستتر لأي فريق في الحكومة الجديدة[٣٢]، فإن العديد من الأطراف السياسية ومن بينها نائب رئيس تيار "المستقبل" النائب السابق مصطفى علوش اعتبر إن "الرئيس ميشال عون حصل على الثلث المعطل بالتأكيد، وهو ما يتبين في نظرة سريعة على أسماء الوزراء الجدد". أما رئيس حزب الكتائب اللبنانية سامي الجميل فاعتبر أن الحكومة قد شُكلت "بضوء أخضر إيراني" وأنها بمثابة التكريس "لسيطرة حزب الله على القرار اللبناني". كما عدَّ الجميل أن "هذه ليست لحظة سياسية بل استمرارية لعمل المنظومة ولنهج المحاصصة اللذين أوصلا البلد إلى ما وصل إليه"[٣٣].

كذلك فإن **المتابعين للشأن اللبناني، قد اختلفت تقديراتهم** حول عدد الوزراء التابعين لكل تيار سياسي، خاصة تيار رئيس الجمهورية وصهره زعيم التيار الوطني الحر رئيس تكتل لبنان القوي. وتراوحت التقديرات التي أعطاها الخبراء والمتابعين بين خمس إلى عشرة حقائب وزارية لكتلة رئيس الجمهورية، هذا الاختلاف في التقديرات يرجع إلى القاعدة التي تم عليها حساب المنتمين إلى التيارات السياسية.

فإذا أخذنا بقاعدة التوزيع الطائفي يكون نصيب رئيس الجمهورية الماروني ٥ حقائب وزارية فقط، وهي: ١-وزير الخارجية عبد الله أبو حبيب (عون ومحور الممانعة). ٢- وزير الاتصالات جوني قرم (تيار المردة/ وعون). ٣- وزير السياحة وليد نصار(عون). ٤- وزير الإعلام جورج قرداحي (المردة). ٥- وزير العدل هنري خوري (عون). هذه الحسبة يفضلها أنصار تيار

(30) Joe Macaron, Lebanon's Energy Crisis Fuels US-Iran Tensions, Arab Center Washington DC, 25 August 2021, Accessed, 17 December 2021, Available at: https://2u.pw/OdID8

(31) Ayatollah Raisi in a phone call with the President of France: Iran welcomes deepening ties with France, especially in economic, trade fields, Islamic Republic of Iran Ministry of Foreign Affairs, 05 September 2021, Accessed, 17 December 2021, Available at: https://2u.pw/g4iC0

(٣٢) مها الدهان وليلى بسام، زعماء لبنان يتفقون على تشكيل الحكومة وميقاتي يطالب الجميع "بشد الأحزمة"، سويس إنفو العالمية، ١٠ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/15g1o

(٣٣) حكومة ميقاتي: أسماء جديدة بغطاء وتوزيع سياسي وحزبي، الشرق الأوسط، ١١ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/hRJw6

رئيس الجمهورية لأنها تظهر أنهم لم يحصلوا على الثلث المعطل[٣٤].

ولكن إذا أخذنا بقاعدة التفاهمات والائتلافات السياسية، فإن نصيب الرئيس وتياره سوف يرتفع في التشكيلة الحكومية من دون شك. **جورج سولاج رئيس تحرير جريدة الجمهورية اللبنانية** وأحد الخبراء في الشأن اللبناني يقول إن الرئيس عون حصل على الثلث المعطل في حكومة نجيب ميقاتي، مقدرًا عدد الوزراء التابعين لميقاتي والمتحالفين معه بعشرة وزراء، وهم: ١- وزير الخارجية عبد الله أبو حبيب (عون ومحور الممانعة). ٢- وزير الاتصالات جوني قرم (تيار المردة/وعون). ٣- وزير السياحة وليد نصار(عون). ٤- وزير العدل هنري خوري (عون). ٥- وزير المهجرين عصام شرف الدين (الحزب الديمقراطي اللبناني برئاسة طلال أرسلان). ٦- وزير الطاقة وليد فياض (عون والفرنسيين). ٧- وزير الدفاع العميد موريس سليم (عون). ٨- وزير الشؤون الاجتماعية هيكتور حجار(عون). ٩- وزير التنمية الإدارية نجلا رياشي (عون). ١٠- وزير الصناعة جورج دباكيان (حلفاء عون من حزب الطاشناق)[٣٥].

استبعد **سولاج** من تلك التقسيمة جورج قرداحي الذي رآه غير محسوب على أي تيار سياسي ولو أنه ضمن كتلة تيار المردة، ولكنه لم يأت بتوافق بين التيار والرئيس عون كوزير الاتصالات جوني قرم، وأظهر أن التوافقات الداخلية بين القوى السياسية لم تكن كافية لتشكيل الحكومة، وأن بعض الأسماء جاءت نتيجة توافق داخلي وخارجي خاصةً من قبل فرنسا ومحور الممانعة، وعدَّدَ أسماء الوزراء الذين حظوا بالدعم الفرنسي ورضا محور الممانعة، وهما: وزير الطاقة وليد فياض، ووزير الخارجية عبد الله أبو حبيب.

أما **ريتا الجمّال** الصحفية اللبنانية فترى أن حصة الرئيس عون تتألف من ٦ حقائب وزارية، هي: الخارجية، والدفاع، والسياحة، والعدل، والشؤون الاجتماعية والطاقة، في حين تم التوافق على وزير الاقتصاد من قبل الرئيسين ميقاتي-عون مع الجانب الفرنسي. وترى الجمّال -خلافًا لجورج سولاج- أن وزيرة التنمية الإدارية نجلا رياشي جاءت بطلب فرنسي مباشر وأنها ليست محسوبة على تيار عون، ولكن تتفق الجمّال مع سولاج في أن وزير الشباب والرياضة جورج كلاس مستقل وكان خيارًا فرنسيًا على الرغم من قربه من رئيس مجلس النواب نبيه بري[٣٦].

أما الباحثة في معهد دراسات الأمن القومي التابع لجامعة تل ابيب **أورنا مزراحي**، فاعتبرت أن "قوى الثامن من آذار" عززت نفوذها من خلال الحصول على الأغلبية في حكومة ميقاتي، وركزت على اختيار حزب الله لحقيبتي الأشغال العامة والنقل والزراعة، واعتبرت أن تلك الوزارتين تخدم مصالح الحزب، ففي حين تضمن الحقيبة الأولى سيطرة الحزب "على الموانئ البرية والبحرية والجوية"، فإن الثانية سوف تعمل على "تحقيق رؤية نصر الله لتعزيز "**الجهاد الزراعي**" في لبنان (تطوير القطاع الزراعي لتقليل الاعتماد على الواردات الغذائية)"[٣٧].

لم يحدث نفس اللغط بالنسبة إلى باقي الحقائب الوزارية، والتي جاء توزيعها على الكتل السياسية والأحزاب كالتالي:

(٣٤) راوية حشمي، هل حصل عون على "الثلث المعطل"؟، عكاظ، ١٠ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٩ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/YpFwo

(٣٥) جورج سولاج: ميشال عون حصل على الثلث المعطل في حكومة نجيب ميقاتي، قناة الجديد نيوز، ١٠ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:https://cutt.us/41wmG

(٣٦) ريتا الجمّال، تشكيلة الحكومة اللبنانية الجديدة: كيف توزّعت الحقائب بين القوى السياسية؟، العربي الجديد، ١٠ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/6me05

(37) Orna Mizrahi, The Incoming Government in Lebanon: Little New under the Sun, Institute for National Security Studies, 10 October 2021, Accessed 10 December 2021, Available at: https://cutt.us/jzGTz

تألفت حصة **نجيب ميقاتي والتكتل السني** من أربعة وزراء هم: بسّام المولويّ للداخلية، وأمين سلام للاقتصاد، وفراس أبيض للصحة (المستقبل)، وناصر ياسين للبيئة (المستقبل).

في حين حصد **التكتل الشيعي** خمس حقائب وزارية، على رأسها حقيبة المالية التي أصر المكون الشيعي على الاحتفاظ بها، وهي: وزير الأشغال العامة والنقل علي حميّة (حزب الله)، ووزير العمل مصطفى بيرم (حزب الله)، ووزير الزراعة عبّاس الحاج حسن (مشترك بين حزب الله وأمل)، ووزير الثقافة محمد مرتضى (حركة أمل) ووزير المالية يوسف خليل (حركة أمل)[٣٨].

وحصلت **الكتلة الدرزية** على مقعدين: الأول لوزير التربية عباس حلبي المقرب من الحزب التقدمي الاشتراكي، ووزير المهجرين عصام شرف الدين التابع للحزب الديمقراطي اللبناني برئاسة طلال أرسلان. كما حصل **الأرمن** على مقعدي التنمية الإدارية نجلا رياشي، ووزير الصناعة جورج دباكيان (حزب الطاشناق). أما **تيار المردة** فحصل على مقعدي الاتصالات والإعلام؛ وذلك بعد رفض حزبي "الكتائب والقوات اللبنانية" المسيحيين المشاركة في التشكيلة الحكومية[٣٩].

في كل الأحوال ضمن تحالف "**الثامن من آذار**"، الذي يشمل حزب الله بزعامة حسن نصر الله وحركة أمل بزعامة نبيه بري والتيار الوطني الحر بزعامة الرئيس ميشال عون، الثلث المعطل في الحكومة بل أنهم ضمنوا ما يربو عن نصف عدد مقاعد الحكومة؛ وذلك بعد أن التفوا على بنود المبادرة الفرنسية ومطالب الأطراف الدولية والمحلية بتشكيل حكومة تكنوقراط مُصغرة، وعوضًا عن ذلك، عكست الحكومة الجديدة التي يترأسها ميقاتي واقع الكتل السياسية الطائفية وقوتها الفعلية في مجلس النواب بحسب آخر انتخابات برلمانية.

احتفظت قوى "**الثامن من آذار**" بقدرتها على التأثير في عملية صنع القرار داخل الحكومة الجديدة، ولم تكتف قوى هذا المعسكر بذلك بل قامت ببعض الإجراءات التي تؤكد سلطتها الفاعلة على الأرض خارج الإطار الرسمي للمؤسسات اللبنانية، كما فعل حزب الله باستيراده الوقود الإيراني عبر سوريا، بدءً من ١٦ سبتمبر ٢٠٢١. هذه الخطوة التي تنتهك العقوبات الأمريكية اعتبرها ميقاتي انتهاكًا للسيادة اللبنانية، مستبعدًا خضوع لبنان للعقوبات الأمريكية لكون الشحنة لم يتم طلبها من الحكومة اللبنانية ولم توافق على دخولها، مشددًا على أنه يحاول حل المشكلة بهدوء[٤٠].

خاتمة- شراء الوقت: تكليف ميقاتي ومحاولة تجميد الأزمة السياسية

لا تمل الطبقة السياسية في لبنان من إعادة إنتاج آلياتها أو مناوراتها ولا حتى شخوصها، ينطبق ذلك على عملية تدوير الطبقة السياسية اللبنانية منذ نهاية الحرب الأهلية بشكلٍ عام، وعلى عودة نجيب ميقاتي ومن قبله سعد الحريري كرئيس لوزراء لبنان بشكلٍ خاص. فميقاتي بعد أن استقال في ٢٢ مارس ٢٠١٣، على إثر فشل مجلس الوزراء في التوافق على إقرار تشكيل هيئة للإشراف على الانتخابات، والتمديد للمدير العام لقوى الأمن الداخلي اللواء أشرف ريفي[٤١]، يعود مُجددًا بعد ما يناهز الثمانية أعوام ونصف العام، في ١٠ سبتمبر ٢٠٢١، لتشكيل حكومته الثالثة منذ مايو ٢٠٠٥، وذلك في ظل أسوأ أزمة مالية يمر بها لبنان منذ عقود كما وصفها البنك الدولي، ووباء فيروس كورونا، وانفجار مرفأ بيروت، وفقدان للدعم الإقليمي والدولي.

(٣٨) كيف توزعت حكومة الـ٢٤ وزيرًا على القوى السياسية المكونة لها؟، اللبنانية، تاريخ الاطلاع ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/zkY3p

(٣٩) حكومة ميقاتي: أسماء جديدة بغطاء وتوزيع سياسي وحزبي، الشرق الأوسط، مرجع سابق.

(٤٠) مقابلة نجيب ميقاتي مع شبكتنا الكاملة، سي إن إن عربية، ١٨ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ltNpk

(٤١) عماد مرمل، الرواية الكاملة لاستقالة ميقاتي، الميادين، ٢٥ مارس ٢٠١٣، تاريخ الاطلاع ١١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/YzRSS

على الرغم من إدعاء ميقاتي بحصوله على دعم دولي من قبل باريس وواشنطن والرياض ودول أخرى لم يُسمها وأنه سوف يعمل على استئناف التفاوض الفوري مع صندوق النقد الدولي للوصول إلى اتفاق على خطة دعم من الصندوق للقيام بالإصلاحات الاقتصادية[٤٢]، إلا أن ميقاتي والتشكيل الجديد للحكومة يمثلا نفس المشكلة الأساسية التي ظل لبنان يُعاني منها منذ اتفاق الطائف، والتي تتمثل في أمرين، هما: إصرار الطبقة السياسية على القيام بخدمة مصالحها السياسية والمالية في المقام الأول عوضًا عن الانخراط في إصلاحات تخدم المواطن اللبناني، أما الأمر الثاني فيتمثل في أن السياسات المالية لهذه الطبقة على يمين المؤسسات المانحة الدولية؛ بمعنى أنها تستأثر بمزايا التمويل الدولي وتزيد الحمل على كاهل المواطن اللبناني الذي يتحمل نتيجة هذه السياسات غير الرشيدة والموغلة في الفساد.

وبالتالي، ففي ظل الضغوط الخارجية والداخلية على القوى السياسية في لبنان، يُتوقع أن تسير الأزمة الحالية باتجاه أحد السيناريوهين التاليين:

السيناريو الأول: يفترض أنه نتيجة الضغوط الدولية من باريس وواشنطن أن تسمح القوى السياسية لحكومة ميقاتي بإجراء محاسبة قضائية شفافة للمتسببين في جريمة مرفأ بيروت والقيام بإصلاحات مالية واقتصادية؛ وذلك حتى تؤمن الدعم المالي من المؤسسات المانحة خاصةً البنك الدولي وصندوق النقد.

السيناريو الثاني: يفترض هذا السيناريو ألا تمارس الحكومة المهام التي جاءت من أجلها وأعلنها رئيسها، وهو الأمر الذي لاح في الأفق منذ ١٢ أكتوبر الماضي، حيث مُنع انعقاد مجلس الوزراء اللبناني؛ وذلك نتيجة اعتراض الوزراء الشيعة على المحقق العدلي في كارثة مرفأ بيروت **طارق البيطار**[٤٣].

وما لبثت الأزمات تتوالى في لبنان، منذ أن أخذ مسار اعتراض "الثنائي الشيعي" على البيطار شكلًا رسميًا، من خلال إعاقة انعقاد مجلس الوزراء، كالأزمة التي أحدثتها تصريحات وزير الإعلام المستقيل "**جورج قرداحي**" مع المملكة العربية السعودية، وأسفرت عن سحب الرياض وبعض من دول مجلس التعاون الخليجي لسفرائها من بيروت وإيقاف الواردات اللبنانية للرياض[٤٤].

ويُرجح الباحث حدوث السيناريو الثاني، خاصةً في ظل إصرار الثنائي الشيعي على إقرار أجندته والتهرب من أي مساءلة في أحداث المرفأ أو غيرها، وكذلك ففي ظل ضعف الضغوط الدولية والداخلية فإن الحكومة الحالية التي يرأسها نجيب ميقاتي في أفضل الأحوال سوف تعمل كحكومة تصريف أعمال حتى موعد الانتخابات النيابية في ٢٧ مارس ٢٠٢٢ بعد أن تم تقديمها أو فيما بعد الانتخابات الرئاسية المقرر عقدها في أكتوبر ٢٠٢٢.

وحدوث أي من السيناريوهين سوف يُفاقم من الأوضاع الاقتصادية للمواطنين اللبنانيين، حيث إن السيناريو الأول يفترض إحداث تغييرات هيكلية في الاقتصاد سوف تمس دعم السلع الأساسية والوقود، ولن تمس عمليات الهدر والفساد البنيوي، والثاني سوف يعمل على إبقاء الوضع الكارثي الحالي إلى إشعارٍ آخر.

*****

(٤٢) نص البيان الوزاري لحكومة "معًا للإنقاذ"، نداء الوطن، ٢٠ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١١ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/InQ7L

(٤٣) إلسي مفرّج، متاهة في القضاء اللبناني... معركة تنحية المحقق بانفجار المرفأ انتقلت إلى قصر العدل، رصيف ٢٢، ١١ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/LTM1q

(٤٤) حسين إبيش، لماذا انقلبت دول الخليج على لبنان؟، ١٩ نوفمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٢ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/eBS1j

الوضع في ليبيا بين الانتخابات واحتمالات تجدد الحرب

نبيل علي(*)

مقدمة:

يناقش هذا التقرير الوضع في ليبيا بين احتمال تجدد الحرب وفعل صندوق الذخيرة واحتمال عقد الانتخابات وحكم صندوق الاقتراع، مُستعرضًا ما يدفع/يمنع حدوث أي من هذيْن السيناريوهين، ثم يتطرق التقرير إلى مقاربة لحل الأزمة؛ استنادًا لخبرة عقد من الربيع العربي من دون تجاوز الخصوصية الليبية، وقبل هذا يستعرض التقرير سياقات وحواضن الأزمة الليبية الراهنة، وفي الخاتمة يستعرض التقرير بعض الخلاصات والنتائج.

أولا- الواقع الليبي: سياقات وحواضن

قبل التطرق لسيناريوهات المستقبل ومقاربات الحل يستعرض التقرير بعض السياقات التي يمثل التعرض لها ضرورة لفهم الظاهرة، فضلًا عن التنبؤ بمستقبلها، وصولًا إلى طرح تصور لحل تأزمها الحالي. وتتمثل أهم هذه السياقات المحيطة بالوضع الليبي والمؤثرة فيه فيما يلي:

١- يصعب القول أن ليبيا دولة تمتلك مؤسسات أو أن لديها أجهزة بالمعني التقليدي المتعارف عليه للدولة ومؤسساتها، وإنما أجسام يصِحُ وصفها بالصورية؛ مرجع ذلك سنوات من الحكم الفردي الشخصي طوال فترة القذافي، فمثلًا الجيش لا يفرض سلطانه على كامل التراب الوطني فضلًا عن انقسامه، ولا الداخلية قادرة على فرض الأمن، فضلًا عن انتشار السلاح وتعدد الميليشيات المحلية والدولية(١)، والمصرف المركزي منقسم والرواتب متأخرة، وإنتاج النفط متعثر والوقود شحيح. وإجمالًا يمكن وصف المشهد الحالي اليوم بأنه مشهد "فراغ القوة وازدواج السلطة"، إذ لا توجد سلطة واحدة متفق عليها تحظى بشرعية طوعية كاملة ولا قوة قاهرة تملك بسطوتها إجبار القوى الأخرى على الانصياع لها(٢).

٢-كثيرًا ما يتم التغيير في ليبيا برعاية ودعم خارجي؛ فبداية من سقوط القذافي والتدخل الخارجي فيه وصولًا إلى حالة انعدام القدرة لدى الأطراف الداخلية منذ ثورة فبراير وحتى الآن، جرت الأحداث المهمة خارج البلاد ثم تم توظيف وترتيب الداخل بناء على ذلك؛ مثل الاتفاق السياسي (الصخيرات/المغرب)، والمؤتمرات الدولية (برلين١/برلين٢)، وكذلك تدخل الأمم المتحدة وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية برئاسة عبد الحميد الدبيبة. فمنذ اتفاق الصخيرات ٢٠١٥، والخارج هو مصدر الشرعية للحكومات وما تتخذه من إجراءات. ولذلك يمكن القول أن الخلل الأساسي في المشهد السياسي الليبي يكمن في تحول مصدر الشرعية من الداخل للخارج، فقد تم تجاوز كل القوانين الوطنية وخيارات الشعب الليبي، واعتماد اتفاقيات صُمِّمت خلف الكواليس كدستور يحكم العملية السياسية بعيدا عن السلطات التشريعية والقضائية الليبية، كما غاب الحوار الوطني على المستوى السياسي والاجتماعي عن كل التسويات السياسية المتفق عليها، وهو ما يجعل كل الأجسام الموجودة في المشهد السياسي اليوم فاقدة لمقومات الشرعية الدستورية والانتخابية.

(*) باحث في العلوم السياسية.

(١) للمزيد حول طبيعة الدولة ومؤسساتها في ليبيا، انظر: يوسف لطفي، تفكيك المشهد الليبي: تشريح للواقع والفواعل، منتدى العاصمة، ١٢ يونيو ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع ١٥ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ddwMz

(٢) خالد خميس السحاتي، المسار الليبي للتسوية: بين اللقاءات والتسويات والاتفاقات والترتيبات والواقع على الأرض، قضايا ونظرات، عدد ٢٢، يوليو ٢٠٢١، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ص ١٠٢، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/D2j7m

وفي ظل هذه الظروف فإن قرار سحب الثقة من حكومة الدبيبة الذي أصدره البرلمان في ٢١ سبتمبر الماضي يعتبر في حكم العدم، كما كان قرار البرلمان بإقالة محافظ المصرف المركزي الصديق الكبير، وكذلك قرار حكومة السراج بمنع تداول العملة الصادرة عن روسيا، والقرار الصادر –أكثر من مرة– بالقبض على خليفة حفتر، ومثلها كثير من القرارات. فمنذ إسقاط حكم السلطات التشريعية والقضائية في ٢٠١٥، وتعطيل اعتماد مشروع الدستور المنجز منذ ٢٠١٧ واعتماد الاتفاقات المبرمة في الصخيرات وجنيف ومخرجات المؤتمرات الدولية كدستور للعملية السياسية، ارتبطت شرعية القرارات الوطنية برضا بعثة الأمم المتحدة والأطراف الخارجية الفاعلة، وهو ما لم يتوفر في قرار سحب الثقة أو أي من القرارات المذكورة آنفا[٣].

٣- يأتي التدخل الدولي هذه المرة من قبل الأمم المتحدة في شكل الاعتماد على مقاربة الانتخابات كحل للأزمة أو كسبيل لإنهاء النزاع، وهي عملية قفز على حقائق الواقع أو هروب من تحدياته نحو مشروع إجرائي، فضلًا عن أن هذه المقاربة المتجاوزة للواقع القافزة نحو الانتخابات وإن كانت نجحت في البرتغال عام ١٩٧٤، إلا أنها تظل مهددة بالفشل الكبير ما لم يسبقها تهيئة مناسبة للواقع المحتضن لنتائجها، وبالتالي يتجدد الانقسام أو تعود الحرب أو كليهما، وهو ما يعني مزيدًا من التأزم[٤].

فهي تقفز على المشهد متجاهلة جذور المشكلة وأسبابها، حيث تتجاهل انقلابات خليفة حفتر وتنكره للعملية السياسية في كل مرة وتتغاضى عن التدخلات الخارجية المزعزعة لاستقرار البلاد، كما أنها تصادر القرار الوطني عبر تحديد مسار العملية السياسية وطبيعة الاتفاقيات المبرمة والشخصيات الموقعة عليها، كما أنها تتجاهل حتى إقرار الدستور والاتفاق على القاعدة القانونية التي ستُجرى على أساسها الانتخابات، وهو ما يصنع حالة من الفوضى القانونية والسياسية، وعلى سبيل الذِكر لا الحصر فإن لجنة الـ٧٥ المختارة من قِبل بعثة الأمم المتحدة تملك صلاحيات دستورية وتشريعية وقانونية لا تملكها أي سلطة وطنية؛ حيث يحق لها اعتماد الحكومة وسحب الثقة منها وإعداد مقترحات قوانين وقاعدة دستورية مؤقتة، وبعد رحيل مهندسة حوار جنيف المبعوثة الأممية ستيفاني وليامز[٥] أصبحت لجنة الـ٧٥ عاجزة حتى عن عقد اجتماعاتها الدورية والطارئة؛ حيث طالب ٤٦ عضوًا من أعضاء اللجنة في ٢٦ سبتمبر الماضي المبعوث الأممي يان كوبيش بعقد جلسة طارئة لمناقشة مستجدات المشهد السياسي، وهو تجسيد واضح لحالة الضعف والارتهان التي وصلت لها الشخصيات المتصدرة للمشهد السياسي[٦].

٤- الديمقراطية كعملية سياسية متعددة المستويات والإجراءات ليست بالقيمة المتجذرة أو الحاكمة في الحالة الليبية نظرًا لاعتبارات تاريخية وآنية متعددة؛ لأنها لو كانت كذلك لنجح الداخل خلال عقد كامل من الزمن في الانتقال ذاتيًا لحكومة واحدة ونظام سياسي مستقر، ولكن الخارج الآن (الأمم المتحدة) وبعد عقد من الزمن يراهن على الدفع نحو الانتخابات كحل للنزاع، ولذلك فإن تصور نجاح هذه العملية مشروط بتهيئة البيئة الداخلية بالشكل الذي يجعل الديمقراطية قابلة للعيش والعمل.

---

(٣) يوسف لطفي، الانسداد السياسي في ليبيا: المسببات والجذور، منتدى العاصمة، ٦ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٥نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/JOF1w

(٤) للمزيد حول نقاط الضعف في مقاربة الأمم المتحدة للحل وأهم تجاربها السابقة والمعوقات أمام نجاحها في ليبيا، انظر: نذار كريكش، سيناريوهات: الانتخابات الليبية.. خطوة نحو الاستقرار أم شعلة لتفجير الوضع في البلاد، الجزيرة، ١٢ نوفمبر ٢٠٢١، تم الاطلاع في ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/nXYQw

(٥) عادت ستيفاني وليامز للشأن الليبي كمستشارة للأمين العام للأمم المتحدة للشأن الليبي (أنطونيو غوتيريش)، في ٦ سبتمبر ٢٠٢١ قبل حوالي أسبوعين من إجراء الانتخابات. انظر: الأمين العام يعين الأمريكية ستيفاني وليامز مستشارة خاصة معنية بالشأن الليبي، الأمم المتحدة، ٦ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/Y8Ahw

(٦) يوسف لطفي، الانسداد السياسي في ليبيا المسببات والجذور، مرجع سابق.

٥- الخارج حتى على مستوى المؤسسات الدولية ليس نزيهًا ولا مُحصنًا في تعامله مع القضية الليبية، وإنما هو جزء من عملية صراع نفوذ دولي يتم من خلاله إعادة تشكيل المشهد من داخل هذه المؤسسات الأممية، وهو ما ثبتت صحته في تسريبات صحيفة الجارديان لمراسلات رئيس بعثة الأمم المتحدة برناردينو ليون مع وزير الخارجية الإماراتي عبد الله بن زايد بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠١٤، التي يقول فيها ليون لابن زايد: "في رأيي أن الخطة بـ(عقد مؤتمر سلام) أسوأ من إجراء حوار سياسي لأنه سيعامل الطرفين وكأنهما متساويين"، ويقول في نفس المراسلة: "إنه لن يشمل كل الأطراف في الحوار السياسي وأنه يعمل على تقويض شرعية المؤتمر الوطني وأن كل خطواته تمت بالتنسيق مع أعضاء من برلمان طبرق وسفير ليبيا في الإمارات "العارف النايض"، كما قال إنه "يعمل على تفكيك التحالف القائم بين تجار مصراتة والإسلاميين"، ويختم ليون رسالته بقوله إنه عُرِض عليه منصب رفيع كمستشار أعلى لكل بعثات الأمم المتحدة للوساطة، وهذا سيمنح للإمارات تأثيرًا على معظم بعثات الوساطة، لكن بالطبع إذا أردتم مني الاكتفاء بمنصبي في الأكاديمية الدبلوماسية سأرفض العرض". وعلى عكس المتوقع لم تُحدِث تسريبات الجارديان تبعات سياسية رغم خطورتها، فقد نُشِرت في نوفمبر ٢٠١٥ أي بعد مغادرة ليون لمنصبه وبعد الإعلان عن توقيع الاتفاق السياسي (الصخيرات) بالأحرف الأولى في ١١ يوليو ٢٠١٥ والذي تم في ظل رفض المؤتمر الوطني لمسودة الاتفاق المقترحة.

وعلى الرغم من رفض غالبية أعضاء برلمان طبرق والمؤتمر الوطني للاتفاق السياسي إلا أن بعثة الأمم المتحدة مضت في مسارها واختارت شخصيات سياسية ومسؤولين من الطرفين (البرلمان والمؤتمر) لتوقيع الصيغة النهائية من الاتفاق في ١٧ ديسمبر ٢٠١٥، وأُعلن عن أعضاء المجلس الرئاسي الذي شمل ٥ نواب و٣ أعضاء مثلوا مناطق وأطراف مختلفة من الصراع وهم: أحمد معيتيق رجل أعمال- يمثل مصراتة، فتحي المجبري موالي لحفتر وإبراهيم الجضران من منطقة الهلال النفطي، وعلي القطراني ممثل حفتر، وموسى الكوني كممثل للجنوب، وعبدالسلام كاجمان –ممثل الإخوان- من الجنوب، عمر الأسود يمثل الزنتان، محمد عماري ممثل التجمع الإسلامي من الشرق، أحمد حمزة ممثل مؤيدي النظام السابق من الجنوب، وجرى تنصيب فايز السراج عضو برلمان طبرق كرئيس للمجلس الرئاسي، وجدير بالذكر في هذا السياق أن ليون وضع اسم فايز السراج -عضو برلمان طبرق- كرئيس للمجلس الرئاسي قبل الإعلان بلحظات عن توقيع الاتفاق.

رغم أن المجلس وحكومة الوفاق حظيا بدعم دولي وأصبحا الممثلين الشرعيين للبلاد في المحافل الدولية، وأعلن الإسلاميون المشاركون في الحكومة التوافقية أن الاتفاق السياسي أنهى انقلاب حفتر بجرة قلم، وأن الدولة الليبية استعادت شرعيتها الدولية؛ إلا أن حفتر أعلن رفضه للاتفاق واستمر في عملياته العسكرية في شرق البلاد ضد الإسلاميين وفي جنوبها ضد الكتائب التابعة للوفاق، وفي المقابل أعلن المجلس الرئاسي أن القوات التابعة له لن تتورط في نزاع مسلح مع الشركاء السياسيين[٧]، لتكتمل بذلك صورة عدم النزاهة أو الحيادية التي تدفع أو تحكم عمل الفاعلين الدوليين والمؤسسات الأممية في ليبيا.

٦- القبيلة في المجتمع الليبي لا هي بالقوية الفاعلة ولا هي بالضعيفة الغائبة، فهي كيان لا يفعل بذاته وإنما يجري توظيفه بشكل دائم لخدمة أهداف بعض الأطراف، فلا نستطيع أن نقول أن ليبيا دولة قبلية ولا يمكن أن نجزم بكونها دولة مؤسسات[٨]، وهو ما يُضيف صعوبة جديدة أمام نجاح الانتخابات كإجراء لإنهاء النزاع، خصوصًا بعد اعتماد المُحاصصة المناطقية من قبل الأمم المتحدة في اختيار لجنة ال

(٧) يوسف لطفي، تفكيك المشهد الليبي: تشريح للواقع والفواعل، مرجع سابق.

(٨) للمزيد حول القبيلة في ليبيا وعمليات توظيفها والنظام السياسي في عهد القذافي وتوظيفه لها ودورها في فترة ما بعد الثورة، انظر: يوسف لطفي، تفكيك المشهد الليبي: تشريح للواقع والفواعل، مرجع سابق.

٧٥، وكذلك في تشكيل الحكومة الحالية حكومة الوحدة الوطنية برئاسة عبد الحميد الدبيبة[٩].

ثانيًا- سيناريوهات المستقبل:

يمكن أن يتجه مسار الوضع الليبي نحو أحد سيناريوهين، نستعرض ملامح كل منهما فيما يلي:

(أ) سيناريو الانتخابات واستقرار البلاد

يعد سيناريو إجراء الانتخابات هو الأقرب وفقا للاعتبارات الزمنية والإجرائية، إذ أنها حسب موعدها ستتم في غضون أقل من شهر من الآن (في ٢٤ ديسمبر ٢٠٢١)، وحتى في حال تأجيل الانتخابات الرئاسية يمكن إجراء الانتخابات البرلمانية. وبالإضافة للاعتبارات الزمنية فإن ثمة عددا من العوامل تدفع نحو إجراء الانتخابات في موعدها، هذه العوامل على النحو التالي:

١- تدخُّل تركيا عسكريًا وسياسيًا واستواء كفتي القوة العسكرية في الداخل الليبي، وهو ما أدى لوقف زحف حفتر وقواته نحو العاصمة طرابلس في مطلع أبريل ٢٠١٩، ومكّن حكومة الوفاق الوطني برئاسة السراج وبعدها حكومة الوحدة الوطنية برئاسة الدبيبة من التواجد والسيطرة على أجزاء كبيرة من الإقليم بعد أن تمت محاصرتها من قبل وهددت فعليًا بفقد وجودها بشكل كامل، هذا التدخل لم يؤدِ فقط لتمكين حكومة الوفاق من حماية وجودها والتوجه بالهجوم نحو مناطق سيطرة حفتر، وإنما أدى لقناعة الفاعلين والداعمين بأن عملية الحسم العسكري من خلال حفتر لم تعُد ممكنة بل أصبح يواجه تحديًا كبيرًا في حماية ما يقع تحت سيطرته، ولذلك كان التحذير المصري للجانب التركي بعدم تجاوز خط سرت-الجفرة، وبعدها حدثت تفاهمات مصرية تركية في عدد كبير وهام من الملفات والقضايا، وإن كان لم يظهر بعدُ حجم وطبيعة التفاهم المصري/التركي في الملف الليبي فهو حادث بالضرورة وستظهر معالمه ونتائجه في وقت ما، ولكن يبقى أن التدخل التركي نقل الموقف المصري من دعم حفتر عمليًا للسيطرة على كامل ليبيا عسكريًا إلى حمايته من الانهزام العسكري ومغادرة الحرب إلى التفاهم، وبعد فقد إمكانية الحسم عسكريًا فإن مجهود الأطراف والمكونات الداخلية وكذلك الفواعل الدولية يتجه نحو العملية الانتخابية على أمل أن تحقق ما لم تحققه الحرب، كلٌ حسب مصلحته.

٢- تغير القيادة في الولايات المتحدة الأمريكية من أوباما وترامب إلى بايدن، وبالتالي تغير سياسة الابتعاد عن الملف الليبي أو عدم الاهتمام به أو حتى الاكتفاء بمجرد الوساطة والتواصل مع أطرافه خلال إدارتيْ أوباما وترامب، إلى الدفع نحو تسويته مع إدارة بايدن، التي تعتمد سياسة كاملة تتجه لتسوية الملفات والقضايا المختلفة. هذا الدفع الأمريكي نحو التسوية تمثل في اهتمام أكبر بالملف الليبي، وتدشن من خلال المبادرة التي طرحتها أمريكا لحل الأزمة أثناء اللقاء الذي عقده السفير الأمريكي في القاهرة جوناثان كوهين مع رئيس مجلس النواب عقيلة صالح، وكذلك من خلال الموقف الأمريكي تجاه الملف الليبي في الجهود التي تتم من قِبل الأمم المتحدة، والاهتمام الأكبر بتطورات المشهد الذي أكده سفير الولايات المتحدة لدى ليبيا ريتشارد نورلاند خلال اتصال هاتفي مع محمد المنفي رئيس المجلس الرئاسي في ليبيا قائلًا: "تفاعلًا أكثر قادمًا من واشنطن"[١٠]، بالإضافة إلى قانون دعم استقرار ليبيا الذي أقره الكونجرس الأمريكي في ٢٨سبتمبر ٢٠٢١، والذي يدفع نحو إجراء الانتخابات[١١].

---

(٩) للمزيد حول طريقة تشكيل الحكومة وعملية المحاصصة المناطقية، انظر: خالد خميس السحاتي، المسار الليبي للتسوية: بين اللقاءات والتسويات والاتفاقات والترتيبات والواقع على الأرض، مرجع سابق، ص ١٠٤ و١٠٥.

(١٠) للمزيد حول الموقف الأمريكي وطبيعة التطور فيه انظر: خالد خميس السحاتي، المسار الليبي للتسوية: بين اللقاءات والتسويات والاتفاقات والترتيبات والواقع على الأرض، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(١١) يتضمن القانون تقريرا عن أنشطة بعض الحكومات والجهات الفاعلة الأجنبية في ليبيا، وكذلك عن الأنشطة والأهداف الروسية في ليبيا.

٣- حالة التوافق الإقليمية التي سادت مؤخرًا؛ فمثلًا بعد المقاطعة القطرية تمت مصالحة مع قطر من جانب كل من مصر والإمارات والبحرين والسعودية، وبدلًا من المقاطعة والمواجهة-المصرية التركية حدثت مصالحة أو تفاهم بين الطرفين. ومع انزياح المواجهة لصالح التفاهم السياسي والاقتصادي، يصبح الملف الليبي واحدًا من الملفات المرشحة بقوة في ضوء معطيات الواقع الآن للتفاهم حولها بالشكل الذي يحقق للفاعلين جزءًا مُرضيًا من مصالحهم الاقتصادية والسياسية.

٤- تمتع ليبيا بعدد كبير من المزايا الاقتصادية وتعاظم أهميتها السياسية؛ فعلى مستوى المزايا الاقتصادية ثمة حقول النفط واكتشافات الغاز الكبيرة في شرق المتوسط وعقود إعادة الإعمار التي تثير شهية مختلَف القوى، والعقود الاستثمارية المعطَّلة بين ليبيا وعدد من الدول والعمالة الأجنبية... إلى غير ذلك. وعلى مستوى الأهمية السياسية فإن التدخل الروسي في الملف الليبي يقلق الجانب الأمريكي ومن خلفه دول حلف شمال الأطلسي من أن تجد روسيا لنفسها موطئ قدم جنوب المتوسط يهدد أمن مناطق نفوذ الحلف، أو أن يتسبب في مشاكل لعملية إمدادات النفط والغاز أو يعبث باستقرار منطقة الساحل والصحراء الأفريقية. وإذا كان الحصول على المزايا الاقتصادية والتمتع بالأمن السياسي لن يحدث مع الحرب، ولم يستطِع أيٌ من الفاعلين الدوليين إكسابَ الطرف الموالي له القوة والشرعية اللازمَيْن للسيطرة على كامل البلاد بما يحقق مصلحته سياسيًا واقتصاديًا، فإن الدفع نحو الانتخابات والعمل على الخروج منها بنتائج تحقق المصلحة هو الأقرب للواقع أو الأقرب للتحقق.

٥- إقرار قوانين الانتخاب الرئاسية والبرلمانية وتجاوز الإشكالات والاختلافات عليها وحولها، وبذلك تكون هنالك بيئة دولية دافعة نحو الانتخابات[١٢]، وترقب محلي لها، ومساعي سياسية متعددة للاستفادة منها، ويبقى أن يتم إجراء الاقتراع في موعده.

*** معوقات هذا السيناريو:**

أ- غياب القاعد الدستورية الناظمة للعملية الانتخابية حتى كتابة هذا التقرير (النصف الأول من ديسمبر ٢٠٢١)؛ فحتى الآن لم يتم الاتفاق حول طبيعة النظام السياسي هل هو رئاسي أم برلماني، في حين أن قوانين الانتخابات أُعِدَّت بافتراض أنه نظام رئاسي. هذا الغياب يفتح الباب أمام نسف العملية الانتخابية في حال تمت ولم تأتِ بالنتائج التي تُرضي الأطراف التي امتلكت من الأساس تأخير إصدار هذه القاعدة في شكل قانون منظم، وقد يكون هذا النسف سياسيًا أوعسكريًا أو قضائيًا مثلما تم إبطال الانتخابات البرلمانية عبر المحكمة العليا في ٢٠١٤. بعبارة أخرى، يمكن القول أن إجراء الانتخابات في ظل غياب القاعدة يُبقي أدوات التحكم والتملك في يد بعض المتنفذين داخليًا وخارجيًا بحيث يمكن العودة لأي مرحلة من مراحل الأزمة في أي لحظة، كما يُبقي الباب مفتوحًا أمام التدخل الخارجي للتأثير على العملية والدفع بتطورات الأزمة إلى ما يحقق مصلحة هذا الطرف وينسف مصالح منافسيه. ومن ثم فإن غياب القاعدة الدستورية الناظمة للعملية الانتخابية واحد من أهم الأسباب التي قد تؤدي إلى فشل سيناريو الانتخابات لصالح سيناريو الحرب أو الانقسام أو كليهما معًا.

ب- عوار القوانين المنظِّمة للعملية الانتخابية الرئاسية والبرلمانية وعدم الاتفاق حولها بين الكيانات السياسية

كما يتضمن إجراءات للتصدي للتدخل الأجنبي، ويتضمن العقوبات بحق الأشخاص الأجانب الذين يقودون أو يوجهون أو يدعمون تدخلات حكومية أجنبية معينة في ليبيا. وفيه كذلك معاقبة الأشخاص الأجانب الذين يهددون السلام أو الاستقرار في ليبيا، وعقوبات بحق الأجانب المسؤولين عن الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان المعترف بها دوليًا المرتكبة في ليبيا أو المتواطئين فيها. للاطلاع على القانون انظر: https://cutt.us/XFHaI

(١٢) للمزيد حول عملية الضغط الدولي الدافع نحو الانتخابات انظر: حذر من إجراء أي تغييرات.. بيان أوروبي أميركي يشدد على إجراء الانتخابات الليبية في موعدها، الجزيرة، ٧يونيو ٢٠٢١، تم الاطلاع في ٢٠ نوفمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/QS1qy

والتشريعية الموجودة؛ فالمجلس الأعلى للدولة لا يزال يعتبرها معيبة وهو صاحب رأي استشاري فيها كما ينص على ذلك الاتفاق السياسي. بالإضافة إلى تجاوز النصاب القانوني اللازم لإصدارها، وكثرة الجدل السياسي حولها من حيث كونها معيبة أو منحازة أو حتى غير شرعية أو تم التلاعب بها من أجل حفظ المكان السياسي لبعض من شاركوا في إصدارها؛ مثلما جرى تعديل الإجراءات بحيث تصبح الانتخابات البرلمانية بعد الرئاسية بشهر كامل بدلا من إجرائهما معًا وهو ما يعني أنه في حال حدوث أي مشاكل سيبقى البرلمان في موقعه سواء تسلم السلطةَ رئيسٌ جديدٌ أم بقيت في يد الحكومة الانتقالية (حكومة الوحدة الوطنية برئاسة الدبيبة)، وبالمثل في حال توحدت البلاد فعليًا أم انقسمت فإن المواقع السياسية محفوظه لهؤلاء لأنهم آخر من يتركون مواقعهم –إذا تركوها.

ج- ضعف المنظومة الأمنية والإدارية الليبية اللازمة لإجراء انتخابات في كامل الإقليم الليبي، خاصة مع عدم خضوع البلاد بشكل كامل وتام حتى الآن لحكومة الوحدة الوطنية، وعدم التوصل لحل حتى الآن في توحيد المؤسسة العسكرية بالإضافة لوجود ميليشيات محلية ودولية مسلحة. كلٌ من هذه الأطراف له مصالحه التي ستقوده إما لتعطيل العملية برمتها أو الدفع بها نحو نتيجة معينة تحفظ مصالحه، وهذا يثير مخاوف كبيرة وحقيقية حول إمكانية إتمام الانتخابات في كثير من أجزاء الإقليم، وتزداد المخاوف أكثر حول نزاهة العملية في حال تمت في هذه المناطق، بالإضافة للتخوفات الكبيرة من ضعف قدرة/ عدم نزاهة المفوضية العليا للانتخابات، وكذلك المخاوف الكبيرة من التزوير والتلاعب[١٣]. فعلى سبيل المثال لا توجد ضمانات حقيقية حتى الآن لنزاهة العملية الانتخابية في المناطق التي يسيطر عليها خليفة حفتر في ظل انقسام الجيش وعدم سيطرة حكومة الوحدة الوطنية عليه في تلك المناطق، وضعف المنظومة الإدارية المتمثلة في المفوضية العليا للانتخابات، وعدم قدرة الأمم المتحدة على توفير المنظومة الإدارية والكوادر البشرية التي تراقب هذه العملية في كامل التراب الليبي.

بعبارة أخرى، يمكن إجمال هذه الحالة بأننا أمام انتخابات تجرى في بلد منقسم فعليًا متحارب واقعيًا يهادن كلا طرفيه الآخر، مُنتظرًا ما إذا كان صندوق الانتخابات سيأتيه بما يريد بشكل شرعي داخليًا وخارجيًا، أم أنه سيعود ويجعل صندوق الذخيرة هو الفاعل والحكم من جديد.

(ب) سيناريو استمرار الانقسام وتجدد الحرب:

مع اقتراب موعد الانتخابات تزداد الصعوبات أمام عملية إجرائها ويظهر فارق كبير بين ما يُتخَّذ من إجراءات على الأرض وما هو مخطط له في خارطة الطريق، هذه الفوارق وتلك الصعوبات تدفع نحو استمرار الانقسام الموجود وتقود إلى بعث الحرب من جديد. ومن أهم العوامل التي تدعم حدوث هذا السيناريو:

١- عدم القدرة على توحيد المؤسسة العسكرية رغم كثرة الجهود الدولية المبذولة في هذا الإطار منذ وقت طويل، فلم تفلح جهود الخارج في تمكين المؤسسات السياسية الجديدة من قيادة المؤسسة العسكرية من جانب رئيس الحكومة (عبد الحميد الدبيبة) المحتفظ لنفسه بمنصب وزير الدفاع المختلَف على تسميته منذ وقت طويل، أو في تمكين رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي كقائد أعلى للقوات المسلحة، أو في إخراج الميليشيات العسكرية والقوى الأجنبية من البلاد. وطالما أن الوضع هكذا فمن الصعب أن يتخلى أي من أطراف النزاع عن القوة العسكرية التي يعتمد عليها سواء كانت في شكل قوى أجنبية أو ميليشيات أو مرتزقة، وسيصبح الأمر أكثر صعوبة في حال كانت نتائج الانتخابات في غير صالح من يملك القوة اللازمة لتعطيل هذه العملية برمتها وهو أمر ممكن طبقًا لمقتضيات الواقع الآن.

(١٣) انظر على سبيل المثال: محمود الورفلي، قناة ليبيا الأحرار، برنامج (مع خالد سعيد)، ٣ ديسمبر ٢٠٢١، تم الاطلاع في ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/1SLJn

٢- يحدث هذا خاصة في ظل هشاشة الوضع الأمني وعدم قدرة حكومة الوحدة الوطنية على تهيئة البيئة أمنيًا بما يسمح بتأمين إجراء الانتخابات، فالاعتداء على محكمة سبها يوم ٣٠ نوفمبر قبل الجلسة المحددة لنظر طعون المرشح سيف الإسلام القذافي، وتصريح وزير الداخلية بحكومة الوحدة الوطنية خالد مازن بعدها قائلًا: "استمرار عرقلة الخطة الأمنية سيؤدي إلى الإضرار بالعملية الانتخابية وإقامتها في موعدها وخروجها عن السيطرة"[١٤]. كل هذا يؤكد أن تعطيل الانتخابات لصالح الحرب لا ينتظر سوى أمر أحد القادة لأحد المقاتلين بإطلاق الرصاصة الأولى وبعدها يتحارب الجميع من جديد سواء كان ذلك اعتراضًا على استبعاد أحد المرشحين أو رفضًا لنتائج الانتخابات، والأهم من ذلك أن من يرفض الجوانب الإجرائية (الاستبعاد من الترشح/ نتائج الانتخابات) يصعب أن يُسلِّم بالقضايا العملية مثل الخروج من السلطة أو التخلي عن القوة (الجيش والميليشا وغيرها). يبقى أن الانتخابات في هذه الظروف إجراء شديد الصعوبة، والتسليم بنتائجها أصعب، بما يجعل الاستقرار بعدها احتمال بعيد نسبيًا ومرحليًا.

٣- رعونة بعض القوى الإقليمية وإصرارها على استبعاد أو إفناء بعض التيارات السياسية في ليبيا وغيرها، مثل تعقب الإمارات لجماعات ما يُسمى بالإسلام السياسي في ليبيا وفي كل دول الربيع العربي، وكذلك الدول الحليفة لهم، وهو ما يجعل الإمارات على سبيل المثال تقف ضد أي تسوية تشمل هؤلاء داخلها وتدفع بما يُقصيهم من المشهد وينهي وجودهم السياسي. والانتخابات بلا شك ستؤدي لحظ ليس بالقليل لهؤلاء وحلفائهم.

٤- اختلاف الخطاب السياسي عن الفعل السياسي لبعض الفاعلين الدوليين مثل (مصر- الإمارات- فرنسا- روسيا)؛ فهؤلاء يؤيدون الشرعية قولًا ويدعمون حفتر واقعًا، يدعمون الانتخابات قولًا ويعيقون مسارها واقعًا.

٥- سياسة البرلمان في إصدار التشريعات وفي بعض ما يتخذه من إجراءات مثل إجراء سحب الثقة من الحكومة، وتأخير الانتخابات التشريعية عن الرئاسية وإصدار قوانين يلحق العوارُ بعضَ أجزائها، فضلًا عن تخطي النصاب القانوني اللازم لإصدارها، وتجاوز الاتفاق السياسي في عملية إصدارها والذي يقضي بالتشاور مع المجلس الأعلى للدولة وهو ما لم يحدث، هذا في ظل غياب مرجعية دستورية يمكن الاحتكام إليها، وتعدد المحاكم التي يمكن اللجوء إليها في هذا الإطار، وقبل كل هذا تعطيل مشروع الدستور الجاهز منذ ٢٠١٧، وكذلك التغاضي عن التوافق على قاعدة دستورية تجري على أساسها الانتخابات. وهو ما يجعلنا أمام نوع من الفوضى القانونية/التنفيذية التي تجعل عرقلة الانتخابات والانقضاض على نتائجها ممكنًا في أي وقت من قِبل أي طرف خاصة لو كان له نفوذ أو تحت يده قوة.

٦- هذه السياسة المُتعمدة في تغييب القاعدة القانونية وتعطيل الدستور وإصدار القانون المعيب، وتجاوز النصاب القانوني اللازم لإصداره، تفيد بعض أصحاب النفوذ على مستوى البقاء في مواقعهم حال لم تتم الانتخابات أو فشلت أو جرى الاعتراض القانوني عليها أو تأجلت، ولذلك فإن خوف هؤلاء النافذين على سلطانهم في ظل نفوذهم هذا، واحدًا من أهم أسباب التي تدفع نحو تجدد الحرب واستمرار الانقسام، حتى لو ظهر خطاب سياسي مُغاير لذلك.

*** معوقات هذا السيناريو:**

يدفع ضد تجدد الحرب عدد من العوامل مثل:

١- قناعة الأطراف بعدم القدرة على الحل عسكريًا، خصوصًا بعد التدخل التركي وزيادة الاهتمام الأمريكي والدفع الأممي نحو الانتخابات.

٢- زيادة النفوذ الروسي-التركي الذي يعني الجنوح إلى التوافق المُحقِق للمصالح وليس الصراع المُستنفِد للقوة.

(١٤) مؤتمر صحفي لوزيري الداخلية خالد مازن والعدل حليمة إبراهيم حول تأمين العملية الانتخابية، ٣٠ نوفمبر ٢٠٢١، تم الاطلاع في ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/3HsJg

٣- الدفع الأمريكي المتزايد نحو إنجاز الانتخابات وإحداث استقرار في ليبيا لتأمين ملفات الطاقة والإرهاب والهجرة.

٣- المصالح الاقتصادية للأطراف الدولية، والتي تتطلب شيئًا من الاستقرار ولا تتحقق مع الحرب، وبالتالي تتطلب إنجاز الانتخابات.

(ج) السيناريو الأقرب (رحلة البحث عن الاستقرار المفقود):

يبقى احتمال أن يشتعل صندوق الاقتراع برصاص البندقية باقيًا ما بقيت أدوات الحرب جاهزة في يد المتقاتلين، قد تتجدد الحرب في حال تم تزوير الانتخابات نتيجة الانفلات الأمني وخاصة جنوب وغرب البلاد، أو بعد إجراء الانتخابات نتيجة الاختلاف على نتائج بعض الدوائر، أو لاستباق النتائج النهائية.

وقد تتجدد الحرب بعد إجراء الانتخابات وإعلان نتائجها، وتتوسع دوائر الانقسام في حال تم انتخاب رئيس ولم تعترف به بعض القوى أو بعض المؤسسات أو جرى الانقلاب عليه عسكريًا أو سحب شرعيته قضائيًا أو محاولة تقويضه سياسيًا، ولذلك فإن إجراء الانتخابات ونجاحها في تسمية رئيس لا يعني بالضرورة أن تذهب البلاد للاستقرار السياسي والأمني المؤدي لتمكين السلطة التنفيذية من العمل على المشاكل اليومية للمواطن، لأن الموقف لم يُحسم بعد في كثير من القضايا محل الخلاف مثل توحيد المؤسسة العسكرية وإنجاز الدستور وتوزيع السلطة بين الأقاليم والفاعلين، وكذلك لم تصل بعدُ القوى الدولية لتوافق حول ما ستأخذ وتترك كل واحدة منها.

تطورات المشهد في ليبيا التي تتجدد كل يوم تقريبًا، خاصة مع اقتراب موعد الاقتراع في ٢٤ ديسمبر، تجعل الجزم بحدوث سيناريو على حساب آخر أمر غاية في الصعوبة، فالمشهد الليبي سائل بدرجة كبيرة إلا من بعض الجوانب الصلبة مثل:

أ-تمتع ليبيا بمميزات اقتصادية وسياسية تجعلها محط اهتمام دولي وإقليمي كبير وتجعل استقرارها ضرورة لحماية هذه المصالح.

ب-الدفع الأممي المستمر نحو إجراء الانتخابات لتجاوز الحرب في ليبيا.

ج- الخارج هو الفاعل الأكثر أهمية والأقوى في ليبيا والقادر على ترتيب جوانب الصورة بشكل كبير، بل هو مصدر الشرعية منذ اتفاق الصخيرات في ٢٠١٥ حتى الآن.

وبناء على ما سبق فإن الباحث يُرجح أن تسير الأمور في اتجاه يؤدي لنوع من الاستقرار الصوري أو السطحي يحقق مصالح الفاعلين ولا يُلبي رغبات المواطنين (هذا في حال تمت الانتخابات أو تأجلت، تجددت الحرب جزئيًا أو لم تتجدد)؛ فالخارج مانحُ الشرعية وصاحب اليد الطولى في ترتيب المشهد يحتاج إلى الاستقرار ليحقق مصالحه الاقتصادية والسياسية والأمنية في ليبيا[١٥].

ثالثًا- مقاربة للحل:

تقوم هذه المقاربة على أضلاع ثلاثة تمثل في مجملها عملية متكاملة يمكن أن تؤدي لحل حقيقي للأزمة الليبية سياسيًا واقتصاديا، وهذه الأضلاع الثلاثة هي:

(أ) الدينار قبل الشعار:

وضع الدينار قبل الشعار يعني عدم الانجرار خلف قضايا الهوية أو البرنامج السياسي أو الشكل الحزبي أو الخيار التنظيمي أو غيرها من القضايا التي تمثل فخًا كبيرًا للانشغال

(١٥) استدعاء الأمريكية ستيفاني وليامز كمستشارة خاصة بالشأن الليبي للأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، يدعم مثل هذا التصور، فعودتها من ناحية تأتي كمحاولة لإدراك التوافق حول ما لم يتم التوصل لتوافق عليه حتى الآن، وكذلك محاولة لاحتواء ما قد يقع من تداعيات في حال لم تتم الانتخابات في موعدها وأصبح الاختيار بين الحرب أو الاستقرار الصوري أو المرحلي؛ لأنها صاحبة الجهد الكبير في التفاهم السابق المؤدي للاتفاق السياسي الذي نتج عنه حكومة الوحدة الوطنية. للمزيد حول هذا انظر: السنوسي البسيكري، المساعي الدولية لإجراء الانتخابات، قناة ليبيا الأحرار، ٩ ديسمبر ٢٠٢١، تم الاطلاع في ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/ChGPt

عن قضايا التنمية وما يمس المعاش اليومي للناس، فالانجرار خلف نقاشات وقضايا تولد خلافات من قبيل: ليبيا إسلامية عربية أو دولة مدنية/ برلمانية أو رئاسية/ نظام حزبي...إلخ، يمثل بالضرورة حالة من الانشغال عن حل مشاكل المواطن اليومية في الوقود والسيولة النقدية والمرور وتراكم القمامة وتأخر الرواتب والفقر والانفلات الأمني قبل كل ذلك، ولذلك فإن العمل الضروري -وفق تقدير الباحث- يتجه نحو كل ما يتعلق بالتنمية ومعاش الناس خصوصًا ما كان منه عاجلًا آنيًا أو يمثل مصلحة لشرائح كبيرة من المواطنين، أو يتعلق بالاحتياجات الأكثر إلحاحًا للمرضى أو كبار السن أو أولئك الواقعين تحت خط الفقر ولم تزدهم الحرب إلا فقرًا.

هذا يمكن تحقيقه من خلال العمل على حلحلة ملف النفط وتأمين عملية إنتاجه وتصديره بشكل سريع، لأنه أسرع الموارد التي يمكن الاعتماد عليها للعمل على مشاكل الناس أو للتعاطي مع متطلبات التنمية، ولكن هذا لا يعني أن يتم الاعتماد على النفط وحده ولكن تكون البداية به لأنه الأسرع جدوى ثم تلحق به الزراعة وغيرها.

ويمكن إجمال هذا البند في؛ ترك الشعارات السياسية الهوياتية الحزبية المذهبية لصالح المشاكل اليومية التنموية الاقتصادية.

(ب) تسويات داخلية أمنية سياسية:

تأمين إنتاج وتصدير النفط اللازم لتفعيل البند الأول (الدينار قبل الشعار) يحتاج إلى توافقات داخلية واسعة أمنية سياسية تسمح بهذا وتحافظ عليه بعد ذلك، عن طريق العمل على كسب ولاء ما يمكن من القبائل والمجموعات المقاتلة، فعلى سبيل المثال يمكن العمل على كسب ولاء القبائل في الجنوب ومناطق الهلال النفطي[١٦]، وكذلك العمل على تغيير ولاء ما يمكن تغيير ولاءه من المجموعات المقاتلة عبر المال أو حتى السلطه، وإطلاق رؤية مناسبة لتوزيع الثروة والسلطة في الإقليم الشرقي الذي يحوز معظم آبار النفط ويسيطر عليه حفتر. ولكن حتى لو تم النجاح في كل ذلك فهو غير كافٍ لإنتاج النفط وتصديره وفرض الأمن وإيجاد التوافق السياسي، لأن أيًا من الفاعلين الدوليين قد يدفع ببعض الموالين له لنسف هذه العملية برمتها، وهو ما يظهر الحاجة للضلع الثالث المتجه نحو الخارج.

(ج) توافقات إقليمية ودولية "من منطق الكل يكسب":

الخارج –كما سبق الذِكر- هو الفاعل الأهم وهو مانح الشرعية منذ اتفاق الصخيرات في ٢٠١٥ وحتى الآن، وهو صاحب اليد الطولى في ترتيب المشهد، ولكن هذا الخارج ليس قوة أو جهة واحدة بل إن الكتلة الواحدة منه تمثل رؤى واتجاهات مختلفة (الاتحاد الأوروبي مثالا)، وهذا الخارج المتدخل الآن عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا ودبلوماسيًا، يحتاج حكمة كبيرة من قِبل صانع القرار في الداخل للتعامل مع هذا العدد الكبير من القوى المتدخلة في ليبيا كل حسب مصالحه وأهدافه.

وحسب تقدير الباحث فإنه يمكن استخدام بعض القوى لضرب مصالح البعض الآخر بشكل يحمي نفوذ الأول ولا يهدر مصالح الثاني، أو استخدام قدر من القوة من جانب بعض الأطراف لإرغام الجميع على أخذ بعض المصالح وترك البعض. فمثلًا يمكن استنفار الموقف الأمريكي لكسر حدة التدخل الروسي عن طريق الاتكاء على الجانب الأمريكي المعتمد على الفعل التركي، لإرغام الجانب الروسي الفرنسي المصري على القبول بالتحول نحو استقرار حقيقي يحفظ لهذا الأخير الحقوق الاقتصادية المتعلقة بالعقود المعطلة وبعض

(١٦) ليس من الصعب العمل على كسب ولاء القبائل ولكن ذلك يحتاج عملية معقدة من توزيع المناصب السياسية والعسكرية بالشكل الذي يرضي كل هؤلاء في الوقت ذاته، ولكن يبقى كسب ولاء القبائل واحدًا من أهم الأدوات اللازمة لتوفير الأمن وبالتالي انتظام إنتاج النفط ومن بعد ذلك العمل على المشاكل اليومية للمواطن، التي ترتبط في كثير من جوانبها بهذين الملفين (الأمن- النفط). للمزيد حول ولاءات القبائل وتحولاتها انظر على سبيل المثال: خريطة تحالفات حفتر الداخلية: مواقع الولاءات والانشقاقات، العربي الجديد، ٦ مايو ٢٠٢٠، تم الاطلاع في ١٠ ديسمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/JhNf7

الاستثمارات وبعض من الاتفاقيات حول النفط والغاز بما لا يعيق عملية الانتقال السياسي نحو الاستقرار الذي تنشده الولايات المتحدة لتأمين جنوب المتوسط وأمن منطقة الساحل والصحراء ومنع حدوث مشاكل جديدة في قضية الهجرة التي تمثل أرقًا كبيرًا للاتحاد الأوروبي كله، وعليه يتم الضغط الأمريكي الذي يسمح لجهة روسيا/مصر/الإمارات/فرنسا بتحقيق بعض المكاسب مقابل التنازل عن عرقلة عملية الانتقال السياسي أو حتى محاولة تشكيل جهة سياسية يمكن لها فعل ذلك مستقبلًا، بمعنى أن يتخلى هؤلاء عن دعم وكلائهم المحليين في الحرب والانتخابات مقابل تأمين مصالحهم الاقتصادية.

يبقى أن هذه المقاربة تحتاج لتنفيذها إلى حكمة كبيرة من قِبل شخصية وطنية تفوز في الانتخابات القادمة أو تأتي بها توافقات دولية جديدة، لكنها لن تؤدي لحل حقيقي للأزمة في حال تحولت من مقاربة للحل إلى عملية تقسيم ثروة ونفوذ على القوى الدولية المتدخلة، فهي محاولة لحماية المصالح وإيجاد الاستقرار بما يقي شر الطامعين ويحقق رغبات وآمال المواطنين، فلا توجد مشكلة في أن تحوز شركات أجنبية مصرية أو تركية أو روسية أو أمريكية أو.. عقود كبيرة أو صغيرة للتنقيب عن النفط والغاز أو لمد الطرق وبناء الكباري أو لاستثمارات طويلة طالما هناك احتياج وطني لها وبنود التعاقد عليها عادلة، وفي حال تم هذا يستفيد المواطن خدميًا وتقنع القوى المتدخلة بما ستحصده من هذه العقود. خلاصة القول في امتلاك الدعم الدولي المناسب لإنجاح محاولة بلورة المصالح الاقتصادية للقوى المختلفة بالشكل الذي يجعلها ترضى ب/تدفع نحو استقرار ليبيا وليس الاحتراب فيها.

خاتمة:

سبق الذكر خلال الدراسة أن الخارج هو مانح الشرعية منذ اتفاق الصخيرات ٢٠١٥ وحتى الآن وهو الوحيد القادر على تشكيل جوانب الصورة، وعليه تبقى الكثير من القضايا الداخلية معلقة على توافق القوى الخارجية حولها، على سبيل المثال فإن مسألة إخراج المرتزقة والقوى الأجنبية مُلحقًا بها عملية توحيد المؤسسة العسكرية، معلقة على توافق القوى الدولية على إخراج مرتزقها من ليبيا والتوقف عن دعم بعض الأطراف الداخلية حتى يصبح ممكنًا توحيد المؤسسة العسكرية؛ لأن هذه الأطراف لا تملك وحدها القدرة على عرقلة العملية الوطنية في حال فقدت السند الخارجي.

كما أن إجراء الانتخابات في موعدها من عدمه مرهون كذلك بنفس التوافق الخارجي حوله، ولكن الأهم من إجراء الانتخابات هو أن تؤدي للاستقرار، وهو مطلب يصعب تحقيقه حتى في حال تم إجراء الانتخابات، لأن أدوات الحرب ما تزال باقية، والمتحاربون ما يزالون في الميدان، ولكن بالتعويل على المصالح الاقتصادية والسياسية للقوى الخارجية والتي لن تتحقق مع الحرب، فإن الأمور حسب تقدير الباحث ستتجه نحو نوع من الاستقرار الصوري/السطحي الذي يحقق مصالح الفاعلين الدوليين ولا يُلبي رغبات المواطنين.

يبقى أن المسألة الليبية ما تزال جوانبها الرئيسية قيد التشكل، فجُل جوانبها محل نظر ونقاش وفعل متعدد الجوانب من قِبل الكثير من الفاعلين، ومستقبلها متعلق بكل هذا، ولكن إذا تمت الانتخابات أو حدث توافق دولي جديد وأتى بشخصية وطنية، استطاعت أن تفرض الأمن داخليًا عبر توافقات قبلية ورؤية واضحة مُرضية في توزيع الثروة والسلطة، بالشكل الذي يسمح بانتظام إنتاج وتصدير النفط، بما يسمح بالعمل على المشاكل اليومية للمواطن، واستطاعت قبل هذا أن تعمل على بلورة المصالح الدولية الاقتصادية والسياسية بالشكل الذي يجعل هذه القوى ترضى ب/تدفع نحو الاستقرار وليس الحرب، بقدر النجاح في هذا يتحقق نوع من الاستقرار يحمي البلاد من شر الطامعين ويحقق رغبات وآمال المواطنين.

*****